

تفسير

القرآن العظيم

لِلإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

لهذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأصلية
وكذلك على نسخة كامل دار الكتب المصرية

تتحقيق
محمّد السّيد رشاد
محمّد فضل البجماري
على أحمد عبد الباقي
مسنّ عباس قطب

المجلد الثاني عشر

مكتبة أم كلثوم الشيخ للشريعة

٣١ ش اليابان - عمراية غربية - جيزة

ت: ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

مؤسسة قطر طبعة

طباعة - نشر - توزيع

جيزة - ت: ٥٨١٥٠٢٧

رقم الإيداع : ٩٣٤٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولي : I.S.B.N :

977 - 5234 - 33 - 6

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

كافة حقوق الطبع محفوظة

لمؤسسة قرطبة

للطبع والنشر والتوزيع

إِلْفَاؤُوقُ الْحَاثِيَةِ لِلطَّبِيعَةِ وَالنَّشْرِ
هاتف: ٤٣٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تَفْسِيرُ
الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

تفسير سورة الصافات

وهي مكية

قال النسائي^(١) : أخبرنا إسماعيل بن مسعود ، حدثنا خالد - يعني ابن الحارث - عن ابن أبي ذئب قال^[١] : أخبرني الحارث بن عبد الرحمن عن^[٢] سالم بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالتخفيف ، ويؤمنا بالصافات . تفرد به النسائي .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۖ فَالزَّجَّاجَاتِ زَجْرًا ۖ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۖ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٣﴾

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾

قال سفيان الثوري^(٣) : عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله بن

(١) - « السنن الصغرى » ، كتاب الإمامة ، باب : الرخصة للإمام في التطويل (٩٥/٢) وفي « التفسير » من الكبرى (١١٤٣٢/٦) ، وإسناده حسن ، رجاله كلهم ثقات ؛ حاشا الحارث بن عبد الرحمن - خال ابن أبي ذئب - وهو صدوق كما في التقريب ، ورواه ابن خزيمة في صحيحه (١٦٠٦/٣) من طريق بشر بن معاذ العقدي ، نا خالد بن الحارث به ، ورواه علي بن الجعد في مسنده (٢/٢٨٦٠) - ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير (١٣١٩٤/١٢) - ثنا ابن أبي ذئب به ، ورواه أحمد (١٥٧،٤٠،٢٦/٢) وأبو يعلى في مسنده (٥٥٥٣،٥٤٤٥/٩) ومن طريقه الثاني ابن حبان في صحيحه (١٨١٧/٥) - وابن خزيمة أيضًا والبيهقي في السنن الكبرى (١١٨/٣) كلهم من طريق - مفرقًا - (وكيع وحماد بن الحياض ويزيد بن هارون ، وعثمان بن عمر ، وشباب بن سوار) عن ابن أبي ذئب به ، وفي رواية يزيد بن هارون ، وإن كان ليؤمنا بالصافات في صلاة الفجر ، ويزيد ثقة ثبت ، وهكذا رواه أصحاب ابن أبي ذئب بهذا الإسناد ، ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده (رقم ١٨١٦) ثنا ابن أبي ذئب ، عن الزهري أو غيره ، عن سالم به - شك أبو داود - ورواية الجماعة بغير الشك أولى ، والحديث قصر في عزوه السيوطي في الدر المنثور (٥٠٩/٥) فلم يعزه لغير النسائي والبيهقي!!

(٢) - رواه الفريابي - كما في الدر المنثور (٥١٠/٥) - ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير (٩٠٤١/١٢) عن سفيان الثوري به ، وأورده الهيثمي في المجمع (١٠١/٧) وأعله بشيخ الطبراني : عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو متابع ، فقد رواه الحاكم في المستدرک (٤٢٩/٢) من طريق أحمد بن حازم الغفاري ، ثنا قبيصة بن عقبة ، أنبأنا سفيان به وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبي ، وهو كما قال ، ولا تضره نعتة الأعمش حيث رواه شعبة عنه ، عن أبي الضحى ، به . كما عند ابن جرير (٣٣/٢٣) وشعبة كفانا تدليس الأعمش ولله الحمد . وقد رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٤٧/٣) =

مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : ﴿ والصافات صفًا ﴾ وهي الملائكة ، [﴿ فالزاجرات زجرًا ﴾ هي الملائكة]^[١] ، ﴿ فالتاليات ذكرا ﴾ هي الملائكة .

وكذا قال ابن عباس^(٣) ومسروق ، وسعيد بن جبير وعكرمة ، ومجاهد والسدي ، وقتادة والربيع بن أنس . قال قتادة : الملائكة صفوف في السماء .

وقال مسلم^(٤) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن أبي مالك الأشجعي ، عن ربيعي ، عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثَ : جُعِلَتْ صَفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا ، وَجُعِلَتْ لَنَا ثُرَيْبَتُهَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ » .

وقد روى مسلم أيضًا ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه^(٥) ، من حديث الأعمش ، عن المُتَّيِّبِ بْنِ رَافِعٍ ، عَنْ تَمِيمِ بْنِ طَرْفَةَ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُورَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا تَصِفُونَ كَمَا تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ؟ » . قلنا : وكيف تصف الملائكة عند ربهم ؟ قال : « يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْمُتَقَدِّمَةَ وَيَتَرَاصُونَ فِي الصَّفِّ » .

وقال السدي وغيره : معنى قوله : ﴿ فالزاجرات زجرًا ﴾ : أنها تزجر السحاب زجرًا^[٣] .

وقال الربيع بن أنس : ﴿ فالزاجرات زجرًا ﴾ ما زجر الله عنه في القرآن . وكذا رَوَى مَالِكٌ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ . ﴿ فالتاليات ذكرا ﴾ قال السدي : الملائكة يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله إلى الناس . وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ فالملقيات ذكرا * عذرا أو نذرا ﴾ .

وقوله : ﴿ إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ هذا هو المقسم عليه : أنه تعالى لا إله إلا هو ﴿ ورب السموات والأرض وما بينهما ﴾ أي : من المخلوقات ﴿ ورب المشارق ﴾ أي : هو المالك^[٤]

= عن معمر ، عن الأعمش به . والخير زاد نسبه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) - رواه أبو الشيخ في العظمة (٥١١/٣) بإسناد ضعيف إليه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥١٠/٥) وزاد نسبه إلى ابن المنذر .

(٤) - صحيح مسلم ، فاتحة كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٤) (٥٢٢) .

(٥) - رواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب : الأمر بالسكون في الصلاة ... (١١٩) (٤٣٠) وأبو داود ، كتاب الصلاة ، باب : تسوية الصفوف (٦٦١) ، والنسائي ، كتاب الصلاة ، باب : حث الإمام على رَضِّ الصفوف والمقاربة بينها (٩٢/٢) ، وابن ماجه ، كتاب الصلاة والسنة فيها ، باب : إقامة الصفوف (٩٩٢) من طرق عن الأعمش به .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

المتصرف في الخلق بتسخيره بما فيه من^[١] كواكب ثوابت وسيارات ، تبدو من المشرق ، وتغرب من المغرب . واكتفى بذكر المشرق عن المغرب لدلالاتها عليهما^[٢] ، وقد صرح بذلك في قوله : ﴿ فلا أقسم برب المشرق والمغرب إنا لقادرون ﴾ وقال في الآية الأخرى : ﴿ رب المشرقين ورب المغربين ﴾ يعني : في الشتاء والصيف ، للشمس والقمر .

إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذِّفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾

يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض ﴿ بزينة الكواكب ﴾ قرئ بالإضافة وبالبديل ، وكلاهما بمعنى واحد ، فالكواكب السيارة والثوابت يثُقب ضوءها جرم السماء الشفاف فتضيء لأهل الأرض ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير ﴾ ، وقال : ﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ﴾ .

وقوله هاهنا : ﴿ وحفظاً^[٣] ﴾ تقديره : وحفظناها حفظاً ﴿ من كل شيطان مارد ﴾ يعني : المتمرد العاتي إذا أراد أن يسترق السمع ، أتاه شهاب ثاقب فأحرقه ؛ ولهذا قال : ﴿ لا يسمعون إلى الملائكة ﴾ أي : لئلا يصلوا^[٤] إلى الملائكة الأعلى ، وهي السموات ومن فيها من الملائكة ، إذا تكلموا بما يوحى الله مما يقوله من شرعه وقدره ، كما تقدم بيان ذلك في الأحاديث التي أوردناها عند قوله تعالى : ﴿ حتى إذا فُزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ﴾ .

ولهذا قال : ﴿ ويقذفون ﴾ أي : يُرمون ﴿ من كل جانب ﴾ أي : من كل جهة يقصدون السماء منها ﴿ دحوراً ﴾ أي : رجماً يدحرون به ويرجمون^[٥] ، ويمنعون من الوصول إلى ذلك ﴿ ولهم عذاب واصل ﴾ أي : في الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجه مستمر ، كما قال : ﴿ وأعتدنا لهم عذاب السعير ﴾ .

وقوله : ﴿ إلا من خِطَفَ الخطفة ﴾ أي : إلا من اختطف من الشياطين الخطفة ، وهي الكلمة يسمعها من السماء فيلقبها إلى الذي تحته ، ويلقبها الآخر إلى الذي تحته ، فربما أدركه

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « عليها » .

[٣] - في ز : « وحفظناها » .

[٤] - في ز ، خ : « يصلون » .

[٥] - في ت : « ويرجمون » .

الشهاب قبل أن يلقبها، وربما ألقاها بقدر الله قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه، فيذهب بها الآخر إلى الكاهن، كما تقدم في الحديث؛ ولهذا قال: ﴿إلا من خطف الحظفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ أي: مستنير.

قال ابن جرير^(١): حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كانت للشياطين مقاعد في السماء، فكانوا يستمعون الوحي، قال: وكانت النجوم لا تجري، وكانت الشياطين لا تزمي^[١]، قال: فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض، فزادوا في الكلمة^[٢] تسعاً، قال: فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الشيطان إذا قعد مقعده جاء شهاب فلم يخطئه حتى يحرقه، قال: فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هو إلا من أمر حدث، قال: فبئت جنوده فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي بين جبلي نخلة - قال وكيع: يعني بطن نخلة - قال: فرجعوا إلى إبليس فأخبروه فقال: هذا الذي حدث.

وستأتي الأحاديث الواردة مع الآثار في هذا المعنى عند قوله تعالى إخباراً عن الجن أنهم قالوا: ﴿وَأَنَا لَمُسْنَا السَّمَاءَ فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً﴾ وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً * وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً.

فَاسْتَفْنِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَوَإِذَا مَنَّا وَكُنَّا نُرَابًا وَعِظْمًا أَوَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ

(٦) - تفسير ابن جرير (٣٦/٢٣) ورواه أيضاً (٣٧، ٣٦/٢٣) وأحمد (٢٧٤/١) والترمذي، كتاب التفسير (٣٣٢٤) والنسائي في التفسير من الكبرى (١١٦٢٦/٦) والطبراني في المعجم الكبير (١٢٤٣١/١٢) من طرق عن إسرائيل به، وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات من رجال الشيخين، ولا تضر عننة أبي إسحاق هنا، لأن إسرائيل من أوثق الناس فيه، كما قال أبو حاتم وغيره، وتابع إسرائيل فيه أبوه يونس بن أبي إسحاق. رواه من هذا الوجه البيهقي في الدلائل (٢٣٩/٢، ٢٤٠).

ورواه أحمد أيضاً (٣٢٣/١) ثنا وكيع، عن إسرائيل عن سماك، عن سعيد بن جبير به. وهذا إسناد حسن لكلام في سماك، والخبر أورده السيوطي في الدر المنثور (٤٣٣/٦) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل وانظر ما تقدم (سورة سبأ / آية ٢٣).

[٢] - في خ، ز: « الآية ».

[١] - في خ: « ترى ».

ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى : فسل هؤلاء^[١] المنكرين للبعث : أيما أشد خلقًا هم أم السماوات والأرض ، وما بينهما من الملائكة والشياطين والمخلوقات العظيمة ؟ وقرأ ابن مسعود : (أم من عددنا) ، فإنهم يُقرّون أن هذه المخلوقات أشد خلقًا منهم ، وإذا كان الأمر كذلك فلم ينكرون البعث ، وهم يشاهدون ما هو أعظم مما أنكروا ؟ كما^[٢] قال تعالى : ﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ثم بين أنهم خلقوا من شيء ضعيف فقال : ﴿ إنا خلقناهم من طين لازب ﴾ .

قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك : هو الحيد^[٣] الذي يلتزق بعضه ببعض .

وقال ابن عباس^(٧) ، وعكرمة : هو اللزج وقال قتادة : هو الذي يلزق باليد .

وقوله : ﴿ بل عجب ويسخرون ﴾ أي : بل عجبت - يا محمد - من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث ، وأنت موقن مصدق بما أخبر الله به من الأمر العجيب ، وهو إعادة الأجسام بعد فنائها ، وهم بخلاف أمرك ، من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول لهم من ذلك .

قال قتادة : عجب محمد صلى الله عليه وسلم وسخر ضلال بني آدم .

﴿ وإذا رأوا آية ﴾ أي : دلالة واضحة على ذلك ﴿ يستسخرون ﴾ قال مجاهد ، وقاتة : يستهزئون .

﴿ وقالوا إن هذا إلا سحر مبين ﴾ أي : إن هذا الذي جئت به إلا سحر مبين ﴿ أنذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون ﴾ يستبعدون ذلك ويكذبون به ﴿ قل : نعم وأنتم داخرون ﴾ أي : قل لهم يا محمد : نعم تبعثون يوم القيامة بعدما تصيرون ترابًا وعظامًا ﴿ وأنتم داخرون ﴾ أي : حقيرون تحت القدرة العظيمة . كما قال تعالى : ﴿ وكل أتوه داخرين ﴾ .

وقال : ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ ثم قال : ﴿ فإنما

(٧) - رواه عنه ابن جرير في تفسيره (٤٣، ٤٢/٢٣) بأسانيد قابلة للصحة وانظر الدر المنثور (٥١٢/٥) .

[٢] - سقط من : ز، خ .

[١] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « الجسد » .

هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون ﴿٢٠﴾ أي : إنما هو أمر واحد من الله - عز وجل - يدعوهم دعوة واحدة^[١] أن يخرجوا من الأرض ، فإذا هم بين يديه ، ينظرون إلى أهوال يوم القيامة .

وَقَالُوا يَتَوَلَّىٰ هَٰذَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢١﴾
 ﴿٢٢﴾ أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٣﴾ مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدَوْهُمْ إِلَىٰ
 صِرَاطٍ الْجَنِيمِ ﴿٢٤﴾ وَقَفَّوهُمْ لِيَتَذَكَّرُوا ﴿٢٥﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ ﴿٢٦﴾

يخبر تعالى عن قيل الكفار يوم القيامة : إنهم يرجعون على أنفسهم باللامعة ، ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا ، فإذا عاينوا أهوال القيامة ندّموا كل الندم حيث لا ينفعهم الندم ، ﴿٢٠﴾ وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين ﴿٢١﴾ ، فتقول لهم الملائكة والمؤمنون : ﴿٢٢﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٣﴾ . وهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ ، ويأمر الله الملائكة أن تميز الكفار من المؤمنين في الموقف في محشرهم ومنشرهم ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿٢٤﴾ أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴿٢٥﴾ ، قال النعمان بن بشير - رضي الله عنه - : يعني بأزواجهم : أشباههم وأمثالهم . وكذا قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد ، والسدي ، وأبو صالح ، وأبو العالية ، وزيد بن أسلم .

وقال سفيان الثوري^(٨) : عن سماك ، عن النعمان بن بشير ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ﴿٢٦﴾ أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴿٢٧﴾ قال : لإخوانهم .

وقال شريك^(٩) عن سماك^[٢] عن النعمان قال : سمعت عمر يقول : ﴿٢٨﴾ أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴿٢٩﴾ قال : أشباههم . قال : يجيء صاحب الربا مع أصحاب الربا ، وصاحب الزنا مع أصحاب الزنا ، وصاحب الخمر مع أصحاب الخمر .

(٨) - رواه ابن جرير (٤٦/٢٣) ثنا ابن بشار ، ثنا عبد الرحمن ، ثنا سفيان به ، غير أنه قال : «ضرباءهم» ورواه الحاكم في المستدرک (٤٣٠/٢) من طريق عبيد الله بن موسى ، أنبأ إسرائيل ، ثنا سماك بن حرب به ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١٤٨/٣) عن إسرائيل به ، ليس فيه عمر ، ولفظه : «أمثالهم الذين مثلهم» وانظر ما بعده :

(٩) - لم أهد له من هذا الوجه ، وشريك هو ابن عبد الله القاضي سمي الحفظ غير أنه متابع كما في السابق ، وقد أورده السيوطي في الدر المنثور (٥١٣/٥) بنحو هذا اللفظ وزاد نسبتة إلى الفريابي وابن أبي شيبه وابن منيع في مسنده وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث - وهو غير موجود في الجزء المطبوع من البعث - فلعلة عندهم أو أحدهم من هذا الوجه والله أعلم .

[٢] - في ز ، خ : « شريك » .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « أصحاب » .

وقال خصيف^(١٠) عن مقسم عن ابن عباس : أزواجهم : نساءهم وهذا غريب ، والمعروف عنه الأول ، كما رواه مجاهد وسعيد بن جبير عنه : أزواجهم : قُرَناءهم .

﴿ وما كانوا يعبدون من دون الله ﴾ أي : من الأصنام والأنداد ، وتحشر^[١] معهم في أماكنهم .

و^[٢] قوله : ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾ أي : أرشدوهم إلى طريق جهنم . وهذا كقوله تعالى : ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم غُميًا ﴾ [بِكَمًا وَضُمًا]^[٣] مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرًا ﴾ .

وقوله : ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ أي : قفوهم حتى يُسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا ، كما قال الضحاك^(١١) ، عن ابن عباس : يعني : أحبسوهم إنهم محاسبون .

وقال ابن أبي حاتم^(١٢) : حدثنا أبي ، حدثنا الثَّقَلِي ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال^[٤] : سمعت ليثًا يُحدث عن بشر ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما داع دعا إلى شيء كان موقوفًا معه إلى يوم القيامة ، لا يغادره ولا يفارقه ، وإن دعا رجل رجلًا » . ثم قرأ : ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ .

(١٠) - خُصِّيف هو ابن عبد الرحمن الجزري فيه ضعف ، وقد ورد تفسيره عن ابن عباس كالجادة وهو الأصح سندًا وهذا غريب كما قال المصنف ، وانظر تفسير ابن جرير (٤٧، ٤٦/٢٣) والدر المنثور (٥/ ٥١٤).

(١١) - والضحاك لم يسمع من ابن عباس ، والأثر أورده السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥١٤) ولم يعزه لغير ابن أبي حاتم .

(١٢) - وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥١٤) وقد رواه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٨٦) عن مسدد ، والترمذي في الجامع ، كتاب تفسير القرآن (٣٢٢٨) ثنا أحمد بن عبدة الضبي . وإسحاق ابن راهويه - ومن طريقه الحاكم (٤٣٠/٢) - وابن جرير في تفسيره (٤٨/٢٣) ثنا يعقوب بن إبراهيم أربعتهم (مسدد وأحمد وإسحاق ويعقوب) ثنا معتمر بن سليمان به ، وأبهم يعقوب في روايته اسم شيخ الليث فقال : عن رجل - وقد رواه الدارمي في سننه (٥٢٢/١) من طريق عبد السلام بن حرب ، عن ليث به . وقال الترمذي : حديث غريب - يعني : ضعيف . وعلمته ليث وهو ابن أبي سليم ، فإنه اختلط جدًا ولم يتميز حديثه فترك كما في التقريب . وشيخه مجهول ، وقد تقدمت ترجمته عند (آية رقم ٩٢) من سورة الحجر ، وقد اضطرب في تسميته ليث ، فلم ينسبه هنا ، بينما رواه ابن أبي شيبة - وعنه ابن أبي عاصم في السنة (١/ رقم ١١٢) وابن ماجه في المقدمة (٢٠٨) - ثنا أبو معاوية ، عن ليث ، عن بشر بن نهيك ، =

[١] - في ت : « يحشر » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « وَضُمًا وَبِكَمًا » . [٤] - سقط من : خ ، ز .

ورواه الترمذي من حديث ليث بن أبي سليم . ورواه ابن جرير ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن معتمر ، عن ليث ، عن رجل ، عن أنس مرفوعاً .

وقال عبد الله بن المبارك^(١٣) : سمعت عثمان بن زائدة يقول : إن أول ما يُسأل عنه الرجل جلساؤه ، ثم يقال لهم على سبيل التقرير والتوبيخ : ﴿ ما لكم لا تناصرون ﴾ أي : كما زعمتم أنكم جميع منتصر ، ﴿ بل هم اليوم مستسلمون ﴾ أي : منقادون^(١٤) لأمر الله ، لا يخالفونه ولا يحيدون عنه .

بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ نَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَأَنَّهُمْ يَوْمِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا تَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾

يذكر تعالى أن الكفار يتلاومون في عرصات القيامة ، كما يتخاصمون في دَرَكَات النار ،

= عن أبي هريرة مرفوعاً به ، دون ذكر الآية ، وبشر بن نهيك تابعي معروف ، غير أنَّ ليثاً ضعيف ، وقد عُذَّ ذلك من تخالطه ، ثم إنه لا يعرف لليث رواية عن بشير ، ولذلك لم يحسن المنذري حينما أورده في الترغيب (٩٢/١) وقال : رواه ابن ماجه ، ورواته ثقات !! . وقد رواه الحاكم أيضاً ، ثنا عمر بن جعفر البصري ، ثنا الحسن بن أحمد التستري ، ثنا عبيد الله بن معاذ العنبري ، ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه عن أنس مرفوعاً به . وقال الحاكم : هكذا حدَّث به الحسن بن أحمد التستري ، عن عبيد الله بن معاذ عنه ، ولو جاز لنا قبوله منه ، لكننا نصححه على شرط الشيخين ، ولكن نقول أن صوابه . ثم أسند طريق إسحاق بن راهويه المتقدمة ، والحسن بن أحمد هذا ترجم له الذهبي في الميزان فقال : روى خبراً موضوعاً عن إسماعيل ابن إسحاق القاضي بسند كالشمس منته وقال الخطيب : الحسن بن أحمد صاحب مناكير ، وفي اللسان لأن حجر عن الدارقطني قال : الحسن ضعيف جداً ، كان يهتم بوضع الحديث . والحديث زاد نسبه السيوطي إلى ابن منذر وابن مردويه .

(١٣) - أورده السيوطي في الدر المنثور (٥١٤/٥) ولم يعزه لغير ابن أبي حاتم .

﴿ فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار ﴾ قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد ﴿ وقال : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين ﴾ قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين ﴾ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴿ ، وهكذا قالوا لهم ها هنا : ﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ ، قال الضحاك عن ابن عباس^(١٤) : يقولون : كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا ، لانا كنا أذلاء وكنتم أعزاء .

وقال مجاهد : يعنى : عن الحق . الكفار تقوله للشياطين .

وقال قتادة : قالت الإنس للجن : ﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ قال : من قبل الخير ، فتنهونا عنه وتبطئونا عنه . وقال السدي : تأتوننا من قبل الحق تزينون لنا الباطل وتصدوننا عن الحق . وقال الحسن في قوله : ﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ إي والله يأتيه عند كل^[١] خير يريد فيصده عنه .

وقال ابن زيد : معناه تحولون بيننا وبين الخير ، ورددتمونا عن الإسلام والإيمان والعمل بالخير الذى أمرنا به^[٢] . وقال يزيد الرُّشك : من قبل « لا إله إلا الله » . وقال خُصيف : يعنون من قبل ميامنهم .

وقال عكرمة : ﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ قال : من حيث نأمنكم .

وقوله : ﴿ قالوا بل لم تكونوا مؤمنين ﴾ ، تقول القادة من الجن والإنس للأتباع : ما الأمر كما تزعمون ، بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان ، قابلة للكفر والعصيان^[٣] ﴿ وما كان لنا عليكم من سلطان ﴾ أي : من حجة على صحة ما دعوناكم إليه ، ﴿ بل كنتم قوماً طاغين ﴾ أي : بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق ؛ فلهذا استجبتم لنا وتركتم الحق الذي جاءكم به الأنبياء ، وأقاموا لكم الحجج على صحة ما جاءوكم به ، فخالفتموهم .

﴿ فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون ﴾ فأغويناكم إنا كنا غاوين ﴿ ، يقول الكبراء للمستضعفين : حقت علينا كلمة الله أنا من الأشقياء الذائقين العذاب يوم القيامة ،

(١٤) - سنده فيه انقطاع بين الضحاك وابن عباس وانظر الدر المنثور (٥/٥١٥) .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

﴿ فَأَعُوذُ بِكُمْ ﴾ أي : دعوناكم إلى الضلالة ، ﴿ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴾ أي : دعوناكم إلى ما نحن فيه فاستجبت لنا . قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ أي : الجميع في النار ، كل بحسبه ، ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْجَارِمِينَ * إِنَّهُمْ كَانُوا ﴾ أي : [في الدار الدنيا]^[١] ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي : يستكبرون أن يقولوها ، كما يقولها المؤمنون .

قال ابن أبي حاتم^(١٥) : حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب ، حدثنا عمي ، حدثنا الليث ، عن ابن مسافر - يعني عبد الرحمن بن خالد - عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَمَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَدْ عَصِمَ مِنْ مَالِهِ وَنَفْسِهِ إِلَّا بِحَقِّهِ ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ » وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ - وَذَكَرَ قَوْمًا اسْتَكْبَرُوا - فَقَالَ : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا^(١٦) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن سعيد الجري ، عن أبي العلاء قال : يؤتى باليهود يوم القيامة فيقال لهم : ما كنتم

(١٥) - وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في الدر المنثور (٥١٦/٥) ورواه الدارقطني في العلل (١٥٥/٩) س (١٦٨٧) ثنا النيسابوري ثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب أبو عبيد الله به ، وأورده المصنف أيضًا في (سورة الفتح / آية ٢٦) من طريق ابن أبي حاتم ، ثنا أحمد بن منصور الرمادي ، ثنا عبد الله بن صالح ، حدثني الليث به . ورواه ابن جرير في تفسيره (٢٦ / ١٠٣ ، ١٠٤) والبيهقي في الأسماء والصفات (١/رقم ١٩٦) من طريق إسماعيل بن أبي أويس عن أخيه ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، وابن حبان في صحيحه (١/رقم ٢١٨) من طريق شعيب بن أبي حمزة ، كلاهما (يحيى وشعيب) عن ابن شهاب به وقوله : وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ - وَذَكَرَ قَوْمًا اسْتَكْبَرُوا - فقال : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ وفيه زيادة بعده أيضًا ذكرها المصنف في (سورة الفتح) وهي : وقال الله جل ثناؤه ﴿ وَالزَّمِيمُ كَلِمَةُ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فاستكبروا عنها ، واستكبر عنها المشركون يوم الحديبية فكاتبهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قضية المدة . قال ابن كثير : والظاهر أن هذه الزيادة مدرجة من كلام الزهري والله أعلم . لكن رواه البيهقي (رقم ١٩٥) من طريق إسحاق بن يحيى الكلبي ، ثنا الزهري ، حدثني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة - رضي الله عنه - أخبره عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : أنزل الله تعالى في كتابه فذكر قَوْمًا اسْتَكْبَرُوا وهذا ظاهره الرفع ، لكن إسحاق بن يحيى - وإن كان صدوقًا - فقد خالف الثقات في ذلك لا سيما وقد رواه البخاري ، كتاب الجهاد (٢٩٤٦) ، ومسلم كتاب الإيمان (٣٣) (٢١) والنسائي (٧٨،٧،٤/٦) من طريقين عن ابن شهاب به ، دون ذكر هذه الزيادة ، وانظر العلل لأبي الحسن الدارقطني (١/س ٣) ، (٩/س ١٦٨٧) .

(١٦) - إسناده صحيح إلى أبي العلاء ، وهو يزيد بن عبد الله الشخير ، وحماد هو ابن سلمة ، وقد روى عن الجري قبل اختلاطه .. راجع الكواكب النيرات [ص ١٨٣] - وأبو نضرة هو المنذر بن مالك بن قطعة الجدي .

تعبدون ؟ فيقولون : الله وغزيرًا . فيقال لهم : خذوا ذات الشمال . ثم يؤتى بالنصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : نعبد الله والمسيح . فيقال لهم : خذوا ذات الشمال . ثم يؤتى بالمشركون فيقال لهم : « لا إله إلا الله » ، فيستكبرون . ثم يقال لهم : « لا إله إلا الله » ، فيستكبرون . ثم يقال لهم : « لا إله إلا الله » ، فيستكبرون . فيقال لهم : خذوا ذات الشمال ، قال أبو نضرة : فينطلقون أسرع من الطير ، قال أبو العلاء : ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد الله . فيقال لهم : هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون : نعم . فيقال لهم : فكيف تعرفونه ولم تروه ؟ قالوا : نعلم أنه لا عدل له قال : فيتعرف لهم تبارك وتعالى وينجي الله المؤمنين ﴿ ويقولون أننا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ أي : نحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول الشاعر المجنون ، يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال الله تعالى تكذبتا لهم ، وزدًا عليهم : ﴿ بل جاء بالحق ﴾ ، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق في جميع شريعة الله له من الإخبار والطلب ، ﴿ وصدق المرسلين ﴾ أي : صدقهم فيما أخبروا^[١] عنه من الصفات الحميدة ، والمناهج السديدة ، وأخبر عن الله في شرعه وأمره كما أخبروا ، ﴿ ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ... ﴾ الآية .

إِنكُم لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَّهٌ وَهُمْ مَكْرُمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

يقول تعالى مخاطبًا للناس : ﴿ إنكم لذائقو العذاب الأليم * وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ . ثم استثنى من ذلك عبادة المخلصين ، كما قال تعالى : ﴿ والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ ، وقال : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ ، وقال : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتمًا مقضيًا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثثًا ﴾ وقال : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ إلا عباد الله المخلصين ﴾ أي : ليسوا يذوقون العذاب الأليم ، ولا يناقشون في الحساب ، بل

يتجاوز عن سيئاتهم ، إن كان لهم سيئات ، ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، إلى ما يشاء الله من التضعيف .

وقوله : ﴿ أولئك لهم رزق معلوم ﴾ ، قال قتادة ، والسدي : يعني الجنة . ثم فسره بقوله تعالى : ﴿ فواكه ﴾ أي : متنوعة ﴿ وهم مكرمون ﴾ أي : يخدمون ويرفهون وينعمون ، ﴿ في جنات النعيم ﴾ على سرر متقابلين ، قال مجاهد : لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض .

وقال ابن أبي حاتم^(١٧) : حدثنا يحيى بن عبدك القزويني ، حدثنا حسان بن حسان ، حدثنا إبراهيم بن بشر ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا إبراهيم القرشي ، عن سعيد^[١] بن شرحبيل ، عن زيد ابن أبي أوفى قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية : ﴿ على سرر متقابلين ﴾ : « ينظر بعضهم إلى بعض » . حديث غريب .

وقوله : ﴿ يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ﴾ ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴾ فنزه الله خمر الآخرة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن - وهو الغول - وذهابها بالعقل جملة ، فقال هاهنا : ﴿ يطاف عليهم بكأس من معين ﴾ أي : بخمر من أنهار جارية ، لا يخافون انقطاعها ولا فراغها .

(١٧) - إسناده مسلسل بالجهليل . وتقدم عند المصنف (سورة الحجر / آية ٤٧) كما هنا ، وقد رواه البخاري في التاريخ الكبير (٣٨٦/٣) وفي الصغير (٢٥٠/١) ثنا حسان بن حسان به . وهو جزء من حديث المؤاخاة الطويل وقد قال البخاري : هذا إسناده مجهول لا يتابع عليه ، ولا يعرف سماع بعضهم من بعض ، رواه بعضهم عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا أصل له . وزيد بن أبي أوفى أخو عبد الله بن أبي أوفى صحابي لا يعرف إلا في هذا الحديث ، ورجاله من إبراهيم بن بشر إلى سعيد بن شرحبيل جهلهم أبو حاتم كما في الجرح والتعديل (٣٣/٤) . ويحيى بن معين في هذا الإسناد هو المدني مجهول ، وهو غير يحيى بن معين أبي زكريا البغدادي إمام الجرح والتعديل . وأفاد محقق التاريخ الكبير أن هذا الاسم محرف ، وصوابه : يحيى بن معين وهو محتمل بل يحتمل التحريف في الاسم كله ، فقد رواه عبد الله بن محمد البغوي (٩٩) - ومن طريقه ابن عدي في الكامل (٥/١٩٨٤، ١٩٨٥) وابن عساکر في تاريخ دمشق (٤١٢/٧ / مخطوط) ومن طريق ابن عدي أبو الفرج بن الجوزي في العلل المتناهية (١/رقم ٣٤٤) . وابن جرير كما في السير لأبي عبد الله الذهبي (١/١٤١، ١٤٢) من طريق حسين بن محمد الزراع نا عبد المؤمن ابن عباد نا يزيد ابن معين عن عبد الله شرحبيل ، عن زيد بن أبي أوفى به ، قال ابن الجوزي : هذا حديث لا يصح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال أبو حاتم الرازي : عبد المؤمن ضعيف ، فقد رواه نصر بن علي ، عن ابن شرحبيل ، عن رجل ، عن يزيد ، ولعل ذلك الرجل غير ثقة فقد أسقطه عبد المؤمن ، ومن طريق نصر بن علي عن عبد المؤمن عن يزيد بن معين عن عبد الله بن شرحبيل عن رجل من قريش عن زيد بن أبي أوفى به رواه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني =

قال مالك ، عن زيد بن أسلم : خمر جارية ييضاء . أي : لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء ، من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم .

وقوله : ﴿ لذة للشاربين ﴾ أي : طعمها طيب كلونها ، وطيب الطعم دليل على طيب الريح ، بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك .

وقوله : ﴿ لا فيها غول ﴾ يعني : لا تؤثر فيهم غولاً وهو وجع البطن . قاله مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد كما تفعله خمر الدنيا من القَوْلُج ونحوه لكثرة مائيتها .

وقيل : المراد بالغول هاهنا صُدَاع الرأس . ورؤي هكذا عن ابن عباس^(١٨) .

[١] قتادة : هو صداع الرأس ووجع البطن . وعنه وعن السدي : لا تغتال عقولهم . كما قال الشاعر :

فما زالت الكأس تغتالنا وتذهب بالأول الأول

وقال سعيد بن جبير : لا مكروه فيها ولا أذى . والصحيح قول مجاهد : إنه وجع البطن .

وقوله : ﴿ ولا هم عنها ينزفون ﴾ ، قال مجاهد : لا تذهب عقولهم . وكذا قال ابن عباس ، ومحمد بن كعب ، والحسن ، وعطاء بن أبي مسلم الخراساني ، والسدي ، وغيرهم .

وقال الضحاك^(١٩) : عن ابن عباس : في الخمر أربع خصال : السكر ، والصداع ، والقيء ، والبول . فذكر الله خمر الجنة فنزهها^[٢] عن هذه الخصال ، كما ذكر في سورة الصافات .

= (٢٧٠٧/٥) والطبراني في المعجم الكبير (٥١٤٦/٥) والحسن بن سفيان . كما في السير ، والإصابة لابن حجر (٤٠/٤) - وابن عساكر ، وقد رواه ابن مردويه - ومن طريقه ابن الأثير في أسد الغابة (٢٧٨/٢) . وعلقه الذهبي في السير من طريق موسى بن صهيب ، عن يحيى بن زكريا - كذا وقع - عن عبد الله بن شرحبيل ، عن رجل ، عن زيد به . وهذا مسلسل بالمجاهيل أيضًا . قال الذهبي : هو منكر جدًا ، وزيد لا يعرف إلا في هذا الحديث الموضوع ... وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (٤١/٤) هامش الإصابة : زيد بن أبي أوفى الأسلمي ، له صحبة يحد في أهل المدينة ... روى حديث المؤاخاة بتهامة ، إلا أن في إسناده ضعفًا ، وقال ابن السكن - كما في الإصابة - : روى حديثه من ثلاث طرق ، ليس فيها ما يصح وبالله التوفيق . (١٨) - رواه ابن جرير (٥٥/٢٣) والبيهقي في البعث والنشور (رقم ٣٢٢) وفي سنده انقطاع وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٥١٧/٥) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١٩) - الضحاك لم يسمع من ابن عباس كما قال شعبة وغيره . راجع جامع التحصيل [ص ١٩٩] - والخبر عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥١٧/٥) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

[٢] - في ز-، خ: « فنزهها » .

[١] - في ت : قال .

وقوله : ﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ أي : عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن . كذا قال ابن عباس ^(٢٠) ، ومجاهد ، وزيد بن أسلم ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم .

وقوله : ﴿ عين ﴾ أي : حسان الأعين . وقيل : ضخام الأعين . وهو يرجع إلى الأول ، وهي التجلاء العيناء ، فوصف عيونهن بالحسن والعفة ، كقول زليخا في يوسف حين جمّلته وأخرجته على تلك النسوة ، فأعظمته وأكبرته ، وظنن^[١] أنه ملك من الملائكة لحسنه وبهاء منظره : ﴿ قالت فذلكن الذي لمتني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ أي : هو مع هذا الجمال عفيف تقي نقي ، وهكذا الحور العين ﴿ خيرات حسان ﴾ ولهذا قال : ﴿ وعندهم قاصرات الطرف عين ﴾ .

وقوله : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ [بترافة وصفهن بترافة الأبدان بأحسن الألوان .

قال علي بن أبي طلحة^(٢١) ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ [٢٢] يقول : اللؤلؤ المكنون ، ويُشَدُّ^[٣] هاهنا بيت أبي ذؤيب الشاعر في قصيدة له :

وَهِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لَوْلُؤَةِ الْعَوِّ اصِّ مَيِّزَتْ^[٤] مِنْ جَوْهَرِ مَكْنُونٍ
وقال الحسن : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ يعني : محصون لم تمسه الأيدي .

وقال السدي : البيضُ في عشه مكنون .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ بيض مكنون ﴾ يعني : بطن البيض .

وقال عطاء الخراساني : هو السحاء الذي يكون بين قشرته العليا ولباب البيض^[٥] .

وقال السدي : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ يقول : يياض البيض حين يُنزع قشره . واختاره ابن جرير لقوله^[٦] : ﴿ مكنون ﴾ قال : والقشرة العليا يمسها جناح الطير والعش وتناها^[٧] الأيدي بخلاف داخلها ، والله أعلم .

(٢٠) - رواه ابن جرير (٥٦/٢٣) والبيهقي في البعث والنشور (رقم ٣٤١) وسنده فيه انقطاع وزاد عزوه السيوطي في الدر المنثور (٥١٧/٥) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢١) - علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس . وانظر التخريج السابق .

[١] - في ز : « ظنين » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « وينشد » .

[٤] - في خ ، ز : « البيضاء » .

[٥] - في خ : « ميزان » .

[٦] - في خ : « ومالها » .

[٧] - في ز : « كقوله » .

وقال ابن جرير (٢٢) : حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، حدثنا محمد بن الفرج الصَّدْفِي الدِمِياطِي ، عن عمرو^[١] بن هاشم ، عن ابن أبي كريمة ، عن هشام ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة - رضي الله عنها - قلت : يا رسول الله ، أخبرني عن قول الله : ﴿ كَانَهُنَّ يَبِضُّ مَكْنُونٌ ﴾ . قال : « رقتهن كركرة الجلدة التي رأيتها في داخل البيضة ، التي تلي القشر ، وهي الغزقي »^[٢] .

وقال ابن أبي حاتم (٢٣) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو غسان النهدي ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن ليث ، عن الربيع بن أنس ، عن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا

(٢٢) - منكر .

تفسير ابن جرير (٥٨/٢٣) ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣/رقم ٨٧٠) وفي الأوسط (٣/٣١١٤) - ومن طريقه سيورده المصنف عند آية (٣٧) من سورة الواقعة - والعقيلي في الضعفاء (١٣٨/٢) ترجمة سليمان بن أبي كريمة (وابن عدي في الكامل (١١١/٣) كلهم من طريق بكر بن سهل ، ثنا عمرو بن هشام به مطولاً . وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن هشام بن حسان إلا سليمان بن أبي كريمة ، تفرد به عمرو بن هاشم ، وهو حسن الحديث غير أن شيخه ضعفه أبو حاتم واستنكر له ابن عدي هذا الحديث بعينه وقال : أحاديثه منكورة مسندة في التفسير وغيره . وقال العقيلي : يحدث بمناكير ، ولا يتابع على كثير من حديثه ، ولا يتابع على هذا الحديث ولا يعرف إلا به ، وبه أعله الهيثمي في المجمع (١٢٢/٧) ، (١٠، ٤٢٠، ٤٢١) وسكت عنه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٥٣٦، ٥٣٧) !! وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢١١/٦) وزاد نسبه إلى ابن مردويه .

(٢٣) - ورواه الترمذي ، كتاب المناقب ، باب : فضل النبي - صلى الله عليه وسلم - (٣٦١٠) ثنا الحسين بن يزيد الكوفي ، ثنا عبد السلام بن حرب به ، دون قوله : يطوف علي ورواه الدارمي (١/رقم ٤٩) وابن أبي الدنيا - كما في النهاية للمصنف (١٩٠، ١٩١) والبيهقي في الدلائل (٥/٤٨٣) والبغوي في الأنوار في شمائل النبي المختار (١/رقم ٦٧) وفي شرح السنة (١٣/٣٦٢٤) من طريق سعيد بن سليمان - تحرف سليمان عند الدارمي إلى سفيان - ثنا منصور بن أبي الأسود ، نا الليث به . وقال الترمذي : حديث حسن غريب . وقال البغوي : حديث غريب يعني : ضعيف . وهو أشبه ؛ إذ إن ليث هو ابن أبي سليم ، وهو صدوق اختلط أخيراً ، ولم يتميز حديثه فترك كذا في التقريب - وقد اختلط عليه فيه فرواه (عبد السلام ابن حرب ومنصور بن أبي الأسود) عنه بالإسناد المتقدم ، ورواه حبان بن علي العنزي عنه عن عبيد الله بن زحر ، عن الربيع به ، فزاد فيه : عبيد الله ، رواه من هذا الوجه أبو يعلى في المعجم (١/رقم ١٦٠) - ومن طريقه البيهقي (٥/٤٨٤) وابن زحر متكلم فيه وحبان بن علي ضعيف لكن الحمل فيه على ليث ، حيث رواه محمد بن فضيل عنه بمثل رواية حبان ، ذكر رواية ابن فضيل المزني في تحفة الأشراف (١/رقم ٨٣١) والحديث أورده السيوطي في الدر المنثور (٦/١٤٩) وعزاه إلى الترمذي وابن مردويه ورمز لضعفه في الجامع الصغير وأقره المناوي في فيض القدير (٣/٤٠) - لكنه أغرب حيث اكتفى بإعلاله شيخ الترمذي وهو متابع . وتبعهما الألباني فسود به حديث رقم (١٤٠٦) من ضعيف الجامع وبالله التوفيق .

[٢] - في ز : « العزقي » .

[١] - في خ : « عمر » .

مُبَشِّرِهِمْ إِذَا حُزِنُوا ، وَأَنَا شَفِيْعُهُمْ إِذَا حُجِسُوا^[١] . لَوَاءَ الْحَمْدُ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي ، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ
آدَمَ عَلَى رَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ - وَلَا فَخْرَ ، يَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُنَّ الْبَيْضُ الْمَكُونُ - أَوْ :
الْلُّوْلُ الْمَكُونُ » .

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾
يَقُولُ أَهْلَكَ لَمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَيْنَا لَمَدِيُونُ ﴿٥٣﴾ قَالَ
هَلْ أَنْتُمْ مُّطْلَعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطْلَعَ قَرَاءَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَأَلَّهْ إِنْ كِدَتْ
لَتَرْدِيَنِي ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ﴿٥٨﴾
إِلَّا مَوَلَّتْنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ
هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، أي : عن أحوالهم ،
وكيف كانوا في الدنيا ، وماذا كانوا يعانون فيها ؟ وذلك من حديثهم على شرايهم ،
 واجتماعهم في تنادهم وعشرتهم في مجالسهم ، وهم جلوس على السرر ، والخدم بين أيديهم ،
يسعون ويجيئون بكل خير عظيم ، من مأكّل ومشارب وملابس ، وغير ذلك مما لا عين رأت ،
ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ قال
مجاهد : يعني : شيطانًا .

وقال العوفي^(٢٤) ، عن ابن عباس : هو الرجل المشرك يكون له صاحب من أهل الإيمان في
الدنيا ، ولا تنافي بين كلام مجاهد وابن عباس ، فإن الشيطان يكون من الجن فيوسوس في
النفس ، ويكون من الإنس فيقول كلامًا تسمعه الأذنان ، وكلاهما متعاديان^[٢] ، قال الله تعالى :
﴿ يُوْحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ ، وكل منهما يوسوس ، كما قال تعالى :
﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوْسُوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ ؛ ولهذا
﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ يقول أنك لمن المصدقين ﴿ أَي : أَنْتَ تُصَدِّقُ بِالْبَعْثِ
وَالنَّشُورِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ ؟ ! ﴾ يعني يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد ،
والكفر والعناد ، ﴿ أَتُؤْذِنَانَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَتُنَادِيُنَا لَمَدِيُونُونَ ﴾ ، قال مجاهد ، والسدي :
لحاسبون . وقال ابن عباس ، ومحمد بن كعب القرظي : لجزيون بأعمالنا . وكلاهما صحيح .

(٢٤) - رواه ابن جرير (٥٩/٢٣) بإسناد مسلسل بالضعفاء ، أولهم عطية العوفي .

[١] - في ز : « جلسوا » .

[٢] - في خ : « متقاربان » .

قال : ﴿ قال هل أنتم مطلعون ﴾ ، أي : مشرفون . يقول المؤمن لأصحابه وجلسائه من أهل الجنة . ﴿ فاطلع فراه في سواء الجحيم ﴾ قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وثعلبة القصري ، وقتادة ، والسدي ، وعطاء الخراساني : يعني في وسط الجحيم .

وقال الحسن البصري : في وسط الجحيم كأنه شهاب يتقد^[١] .

وقال قتادة : ذكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم تغلي . وذكر لنا أن كعب الأحبار قال : في الجنة كوى إذا أراد أحد من أهلها أن ينظر إلى عدوه في النار اطلع فيها ، فازداد شكرا .

﴿ قال تالله إن كدت لتردين ﴾ يقول المؤمن مخاطباً للكافر : والله إن كدت لتهلكني لو أعطتك ، ﴿ ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ﴾ أي : ولولا فضل الله عليّ لكنت مثلك في سواء الجحيم حيث أنت ، محضر معك في العذاب ، ولكنه تفضل عليّ^[٢] ورحمني فهداني للإيمان ، وأرشدني إلى توحيده ، ﴿ وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ .

وقوله : ﴿ أفما نحن بميتين * إلا موتنا الأولى وما نحن بمعدين ﴾ هذا من كلام المؤمن مُعْبِطاً نفسه بما أعطاه الله من الخلد في الجنة والإقامة في دار الكرامة ، لا موت فيها ولا عذاب ، ولهذا قال : ﴿ إن هذا لهو الفوز العظيم ﴾ .

قال ابن أبي حاتم^(٢٥) : حدثنا أبو عبد الله الطهراني ، حدثنا حفص بن عمر العدني ، حدثنا الحكم ابن أبان ، عن عكرمة قال : [قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قول الله تبارك وتعالى لأهل الجنة : ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ﴾]^[٣] قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : قوله ﴿ هنيئاً ﴾ أي : لا يموتون فيها . فعندها قالوا : ﴿ أفما نحن بميتين * إلا موتنا الأولى وما نحن بمعدين ﴾ .

[وقال الحسن البصري : علموا أن كل نعيم فإن الموت يقطعه ، فقالوا : ﴿ أفما نحن بميتين * إلا موتنا الأولى وما نحن بمعدين ﴾]^[٤] قيل : لا . قالوا : ﴿ إن هذا لهو الفوز العظيم ﴾ .

وقوله : ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ [قال قتادة]^[٥] : هذا من كلام أهل الجنة .

(٢٥) - حفص بن عمر العدني ، ضعيف وشيخه صدوق له أوهام كما في التقريب - والخبر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٢١/٥) ولم يعزه لغير عبد بن حميد .

[١] - في خ ، ز : « يقد » . [٢] - سقط من : م .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز . [٤] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

[٥] - ما بين المعكوفين يياض في : خ ، ز .

وقال ابن جرير ^(٢٦) : هو من كلام الله تعالى ، ومعناه : لمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون في الدنيا ، ليصيروا إليه في الآخرة .

وقد ذكروا قصة رجلين كانا شريكين في بني إسرائيل ، تدخل في ضمن عموم هذه الآية الكريمة .

قال أبو جعفر بن جرير ^(٢٧) : حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، حدثنا عتاب ابن بشير ، عن ^[١] خُصيف ، عن فرات بن ثعلبة البهراني ^[٢] في قوله : ﴿ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ قال : إن رجلين كانا شريكين ، فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار ، وكان أحدهما له حرفة ، والآخر ليس له حرفة ، فقال الذي له حرفة للآخر : ليس عندك حرفة ، ما أراني إلا مفارقك ومقاسمك . فقاسمه وفارقه ، ثم إن الرجل اشترى دارًا بألف دينار كانت للملك مات ، فدعا صاحبه فأراه فقال : كيف ترى هذه الدار ؟ ابتعتها بألف دينار ؟ قال : ما أحسنها ! فلما خرج قال : اللهم ؛ إن صاحبي ابتاع هذه الدار بألف دينار ، وإني أسألك دارًا من دور الجنة . فتصدق بألف دينار ، ثم مكث ما شاء الله أن يمكث . ثم إنه تزوج بامرأة بألف دينار ، فدعاه وصنع له طعامًا ، فلما أتاه قال : إنني تزوجت امرأة بألف دينار . [قال : ما أحسن هذا ! فلما انصرف قال : يارب ، إن صاحبي تزوج امرأة بألف دينار] ^[٣] ، وإني أسألك امرأة من الحور العين . فتصدق بألف دينار ، ثم إنه مكث ما شاء الله أن يمكث . ثم اشترى بستانين ^[٤] بألفي دينار ، ثم دعاه فأراه فقال : إنني ابتعت هذين البستانين . فقال : ما أحسن هذا ! فلما خرج قال : يارب ؛ إن صاحبي قد اشترى بستانين بألفي دينار ، وأنا أسألك بستانين في الجنة . فتصدق بألفي دينار ، ثم إن الملك أتاهما فتوفاهما ، ثم انطلق بهذا المتصدق ، فأدخله دارًا تعجبه ، وإذا امرأة تَطْلُعُ يضيء ما تحتها من حسننها ، ثم أدخله بستانين وشيئًا الله به عليهم ، فقال عند ذلك : ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا قال : فإنه ذاك ولك هذا المنزل

(٢٦) - التفسير (٦٢/٢٣) .

(٢٧) - تفسير ابن جرير (٥٩/٢٣) وفي إسناده انقطاع بين خُصيف وفرات ، فقد ترجم ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧٩/٧) لفرات فقال : ابن ثعلبة البهراني شامي ، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أدخله أبي في مسند الوجدان ، وأدخله أبو زرعة في مسند الشاميين ، ولم يذكر فيما يروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - لقيًا ولا سماعًا روى عن أبي عامر ، روى عنه سليم بن عامر ، وضمرة والمهاضر بن حبيب . وروى عبد الكريم الجزري وخُصيف عنه مرسلاً وانظر أيضًا التاريخ الكبير لأبي عبد الله البخاري (١٢٩، ١٢٨/٧) وهذا الخبر ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥١٩/٥) وزاد نسبه إلى سعيد بن منصور .

[١] - في خ : « بن » .

[٢] - في خ ، ز : « البصري » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز : « بستانين » .

والبستانان^[١] والمرأة . قال : فإنه كان لي صاحب يقول : أئتلك لمن المصدقين ؟ قيل له : فإنه في الجحيم . قال : هل أنتم مطلعون ؟ فاطلع فرآه في سواء الجحيم . فقال عند ذلك : ﴿ تالله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ... ﴾ الآيات .

قال ابن جرير : وهذا يقوي قراءة من قرأ : ﴿ أئتلك لمن المصدقين ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم^(٢٨) : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا عُمر بن عبد الرحمن الأبار - أنا أبو حفص ؛ قال : سألت إسماعيل السدي عن هذه الآية : ﴿ قال قاتل منهم إني كان لي قرين * يقول : أئتلك لمن المصدقين ﴾ ؟ قال : فقال لي : ما ذكرك هذا ؟ قلت : قرأته آنفاً فأحببت أن أسألك عنه ؟ فقال : أما فاحفظ : كان شريكاً في بني إسرائيل ، أحدهما مؤمن والآخر كافر ، فافترقا على ستة آلاف دينار ، كل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار ، فمكثا ما شاء الله أن يمكثا ، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن : ما صنعت في مالك ؟ أضربت به شيئاً ؟ أتجرت به في شيء ؟ فقال له المؤمن : لا ، فما صنعت أنت ؟ فقال : اشتريت به أرضاً ونخلًا وثماراً وأنهاراً . قال : فقال له المؤمن : أو فعلت ؟ قال : نعم . قال : فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله أن يصلي ، فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ، ثم قال : اللهم ؛ إن^[٢] فلاناً - يعني شريكه الكافر - اشتري أرضاً ونخلًا وثماراً وأنهاراً بألف دينار ، ثم يموت غداً ويتركها ، اللهم ؛ إني اشتريت منك بهذه الألف دينار أرضاً ونخلًا وثماراً^[٣] وأنهاراً في الجنة . قال : ثم أصبح فقسمها في المساكين . قال : ثم مكثا ما شاء الله أن يمكثا ، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن : ما صنعت في مالك ؟ أضربت^[٤] به في شيء ؟ أتجرت به في شيء ؟ قال : لا ، فما صنعت أنت ؟ قال : كانت ضيعتي قد اشتد علي مؤنتها ، فاشتريت رقيقاً بألف دينار ، يقومون بي فيها ، ويعملون لي فيها . فقال له المؤمن : أو فعلت ؟ قال : نعم . قال : فرجع المؤمن [حتى إذا]^[٥] كان الليل صلى ما شاء الله أن يصلي ، فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ، ثم قال : اللهم ؛ إن فلاناً - يعني : شريكه الكافر - اشتري رقيقاً من رقيق الدنيا بألف دينار ، يموت غداً ويتركهم ، أو يموتون فيتركونه ، اللهم ؛ وإني أشتري منك بهذه الألف الدينار رقيقاً في الجنة . ثم أصبح فقسمها في المساكين .

(٢٨) - ولم يعزه السيوطي في الدر المنثور (٥١٩/٥) لغير أبي حاتم ورجاله ثقات غير أبي حفص هذا فلم أعرفه ، وأخشى أن تكون كلمة أنا أبو حفص مقحمة ، فإني لم أجده في الرواة عن السدي من يكتن بذلك ، وكنية عمرو بن عبد الرحمن الأبار أبو حفص ، فيحتمل أن يكون أنا بين عمرو وأبي حفص مقحمة ، والذي جعلني لم أجزم بذلك أنهم لم يذكروا رواية لـ عمر بن عبد الرحمن عن إسماعيل السدي ، فالله أعلم .

[٢] - سقط من : ز .

[١] - في ز : « البستانين » .

[٤] - في ز : « ضربت » .

[٣] - سقط من : ز .

[٥] - ما بين المعكوتين في خ : « فلما » .

قال : ثم مكنا ما شاء الله أن يمكننا ، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن : ما صنعت في مالك ؟ أضررت به في شيء ؟ . أتجرت به في شيء ؟ . قال : لا ، فما صنعت أنت ؟ قال : أمري كله قد تم إلا شيئاً واحداً ، فلانة قد مات عنها زوجها ، فأصدقته ألف دينار ، فجاءتني بها ومثلها معها . فقال له المؤمن : أو فعلت ؟ قال : نعم . فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله أن يصلي ، فلما انصرف أخذ الألف الدينار الباقية فوضعها بين يديه ، وقال : اللهم ؛ إن فلانة - يعني شريكه الكافر - تزوج زوجة من أزواج الدنيا فيموت غداً فيتركها ، أو تموت غداً فيتركها ، اللهم ؛ [إني]^[١] أخطب إليك بهذه الألف الدينار خوزاء عينا في الجنة . ثم أصبح قسمها بين المساكين . قال : فبقي المؤمن ليس عنده شيء .

قال : فلبس قميصاً من قطن ، وكساء من صوف ، ثم أخذ مراً فجعله على رقبتة ، يعمل الشيء ويحفر الشيء بقرته . قال : فجاءه رجل فقال : يا عبد الله ؛ أتؤاجرني نفسك مشاهرة ، شهراً بشهر ، تقوم على دواب لي تعلقها وتكس سرقينها ؟ قال : نعم . قال : فأجره نفسه مشاهرة ، شهراً بشهر ، يقوم على دوابه . قال : فكان صاحب الدواب يغدو كل يوم ينظر إلى دوابه ، فإذا رأى منها دابة ضامرة ، أخذ برأسه فوجأ عنقه ، ثم يقول له : سرقت شعير هذه البارحة ؟ فلما رأى المؤمن هذه الشدة قال : لآتين شريكى الكافر ، فلأعملن في أرضه فيطعمني هذه الكسرة يوماً بيوم ، ويكسوني هذين الثوبين إذا بليا .

قال : فانطلق يريداه فلما انتهى إلى بابه وهو مُمس ، فإذا قصر مَشِيد في السماء ، وإذا حوله البوابون ، فقال لهم : استأذنوا لي على صاحب هذا القصر ، فإنكم إذا فعلتم سره ذلك . فقالوا له : انطلق إن كنت صادقاً فَمَم في ناحية ، فإذا أصبحت فَتَعَرَّضْ له . قال : فانطلق المؤمن ، فألقى نصف كسائه تحته ، ونصفه فوقه ، ثم نام .

فلما أصبح أتى شريكه فتعرَّض له ، فخرج^[٢] شريكه الكافر وهو راكب ، فلما رآه عَرَفَه فوقف عليه وسلم عليه وصافحه ، ثم قال له : ألم تأخذ من المال مثل ما أخذت ؟ ! قال : بلى ، وهذه حالي وهذه حالك . قال : أخبرني ما صنعت في مالك ؟ ! قال : لا تسألني عنه . قال : فما جاء بك ؟ قال : جئت أعمل في أرضك هذه ، فتطعمني هذه الكسرة [يوماً بيوم]^[٣] ، وتكسوني هذين الثوبين إذا بليا . قال : لا ، ولكن أصنع بك ما هو خير من هذا ، ولكن لا ترى مني خيراً حتى تخبرني ما صنعت في مالك ؟ ! [قال : أقرضته]^[٤] قال : من ؟ قال : المَلِيءُ الوَفِيُّ . قال : من ؟ قال : الله ربي . قال وهو مصافحه ، فانتزع يده من يده ، ثم^[٥] قال : ﴿ أَنتَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ * أَئِذَا مَتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَا لِمَدِينُونَ ﴾ -

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ : « فلما خرج » .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٥] - سقط من : ز .

قال السدي : محاسبون - قال : فانطلق الكافر وتركه . قال : فلما رآه المؤمن ليس يلوي عليه ، رجع وتركه ، يعيش المؤمن في شدة من الزمان ، ويعيش الكافر في رخاء من الزمان . قال : فإذا كان يوم القيامة وأدخل الله المؤمن الجنة يمر فإذا هو بأرض ونخل وثمار وأنهار ، فيقول : لمن هذا ؟ فيقال : هذا لك . فيقول : يا سبحان الله ! أوبلغ من فضل عملي أن أثنى بمثل هذا ؟ ! قال : ثم [يمر فإذا هو]^[١] برقيق لا تحصي عدتهم ، فيقول : لمن هذا ؟ فيقال : هؤلاء لك . فيقول : يا سبحان الله ! أو بلغ من فضل عملي أن أثنى بمثل هذا ؟ ! قال : ثم يمر فإذا هو بقبعة [من ياقوتة]^[٢] حمراء مجوفة ، فيها حوراء عيناء ، فيقول : لمن هذه ؟ فيقال : هذه لك . فيقول : يا سبحان الله ! أوبلغ من فضل عملي أن أثنى بمثل هذا ؟ ! قال : ثم يذكر المؤمن شريكه الكافر فيقول^[٣] : ﴿ إني كان لي قرين * يقول أنك لم المصدقين * أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون ﴾ ، قال : فالجنة عالية ، والنار هاوية ، قال : فيريه الله شريكه في وسط الجحيم ، من^[٤] بين أهل النار ، فإذا رآه المؤمن عرفه ، فيقول : ﴿ تالله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين * أفما نحن بميتين * إلا موتنا الأولى وما نحن بمعذبين * إن هذا لهو الفوز العظيم ﴾ . لمثل هذا فليعمل العاملون ﴿ : بمثل ما من عليه . قال : فيتذكر المؤمن ما مر^[٥] عليه في الدنيا من الشدة ، فلا يذكر مما^[٦] مر عليه في الدنيا [من الشدة]^[٧] ، أشد عليه من الموت .

أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا قَائِلُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّرْغَوْنَ ﴿٧٠﴾

يقول الله تعالى : أهذا^[٨] الذي ذكره من نعيم الجنة وما فيها من مأكول ومشرب ومناكح وغير ذلك من الملاذ - خيرٌ ضيافةً وعطاءً ﴿ أم شجرة الزقوم ﴾ ؟ أي : التي في جهنم .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

[٤] - سقط من : ز .

[٦] - في ز : « ما » .

[٨] - في ز : « هذا » .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « يقول » .

[٥] - في ز : « من » .

[٧] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك شجرة واحدة معينة ، كما قاله^[١] بعضهم من أنها شجرة تمتد فروعها إلى جميع محال جهنم ، كما أن شجرة طويلة ما من دار في الجنة إلا وفيها منها غصن.

وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك جنس شجر ، يقال له : الزقوم ، كقوله تعالى : ﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين ﴾ ، يعني : الزيتون ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لا تكونون من شجر من زقوم ﴾ وقوله : ﴿ إنا جعلناها فتنه للظالمين ﴾ قال قتادة : ذكرت شجرة الزقوم ، فافتتن بها أهل الضلالة ، وقالوا : صاحبكم يبتئكم أن في النار شجرة ، والنار تأكل الشجر ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ غذيت من النار ، ومنها خلقت . وقال مجاهد : ﴿ إنا جعلناها فتنه للظالمين ﴾ ، قال أبو جهل - لعنه الله - : إنما الزقوم التمر والزبد أترقمه^[٢].

قلت : ومعنى الآية : إنما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختصاراً نختبر^[٣] به الناس ، من يُصدق منهم ممن يكذب ، كقوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً ﴾ وقوله : ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ أي : أصل منبتها في قرار النار ، ﴿ طلعتها كأنه رعوس الشياطين ﴾ تبشيع وتكريه لذكرها .

قال وهب بن منبه : شعور الشياطين قائمة إلى السماء وإنما شبهها برعوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين ؛ لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر .

وقيل : المراد بذلك ضرب من الحيات رعوستها بشعة المنظر وقيل^[٤] : جنس من النبات ، طلعه في غاية الفحاشة .

وفي هذين الاحتمالين نظر ، وقد ذكرهما ابن جرير ، والأول أقوى وأولى ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ فإنهم لا ياكلون منها فمالئون منها البطون ﴾ ، ذكر تعالى أنهم يأكلون من هذه الشجرة التي لا أبشع منها ، ولا أقبح من منظرها ، مع ما هي عليه من سوء الطعم والريح والطبع ، فإنهم ليضطرون إلى الأكل منها ؛ لأنهم لا يجدون إلا إياها ، وما في معناها ، كما قال : ﴿ ليس لهم طعام إلا من ضريع * لا يسمن ولا يغني من جوع ﴾ .

[٢] - في ز : « أثر فمه » .

[٤] - في ز : « بقل » .

[١] - في ز : « قاله » .

[٣] - في ز : « تخبر » .

وقال ابن أبي حاتم^(٢٩) - رحمه الله - : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن مرزوق ، حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية ، وقال^[١] : « اتقوا الله حق تقاته ، فلو أن قطرة من الزقوم قُطِرَتْ في بحار الدنيا ، لأفسدت على أهل الأرض معاشهم ، فكيف بمن يكون طعامه ؟ » .

ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ، من حديث شعبة ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقوله تعالى : ﴿ ثم إن لهم عليها لشونا من حميم ﴾ ، قال ابن عباس : يعني : شرب الحميم على الزقوم .

وقال في رواية عنه : ﴿ شونا من حميم ﴾ مزجا من حميم .

و^[٢] قال غيره : يعني : يمزج لهم الحميم بصديد وغساق مما يسيل من فروجهم وعيونهم .

(٢٩) - ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره أيضاً (٢/رقم ١٠٩٨ / ط دار طيبة) ثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان ، ثنا عثمان بن عمر ، ثنا شعبة به . ورواه أحمد في المسند (١/٣٣٨،٣٠٠) والترمذي في الجامع كتاب صفة جهنم (٢٥٨٥) والنسائي في : التفسير من الكبرى (٦/١١٠٧٠) وابن ماجه ، كتاب الزهد (٤٣٢٥) والطبراني في المعجم الكبير (١١/١١٠٦٨) وفي المعجم الصغير (٢/٥١) وغيرهم من طرق عن شعبة به ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ونقل السيوطي في الدر المنثور (٢/١٠٦) تصحيح أحمد له وصححه أبو حاتم ابن حبان (١٦/٧٤٧٠/إحسان) وأبو الأشبال أحمد شاكر في حاشيته على المسند (٤/رقم ٢٧٣٥) والحاكم (٢/٢٩٤،٤٥١) على شرط الشيخين ووافقه الذهبي مع أنهما لم يخرجوا شيئاً من رواية الأعمش عن مجاهد ، عن ابن عباس . وقال الطبراني : لم يروه عن الأعمش إلا شعبة ، وهو ثقة حافظ متقن ؛ غير أن الأعمش مدلس وقد عنعن ، لكن صح عن شعبة أنه قال : كفيتمكم تدليس ثلاثة : الأعمش وأبي إسحاق ، وقتادة . وقال الحافظ ابن حجر في مراتب المدلسين [ص ١٠٤] وهذه قاعدة جيدة في أحاديث هؤلاء الثلاثة أنها إذا جاءت من طريق شعبة دلت على السماع ولو كانت معنعة ؛ غير أن أبا عبيدة الأجري روى عن أبي داود السجستاني قال : عند شعبة عن الأعمش نحو من خمس مئة ، وشعبة قد أخطأ على الأعمش في أكثر من عشرة أحاديث ... وكان شعبة يصحب الأعمش وهو شاب - التهذيب ، هذا مع قول أبي حاتم الرازي كما في العلل لابنه (٢/رقم ٢١١٩) : أن الأعمش قليل السماع من مجاهد ، وعامة ما يروي عن مجاهد مدلس يجعل في القلب شيئاً من تصحيح هذا الحديث ، لا سيما وأن هذا الحديث قد رواه أحمد (١/٣٣٨) من طريق فضيل بن عياض ، وابن أبي شيبة في المصنف (٨/٩٦) وأسد ابن موسى في الزهد (رقم ٣٦) والبيهقي في البعث والنشور (رقم ٥٤٤) من طريق يحيى بن عيسى الرملی ، كلاهما (فضيل ويحيى) عن الأعمش عن أبي يحيى عن مجاهد عن ابن عباس به موقوفاً دون ذكر الآية . وأبو يحيى هو القنات لين الحديث كما في التقريب - فمن المحتمل أن يكون هذا الوجه هو الصواب في هذا الخبر ، وأن الأعمش دلس في هذا الحديث ، وشعبة سمعه منه بتدليسه ، فحدث به ، فعد من أخطائه على الأعمش التي أشار لها أبو داود . والعلم عند الله تعالى . وقد وجدت أبا عبد الرحمن الألباني وضع =

وقال ابن أبي حاتم ^(٣٠) : حدثنا أبي ، حدثنا حيوة بن شريح الحضرمي ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن صفوان بن عمرو ، أخبرني عبيد الله بن بشر ^[١] ، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « يقرب - يعني : إلى أهل النار - ماء فيتكرهه ^[٢] ، فإذا أدني منه شوى وجهه ، ووقعت فروة رأسه فيه ، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره » .

وقال ابن أبي حاتم ^(٣١) : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن رافع ، حدثنا يعقوب بن عبد الله ، عن جعفر ، وهارون بن عنترة ، عن سعيد بن جبير قال : إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الرقوم ، فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم ، فلو أن ماءً يمر بهم يعرفهم لعرف وجوههم فيها ، ثم يصب عليهم العطش ، فيستغيثون فيغاثون بماء كالملح - وهو الذي قد انتهى حره -

= هذا الحديث في ضعيف الترمذي وابن ماجة (٩٤٤، ٤٨١) ونأمل أن نقف على كلامه في علة تضعيفه والله الموفق .

(٣٠) - ضعيف : وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في « الدر المنثور » (١٣٠/٤) وقد رواه ابن جرير في تفسيره (٢٠٦٣٣/١٦/٢/شاك) حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، ثنا حيوة بن شريح به . ورواه عبد الله ابن المبارك في مسنده (رقم ١٢٩) وفي « الزهد » (رقم ٣١٤ / زوائد نعيم بن حماد) نا صفوان بن عمرو به ، غير أن الرواة عن ابن المبارك اختلفوا في تسمية شيخ صفوان فقال بعضهم : «عبدالله بن بسر» وقال بعضهم : «عبيدالله بن بسر» رواه من هذه الطرق أحمد في «المسند» (٢٦٥/٥) وفي كتاب «الزهد» (ص ٢٧) ومن طريق المسند نقله المصنف في تفسير (سورة إبراهيم الآية ١٦) - والترمذي ، كتاب : صفة جهنم (٢٥٨٣) والنسائي في التفسير من «الكبرى» (١١٢٦٣/٦) ، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (رقم ٧٣) وابن جرير (٢٠٦٣١/١٦/٢٠٦٣٢) والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٤٦٠/٨) - وعنه وعن غيره أبو نعيم في «الحلية» (١٨٢/٨) - والحاكم (٣٥١/٢) - وعنه البيهقي في «البعث والنشور» (رقم ٥٤٩) - والبخاري في «شرح السنة» (٤٤٠٥/١٥) وقال الترمذي : « هذا حديث غريب ، وهكذا قال محمد بن إسماعيل - البخاري - عن عبيدالله بن بسر ، ولا نعرف عبيدالله بن بسر إلا في هذا الحديث وقد روى صفوان بن عمرو عن عبدالله بن بسر صاحب النبي - صلى الله عليه وسلم - غير هذا الحديث وعبيدالله بن بسر الذي روى عنه صفوان بن عمرو هذا الحديث رجل آخر ليس بصاحبي . وقال أبو نعيم : « تفرد به صفوان عن عبدالله بن بسر ، وقيل : عبيدالله بن بسر - وهو محرف هناك فليصحح - وهو اليحصبي الحمصي يكنى أبا سعيد ، ورواة بقية بن الوليد ، عن صفوان مثله . وروى صفوان عن عبدالله بن بسر المازني ، وله صحة ، وعن عبيدالله بن بسر ، ولذلك اشتبه على بعض الناس وهذا هو عبيدالله بن بسر وهو مجهول كما قال الذهبي في «الميزان» وابن حجر في «التقريب» غير أن الذهبي رجح أن يكون هو «عبدالله بن بسر الجرائني التابعي» - وهذا «ضعيف» أيضاً كما في «التقريب» - ومع هذا فقد أقر الحاكم في تصحيحه لهذا الحديث على شرط مسلم !! والحديث زاد نسبته السيوطي إلى أبي يعلى وابن المنذر وابن مردويه .

(٣١) - إسناده حسن إلى سعيد بن جبير . وجعفر هو ابن أبي وحشية .

[٢] - في ز : « فتكرهه » .

[١] - في خ ، ز : « بشير » .

فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود ، ويصهر ما في بطونهم ، فيمشون تسيل^[١] أمعاؤهم وتشاقت^[٢] جلودهم ، ثم يضربون بمقامع من حديد ، فيسقط كل عضو على حياله ، يدعون بالثبور .

وقوله : ﴿ ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم ﴾ أي : ثم إن مَرَدَّهم بعد هذا الفصل لإلى نار تنأجج ، وجحيم تنوقد ، وسعير تنوهج ، فتارة في هذا وتارة في هذا ، كما قال تعالى : ﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ هكذا تلا فتادة هذه الآية ، عند هذه الآية وهو تفسير حسن قوى ، وقال السدي في قراءة عبد الله : « ثم إن مقيلمهم لإلى الجحيم » وكان عبد الله يقول : والذي نفسي بيده لا ينتصف نهار^[٣] يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار ، ثم قرأ : ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً ﴾ .

وروى الثوري^(٣٢) ، عن ميسرة ، عن المنهال بن عمرو ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء ويقيل هؤلاء . قال سفيان : أراه ، ثم قرأ : ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً ﴾ . ثم إن مقيلمهم لإلى الجحيم .

قلت : على هذا التفسير تكون « ثم » عاطفة [لخبر على خبر]^[٤] .

وقوله : ﴿ إنهم ألفوا آباءهم ضالين ﴾ أي : إنما جازيناهم بذلك لأنهم وجدوا آباءهم على الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك ، من غير دليل ولا برهان ؛ ولهذا قال : ﴿ فهم على آثارهم يُهرعون ﴾ ، قال مجاهد^[٥] : شبيهة بالهرولة . وقال سعيد بن جبير : يَشْفَهُون .

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾
فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

(٣٢) - رواه ابن أبي حاتم - كما في «الدر المنثور» (٥/١٢٢، ٥٢٣) - ومن طريقه الحاكم في «المستدرک» (٤٠٢/٢) - ثنا قبيصة بن عقبة ، ثنا سفيان الثوري به . وقال الحاكم : «حديث صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي !! ورجاله ثقات غير أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه إلا أحرفاً يسيرة . ومسلم لم يرو بهذا الإسناد شيئاً . وزاد نسبه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن المبارك في «الزهد» وروى ابن جرير (٥/١٩) بإسناد صحيح إلى إبراهيم بن يزيد النخعي في قوله : ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً ﴾ قال : كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة من نصف النهار ، فيقيل هؤلاء في الجنة ، وهؤلاء في النار وقد صحح جماعة من الأئمة مراسيل إبراهيم النخعي انظر ترجمته في «التهذيب» .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ت : « تشاقت » .

[٣] - في ت : « النهار » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « بخير على خير » . [٥] - سقط من : خ ، ز .

يخبر تعالى عن الأمم الماضية^[١] أن أكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع الله آلهة أخرى ، وذكر تعالى أنه أرسل فيهم منذرين ، يذرون بأس^[٢] الله ، ويحذرونهم سطوته ونقمته ، ممن كفر به وعبد غيره ، وأنهم تمادوا على مخالفة رسلهم وتكذيبهم ، فأهلك المكذبين وذرهم ، ونجى المؤمنين ونصرهم وظفرهم ؛ ولهذا قال : ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين * إلا عباد الله المخلصين ﴾ .

وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنَعِمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ

﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَزَكَّيْنَاهُ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي

الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ

أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾

لما ذكر تعالى عن أكثر الأولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة شرع يبين ذلك مفصلاً ، فذكر نوحاً - عليه السلام - وما لقي من قومه من التكذيب ، وأنه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة ، لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم ، وكلما دعاهم ازدادوا نفرة ، فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ، فغضب الله لغضبه عليهم ؛ ولهذا قال : ﴿ ولقد نادانا نوح فلنعلم الجيبون ﴾ أي : فلنعلم الجيبون له ، ﴿ ونجيناه وأهله من الكرب العظيم ﴾ ، وهو التكذيب والأذى ، ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس^(٣٣) يقول : لم تبق إلا ذرية نوح - عليه السلام - وقال سعيد بن أبي عروبة : عن قتادة في قوله : ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ قال : الناس كلهم من ذرية نوح .

وقد روى الترمذي^(*) ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم^(٣٤) ، من حديث سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرّة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ قال : « سام ، وحام ، ويافث » .

وقال الإمام أحمد^(٣٥) : حدثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرّة : أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « سام أبو العرب ، وحام أبو الحبش ، ويافث أبو

(٣٣) - رواه ابن جرير (٦٨/٢٣) وفي سنده انقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس .

(*) لم يروه الترمذي من طريق سعيد بن بشير [انظر التخريج] .

(٣٤) - انظر الآتي .

(٣٥) - إسناده ضعيف . « المسند » (٩/٥) وفي هذا الموضع « وحدثنا حسين ، ثنا شيبان » ورواه أيضاً =

. الروم .

ورواه الترمذي عن بشر بن معاذ العَقْدِيّ ، عن يزيد بن زُرَيْع ، عن سعيد - وهو ابن أبي عروبة^[١] - [عن قتادة به]^[٢] .

[قال الحافظ أبو عمر بن عبد [البر : وقد روي عن عمران^[٣] بن حصين ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله^(٣٦) .

والمراد بالروم هاهنا : هم الروم الأوّل ، وهم اليونان المنتسبون إلى رومي بن ليطي بن يونان ابن يافث بن نوح - عليه السلام -

ثم روى من حديث إسماعيل بن عياش^(٣٧) ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب قال : ولد نوح ثلاثة : سام وحام ويافث ، وولد كل واحد من هذه الثلاثة ثلاثة ، فولد سام العرب وفارس والروم ، وولد يافث الترك والصقالب وأجوج ومأجوج ، وولد حام القبط

= (١٠/٥) ثنا روح من كتابه قال : ثنا سعيد بن أبي عروبة ومن طريق سعيد رواه أيضًا الترمذي (٣٢٣١ ، ٣٩٣١) وابن سعد في « الطبقات » (٣٦/١) والطبراني في « المعجم الكبير » (٦٨٧٢/٧) ورواه الخطيب البغدادي في « المتفق والمفترق » (٢/رقم ٥٠٠) من طريق شعبة ، ثلاثهم (شيبان وسعيد وشعبة) عن قتادة به وقال الترمذي : « حسن غريب » وإسناده رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن الحسن مدلس وعنه ، وأما عن قتادة فقد كفانا « شعبة » مؤونها ، ثم إن ابن أبي عروبة من أثبت الناس في قتادة ، وقد رواه سعيد بن بشير عن قتادة به ؛ غير أنه ذكره بلفظ (عن النبي ﷺ) في قوله « وجعلنا ذريته هم الباقين » قال : « سام وحام ويافث » (رواه من هذا الوجه ابن جرير في تفسيره (٤٣/٢٣) وفي « التاريخ » (١/١٩٢ ، ٢٠٩) والرويان في مسنده (٢/رقم ٧٩٣) وأبو نعيم في « أخبار أصبهان » (٢/٢٥٦) ورواه ابن عدي في « الكامل » (٩١٩/٣) والطبراني (٦٨٧٢/٧ ، ٦٨٧٣) من طريق سعيد بن بشير وخليفة ابن دعلج بلفظ : « ولد نوح سام ويافث وحام » وسعيد بن بشير وخليفة ضعيفان ، فالمتعمد عن قتادة رواية شعبة وغيره منه ، وللحديث طريق آخر عن سمرة رواه الطبراني (٧/٣٣٣) لكن إسناده ضعيف ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٢٤/) إلى أبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣٦) - كسابقه ، رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٨/رقم ٣٠٩) من طريق عبد الأعلى ، ثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين وسمرة بن جندب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ... الحديث ، ورواه الحاكم في « المستدرک » (٢/٥٤٦) من طريق عبد الأعلى به ، غير أنه جعله « عن الحسن ، عن عمران ، عن سمرة » وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في « المجموع » (١/١٩٨) : « رجاله موثقون » وهذا أشبه ، انظر السابق .

(٣٧) - رواه ابن جرير في « التاريخ » (١/٢١٠) وابن عياش ضعيف في غير أهل بلده ، وهذه منها ، غير =

[١] - في خ ، ز : « البر » .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « عمر » .

والسودان والبربر . وزوي عن وهب بن منبه نحو هذا ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ قال ابن عباس : يذكر بخير وقال مجاهد : يعني لسان صدق للأنبياء كلهم .

وقال قتادة والسدي : [أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين .

قال الضحاك : السلام والثناء الحسن .

وقوله تعالى : ﴿ سَلَامٌ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ ، مفسر لما [١] أبقى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن : أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والأمم .

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي : هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله ، نجعل له لسان صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك .

ثم قال : ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي : المصدقين الموحدين الموقنين ، ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ أي : أهلكناهم ، فلم تبق منهم عين تطرف ، ولا ذكر لهم ولا عين ولا أثر ، ولا يعرفون إلا بهذه الصفة القبيحة .

﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿ (٨٤) إِذْ قَالَ
لَأَيُّهَا قَوْمِي مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿ (٨٥) أَيَفْكَا ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ
بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ (٨٧)

= أنه توبع ، تابعه معاوية بن صالح - وهو صدوق له أوهام عن يحيى به ، رواه من هذا الوجه ابن سعد في « الطبقات » (٣٦/١) والحاكم في « المستدرک » (٤٦٣/٤) هكذا من قول سعيد بن المسيب وأسنده بعض الضعفاء ، كما في « كشف الاستار » (١/رقم ٢١٨) وكذا « مختصر الزوائد » لابن حجر (١/رقم ١٣٤) ، ورواه ابن حبان في « المجروحين » (١٠٧/٣) وابن عدي في « الكامل » (٢٧٢٥/٧) ، والدارقطني في « الأفراد » (٢٩) . كما في حاشية « العلل » له (٧/س ١٣٥٤) من طريق محمد بن يزيد ابن سنان به ، وقال الدارقطني : « تفرد به محمد بن يزيد بن سنان ، عن أبيه ، عنه » يحيى بن سعيد ومحمد بن يزيد ليس بالقوي ، وأبوه ضعيف . ورواه سليمان بن أرقم - وهو ضعيف أيضًا - عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب به ، استنكره من هذا الوجه ابن عدي في « الكامل » (١١٠/٣) لابن أرقم ، وضعف ابن حجر في « الفتح » (١٠٧/١٣) سند حديث أبي هريرة بالكلية ، فالخبر إذن صوابه أنه من قول سعيد بن المسيب وانظر « الدر المنثور » (٥٢٤ ، ٥٢٥) وبالله التوفيق .

قال علي بن أبي طلحة^(٣٨) عن ابن عباس : ﴿ وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴾ يقول : من أهل دينه وقال مجاهد : على منهاجه وسنته .

﴿ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ ، قال ابن عباس : يعني^[١] شهادة أن لا إله إلا الله .

وقال ابن أبي حاتم^(٣٩) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن عوف : قلت لمحمد بن سيرين : ما القلب السليم ؟ قال : يعلم أن الله حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور .

وقال الحسن : سليم من الشرك . وقال عروة لا يكون لعائنا .

وقوله : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ أنكر عليهم عبادة الأصنام والأنداد ؛ ولهذا قال : ﴿ أَفُنْكَآ آلِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، قال قتادة : ما ظنكم به أنه فاعل بكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ؟ !

فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ
إِلَىٰ آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا
بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرِيضُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحَسُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ
وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَنَا بُيُوتًا فَالْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا
فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾

إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ، ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم ، فإنه كان قد أزعج خروجهم إلى عيد لهم ، فأحب أن يختلي بالهتهم ليكسرهما ، فقال لهم كلاماً هو حق في نفس الأمر ، فهشوا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه ، ﴿ فتولوا عنه مدبرين ﴾ ، قال قتادة : والعرب تقول لمن تفكر : نظر في النجوم . يعني قتادة أنه نظر في السماء متفكراً فيما يليهم به ، فقال : ﴿ إني سقيم ﴾ أي : ضعيف .

(٣٨) - فيه انقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس . والخبر رواه ابن جرير (٦٩/٢٣) وابن أبي حاتم - كما في «الدر المنثور» (٥٢٥/٥) .

(٣٩) - إسناده صحيح إلى محمد بن سيرين ، وعوف بن أبي جميلة الأعرابي .

فأما الحديث الذي رواه ابن جرير هاهنا^(٤٠) حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو أسامة ، حدثني هشام ، عن محمد ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات : ثنتين في ذات الله ، قوله : ﴿ إني سقيم ﴾ ، وقوله : ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ ، وقوله في سارة : هي أختي » .

فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق ، ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله - حاشا وكلا ولما^[١] - وإنما أطلق الكذب على هذا تجاوزاً ، وإنما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني ، كما جاء في الحديث^(٤١) : « إن [في]^[٢] المعاريض لمدوحة عن الكذب » .

وقال ابن أبي حاتم^(٤٢) : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن علي بن زيد بن جذعان ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلمات إبراهيم الثلاث التي قال : « ما منها كلمة إلا ما حل بها عن دين الله تعالى ، فقال إني سقيم ﴾ ، وقال : ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ ، وقال للملك حين أراد المرأة : هي أختي » .

قال سفيان في قوله : ﴿ إني سقيم ﴾ يعني : طعين . وكانوا يفرون من المطعون ، فأراد أن يخلو بألتهتهم . وكذا قال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ فنظر نظرة في النجوم * فقال إني سقيم ﴾ ، فقالوا له وهو في بيت ألتهتهم : اخرج . فقال : إني مطعون ، فتركه مخافة الطاعون .

وقال قتادة عن سعيد بن المسيب : رأى نجماً طلع فقال : ﴿ إني سقيم ﴾ كابد^[٣] نبي الله عن دينه ﴿ فقال إني سقيم ﴾ .

(٤٠) - صحيح ، تفسير ابن جرير (٧١/٢٣) ورواه البزار - كما في «قصص الأنبياء» للمصنف و«الفتح» لابن حجر (٣٩١/٦) - وأبو داود ، كتاب الطلاق (٢٢١٢) والنسائي في «الكبرى» (٨٣٧٤/٥) ، وأبو يعلى (٩/١٠ ، ٦٠٣) - ومن طريقه ابن عساكر (٣٢١/٢/مخطوط) - وابن حبان (٥٧٣٧/١٣) من طريق هشام بن حسان به ، ورواه البخاري ، كتاب البيوع (٢٢١٧) - وانظر أطرافه ثمة - ومسلم في الفضائل (٢٣٧١) وغيرهم عن أبي هريرة به .

(٤١) - بوب به البخاري باب رقم (١١٦) من كتاب «الأدب» داخل صحيحه ، دون أن ينسبه لأحد ، وقد روى مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم - من حديث عمران بن حصين وعلى بن أبي طالب ، ولا يصح ، وقد صح موقوفاً على عمران وعمر بن الخطاب ، انظر «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (٥٩٤/١٠) و«الضعيفة» لأبي عبد الرحمن الألباني (١٠٩٤/٣) .

(٤٢) - إسناده ضعيف . ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢٠/٢/مخطوط) من طريق الحسين بن إسماعيل نا أبو حاتم الرازي نا عثمان بن مطيع بن إبراهيم نا سفيان به ، ورواه الترمذي ، كتاب : =

[١] - سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت . [٣] - في خ : « دايد » .

وقال آخرون : ﴿ فقال إني سقيم ﴾ بالنسبة إلى ما يستقبل ، يعني مرض الموت .

وقيل : أراد ﴿ إني سقيم ﴾ أي : مريض القلب من عبادتكم الأوثان من دون الله عز وجل .

وقال الحسن البصري : خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم ، فأرادوه على الخروج ، فاضطجع على ظهره وقال : ﴿ إني سقيم ﴾ ، وجعل ينظر في السماء ، فلما خرجوا أقبل إلى آلهتهم فكسرها . رواه ابن أبي حاتم^(٤٣) .

ولهذا قال تعالى : ﴿ فقولوا عنه مدبرين ﴾ أي : إلى عيدهم ، ﴿ فراغ إلى آلهتهم ﴾ أي : ذهب إليها بعد أن خرجوا ، في سرعة واختفاء ، ﴿ فقال ألا تأكلون ﴾ ، وذلك أنهم كانوا قد وضعوا بين أيديها طعاماً قرباناً لثبوتهم فيه .

قال السدي : دخل إبراهيم - عليه السلام - إلى بيت الآلهة ، فإذا هم في بهو عظيم ، وإذا مستقبل باب البهو صنم عظيم ، إلى جنبه أصغر منه ، بعضها إلى جنب بعض ، كل صنم يليه أصغر منه ، حتى بلغوا باب البهو ، وإذا هم قد جعلوا طعاماً وضعوه بين أيدي الآلهة ، وقالوا : إذا كان حين نرجع وقد بركت الآلهة في طعامنا أكلنا ، فلما نظر إبراهيم - عليه السلام - إلى ما بين أيديهم من الطعام قال : ﴿ ألا تأكلون * ما لكم لا تنطقون ﴾ ؟ .

وقوله : ﴿ فراغ عليهم ضرباً باليمين ﴾ قال الفراء : معناه مال عليهم ضرباً باليمين . وقال قتادة والجوهري : فأقبل عليهم ضرباً باليمين .

ولما ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكى ، ولهذا تركهم جزاءً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون ، كما تقدم في « سورة الأنبياء » تفسير ذلك .

وقوله هاهنا : ﴿ فأقبلوا إليه يذفون ﴾ قال مجاهد : وغير واحد أي : يسرعون ، وهذه القصة هاهنا مختصرة ، وفي « سورة الأنبياء » مبسطة ، فإنهم لما رجعوا ما عرفوا من أول وهلة من فعل ذلك حتى كشفوا واستعلموا ، فعرفوا أن إبراهيم - عليه السلام - هو الذي فعل ذلك . فلما جاءوا ليعاتبوه أخذ في تأنيبهم وعيبيهم ، فقال : ﴿ أتعبدون ما تنحتون ﴾ ؟ ! أي : أتعبدون^[١] من دون الله من الأصنام ما أنتم تنحتونها وتجعلونها بأيديكم ؟ ! ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ ، يحتمل أن تكون « ما » مصدرية ، فيكون تقدير الكلام : [والله خلقكم وعملكم . ويحتمل أن تكون بمعنى « الذي » ، تقديره^[٢] : والله خلقكم والذي

= تفسير القرآن (٣١٤٨) ، وأبو علي في مسنده (١٠٤٠/٢) - ومن طريقه ابن عساكر أيضاً - عن سفيان به مطولاً ومختصراً وصححه الترمذي !! مع أن ابن جدعان ضعفه الجمهور لكن يشهد له حديث أبي هريرة السابق .

(٤٣) - وعزاه له السيوطي في « الدر المنثور » (٥٢٦/٥) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[١] - في ز ، خ : « تعبدون » .

تعملونه . وكلا القولين متلازم ، والأول أظهر ؛ لما رواه البخاري في كتاب « أفعال العباد » ^(٤٤) ، عن علي بن المديني ؛ عن مروان ^[١] بن معاوية ، عن أبي مالك ، عن ربيعة بن حراش ^[٢] ، عن حذيفة مرفوعاً قال ^[٣] : « إن الله يصنع كل صانع وصنعه » . وقرأ بعضهم : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليد والقهر ، فقالوا : ﴿ ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم ﴾ . وكان من أمرهم ما تقدم بيانه في « سورة الأنبياء » ، ونجاه الله من النار وأظهره عليهم ، وأعلى حجته ونصرها ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين ﴾ .

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْتَهُ
بِعُلِيِّ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنُوْنِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي
أَذْبَحُكَ فَأَنْظُرُ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَأْتِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَكَلَّمَا لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَلَدَيْنَهُ أَن يَتَابَرَهِيْمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ

(٤٤) - صحيح ، رقم (١١٧) ومن طريق البخاري رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣١، ٣٠/٢) ورواه الحاكم في « المستدرک » (٣١/١) - وعنه البيهقي في « الأسماء والصفات » (٢/رقم ٨٢٥) - وفي « شعب الإيمان » (١/رقم ١٩٠) من طريق علي بن المديني به . دون ذكر الآية ورواه ابن أبي عاصم في « السنة » (١/٣٥٨) والبخاري في مسنده (٢٨٣٧/٧) والبحر الزخار ونقله ابن حجر في « مختصر زوائد البزار » (١٦٠٣/٢) وابن منده في « التوحيد » (١١٥/١) - واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٩٤٣/٣) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (١/رقم ٣٧٧) وفي « الاعتقاد » (٣٧٧) من طرق عن مروان بن معاوية به . وصحح إسناده ابن حجر غير أن البزار أعله فقال : « هذا الكلام لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم - إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد ، ورواه غير مروان موقوفاً كذا قال : وتابع مروان على رفعه

١ - الفضيل بن سليمان عن أبي مالك به ، رواه من هذا الوجه ابن أبي عاصم (٣٥٧/١) وابن عدي في « الكامل » (٢٠٤٦/٦) والحاكم (٣٢، ٣١/١) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وأقرهما أبو عبد الرحمن الألباني في « الصحيحة » (١٦٣٧/١) وهو كما قالوا فقد روى مسلم حديث رقم (٥٢) (١٠٠٥) بهذا الإسناد وأغرب ابن عدي فقال : « لا أعلم يرويه عن أبي مالك غير فضيل بهذا الإسناد !!

٢ - وتابعهما أبو خالد الأحمر سليمان بن حيان وياسين الزيات ويحيى بن زكريا - مرفقاً - عن أبي مالك به . رواه من هذه الوجوه « الحاملي » في « أماليه » (٣٢٥) واللالكائي (٩٤٢) وأبو كر القطيعي في « جزء الألف دينار » (٢١٧) وأبو نعيم في « أخبار أصبهان » (٢٢٠/١) - وقد رواه البخاري (١١٩، ١١٨) من طريق (أبي معاوية ووكيع) عن الأعمش عن شقيق عن حذيفة موقوفاً به وهذه لا تقدر في صحة الرواية الموصولة ؛ لأن ربيعة بن حراش ثقة فاضل وأثبت من شقيق بن سلمة . وبالله التوفيق .

[١] - في خ ، ز : « هارون » .

[٣] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « خراش » .

صَدَقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾
 وَقَدَرْنَاهُ بِذَنبِ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾
 كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ
 نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ
 لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

يقول تعالى مخبرًا عن خليله إبراهيم : إنه بعد ما نصره الله على قومه وأيس من إيمانهم بعد ما شاهدوا من الآيات العظيمة، هاجر من بين أظهرهم، وقال : ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين﴾ يعني : أولادًا مطيعين عوضًا من قومه وعشيرته الذين فارقهم ، قال الله تعالى : ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ ، وهذا الغلام هو إسماعيل - عليه السلام - فإنه أول ولد بُشِّرَ به إبراهيم - عليه السلام - وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب ، بل في نص كتابهم أن إسماعيل وُلد لإبراهيم - عليه السلام - ست وثمانون سنة ، وولد إسحاق وعُمِّر إبراهيم تسع وتسعون سنة ، وعندهم أن الله تعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيد ، وفي نسخة : بكره ، فأقحموا هاهنا كذبًا وبهتانًا «إسحاق» ، ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم ، وإنما أقحموا «إسحاق» لأنه أبوهم ، وإسماعيل أبو العرب ، فحسدوهم ، فزادوا ذلك وحرفوا «وحيدك» ، بمعنى الذي ليس عندك غيره ، فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى جنب مكة ، وهذا تأويل وتحريف باطل ، فإنه لا يقال : «وحيد». إلا لمن ليس له غيره ، وأيضًا فإن أول ولد [له معزة]^[١] ما ليس لمن بعده من الأولاد ، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار^[٢] . وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق ، وحكي ذلك عن طائفة من السلف ، حتى نقل عن بعض الصحابة أيضًا ، وليس ذلك في كتاب ولا سنة ، وما أظن ذلك تُلقَى إلا عن أخبار^[٣] أهل الكتاب ، وأخذ ذلك مسلمًا [من غير]^[٤] حجة ، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل ، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم ، وذكر أنه الذبيح ، ثم قال بعد ذلك : ﴿وبشرناه بإسحاق نبيًا من الصالحين﴾ ، ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا : ﴿إنا نبشرك بغلام عليم﴾ وقال تعالى : ﴿فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ أي : يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب ، فيكون

[١] - ما بين المعكوفين في خ : «يعتبره» ، وفي ز : «معتبرة» .

[٢] - في ز ، خ : «اختبارًا» . [٣] - في ت : «أخبار» .

[٤] - ما بين المعكوفين في خ : «بن عمير» .

من ذريته عقب^[١] ونسل ، وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير ، لأن الله قد وعدهما بأنه سيعقب ، ويكون له نسل ، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيراً ، وإسماعيل وصف هاهنا بالحليم ، لأنه مناسب^[٢] لهذا المقام .

وقوله : ﴿ فلما بلغ معه السعي ﴾ أي : كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشي معه ، وقد كان إبراهيم - عليه السلام - يذهب في كل وقت يتفقد ولده وأم ولده يبلد « فاران » وينظر في أمرهما ، وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريعاً إلى هناك ، فأنه أعلم .

وعن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وعطاء الخراساني ، وزيد بن أسلم ، وغيرهم : ﴿ فلما بلغ معه السعي ﴾ ، بمعنى : شب وارتحل^[٣] وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل ، ﴿ فلما بلغ معه السعي ﴾ قال يا بني إني أرى في المنام أنني أذبحك فانظر ماذا ترى ﴿ ، [قال عبيد بن عمير^(٤٥) : رؤيا الأنبياء وحي ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ قال يا بني إني أرى في المنام أنني أذبحك فانظر ماذا ترى ﴾]^[٤] .

وقد قال ابن أبي حاتم^(٤٦) : حدثنا علي بن الحسين بن الجعيد ، حدثنا^[٥] أبو عبد الملك الكرندي ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن إسرائيل بن يونس ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن (٤٥) - أخرجه البخاري ، كتاب : الوضوء ، باب : التخفيف في الوضوء (١٣٨) ، كتاب : الأذان ، باب : وضوء الصبيان (٨٥٩) بسنده عن عبيد بن عمير قوله ، وقال الحافظ في «الفتح» (٢٣٩/١) قوله : « رؤيا الأنبياء وحي » رواه مسلم مرفوعاً وسيأتي في التوحيد - (٧٥١٧) - من رواية شريك عن أنس «وهو غير موجود في مسلم بهذا اللفظ ، ولعل الحافظ أراد معناه فانظر (١٢٥) (٧٣٨) من صحيح مسلم وانظر ما بعده .

(٤٦) - إسناده ضعيف مرفوعاً ، وصح موقوفاً .

وعزه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في «الدر المنثور» (٥٢٨/٥) - ورواية سماك عن عكرمة مضطربة كما قال ابن المديني وغيره ، ورواه عن ابن عيينة (أبو عبد الملك الكرندي) لم أعتد لترجمته ويحتمل أن يكون أحد الهلكى الجهولين حيث رواه ابن أبي عاصم في «السنن» (٤٦٣/١) وابن جرير في تفسيره (١٨٧٧٨/١٥) شاكر من طريق أبي أحمد الزيري وابن جرير أيضاً (١٨٧٧٩/١٥) شاكر من طريق أبي أسامة ، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٣٠٢/١٢) من طريق محمد بن يوسف الفرياني ، والحاكم (٤٣١/٢) من طريق محمد بن جعشم الصنعاني (٣٩٦/٤) من طريق قبيصة بن عقبة ، خمستهم (أبو أحمد وأبو أسامة والفرياني والصنعاني وقبيصة عن سفيان الثوري ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس به موقوفاً . وصححه الحاكم في الموضع الأول على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وفي حاشية «المطالب العالية» (٣/ ٢٨٢٤) قال البوصيري : «رواته ثقات» !! وسماك : صدوق ، وإنما روى له البخاري تعليقاً ، وقد استدرك ذلك الحاكم في الموضع الثاني ، واكتفى بتصحيحه على شرط مسلم وأعله الهشمي في «المجمع» =

[١] - في ز ، خ : « عاقبة » .

[٣] - في ز ، خ : « ارتجل » .

[٥] - سقط من : ز .

[٢] - في ز ، خ : « يناسب » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رؤيا الأنبياء في المنام وحي » . ليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه .

ولما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه ، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله وطاعة أبيه ﴿ قال يا أبت افعل ما تؤمر ﴾ أي : امض لما أمرك الله من ذبحي ، ﴿ ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ أي : سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل . وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد ؛ ولهذا قال الله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً ﴾ .

قال الله تعالى : ﴿ فلما أسلما وتله للجبين ﴾ أي : فلما تشهدا وذكرنا الله تعالى ؛ إبراهيم على الذبح والولد على شهادة الموت ، وقيل ﴿ أسلما ﴾ استسلما وانقادا ؛ إبراهيم امتثل أمر الله ، وإسماعيل طاعة الله وأبيه . قاله مجاهد ، وعكرمة ، والسدي ، وقتادة ، وابن إسحاق ، وغيرهم .

ومعنى : ﴿ تله للجبين ﴾ أي : صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبیر ، والضحاك ، وقتادة : ﴿ وتله للجبين ﴾ : أكبه على وجهه .

وقال الإمام أحمد ^(٤٧) : حدثنا شريح ^[١] ويونس قالوا : حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبي عاصم الغنوي ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس أنه قال : لما أمر إبراهيم بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى ، فسأقه فسبقه إبراهيم ، ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات ، و ^[٢] ثم تله للجبين ، وعلى إسماعيل قميص أبيض ، فقال له : يا أبت ؛ إنه ^[٣] ليس

= (١٧٩/٧) بشيخ الطبراني وهو متابع والخير زاد نسبه السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٤) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه ، وعزاه الحافظ في « المطالب العلية » إلى أحمد بن منيع . وانظر ما قبله

(٤٧) - « المسند » (٢٩٨، ٢٩٧/١) (رقم ٢٧٠٧/شاك) ورواه أبو داود ، كتاب : المناسك (١٨٨٥) - ومن طريقه رواه البيهقي في « السنن الكبرى » (١٥٥، ١٥٤/٥) وابن جرير (٨٠/٢٣) والطبراني في « المعجم الكبير » (١٠٦٢٨/١٠) - ومن طريقه المزي في « تهذيب الكمال » (١٠٤٩/٣٤) ترجمة أبي عاصم الغنوي والطحاوي في « شرح معاني الآثار » (١٧٩/٢) والبيهقي في « الكبرى » و « الشعب » (٤٠٧٧/٣) وفي « دلائل النبوة » (٣٢٧، ٣٢٦/٤) من طرق عن حماد بن سلمة به مطولاً وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣/٢٦٢) : « رواه أحمد والطبراني في « الكبير » رجاله ثقات » وقال في (٢٠٤/٨) : « رواه أحمد رجاله =

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[١] - في ز ، خ : « شريح » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

لي ثوب تكفني فيه غيره ، فاخلعه حتى تكفني^[١] فيه ، فعالجه ليخلعه ، فتودي من خلفه : ﴿ أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا ﴾ ، فالتفت إبراهيم فإذا بكبش أبيض أقرن أعين ، قال ابن عباس : لقد رأيتنا نبيع ذلك الضرب^[٢] من الكبش .

وذكر تمام الحديث في « المناسك » بطوله . ثم رواه أحمد^(٤٨) بطوله عن يونس ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء بن^[٣] السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فذكر نحوه إلا أنه قال^[٤] : « إسحاق » . فعن ابن عباس في تسمية الذبيح روايتان ، والأظهر عنه إسماعيل لما سيأتي بيانه .

وقال محمد بن إسحاق^(٤٩) : عن الحسن بن دينار ، عن قتادة ، عن جعفر بن إياس ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ قال : خرج عليه كبش من الجنة قد رعى قبل ذلك أربعين خريفاً ، فأرسل إبراهيم ابنه واتبع الكبش ، فأخرجه إلى الجمرة الأولى ، فرماه بسبع حصيات فأفلته عندها ، فجاء الجمرة الوسطى فأخرجه عندها ، فرماه بسبع حصيات ثم أفلته ، [فأدركه عند^[٥]] الجمرة الكبرى ، فرماه بسبع حصيات فأخرجه عندها . ثم أخذه ، فأتى به المنحر من منى فذبحه ، فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الإسلام ، وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة قد حش^[٦] يعني : ييس .

= رجال الصحيح غير أبي عاصم الغنوي وهو ثقة غير أن أبا حاتم قال : « لا أعلم روى عنه غير حماد بن سلمة ، ولا أعرفه ، ولا أعرف اسمه » لكن وثقه ابن معين ، ومع هذا قصر ابن حجر في « التقریب » فوسمه بأنه : « مقبول » !! وأصل الحديث عند مسلم كتاب : الحج (٢٣٧) (١٢٦٤) من طريق الجريري عن أبي الطفيل به بجزء من الحديث المطول والمشار إليه ، وانظر ما بعده .

(٤٨) - رواه أحمد في « المسند » (٣٠٧، ٣٠٦/١) (٢٧٩٥/٢٧٩٥) وشاكر ورواه الطبراني (١٢٢٩٢/١١) من طريق سريج بن النعمان ، ثنا حماد بن سلمة به . وابن خزيمة في صحيحه (٢٩٦٧/٤) . والطبراني (١١/١٢٢٩١) - وعنه البيهقي في « السنن الكبرى » (١٥٣/٥) - من طريق أبي حمزة والطبراني (١٢٢٩٣/١١) من طريق شبيب بن صفوان : كلاهما (أبو حمزة وشعيب) عن عطاء بن السائب به . وقال البيهقي : « تفرد به هكذا عطاء بن السائب » وهو مختلط وبه أعل الخبر الهيثمي في « المجمع » (٢٦٣، ٢٦٢/٣) ، (٨/٢٠٤) غير أن حماد بن سلمة روى عنه قبل الاختلاط كما قال ابن معين وأبو داود وغيرهما ثم إنه قد صح من طرق أخرى عن ابن عباس أنه كان يرى أن الذبيح هو « إسحاق » فعنه روايتان في ذلك ، وهذا ينفي شبهة اختلاط عطاء هنا .

(٤٩) - ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن جرير في تفسيره (٨٧/٢٣) والحسن بن دينار كذبه أبو حاتم وأبو خزيمة وتركه وكيع وأحمد بن حنبل ، وقال ابن عدي ، أجمع من تكلم في الرجال على ضعفه - انظر ترجمته في « اللسان » لابن حجر ثم إن فيه انقطاعاً بين جعفر بن إياس وابن عباس .

[١] - في ز ، خ : « تكفني » . [٢] - في ت : « لضرب » .

[٣] - في ز : « عن » . [٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - ما بين المعكوفين يياض في خ ، ز . [٦] - سقط من : خ ، ز .

وقال عبد الرزاق (٥٠) : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، أخبرنا القاسم قال : اجتمع أبو هريرة وكعب ، فجعل أبو هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعل كعب يحدث عن الكُتُب ، فقال أبو هريرة : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن لكل نبي دعوة مستجابة ، وإنني قد خَبَأْتُ دعوتي شفاعاً لأمتي يوم القيامة » . فقال له كعب : أنت سمعتَ هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . قال : فذاك أبي وأمي - أو : فداه أبي وأمي - أفلا أخبرك عن إبراهيم - عليه السلام - ؟ إنه لما أرى ذَبَحَ ابنه إسحاق قال الشيطان : إن لم أقتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهم أبداً . فخرج إبراهيم بابنه ليذبحه ، فذهب الشيطان فدخل على سارة ، فقال : أين ذهب إبراهيم بابنك ؟ قالت : غدا به لبعض حاجته . قال : لم يغد به لحاجة ، وإنما ذهب به ليذبحه . قالت : ولِمَ يذبحه ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك . قالت : فقد أحسن أن يطيع ربه . فذهب الشيطان في أثرهما فقال للغلام : أين يذهب بك أبوك ؟ قال : لبعض حاجته . قال : إنه لا يذهب بك لحاجة ، ولكنه يذهب بك ليذبحك . قال : ولم يذبحني ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك . قال : فوالله لئن كان الله أمره بذلك ليفعلن . قال : فيئس منه فلحق إبراهيم ، فقال [١] : أين غدوت بابنك [٢] ؟ قال : لحاجة . قال : فإنك لم تغد به لحاجة ، وإنما غدوت به لتذبحه . قال : ولِمَ أذبحه ؟ قال : تزعم أن ربك أمرك بذلك . قال : فوالله لئن كان الله أمرني بذلك لأفعلن . قال : فتركه ويئس أن يطاع .

وقد رواه ابن جرير (٥١) عن يونس ، عن ابن وهب ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، أن [٣] عمرو بن أبي سفيان بن [٤] أسيد بن بجارية [٥] الثقفي أخبره ، أن كعباً قال لأبي

(٥٠) - تفسير عبد الرزاق (١٥٠/٣) وإسناده صحيح والقاسم هو ابن محمد بن أبي بكر ، وقد رواه أحمد في «المسند» (٢٧٥/٢) ثنا عبد الرزاق به مقتصرأ على المرفوع منه وكذا رواه من طريق عبد الرزاق مختصراً ابن منده في «الإيمان» (٢/رقم ٩٠٠) وقال : «رواه عبدالله بن المبارك ومحمد بن ثور وغيرهما عن معمر نحوه» . وانظر ما بعده .

(٥١) - تفسير ابن جرير (٨٣، ٨٢/٢٣) ورواه مسلم ، كتاب : الإيمان (٣٣٧) (١٩٨) وابن منده في كتاب «الإيمان» (١٩٩/٢) من طريق حرمة بن يحيى والحاكم (٥٥٨/٢) من طريق محمد بن عبدالله بن الحكم كلاهما (حرمة ومحمد) ثنا عبدالله بن وهب به - رواية الحاكم مطولة كما بينا ورواه ابن منده أيضاً (٢/٨٩٧، ٨٩٨) والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٤٠/٢) من طرق عن يونس بن يزيد به . ورواه مسلم (٣٣٦) والدارمي (٢٨٠٩) وابن منده (٨٩٦) من طريقين عن ابن شهاب الزهري به . وقد رواه البخاري ، كتاب : الدعوات (٦٣٠٤) ومسلم (١٩٨) وغيرهما من طرق عن أبي هريرة كلهم بالقسم المرفوع منه فحسب .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[١] - في ز ، خ : « قال » .

[٤] - في خ ، ز : « عن أبي » .

[٣] - في خ : « عن » .

[٥] - في ز ، خ : « حارثة » .

هريرة ... فذكره بطوله ، وقال في آخره : وأوحى الله إلى إسحاق [أنني أعطيتك]^[١] دعوة أستجيب لك فيها . قال إسحاق : اللهم ، إنني أدعو أن تستجيب لي : أيما عبداً لقيك من الأولين والآخرين ، لا يشرك بك شيئاً ، فأدخله الجنة .

وقال ابن أبي حاتم^(٥٢) : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي ، وبين أن أختبئ شفاعتي ، فاختبأت شفاعتي ، ورجوت أن تكفر الجحيم لأمتي ، ولولا الذي سبقني إليه العبد الصالح لتعجلت فيها دعوتي ، إن الله لما فرج عن إسحاق كزب الذبح قيل له : يا إسحاق ، سئل تغطة . فقال : أما والذي نفسي بيده لاتعجلنها قبل نزغات الشيطان ، اللهم من مات لا يشرك بك شيئاً فاعفر له وأدخله الجنة » .

هذا حديث غريب منكر ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف الحديث ، وأخشى أن يكون في الحديث زيادة مدرجة ، وهي قوله : « إن الله تعالى لما فرج عن إسحاق ... » إلى آخره^(٥٠) ، والله أعلم . فهذا إن كان محفوظاً فلاشبه أن السياق إنما هو عن « إسماعيل » ، وإنما حرفوه بإسحاق ، حسداً منهم كما تقدم ، وإلا فالناسك والذبايح إنما محلها مبنى [من أرض مكة ، حيث كان إسماعيل لا إسحاق ، فإنه إنما كان يبلد كنعان]^[٢] من أرض الشام .

وقوله تعالى : ﴿ ونادينا أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ﴾ أي : قد حصل المقصود من رؤياك يا ضجاعك ولدك للذبح .

وذكر السدي وغيره أنه أمر السكين على رقبته فلم تقطع شيئاً ، بل حال بينها وبينه صفيحة من نحاس ، ونودي إبراهيم - عليه السلام - عند ذلك : ﴿ قد صدقت الرؤيا ﴾ .

(٥٢) - منكر

وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في « الدر المنثور » (٥٣١/٥) . ورواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧/٦٩٩٤) ثنا محمد بن عبد الله بن عمير ، ثنا صفوان بن صالح ، ثنا الوليد بن مسلم به . وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن زيد بن أسلم إلا ابنه عبد الرحمن ، تفرد به الوليد بن مسلم » وهو ثقة يُدلس ويُسوى غير أن شيخه هو المتهم بهذا الحديث ، فقد استنكره ابن عدي في « الكامل » (١٥٨٣/٤) و « عبد الرحمن بن زيد » وقال الهيثمي في « المجمع » (٢٠٦/٨) : « وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف ، وشيخ الطبراني لم أعرفه » وكذا لم أهد لت ترجمته غير أنه متابع من رواية ابن أبي حاتم ، والحديث استنكره أبو حاتم الرازي - كما في « العلل » لابنه (٢١٤٨/٢) - وضعف إسناده السيوطي ورقم به أبو عبد الرحمن الألباني حديث (٣٣٣) من « الضعيفة » .

[١] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « أن أعطيتك » .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من : خ .

وقوله : ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي : هكذا نصرف عمن أطاعنا المكارة والشدائد ، ونجعل لهم من أمرهم فرجاً ومخرجاً ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ .

وقد استدلل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل ، خلافاً لطائفة من المعتزلة ، والدلالة من هذه ظاهرة ، لأن الله تعالى شرع لإبراهيم ذبح ولده ، ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء ، وإنما كان المقصود من شرعه أولاً إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾ أي : الاختبار الواضح الجلي ؛ حيث أمر بذبح ولده ، فسارع إلى ذلك مستسلماً لأمر الله ، متقاداً لطاعته ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ .

وقوله : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال سفيان الثوري^(٥٣) : عن جابر الجعفي ، عن أبي الطفيل ، عن علي رضي الله عنه : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال : بكبش أبيض أعين أقرن ، قد ربط بسمرة ، قال أبو الطفيل : وجدوه مربوطاً بِسَمَرَةٍ فِي ثُبَيْرٍ ، وقال الثوري أيضاً^(٥٤) : عن عبد الله ابن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفاً .

وقال ابن أبي حاتم^(٥٥) : حدثنا أبي ، حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار ، حدثنا داود القطار^[١] ، عن ابن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : الصخرة التي بمنى بأصل ثُبَيْرٍ هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداء ابنه ، هبط عليه من ثُبَيْرٍ كبش أعين أقرن له ثغاء ،

(٥٣) - رواه ابن جرير (٨٦/٢٣) وجابر الجعفي ضعيف ، والخبر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥٣٤/٥) وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٥٤) - إسناده هكذا حسن غير أنني لم أقف على من دون الثوري ، وقد ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥٣٤/٥) وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن جرير ، وهو عند الأخير في تفسيره (٢٣/٨٧) من طريق يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن عبدالله بن عيسى ، عن سعيد بن جبير به . وأخشى أن يكون «عبدالله بن عيسى» - وهو ثقة «كما في التقريب» - محرفاً من «عبدالله بن عثمان» أو أن يحيى بن يمان قد أخطأ في هذا الإسناد فإنه موسوم في «التقريب» بأنه : «صدوق يخطئ كثيراً» .

(٥٥) - وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في «الدر المنثور» (٥٣٤/٥) وقد رواه الحاكم (٥٥٩/٢) من طريق الواقدي - وهو متروك ؛ غير أنه متابع من شيخ أبي حاتم - عن داود القطار به . وإسناده حسن ، وقد رواه ابن جرير في تفسيره (٨٦/٢٣) من طريق سفيان الثوري عن ابن خثيم به مختصراً . والخبر زاد نسبه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

فذبحه ، وهو الكبش الذي قربه ابن آدم فتقبل منه ، فكان مخزوناً حتى فدي به إسحاق .

وروي أيضاً عن سعيد بن جبير أنه قال : كان الكبش يرتع في الجنة حتى تشقق عنه ثبير وكان عليه عهن^[١] أحمر . وعن الحسن البصري^(٥٦) ؛ أنه [٢] كان اسم^[٣] كبش إبراهيم : جرير .

وقال ابن جريج : قال عبيد بن عمير : ذبحه بالمقام . وقال مجاهد : ذبحه بمنى عند المنحر . وقال هشيم^(٥٧) : عن سيار ، عن عكرمة : إن ابن عباس كان أفتى الذي جعل عليه نذراً^[٤] أن ينحر نفسه ، فأمره بمائة من الإبل . ثم قال بعد ذلك : [لو كنت أفتيته^[٥] بكبش لأجزأه أن يذبح كبشاً ، فإن الله تعالى قال في كتابه : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ .

(٥٦) - رواه ابن جرير (٨٧/٢٣) بإسناد ضعيف إليه ونقله المصنف في قصص الأنبياء ، وقال : « لا يصح عنه » .

(٥٧) - رواه ابن جرير (٨٦/٢٣) حدثني يعقوب بن إبراهيم ثنا هشيم به . وهذا إسناد حسن من أجل سيار وهو ابن عبدالرحمن الصدفني ، فإنه « صدوق » كما في « التقریب » وقد رواه عبدالرزاق في « المصنف » (٨/ ١٥٩٠٥) - ومن طريقه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١٩٩٥/١١) ثنا معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عكرمة - أحسبه عن ابن عباس قال : من نذر أن ينحر نفسه أو ولده فليذبح كبشاً ، ثم تلا ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ ورواه البيهقي في « السنن الكبرى » (٧٣/١٠) من طريق شعبة ، عن قتادة وخالد الحذاء عن عكرمة به نحوه . وجزم أنه عن ابن عباس ، وهذا أصح إسناداً ، ورواه عبدالرزاق أيضاً (٨/ ١٥٩٠٤) : أخبرني ابن جريج ، قال : أخبرني عطاء أن رجلاً جاء ابن عباس فقال : نذرت لأنحرن نفسي ، فقال ابن عباس ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ ثم تلا ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ ثم أمره بذبح كبش ، وتابع عبدالرزاق ، سفيان الثوري عن ابن جريج به ، رواه الثوري في « الجامع » - ومن طريق الطبراني البيهقي ، وقد رواه البيهقي أيضاً من طريق عثمان بن عمر أن ابن جريج به ، غير أن متنه : « أن رجلاً قال لابن عباس - رضي الله عنهما - إني نذرت أن أنحر بني... بدلاً من نحر نفسه ، قال البيهقي : « رواية عثمان بن عمر خطأ » وقد رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١٤٤٣/١١) وفي « الأوسط » (١/ رقم ٢٠٨) والبيهقي من طريقين عن عبدالملك بن شعيب نا ابن وهب ، أخبرني الليث ، قال : قال يحيى بن سعيد الأنصاري : زعم ابن جريج أن عطاء بن أبي رباح حدثه أن رجلاً أتى ابن عباس... الحديث وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن يحيى بن سعيد إلا الليث ، ولا عن الليث إلا ابن وهب ، تفرد به : عبدالملك بن شعيب » كذا قال !! وتابعه أبو عبيدالله أحمد بن عبدالرحمن ابن أخي ابن وهب حدثني عمي عبدالله بن وهب به . رواه من هذا الوجه البيهقي والخبر ذكره الهيثمي في « المجمع » (٤/ ١٩٣) وقال : « رواه الطبراني في « الكبير » و « الأوسط ».... ورجاله رجال الصحيح » وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٥/ ٥٣٥) وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن مردويه .

[١] - في ز : « عهد » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - سقط من : خ ، ز .

والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه فُدي بكبش . وقال الثوري^(٥٨) : عن رجل ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ قال : وَعِلَّ^[١] .

وقال محمد بن إسحاق^(٥٩) : عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن أنه كان يقول : ما فُدي إسماعيل إلا بتيس من الأزوى أهبط عليه من ثبير .

وقد قال الإمام أحمد^(٦٠) : حدثنا سفيان ، حدثني منصور ، عن خاله مسافع ، عن صفية بنت شيبة قالت : أخبرتني امرأة من بني سليم - وَلَدَتْ عَائَةَ أَهْل دَارِنَا - أُرْسِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ ، وَقَالَ^[٢] مَرَّةً : إِنَّهَا سَأَلَتْ عَثْمَانَ : لِمَ دَعَاكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : قَالَ : « إِنِّي كُنْتُ رَأَيْتُ قُرْنِي الْكَبِشِ حِينَ دَخَلْتُ الْبَيْتَ ، فَنَسِيتُ أَنْ أَمْرَكَ أَنْ تَخْمَرَهُمَا ، فَخَمَرَهُمَا ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ^[٣] يَشْغُلُ الْمُصَلِّي » . قَالَ سَفِيَانُ : لَمْ يَزَلْ^[٤] قَرْنَا الْكَبِشِ مُعْلَقَيْنِ^[٥] فِي الْبَيْتِ حَتَّى احْتَرَقَ الْبَيْتُ ، فَاحْتَرَقَا .

وهذا دليل مستقل على أنه إسماعيل - عليه السلام - فإن قريشًا توارثوا قرني الكبش الذي فُدي به إبراهيم خلفًا عن سلف وجيلًا بعد جيل إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم .

فصل في ذكر الآثار الواردة عن السلف في أن الذبيح من هو ؟

(٥٨) - رواه ابن جريج في تفسيره (٨٧/٢٣) ثنا أبو كريب ، ثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان الثوري به وهذا إسناد ضعيف لجهالة شيخ الثوري ، وقد أورده المصنف في «قصص الأنبياء» وقال : «لا يصح عنه» .

(٥٩) - ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن جرير (٨٧/٢٣) وعمرو بن عبيد متهم بالكذب لا سيما في مروياته عن الحسن . راجع ترجمته في «التهذيب» .

(٦٠) - «المسند» (٦٨/٤) ، (٣٨٠/٥) ورواه عبدالرزاق في «المصنف» (٩٠٨٣/٥) - ومن طريقه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٣٩٦/٩) ومن طريق الطبراني - المزني في «تهذيب الكمال» (٤٢٤/٢٧) ترجمة مسافع - وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٩٧/١) والحميدي في مسنده (١/رقم ٥٦٥) وأبو داود في سننه ، كتاب : الحج (٢٠٣٠) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤٣٨/٢) كلهم من طريق سفيان - وهو ابن عيينة - به نحوه ، ورواية أبي داود : «عن صفية قالت : سمعت الأسلمية تقول لعثمان » الحديث ورجاله . كلهم ثقات ، وصفية بنت شيبة لها رؤية واختلف في صحبتها ، والأسلمية : قال ابن حجر في «التقريب» : «لا تعرف» وأثبت المزني صحبتها كما في «تهذيب الكمال» (٣٩٦/١٩) عثمان بن طلحة وعثمان بن طلحة صحابي مشهور .

[٢] - في ت : « قال » .

[١] - في ز : « وعلاً » .

[٤] - في ز ، خ : « نزل » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في خ ، ز : « معلقة » .

ذكر من قال : هو إسحاق :

قال حمزة الزيات^(٦١) ، عن أبي ميسرة - رحمه الله - قال : قال يوسف - عليه السلام - للملك في وجهه : ترغب أن تأكل معي ، وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ، ابن إسحاق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله .

وقال الثوري^(٦٢) : عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل : أن يوسف - عليه السلام - قال للملك كذلك أيضًا .

وقال سفيان الثوري^(٦٣) : عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن أبيه قال : قال موسى : يارب ؛ يقولون : يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فبم قالوا ذلك ؟ قال : إن إبراهيم لم يعدل لي شيء قط إلا اختارني عليه . وإن إسحاق جاد لي بالذبيح ، وهو بغير ذلك أجود . وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادني تحسن ظن .

وقال شعبة^(٦٤) : عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص قال : افتخر رجل عند ابن مسعود فقال : أنا فلان بن فلان ، ابن^(٦٥) الأشياخ الكرام . فقال عبد الله : ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله .

(٦١) - رواه ابن جرير (٨٣/٢٣) بإسناد حسن إلى أبي ميسرة واسمه عمر بن شرحبيل .

(٦٢) - رواه ابن جرير (٨٣/٢٣) بإسناد صحيح إلى ابن أبي الهذيل واسمه عبدالله .

(٦٣) - رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٤٩/٧) وعبدالرزاق في تفسيره (١٥٤/٣) وابن جرير في تفسيره (٨٢/٢٣) والبيهقي في «الشعب» (١٠٠٨/٧) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤٣/٢) مخطوط من طرق عن سفيان به وإسناده صحيح وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥٣٠/٥) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(٦٤) - رواه عبدالرزاق في تفسيره (١٥٢/٣) وابن جرير (٨١/٢٣) والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/٨٩١٦) والحاكم (٥٥٩/٢) من طرق عن شعبة به وهذا إسناد صحيح إلى عبدالله بن مسعود كما قال المصنف وأعله الهيثمي في «المجمع» (٢٠٥/٨) بجهالة مشايخ الطبراني !! وهما متابعان ومعروفان .. والخبر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥٣٠/٥) وعزاه إلى عبد بن حميد والطبراني . رواه الطبراني أيضًا (١٠/١٠٢٧٨) من طريق بقية بن الوليد عن شعبة عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه سئل من أكرم الناس قال : «يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله» وهذا إسناده ضعيف لانقطاعه بين أبي عبيدة وأبيه عبدالله بن مسعود وبهذا أعله الهيثمي في «المجمع» (٢٠٥/٨) وزاد أنه من رواية بقية وهو مدلس وعنن ، غير أنه بقية متابع ، من معاوية بن حفص عن شعبة به . رواه ابن المظفر في «غرائب شعبة» (١/١٣٨) - كما في «الضعيفة» لأبي عبدالرحمن الألباني (١/رقم ٣٣٤) - فعلته الأصلية الانقطاع وبالله التوفيق .

وهذا صحيح إلى ابن مسعود ، وكذا رَوَى عكرمة^(٦٥) ، عن ابن عباس أنه إسحاق . وعن أبيه العباس^(٦٦) ، وعلي بن أبي طالب^(٦٧) . مثل ذلك . وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، والشعبي ، وعبيد بن عمير ، وأبو ميسرة ، وزيد بن أسلم ، وعبد الله بن شقيق ، والزهري ، والقاسم بن أبي بزة^(٦٨) ، ومكحول ، وعثمان بن^[٦٩] حاضر ، والسدي ، والحسن ، وقتادة ، وأبو الهذيل ، وابن سابط ، وهو اختيار ابن جرير ، وتقدم روايته عن كعب الأحبار أنه إسحاق .

وهكذا روى ابن إسحاق^(٦٨) عن عبد الله بن أبي بكر ، عن الزهري ، عن أبي سفيان ابن^[٦٩] العلاء ابن جارية ، عن أبي هريرة ، عن كعب الأحبار ، أنه قال : هو إسحاق .

وهذه الأقوال - والله أعلم - كلها مأخوذة عن كعب الأحبار ، فإنه لما أسلم في الدولة العُمَريَّة جعل يُحدِّث عمر - رضي الله عنه - عن كتبه ، فربما استمع له عمر - رضي الله عنه - فترخَّص الناس في استماع ما عنده ، ونقلوا عنه غُثَّها وسمينها ، وليس بهذه^[٤٠] الأمة - والله أعلم - حاجة إلى حرف واحد مما عنده . وقد حكى البغوي هذا القول بأنه إسحاق : عن عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، والعباس ، ومن التابعين : عن كعب الأحبار ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، ومسروق ، وعكرمة ، ومقاتل ، وعطاء ، والزهري ، والسدي قال : وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس .

وقد ورد في ذلك حديث - لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين ، لكن لم يصح سنده - قال

(٦٥) - رواه ابن جرير (٨١/٢٣) والحاكم (٥٥٨/٢) من طرق عن داود بن أبي هند عن عكرمة به وهذا إسناده صحيح وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥٣١/٥) وزاد عزوه إلى الفرياني وسعيد بن منصور وعبد ابن حميد .

(٦٦) - يأتي تخريجه .

(٦٧) - رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٥٢/٣) أنا رجل عن الحجاج بن أرطاة عن القاسم بن أبي بزة ، عن أبي الطفيل ، عن علي به . وهذا إسناده ضعيف لجهالة شيخ عبد الرزاق وضعف الحجاج بن أرطاة وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥٣١/٥) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر .

(٦٨) - ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (٨١/٢٣) وتحرف فيه اسم شيخ ابن إسحاق من «عبد الله بن أبي بكر» إلى «عبد الرحمن بن أبي بكر» ووقع فيه تسمية شيخ الزهري - «العلاء بن حارثة الثقفي» وهو هنا : «أبو سفيان بن العلاء بن جارية» وكلاهما لم أهتم لترجمته وأظن أن الاسم محرف وصوابه «عمرو بن أبي سفيان ابن أسيد بن جارية الثقفي» وهذا مترجم في «التهذيب» ومذكور فيه روايته عن أبي هريرة ، ورواية الزهري عنه وقد تقدم الخبر مطولاً من طريقه فانظر رقم (٤٨) .

[٢] - بعده في خ ، ز : « أبي » .

[٤] - في ت : « لهذه » .

[١] - في خ : « بزة » .

[٣] - في ز : « عن » .

ابن جرير (٦٩) :

حدثنا أبو كريب، حدثنا زيد بن حُبَاب، عن الحسن بن دينار، عن علي بن زيد بن جُدعان، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب، عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال : « هو إسحاق » .

ففي إسناده ضعيفان ، وهما الحسن بن دينار البصري ؛ متروك ، وعلي بن زيد بن جُدعان ، منكر الحديث . وقد رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جُدعان، به مرفوعاً . ثم قال^[١] : قد رواه مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، عن الأحنف ، عن العباس قوله ، وهذا أشبه وأصح .

ذكر الآثار الواردة بأنه إسماعيل - عليه السلام

وهو الصحيح المقطوع به

قد تقدمت الرواية عن ابن عباس أنه إسحاق ، [وقال]^[٢] سعيد بن جبیر ، وعامر الشعبي ،

(٦٩) - ضعيف جداً .

تفسير ابن جرير (٨١/٢٣) ورواه البزار في مسنده (١٣٠٧/٤) [البحر الزنحار] وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤٢/٢) [مخطوط] من طريق أبي كريب به ، غير أنه وقع في بعض روايات ابن عساكر عدم التصريح بذكر «الحسن بن دينار» فقال : « عن رجل أو شيخ من أهل البصرة ، عن علي بن زيد » وكناه البزار في روايته بـ «أبو سعيد» ولذلك لم يعرفه الهيثمي فقال في «المجمع» (٢٠٥/٨) : «رواه البزار من رواية أبي سعيد عن علي بن زيد ، وأبو سعيد لم أعرفه ، وعلي بن زيد ضعيف ، وقد وثق » غير أن ابن عدي اتهم به «أبو سعيد الحسن بن دينار» فاستنكره له في «الكامل» (٧١٣/٢) وقال : «وهذا الحديث بهذا الإسناد لا أعرفه إلا من حديث الحسن بن دينار» وقال البزار : «وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن العباس عن النبي صلى الله عليه وسلم - إلا من حديث أبي سعيد عن علي بن زيد ، وأبو سعيد هذا هو الحسن بن دينار وهو ليس بالقوي في الحديث ، وقد روى هذا الحديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم . مرسلاً ولم يقل عن العباس ، وإنما ذكرنا هذا الحديث وإن كان الحسن لين الحديث لبين أنه رفعه ، وأن الحديث له أصل من حديث حماد بن سلمة » وقد رواه من طريقه الحاكم في «المستدرک» (٥٥٦/٢) ثنا الحسن بن يعقوب العدل ، ثنا يحيى بن أبي طالب ، ثنا زيد بن الحباب ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب به . ورواه ابن أبي حاتم - كما ذكر المصنف أعلاه - من طريق مسلم بن إبراهيم ، عن حماد بن سلمة به . هكذا مرفوعاً ومن رواية حماد بن سلمة وقال الحاكم : «حديث صحيح رواه الناس عن علي بن زيد بن جُدعان تفرد به «ووافقه الذهبي !! وعلي بن زيد ضعيف وله مناكير وتابعه مبارك بن فضالة - وهو مثله في الضعف - فرواه البزار (١٣٠٨) من طريق مسلم بن إبراهيم نا مبارك عن الحسن عن الأحنف عن العباس مرفوعاً =

[٢] - في ت : « قال » .

[١] - سقط من : خ ، ز .

ويوسف ابن مهران ، ومجاهد ، وعطاء ، وغير واحد ، عن ابن عباس ^(٧٠) : هو إسماعيل عليه السلام .

وقال ابن جرير ^(٧١) : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمر بن قيس ، عن عطاء ابن أبي رباح ، عن ابن عباس أنه قال : المفدئ إسماعيل - عليه السلام - ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود .

وقال إسرائيل ^(٧٢) عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قال : الذبيح إسماعيل .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : هو إسماعيل . وكذا قال يوسف بن مهران .

وقال الشعبي : هو إسماعيل - عليه السلام - وقد رأيت قرني الكبش في الكعبة .

وقال محمد بن إسحاق ^(٧٣) عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد ، عن الحسن البصري : أنه كان لا يشك ^[١] في ذلك : أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم : إسماعيل .

قال ابن إسحاق ^(٧٤) : وسمعت محمد بن كعب القرظي وهو ^[٢] يقول : إن الذي أمر الله

= بلفظ «الذبيح إسحاق» قال الهيثمي في «المجمع» (٢٠٥/٨) : «فيه مبارك بن فضالة وقد ضعفه الجمهور» قال البراز : «وقد رواه جماعة عن المبارك بن فضالة عن الحسن عن الأحنف عن العباس موقوفاً وهذا أشبه وأصح كما قال المصنف والله أعلم .

(٧٠) - انظر هذه الطرق في تفسير ابن جرير (٨٤، ٨٣/٢٣) وانظر «الدر المنثور» (٥٢٩/٥) وصححه الحاكم على شرط الشيخين من طريق الشعبي عنه ابن عباس به «المستدرک» (٥٥٥/٢) ووافقه الذهبي .

(٧١) - تفسير ابن جرير (٨٤/٢٣) ورواه الحاكم (٥٥٥، ٥٥٤/٢) من طريق بحر بن نصر الخولاني ، ثنا عبدالله بن وهب به ، وسكت عنه الحاكم ، قال الذهبي : «سمعه ابن وهب منه - يعني من عمر بن قيس - وهو هالك» وعمر بن قيس هنا هو المكّي المعروف بـ «سندل» كذبه ابن معين في رواية وتركه أحمد وعمرو ابن علي والنسائي وأبو داود وأبو حاتم وقال البخاري : «منكر الحديث» وضعفه غير واحد .
والخبر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥٢٩/٥) ولم يعزه لغير ابن جرير والحاكم .

(٧٢) - رواه ابن جرير (٨٣/٢٣) والحاكم (٢٥٤/٢) من طريقين عن إسرائيل به وسكت عنه الحاكم - ونقل السيوطي في «الدر المنثور» (٥٢٩/٥) تصحيحه عنه ، وقال الذهبي «ثوير بن أبي فاختة : وإيه» ضعفه ابن معين وأبو حاتم وغيرهما وتركه الدارقطني وقال النسائي : «ليس بثقة» وقال أبو زرعة : «ليس بذاك القوي» وذكره السيوطي في «الدر المنثور» وزاد عزوه إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٧٣) - ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن جرير (٨٤/٢٣) وإسناده لا يصلح إلى الحسن البصري . الحسن بن دينار تركه غير واحد وعمرو بن عبيد متهم بالكذب لا سيما في مروياته عن الحسن ، والأول من رجال «لسان الميزان» والثاني من رجاله «التهذيب» .

(٧٤) - ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن جرير (٨٤/٢٣) والحاكم (٥٥٥/٢) وذكره السيوطي في =

إبراهيم بذبحه من ابنه إسماعيل . وإنا لنجد ذلك في كتاب الله ، وذلك أن الله حين فرغ من قصة المذبح من ابني إبراهيم قال : ﴿ وبشرناه بإسحاق نبيًا من الصالحين ﴾ يقول الله تعالى : ﴿ وبشرناه^[١] بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ ، يقول : باين وابن ابن ، فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الموعود ما وعده ، وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل .

وقال ابن إسحاق (٧٥) : عن بُريدة بن سفيان بن فَرْوَةَ الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم : أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة إذ كان معه بالشام ، فقال له عمر : إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه ، وإني لأراه كما قلت . ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام ، كان يهوديًا فأسلم وحسن إسلامه ، وكان يرى أنه من علمائهم ، فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك - قال محمد بن كعب : وأنا عند عمر بن عبد العزيز - فقال له عمر : أيّ ابني إبراهيم أمر بذبحه ؟ فقال : إسماعيل والله يا أمير المؤمنين ، وإن يهود لتعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أمر به ، فهم يجحدون ذلك ، ويزعمون أنه إسحاق ، يكون إسحاق أباهم^[٢] ، والله أعلم أيهما كان ، وكل قد كان طاهرًا طيبًا مطيعًا لله - عز وجل - .

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : سألت أبي عن الذبيح ، من هو ؟ إسماعيل أو إسحاق ؟ فقال : إسماعيل . ذكره في « كتاب الزهد » .

وقال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يقول : الصحيح أن الذبيح إسماعيل - عليه السلام - . قال : وزوي عن علي ، وابن عمر ، وأبي هريرة ، وأبي الطفيل ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبيرة ، والحسن ، ومجاهد ، والشعبي ، ومحمد بن كعب القرظي ، وأبي جعفر محمد بن علي ، وأبي صالح أنهم قالوا : الذبيح إسماعيل .

وقال البغوي في تفسيره : وإليه ذهب عبد الله بن عمر ، وسعيد بن المسيب ، والسدي ، والحسن البصري ، ومجاهد ، والريبع بن أنس ، ومحمد بن كعب القرظي ، والكلبي ، وهو رواية عن ابن عباس ، وحكاها أيضًا عن أبي عمرو بن العلاء .

وقد روى ابن جرير في ذلك حديثًا غريبًا فقال^(٧٦) : حدثني محمد بن عمار الرازي ،

= « الدر المنثور » (٥٢٩/٥) وزاد نسبه إلى عبد بن حميد .

(٧٥) - ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن جرير (٨٥، ٨٤/٢٣) وبريدة بن سفيان الأسلمي « ليس بالقوي ، وفيه رفض » كذا في « التقريب » وابن إسحاق مدلس وقد عنعنه غير أنه رواه عن محمد بن كعب مباشرة دون واسطة ، وفيه تصريحه بالسماع لكن دون ذكر لعمر بن عبد العزيز في الخبر انظر السابق .

=

(٧٦) - إسناده واو

[٢] - في ز ، خ : « أبوه » .

[١] - في ز ، خ : « وبشرناها » .

حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة ، حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي ، عن عبيد الله ابن محمد الغنبي - من ولد عتبة بن أبي سفيان - عن أبيه : حدثني عبد الله بن سعيد ، عن الصنابحي قال : كنا عند معاوية بن أبي سفيان ، فذكروا الذبيح : إسماعيل أو إسحاق ؟ فقال : على الخير سَقَطْتُمْ ، كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه رجل فقال : يا رسول الله ، عُذ علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقيل له : يا أمير المؤمنين ، وما الذبيحان ؟ فقال : إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله أمرها عليه^[١] ، لِيَذْبَحَنَ أَحَدَ ولده ، قال : فخرج السهم على عبد الله ، فمنعه أحواله وقالوا : افد ابنك بمائة من الإبل . ففداه بمائة من الإبل ، وإسماعيل الثاني .

وهذا حديث غريب جداً ، وقد رواه الأموي في مغازيه : حدثنا بعض أصحابنا ، أخبرنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة ، حدثنا عمر بن عبد الرحمن القرشي ، حدثنا عبيد^[٢] الله بن محمد الغنبي - من^[٣] ولد عتبة بن أبي سفيان - حدثنا عبد الله بن سعيد^[٤] ، حدثنا الصنابحي قال : حضرنا مجلس معاوية ، فذاكر القوم إسماعيل وإسحاق ، وذكره . كذا كتبه من نسخة [٥] وإنما غَوَّل ابن جرير في اختياره أن الذبيح إسحاق على قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُ^[٦] بِغَلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ ، فجعل هذه البشارة هي البشارة بإسحاق في قوله : ﴿ وبشروه بغلام عليم ﴾ ، وأجاب عن البشارة يعقوب بأنه قد كان بلغ معه السعي ، أي العمل ، ومن الممكن أنه قد كان ولد له أولاد مع يعقوب أيضاً ، قال : وأما القرنان اللذان كانا مُعَلِّقَيْن بالكعبة فمن الجائز أنهما نقلًا من بلاد الشام . قال^[٧] : وقد تقدم أن من الناس من ذهب إلى أنه ذبح^[٨] إسحاق هناك . هذا ما اعتمد عليه في تفسيره ، وليس ما ذهب إليه بمذهب ولا لازم ، بل هو^[٩] بعيد جداً ، والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل أثبت

= تفسير ابن جرير (٨٥/٢٣) وقد رواه الأموي - كما يذكره المصنف بعد هذا وعزاه له السيوطي في «الدر المنثور» (٥٢٩/٥) - والحاكم في «المستدرک» (٥٥٤/٢) من طريق إسماعيل بن عبيد به ، وعند الحاكم تحريف في الإسناد يصوب من هنا وسكت عنه الحاكم وقال الذهبي : «إسناده واه» وضعف إسناده السيوطي في «الدر المنثور» وزاد عزوه إلى الخلعي في فوائده - وبين علة ضعفه في «الفتاوى» (٣٥/٢) فقال : «هذا حديث غريب ، وفي إسناده من لا يعرف حاله» قلت : عبد الله بن سعيد جهله الذهبي في «ديوان الضعفاء» (ت/٢١٨١) وعمر بن عبد الرحيم والعتبي لم أهدأ لترجمة لهما ، وانظر لزماماً «الضعيفة» لأبي عبد الرحمن الألباني (٣٣١/١) ، (١٦٧٧/٤) والله المستعان

- [١] - سقط من : ز ، خ .
 [٢] - في خ ، ز : « عبد » .
 [٣] - سقط من : ز .
 [٤] - في خ ، ز : « سعد » .
 [٥] - بياض في : خ ، ز .
 [٦] - في ز ، خ : « وبشرنه » .
 [٧] - سقط من : ز ، خ .
 [٨] - في خ ، ز : « ذهب » .
 [٩] - سقط من : ز ، خ .

وأصح وأقوى ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ ، لما تقدمت البشارة بالذبيح - وهو إسماعيل - عطف بذكر البشارة بأخيه إسحاق ، وقد ذكرت في سورتي « هود » و « الحجر » . وقوله : ﴿ نبياً ﴾ حال مقدرة^[١] أي سيصير منه نبي من الصالحين .

وقال ابن جرير^(٧٧) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عُليّة ، عن داود ، عن عكرمة قال : قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : الذبيح إسحاق . قال : وقوله : ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ ، قال : بشر بنيوته ، قال : وقوله : ﴿ ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً ﴾ ، قال : كان هارون أكبر من موسى ، ولكن أراد : وهب له نبوته .

وحدثنا ابن عبد الأعلى^(٧٨) ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال^[٢] : سمعتُ داود يُحدث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في هذه الآية : ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ ، قال : إنما بُشِّر به نبياً حين فداه الله من الذبيح ، ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده .

وقال ابن أبي حاتم^(٧٩) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا سفيان^[٣] الثوري ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ ، قال : بُشِّر به حين ولد ، وحين نُبئ .

وقال سعيد بن أبي عَرُوبَةَ^(٨٠) : عن قتادة في قوله : ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ ، قال : بعد ما كان من أمره ، لما جاد لله بنفسه وقال الله : ﴿ وباركنا عليه وعلى إسحاق ﴾ .

وقوله : ﴿ وباركنا عليه وعلى إسحاق . ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ﴾ ، كقوله تعالى : ﴿ قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم ﴾ .

(٧٧) - (٧٨) - تفسير ابن جرير (٨١، ٨٩) وإسناده صحيح وتقدم تخريجه برقم (٦١) .

(٧٩) - وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في « الدر المنثور » (٥/٣٦٥) ورواه الحاكم (٢/٥٥٧) من طريق وكيع عن سفيان به . وقال : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي وهو كما قال ، وانظر السابق وقد زاد عزو هذا الخبر السيوطي إلى عبد حميد وابن أبي شيبه وابن المنذر .

(٨٠) - تفسير ابن جرير (٢٣/٨٩) بإسناد صحيح إلى قتادة ، ورواه عنه أيضاً عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

[١] - في خ ، ز : « تقرر » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : خ .

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَبَيَّضْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ
 الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْفَائِزِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ
 ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾
 سَلَّمْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ
 عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

يذكر تعالى ما أنعم به على موسى وهارون من النبوة والنجاة بمن آمن معهما ، من قهر
 فرعون وقومه ، وما كان يعتمد في حقهم من الإساءة العظيمة ، من قتل الأبناء واستحياء
 النساء ، واستعمالهم في أخس الأشياء . ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم ، وأقر أعينهم منهم ،
 فغلبهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جمعوه طول حياتهم . ثم أنزل الله على موسى
 الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين ، وهو التوراة ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ
 وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴾ وهديناهما الصراط
 المستقيم ﴿ أي : في الأقوال والأفعال ، ﴾ وتركنا عليهما في الآخرين ﴿ أي : أبقينا لهما من
 بعدهما ذكراً جميلاً وثناً حسناً ثم فسره بقوله : ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ إنا كذلك
 نجزي المحسنين . إلهما من عبادنا المؤمنين ﴿ .

وَلِإِنِّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا
 وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾
 فَكَذَّبُوهُ فَأَنْتَبَهُمْ لَمْخَضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي
 الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِيْلَ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾

قال قتادة ومحمد بن إسحاق ، يقال : إلياس هو إدريس .

وقال ابن أبي حاتم^(٨١) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ،

(٨١) - وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في «الدر المنثور» (٥٣٧/٥) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»
 (٨٣/٣) مخطوط) وابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر وابن ماجه في «التفسير» - كما في «التهذيب»
 لابن حجر ترجمة (عبيدة بن ربيعة) وكذا في «الدر المنثور» - من طريق إسرائيل به وعلقه البخاري في
 صحيحه ، كتاب : الأنبياء ، باب (رقم ٤) فقال : « ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو =

عن عبيدة بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : إلياس هو إدريس . وكذا قال الضحاك .

وقال وهب بن منبه : هو إلياس بن ياسين^[١] بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران ، بعثه الله في بني إسرائيل بعد حزقيل - عليهما السلام - وكانوا قد عبدوا صنماً يقال له : « بعل » ، فدعاهم إلى الله ، ونهاهم عن عبادة ما سواه ، وكان قد آمن به ملكهم ثم ارتد ، واستمروا على ضلالتهم ، ولم يؤمن به منهم أحد . فدعا الله عليهم ، فحبس عنهم القطر ثلاث سنين ، ثم سأله أن يكشف ذلك عنهم ، ووعدوه^[٢] الإيمان به إن هم أصابهم المطر . فدعا الله لهم ، فجاءهم الغيث فاستمروا على أخبث ما كانوا عليه من الكفر ، فسأل الله أن يقبضه إليه . وكان قد نشأ على يديه اليسع بن أخطوب - عليه السلام - فأمر إلياس أن يذهب إلى مكان^[٣] كذا وكذا ، فمهما جاءه فليركبه [ولا يهبه]^[٤] ، فجاءته فرس من نار فركب ، وألبسه الله النور وكساه الريش ، وكان يطير مع الملائكة ملكاً إنسياً سماوياً أرضياً . هكذا حكاه وهب عن أهل الكتاب ، والله أعلم بصحته .

﴿ إذ قال لقومه ألا تتقون ﴾ ؟ أي : ألا تخافون الله في عبادتكم غيره ؟ ﴿ أتدعون بعلًا وتذرون أحسن الخالقين ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي : بعلًا يعني : ربًا .

قال قتادة وعكرمة : وهي لغة أهل اليمن . وفي رواية عن قتادة قال : هي لغة أزد شئوة .

وقال ابن إسحاق : أخبرني بعض أهل العلم أنهم كانوا يعبدون امرأة اسمها « بعل » .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه : هو اسم صنم كان يعبداه أهل مدينة يقال لها : « بعلبك » ، غربي دمشق .

وقال الضحاك : هو صنم كانوا يعبدونه .

وقوله : ﴿ أتدعون بعلًا ﴾ ، أي : أتعبدون صنماً ؟ ﴿ وتذرون أحسن الخالقين * الله ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ أي : هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له .

= إدريس قال ابن حجر في «الفتح» (٣٧٣/٦) : «قول ابن مسعود وصله عبد بن حميد وابن أبي حاتم بإسناد حسن عنه وقول ابن عباس وصله جوير في تفسيره عن الضحاك عنه ، وإسناده ضعيف ، ولهذا لم يجزم به البخاري وكذا لم يجزم بخبر ابن مسعود حيث أن عبيدة بن ربيعة لم يوثقه غير العجلي وابن حبان وقال ابن حجر نفسه «التقريب» . «مقبول» !! .

[١] - في خ : « نسبي » ، وفي ز : « تسبي » . [٢] - في ز ، خ : « فوعدوه » .

[٣] - سقط من : خ ، ز . [٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

قال الله تعالى : ﴿ فكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ أي : للعذاب يوم الحساب ، ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ أي : الموحدين منهم ؛ وهذا استثناء منقطع من مثبت .

وقوله : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ أي : ثناءً جميلاً ، ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ، كما يقال [١] في إسماعيل : إسماعيل ، وهي لغة بني أسد . وأنشد بعض بني نمير [٢] في ضبّ صاده

يقول رب السوق لما جينا هذا ورب [البیت اسرائيلى] [٣]
ويقال : ميكال وميكائيل وميكائين ، وإبراهيم وإبراهام ، وإسرائيل وإسرائين ، وطور سيناء ، وطور سينين ، وهو موضع واحد ، وكل هذا سائغ .

وقرأ آخرون : « سلام على إدريس [٤] » . وهي قراءة عبد الله بن مسعود . وآخرون : « سلام على آل ياسين » ، يعني : آل محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قد تقدم تفسيره .

إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّ لُوطًا لِّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٧﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٨﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٣٩﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمْرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٤١﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفْلًا تَعْقِلُونَ ﴿١٤٢﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط - عليه السلام - أنه بعثه إلى قومه فكذبوه ، فنجاه الله من بين أظهرهم هو وأهله ، إلا امرأته فإنها هلكت مع من هلك من قومها ، فإن الله تعالى أهلكهم بأنواع من العقوبات ، وجعل محلّتهم من الأرض بحيرة متنتة قبيحة المنظر والطعم والريح ، وجعلها بسبيل مقيم يمر بها المسافرين ليلاً ونهاراً ؛ ولهذا قال : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمْرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفْلًا تَعْقِلُونَ ﴾ أي : أفلا تعتبرون بهم ، كيف دمر الله عليهم ، وتعلمون أن للكافرين أمثالها ؟ !

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٣﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٤﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤٥﴾ فَالْقَمْعَةُ الْوَرْدُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٦﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ

[١] - في ز ، خ : « قال » .

[٢] - في خ ، ز : « تميم » .

[٣] - ما بين المعكوفين في ز : « أنس أبينا » .

[٤] - في ز ، خ : « إل ياسين » .

الْمُسِيحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ زَيْدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾

وقد تقدمت قصة يونس - عليه السلام - في «سورة الأنبياء» وفي الصحيحين^(٨٢) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما ينبغي لعبد أن يقول : أنا خير من يونس ابن متى ». ونسبه إلى أمه وفي رواية قيل : « إلى أبيه » .

وقوله : ﴿ إذ أبق إلى الفلك المشحون ﴾ ، قال ابن عباس : هو الموقر . أي : المملوء بالأمعة .

﴿ فساهم ﴾ أي : قارع ، ﴿ فكان من المدحضين ﴾ أي : المغلوتين ، وذلك أن السفينة تَلَقَّتْ بها الأمواج من كل جانب ، وأشرفوا على الفرق ، فساهموا^[١] على من تقع عليه القرعة يلقي في البحر ، لتخف بهم السفينة ، فوقعت القرعة على نبي الله يونس - عليه الصلاة والسلام - ثلاث مرات ، وهم يضمنون به أن يلقي من بينهم ، فتجرد من ثيابه ليلقي نفسه وهم يأبون عليه ذلك . وأمر الله تعالى حوتاً من البحر الأخضر أن يشق البحار ، وأن يلتقم يونس - عليه السلام - فلا يَهْشِمَ له لحمًا ، ولا يكسر له عظمًا . فجاء ذلك الحوت وألقى يونس - عليه السلام - نفسه ، فالتقمه الحوت ، وذهب به فطاف به البحار كلها . ولما استقر يونس في بطن الحوت ، حسب أنه قد مات ، ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه فإذا هو حي ، فقام يصلي في بطن الحوت ، وكان من جملة دعائه : « يا رب ، اتخذت لك مسجدًا في موضع لم يبلغه أحد من الناس » . واختلفوا في مقدار ما لبث في بطن الحوت ، فقيل : ثلاثة أيام . قاله قتادة . وقيل : الجمعة . قاله جعفر الصادق . وقيل : أربعين يومًا . قاله أبو مالك .

وقال مجالد ، عن الشعبي : التقمه ضحى ، وقذفه عشية .

والله أعلم بمقدار ذلك وفي شعر أمية بن أبي الصلت :

وَأَنْتَ بِفَضْلِ مَنَّا نَجِيَّتَ يُونُسَا وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافِ حُوتٍ لَيَالِيَا

وقوله : ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين ﴾ للبت في بطنه إلى يوم يعثون ﴿ ، قيل : لولا ما تقدم له من العمل في الرخاء . قاله الضحاك بن قيس ، وأبو العالية ، ووهب بن منبه ، وقاتدة ،

(٨٢) - صحيح البخاري : كتاب : الأنبياء (٤٣١٣) - وانظره بأطرافه عند رقم (٣٣٩٥) - ورواه أحمد (٢٤٢/١) ومسلم كتاب : الفضائل (١٦٧) (٢٣٧٧) ، وأبو داود ، كتاب : السنة (٤٦٦٩) من طريق شعبة عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس مرفوعاً به .

وغير واحد ، واختاره ابن جرير ، وقد ورد في الحديث الذي سنورده ما يدل على ذلك إن صح الخبر . وفي حديث عن^[١] ابن عباس^(٨٣) : « تَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ فِي الرِّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَةِ » .

وقال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وعطاء بن السائب ، والسدي ، والحسن ، وقتادة : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ يعني : المصلين . وصرح بعضهم بأنه كان من المصلين قبل ذلك ، وقال بعضهم : كان من المسبحين في جوف أبيه .

وقيل المراد : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ هو قوله : ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴿ ، قاله سعيد بن جبير وغيره .

وقال ابن أبي حاتم^(٨٤) : حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب ، حدثنا عمي ، حدثنا أبو صخر : أن يزيد الرقاشي حدثه : أنه سمع أنس بن مالك - ولا أعلم إلا أن^[٢] أنسا يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - : « أن يونس النبي صلى الله عليه وسلم حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت ، فقال : اللهم ، لا إله إلا أنت سبحانك ، إني كنت من الظالمين . فأقبلت الدعوة تحف^[٣] بالعرش ، قالت الملائكة : يا رب ، هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة^[٤] غريبة ؟ فقال : أما^[٥] تعرفون ذلك . قالوا : يا رب ، ومن هو ؟ قال : عبد يونس . قالوا : [عبدك يونس الذي]^[٦] لم يزل يرفع له عمل متقبل^[٧] ، ودعوة مستجابة ؟ ! قالوا : يارب ، أو لا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتجتيه من البلاء ؟ قال : بلى . فأمر الحوت فطرحه بالعراء » .

(٨٣) - رواه أحمد (٢٩٣/١) ، والترمذي ، كتاب : صفة القيامة (٢٥١٦) وأبو يعلى في مسنده (٤/٢٥٥٦) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٢٥) والطبراني في «الدعاء» (٢/رقم ٤٢) والبيهقي في «الشعب» (١/رقم ١٩٥) من طريق الليث بن سعد - مقروناً به ابن لهيعة عند الترمذي - عن قيس بن الحجاج عن حنش عن ابن عباس مرفوعاً بالحديث المشهور - « يا غلام ، إني أعلمك كلمات أحفظ الله يحفظك . . . » وليس فيه اللفظة التي هنا وهذه قد رواها أحمد (٣٠٧/١) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/رقم ١٢٦) من طريق نافع بن يزيد وابن لهيعة وكهمس بن الحسن وهمام عن قيس بن الحجاج به ورواه الأجرى في «الشریعة» (١/رقم ٤٥٠) من طريق يزيد بن أبي حبيب عن حنش به باللفظ الأول ، وقال الترمذي : «حديث حسن صحيح» - قال الحافظ أبو عبدة بن منده : «لهذا الحديث طرق - انظرها في ، المصدر الآتي ، و «السنّة» لا بن أبي عاصم (٣١٦:٣١٨) - عن ابن عباس وهذا أصحها وهذا إسناده مشهور رواه «نقات» - نقلاً من كتاب «نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم =

- | | |
|----------------------------|-------------------------------------|
| [١] - سقط من : ز ، خ . | [٢] - سقط من : ز ، خ . |
| [٣] - في ز ، خ : « تجن » . | [٤] - سقط من : ز ، خ . |
| [٥] - في خ ، ز : « ألا » . | [٦] - ما بين المعكوفين سقط من : ز . |
| [٧] - في ز : « متقبلاً » . | |

ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب به . زاد ابن أبي حاتم : قال أبو صخر حُمَيْد بن زياد : فأخبرني ابن قُسيط وأنا أحدثه^[١] هذا الحديث : أنه سمع أبا هريرة يقول : طرح بالعراء ، وأنبت الله عليه اليقطينة . قلنا : يا أبا هريرة ، وما اليقطينة ؟ قال : شجرة الدُّبَاء . قال أبو هريرة : وَهَيْئاً الله له أَرْوِيَّةٌ^[٢] وحشية تأكل من خشاش الأرض - أو قال : هشاش الأرض - قال : فتفتش^[٣] عليه فتزويه من لبنها كل غشية وبكرة حتى نبت .

وقال أمية بن أبي الصلت في ذلك بيتاً من شعره :

فأنبت يقطيناً عليه برحمة من الله لولا الله ألقى ضاحياً

وقد تقدم حديث أبي هريرة^(٨٥) مسنداً مرفوعاً في تفسير « سورة الأنبياء » ولهذا قال تعالى : ﴿ فنبذناه ﴾ أي : ألقيناه ﴿ بالعراء ﴾ ، قال ابن عباس ، وغيره : وهي الأرض التي ليس فيها^[٤] نبت ولا بناء . قيل : على جانب دجلة . وقيل : بأرض اليمن . فالله أعلم .

﴿ وهو سقيم ﴾ أي : ضعيف البدن . قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : كهية الفرخ ليس عليه ريش . وقال السدي : كهية الصبي يعني^[٥] حين يولد ، وهو المنفوس . وقاله ابن

= لابن عباس « لابن رجب الحنبلي (ص ٣٠، ٣١) وقال ابن رجب هنا أيضاً وفي «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٨٣) : «وقد روى هذا الحديث عن ابن عباس من رواية جماعة . . . وفي أسانيدنا جميعها مقال : وفي ألفاظها بعض الزيادة والنقص ، . . . وأجود أسانيدنا من رواية حنش عن ابن عباس ، وهو إسناد حسن لا بأس به» ومن هذا الوجه اختاره الضياء في «المختارة» (١٥٠/٨) وصححه أبو عبد الرحمن الألباني كما في حاشية «السنة» (١/ رقم ٣١٦) والله الموفق .

(٨٤) - وقد تقدم عند المصنف (سورة الأنبياء/آية ٨٧) كما هنا ، وكذا نقله في «قصص الأنبياء» له وقد عزاه لابن أبي حاتم أيضاً السيوطي في «الدر المنثور» (٥٩٩/٤) ، (٥٤٠/٥) وقد رواه ابن جرير (١٠٠/٢٣) حديثي يونس عن ابن وهب به ، وإسناده ضعيف ، لضعف يزيد الرقاشي ، لكن قواه المصنف بحديث أبي هريرة الآتي تخريجه - فقال في «القصص» عقب هذا الحديث «غريب من هذا الوجه ، ويزيد الرقاشي ضعيف ، لكن يتقوى بحديث أبي هريرة ، كما يتقوى ذلك بهذا والله أعلم» وقد تابع يزيد الرقاشي هنا يحيى بن العلاء عن حميد أبي صخر به : وفيه زيادة خبر أبي هريرة رواه من هذا الوجه عبد الرزاق في تفسيره (١٥٧، ١٥٦/٣) غير أن يحيى بن العلاء هذا مرمي بالوضع ، وقد روى خبر أبي هريرة ابن جرير (٢٣/ ١٠٣) من طريق آخر بإسناد حسن .

(٨٥) - تقدم عند المصنف (سورة الأنبياء/آية ٨٧) من طريق محمد بن إسحاق عن حدثه عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، قال : سمعت أبا هريرة يقول ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - «لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت . . . الحديث ومن طريق ابن إسحاق رواه ابن جرير (٨١/١٧) وهذا إسناد ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق . وقد رواه البزار في مسنده (٢٢٥٤/٣) كشف (١٥٠٢/٢) زوائد ابن حجر =

[١] - في ز : «أخذه» .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : «فتفتش» .

[٤] - في ت : «بها» .

[٥] - سقط من : ت .

عباس ، وابن زيد أيضًا .

﴿وَأُنَبِّتُا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ قال ابن مسعود^(٨٦) ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ووهب بن منبه ، وهلال بن يساف ، وعبد الله بن طائوس ، والسدي^[١] ، وقتادة ، والضحاك ، وعطاء الخراساني ، وغير واحد - قالوا كلهم - : اليقطين هو القرع .

و[٢] قال هشيم^(٨٧) عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير : كل شجرة لا ساق لها فهي من اليقطين . وفي رواية عنه : كل شجرة تهلك^[٣] من عامها^[٤] فهي من اليقطين .

وذكر بعضهم في القرع فوائد ، منها : سرعة نباته ، وتظليل ورقه لكبره ، ونعومته ، وأنه لا يقربها الذباب ، وجودة أغذية ثمره ، وأنه يؤكل نيئًا ومطبوخًا بلبه وقشره أيضًا . وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُحبُّ الدباء ، ويتبعه من حواشي الصُّحف^(٨٨) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ ، روى شهر بن حوشب ، عن ابن عباس أنه قال : إنما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت .

رواه ابن جرير^(٨٩) [حدثني الحارث قال : حدثنا الحسن قال : حدثنا]^[٥] أبو هلال عن شهر

= ثنا بعض أصحابنا - عبيد الله بن سعيد وغيره - عن يعقوب بن إبراهيم حدثني أبي ، عن ابن إسحاق عن عبيد الله بن رافع به هكذا - بدون واسطة ، وقال البزار : «لا نعلمه مرفوعاً بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد» وكان عدم ذكر الواسطة من تدليس ابن إسحاق لا سيما وقد نعننه ، وفيه أيضاً جهالة شيخ البزار ، وقد أعله الهيثمي في «المجمع» (١٠١/٧) بالعلتين فقال : «رواه البزار عن بعض أصحابه ولم يسمه !! وفيه ابن إسحاق وهو مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح» ، وقال الحافظ ابن حجر : «هذا خبر منكرو» وقد أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٥٤١/٥) ولم يعزه لغير المذكورين هنا ، وانظر السابق .

(٨٦) - رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٥٩/٧) وابن أبي الدنيا في «كتاب العقوبات» (رقم ١٧١) في خير طويل عنه بإسناد صحيح إليه وقد رواه مختصراً ابن جرير (١٠٣، ١٠٢/٢٣) وأورده مطولاً السيوطي في «الدر المنثور» (٥٤١/٥) وزاد عزوه إلى أحمد في «الزهد» - ولم أجده في المطبوع منه - وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٨٧) - رواه ابن جرير (١٠٢/٢٣) والرواية الأخرى من طريق الأصبغ بن زيد عن القاسم به ، وإسنادهما صحيح .

(٨٨) - صحيح البخاري ، كتاب : البيوع ، باب : الخياط (٢٠٩٢) وصحيح مسلم ، كتاب : الأشربة ، باب : جواز أكل المرق واستحباب أكل اليقطين . . . (١٤٤، ١٤٥) (٢٠٤١) من حديث أنس بن مالك .

(٨٩) - تفسير ابن جرير (١٠٥/٢٣) وشهر بن حوشب ، ضعيف والخبر أورده السيوطي في «الدر المنثور» =

[١] - في ز ، خ : «النسائي» .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : «يهلك» .

[٤] - في ز ، خ : «عليها» .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : «حدثني» .

به .

وقال ابن أبي نَجِيح : عن مجاهد : أرسل إليهم قبل أن يلتقمه الحوت .

قلت : ولا مانع أن يكون الذين أرسل إليهم أولاً أمر بالعود إليهم بعد خروجه من الحوت ، فصدقوه كلهم وآمنوا به . وحكى البغوي أنه أرسل إلى أمة أخرى بعد خروجه من الحوت ، كانوا مائة ألف أو يزيدون .

وقوله : ﴿ أو يزيدون ﴾ ، قال ابن عباس - في رواية عنه - : بل يزيدون ، وكانوا مائة وثلاثين ألفاً . وعنه : مائة ألف وبضعة وثلاثين ألفاً . وعنه : مائة ألف وبضعة وأربعين ألفاً .

وقال سعيد بن جبير : يزيدون سبعين ألفاً . وقال مكحول : كانوا مائة ألف وعشرة آلاف . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير^(٩٠) : حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال^[١] : سمعت زُهَيْرًا ، عمن سمع أبا العالية قال^[٢] : حدثني []^[٣] أبي بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله : ﴿ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾ قال : « يزيدون عشرين ألفاً » . ورواه الترمذي عن علي بن حجر ، عن الوليد بن مسلم ، عن زُهَيْر ، عن رجل ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، به ، وقال : غريب . ورواه ابن أبي حاتم من حديث زهير به .

قال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك : معناه إلى المائة الألف^[٤] ، أو كانوا يزيدون عندكم ، يقول : كذلك كانوا عندكم .

وهكذا^[٥] سلك ابن جرير هاهنا ما سلكه عند قوله تعالى : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ وقوله : ﴿ إذا فريق منهم يبخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ﴾ وقوله : ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ أن المراد ليس أنقص من ذلك بل أزيد .

= (٥٤٧/٥) وزاد عزوه إلى أحمد في «الزهد» ولم أجده في المطبوع منه - وعبد بن حميد وابن مردويه .

(٩٠) - تفسير ابن جرير (١٠٤/٢٣) ورواه الترمذي ، كتاب : التفسير (٣٢٢٩) من طريق الوليد بن مسلم عن زهير به ، وفوق ما فيه من الجهالة ، فإن رواية أهل الشام عن زهير - وهو ابن محمد التميمي - غير مستقيمة وهذه منها ، والحديث ضعفه الترمذي فقال : «حديث غريب» وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٥٤٧/٥) وزاد عزوه إلى ابن المنذر وابن مردويه وابن أبي حاتم .

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في : ز « محمد بن » .

[٤] - في ز ، خ : « ألف » . [٥] - في ز ، خ : « هلا » .

وقوله : ﴿ فَأَمِنُوا ﴾ أي : فآمن هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم يونس - عليه السلام - جميعهم ، ﴿ فمَتَعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ أي : إلى وقت آجالهم ، كقوله : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ .

فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

يقول تعالى منكراً على هؤلاء المشركين في جعلهم لله البنات - سبحانه - ولهم ما يشتهون ، أي : من الذكور ، أي : يودون لأنفسهم الجيد . ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ﴾ أي : يسوؤه ذلك ، ولا يختار لنفسه إلا البنين . يقول تعالى : فكيف نسبوا إلى الله القسم الذي لا يختارونه لأنفسهم ؟ ولهذا قال : ﴿ فاستفتهم ﴾ أي : سلهم على سبيل الإنكار عليهم : ﴿ الربك البنات ولهم البنون ﴾ ، كقوله : ﴿ ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذا قسمة ضيزى ﴾ .

وقوله : ﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴾ أي : كيف حكموا على الملائكة أنهم إناث وما شاهدوا خلقهم ؟ كقوله : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم سكتكتب شهادتهم ويسألون ﴾ أي : يسألون عن ذلك يوم القيامة .

وقوله : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهمْ ﴾ أي : من كذبيهم ﴿ ليقولون * ولد الله ﴾ أي : صدر منه الولد ، ﴿ وإنهم لكاذِبُونَ ﴾ . فذكر الله عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب : فأولاً جعلوهم بنات الله ، فجعلوا لله ولداً ، وجعلوا ذلك الولد أنثى ، ثم عبدوهم من دون الله . وكل^[١] منها كاف في التخليد في نار جهنم .

ثم قال منكراً عليهم : ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ ، أي : أي شيء يحمله على^[٢] أن

[٢] - في ت : « عن » .

[١] - في ز ، خ : « فكل » .

يختار البنات دون^[١] البنين ؟ ! كقوله : ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ ، أي : ما لكم عقول [تدبرون بها]^[٢] ما تقولون ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ أم لكم سلطان مبین ﴿ أي : حجة على ما تقولونه ، ﴿ فَأَتُوا بِكُتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي : هاتوا برهانكم على ذلك يكون مستندًا إلى [كتاب مُنْزَّل]^[٣] من السماء عن الله أنه اتخذ ما تقولونه ، فإن ما تقولونه لا يمكن استناده^[٤] إلى عقل ، بل لا يُجَوِّزُهُ العقل بالكلية .

وقوله : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا ﴾ قال مجاهد^(٩١) : قال المشركون : الملائكة بنات الله فسأل^[٥] أبو بكر - رضي الله عنه - : فمن أمهاتهم ؟ قالوا : بنات سروات الجن . وكذا قال قتادة ، وابن زيد ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةَ ﴾ أي : الذين نسبوا إليهم ذلك : ﴿ إِيَّاهُمْ لَخَصْرُونَ ﴾ ، أي : إن الذين قالوا ذلك لخصرون في العذاب يوم الحساب لكذبهم في ذلك وافترائهم ، وقولهم الباطل بلا علم .

وقال العوفي^(٩٢) : عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا ﴾ قال : زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى [٦] هو وإبليس أخوان . حكاه ابن جرير وقوله : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ أي : تعالى وتقدس وتنزه عن أن يكون له ولد ، وعمما يصفه به الظالمون الملحدون علواً كبيراً .

وقوله : ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ استثناء منقطع ، وهو من مثبت ، إلا أن يكون الضمير في قوله : ﴿ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ عائد إلى جميع الناس ثم استثنى منهم المخلصين ، وهم المتبعون للحق المنزل على كل^[٧] نبي ومرسل . وجعل ابن جرير هذا الاستثناء من قوله : ﴿ إِيَّاهُمْ لَخَصْرُونَ ... إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ . وفي هذا الذي قاله نظر .

فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾
وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾

(٩١) - رواه ابن جرير (١٠٨/٢٣) بإسناد صحيح إلى مجاهد غير أن مجاهداً لم يسمع من أبي بكر والخبر عزاه السيوطي لغير واحد فانظر «الدر المنثور» (٥٤٨/٥) .

(٩٢) - رواه ابن جرير (١٠٨/٢٣) والعوفي . ضعيف .

[١] - في خ : « على » . [٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « تدبرون » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « من نزل » . [٤] - في ز ، خ : « إسناده » .

[٥] - في ز ، خ : « قال » . [٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أنه » .

[٧] - سقط من : خ ، ز .

وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُنَّ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكْفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

يقول تعالى مخاطباً للمشركين : ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ * مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلَّا مِنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾ أي : ما ينقاد لمفالكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة إلا من هو أضل منكم من ذرى النار . ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ . فهذا الضرب من الناس هو الذي ينقاد لدين الشرك والكفر والضلالة ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلَفٍ * يُوقِفُكَ عَنْهُ مِنْ أَفْكَ ﴾ أي [١] : إنما يضل به من هو مأفوك ومبطل .

ثم قال تعالى مُتَرَتِّبًا لِلْمَلَائِكَةِ مَا نَسَبُوا إِلَيْهِمْ مِنَ الْكُفْرِ بِهِمْ وَالْكَذِبِ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ أي : [٢] موضع مخصوص في السماوات ومقامات العبادة لا [يتجاوزه ولا يتعداه] [٣] .

قال [٤] ابن عساكر (٩٣) في ترجمته لمحمد بن خالد ، بسنده إلى عبد الرحمن بن العلاء بن سعد [٥] ، [عن أبيه] [٦] - وكان ممن بايع يوم الفتح - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٧] قال يوماً لجلسائه : « أَطْبَتِ السَّمَاءُ وَحَقَّقَ لَهَا أَنْ تَبْطَأَ ، لَيْسَ فِيهَا مَوْضِعٌ قَدَّمَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلِكٌ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ » . ثم قرأ : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ .

(٩٣) - رواه أبو عبد الله بن منده في «الصحابة» - كما في «أسد الغابة» لا بن الأثير (٧٦/٤) و «الإصابة» لابن حجر (٤٠/٧) - ومن طريق ابن منده ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧٧/١٥) مخطوط/ترجمة محمد بن خالد أبو جعفر الهاشمي ، ورواه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/رقم ٢٥٥) وإسناده نقله المصنف في تفسيره (سورة المدثر/آية ٣١) - وأبو نعيم في «معركة الصحابة» (٢/ورقة ٧٢٢/مخطوط) ، ثلاثتهم (ابن منده وأبو نعيم وابن نصر) من طريق محمد بن خالد أبي جعفر ، ثنا المغيرة بن عمر ابن عطية ، حدثني عمرو بن عوف ، حدثني سليمان بن أيوب - من بني سالم بن عوف - حدثني عطاء بن زيد بن مسعود - من بني الحلبلي - حدثني سليمان بن عمرو بن الربيع بن سالم ، حدثني عبد الرحمن بن العلاء به . وذكره السيوطي «الدر المنثور» (٥٤٩/٥) ولم يعزه لغير ابن نصر وابن عساكر وقال المصنف - في الموضع المشار إليه سابقاً - «إسناده غريب جداً» قلت : وهو موضوع والمتهم به : «محمد بن خالد» هذا فقد كذبه أبو حاتم الرازي ، وله عن مالك خير منكر ، واستنكره له ابن عساكر والذهبي في «الميزان» وتبعه ابن حجر =

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - ما بين المعكوفتين في ت : به .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « يتجاوزه ولا يتعداه » .

[٤] - في ت : وقال . [٥] - في خ ، ز : « سعيد » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أنه » .

وقال الضحاك في تفسيره ^(٩٤) : ﴿ وما منا إلا له مقام معلوم ﴾ قال : كان مسروق يزوي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من السماء الدنيا موضع إلا عليه ملك ساجد أو قائم » . فذلك قوله : ﴿ وما منا إلا له مقام معلوم ﴾ .

وقال الأعمش ^(٩٥) : عن [أبي إسحاق] ^(٩٦) ، عن مسروق ، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال ^[١] : إن في السماوات لسماء ما فيها موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أو قدماء . ثم قرأ

= في «اللسان» ثم إن من فوقه لم أجد لهم تراجم في كتب الرجال ، لكن للحديث طريق آخر وهو الآتي :
(٩٤) - رواه ابن جرير في تفسيره (١١٢/٢٣) وأبو الشيخ في «كتاب العظمة» (٣/رقم ٥٠٨) وابن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/رقم ٢٥٣) - ومن طريقه نقله المصنف في تفسيره سورة المدثر آية (٣١) - من طريقين عن أبي معاذ النحوي الفضل بن خالد ، ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم يقول فذكره وقال المصنف - في الموضع المشار إليه - : «وهذا مرفوع غريب جداً ولا تضر غرابته فقد قال أبو عبد الرحمن الألباني في الصحيحة (١٠٥٩/٣) هذا إسناد حسن في الشواهد ، رجاله ثقات غير الفضل بن خالد ، فقد ترجمه ابن أبي حاتم (٦١/٢/٣) من رواية ثقتين عنه ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً» وأشار له البخاري في «التاريخ الصغير» (٢٩٥/٢) ووثقه ابن حبان «الثقات» (٧/٩) وقد أكثر عنه أبو منصور الأزهري في كتابه اللغوي «التهذيب» كما في «بغية الوعاة» للسيوطي (٢/٢٤٥) وشيخه عبيد بن سليمان الذي وثقه أبو عبد الرحمن !! لم يوثقه غير ابن حبان (٤٢٨/٨) ، وقال أبو حاتم الرازي : «لابأس به » وبهذا وسمه ابن حجر في «التقريب» فالحديث بهذا الإسناد لا شك أنه محتمل للتحسين جداً ، لا سيما وأن له شاهدين - دون ذكر الآية - من حديث أبي ذر عند أحمد (١٧٣/٥) والترمذي (٢٣١٢) وابن ماجه (٤١٩٠) وقال الترمذي : «حديث حسن غريب» وصححه الحاكم على شرط الشيخين (٤/٥٧٩) ووافقه الذهبي . والشاهد الثاني من حديث حكيم بن حزام عند ابن نصر (١/رقم ٢٥٠) والطبراني في «المعجم الكبير» (٣/٣١٢٢) وأبي الشيخ في «العظمة» (٥٠٩/٣) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/٤٣) وقصر في عزوه السيوطي جداً فلم يعزه في «الدر المنثور» (٥٥٠/٥) لغير ابن مردويه . وإسناده صحيح ، وانظر ما بعده .

(٩٥) - رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٥٨/٣) وابن جرير (١١٢/٢٣) من طريق سفيان الثوري ، ورواه الفريابي - كما في «الدر المنثور» (٥٥٠/٥) - ومن طريقه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٤٢/٩) من طريق قيس بن الربيع ، ورواه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/رقم ٢٥٤) - ومن طريقه نقله المصنف في تفسيره (سورة المدثر آية ٣١) . وابن جرير ، والبيهقي في «الشعب» (١/رقم ١٥٩) من طريق أبي معاوية محمد بن خازم ، ثلاثتهم (الثوري وقيس وأبو معاوية) عن الأعمش به ، وإسناده صحيح ، ولا تضر عنعنة الأعمش هنا ، إذ أن أبا معاوية من أثبت الناس فيه ، والأغرب أن يُعَلَّه الهيثمي في «المجمع» (٧/١٠١) بشيخ الطبراني !! وهو متابع والخبر زاد نسبته السيوطي إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٩٥) كذا وقع هنا ، والصواب : «أبي الضحى مسلم بن صبيح» .

عبد الله : ﴿ وما منا إلا له مقام معلوم ﴾ . وكذا قال سعيد بن جبير .

وقال قتادة : كانوا يصلون الرجال والنساء جميعًا ، حتى نزلت : ﴿ وما منا إلا له مقام معلوم ﴾ ، فتقدم الرجال وتأخر النساء .

﴿ وإنا لنحن الصافون ﴾ أي : نقف صفوفًا في الطاعة ، كما تقدم عند قوله : ﴿ والصفات صفا ﴾ ، قال ابن جريج^[١٦] (٩٦) : عن الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث قال : كانوا لا يصفون في الصلاة حتى نزلت : ﴿ وإنا لنحن الصافون ﴾ ، فصفوا .

وقال أبو نضرة : كان عمر إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ، ثم قال : أقيموا صفوفكم ، استموا قيامًا ، يريد الله بكم هذِي الملائكة ، ثم يقول : ﴿ وإنا لنحن الصافون ﴾ ، تأخر يا فلان ، تقدم يا فلان ، ثم يتقدم فيكبر - رضي الله عنه . رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير^(٩٧) .

وفي صحيح مسلم^(٩٨) عن حذيفة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض مسجدًا ، وتربتها طهورًا ... » . الحديث .

﴿ وإنا لنحن المسبحون ﴾ أي : نصطف فنسبح الرب ونمجده ونقدسه وننزهه عن النقائص ، فنحن عبيد له ، قراء إليه ، خاضعون لديه .

وقال ابن عباس ، ومجاهد : ﴿ وما منا إلا له مقام معلوم ﴾ : الملائكة ، ﴿ وإنا لنحن الصافون ﴾ : الملائكة ، ﴿ وإنا لنحن المسبحون ﴾ : الملائكة يسبحون الله ، عز وجل .

وقال قتادة : ﴿ وإنا لنحن المسبحون ﴾ يعني : المصلون ، يشتون^[٢٢] بمكانهم من العبادة ، كما قال تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي

(٩٦) - رواه ابن أبي حاتم كما في « الدر المنثور » (٥٥٠/٥) - ورواه عبدالرزاق في « المصنف » (٢٤٢٣/٢) عن ابن جريج قال : حدثت أنهم كانوا لا يصفون حتى نزلت (وإنا لنحن الصافون . وإنا لنحن المسبحون » .

(٩٧) - رواه ابن جرير (١١٢/٢٣) حدثني يعقوب بن إبراهيم ، ثنا ابن علي ، أخبرنا الجريري عن أبي نضرة به وهذا إسناد رجاله ثقات ، رجال الشيخين غير أنهم لم يذكروا رواية لأبي نضرة - واسمه المنذر ابن مالك العبدى - عن عمر بن الخطاب ، فالإسناد منقطع .

(٩٨) - تقدم تخريجه في فاتحة هذه السورة (رقم ٤) .

الظالمين ﴿١٧٠﴾.

وقوله : ﴿ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ أي : قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله ، وما كان من أمر القرون الأولى ، ويأتيهم بكتاب الله ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نفورًا ﴾ ، وقال : ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهْدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيَّاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ فَكُفِّرُوا بِهِ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴾ ، وعيد أكيد وتهديد شديد ، على كفرهم بربهم سبحانه وتعالى وتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم .

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصُرْهُمْ فَسُوفَ يَصِيرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُسْتَدِيرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصُرْ فَسُوفَ يَصِيرُونَ ﴿١٧٩﴾

يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ أي : تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسول وأتباعهم في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ ولهذا قال : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴾ أي : في الدنيا والآخرة . كما تقدم بيان نصرتهم على قومهم من كذبتهم وخالفهم ، و^[١] كيف أهلكت الله^[٢] الكافرين ، ونجى عباده المؤمنين ، ﴿ وَإِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [أي : تكون لهم العاقبة . وقوله جل وعلا]^[٣] : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ أي : اصبر على أذاهم لك ، وانتظر إلى وقت مؤجل ، فإننا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر ، ولهذا قال [بعضهم : غيّا ذلك إلى يوم بدر وما بعدها أيضًا في معناها .

وقوله [٤] : ﴿ وَأَبْصُرْهُمْ فَسُوفَ يَصِيرُونَ ﴾ أي : انظرهم وارقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال على مخالفتك وتكذيبك ؛ ولهذا قال على وجه التهديد والوعيد : ﴿ فَسُوفَ

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

يصرون ﴿ . ثم قال - عز وجل - : ﴿ أفبعذابنا يستعجلون ﴾ أي : هم إنما يستعجلون العذاب لتكذيبهم وكفرهم ، فإن الله يغضب عليهم بذلك ، ويعجل^[١] لهم العقوبة ، ومع هذا أيضًا كانوا من كفرهم وعنادهم يستعجلون العذاب والعقوبة ، قال الله تعالى : ﴿ فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المُنذرين ﴾ أي : فإذا نزل العذاب بمحلتهم ، فبئس ذلك اليوم يومئهم ، ياهلاكهم ودمارهم^[٢] .

قال السدي : ﴿ فإذا نزل بساحتهم ﴾ يعني : بدارهم ، ﴿ فساء صباح المُنذرين ﴾ أي : فبئس ما يصيحون ، أي : بئس الصباح صباحهم ؛ ولهذا ثبت في الصحيحين^(٩٩) من حديث إسماعيل بن عُليّة ، عن عبد العزيز بن ضُهَيْب ، عن أنس رضي الله عنه قال : صَبَّحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خبير ، فلما خرجوا بفئوسهم ومساحيهم و^[٣] رأوا الجيش رجعوا وهم^[٤] يقولون : محمد والله ، محمد والخميس . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر خربت خبير ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المُنذرين » .

ورواه البخاري^(١٠٠) من حديث مالك عن حميد عن أنس .

وقال الإمام أحمد^(١٠١) : حدثنا زَوْح ، حدثنا سعيد بن أبي عَرُوبَة ، عن قتادة ، عن أنس ابن مالك ، عن أبي طلحة قال : لما صَبَّحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خبير ، وقد أخذوا مساحيهم وِغَدُوا إلى حروثهم وأرضيهم ، فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم ولوا مدبرين ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : [« الله أكبر ، الله أكبر »^[٥]] ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم

(٩٩) - صحيح البخاري ، كتاب : الصلاة : باب ، ما يذكر في الفخذ (٣٧١) ، وصحيح مسلم ، كتاب : النكاح ، باب : فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها (٨٤) (١٣٦٥) وأبو داود ، كتاب : الخراج والإمارة والفيء ، باب : ما جاء في سهم الصبي (٢٩٩٨) والنسائي ، كتاب : النكاح ، باب : البناء في السفر (٦/١٣١) وأحمد (١٠١/٣) (١٨٦) من طرق عن إسماعيل بن عليّ به .

(١٠٠) - صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد ، باب : دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - الناس إلى الإسلام والنبوة (٢٩٤٥) - وهو في «موطأ مالك» كتاب : الجهاد باب : ما جاء في الخيل والمسابقة بينها (رقم ٤٨) (٣٧٣/٢) ومن طريق مالك أخرجه أيضاً الترمذي ، كتاب : السير ، باب في البيات والغادات : والنسائي في الكبرى ، كتاب / السير باب : وقت الغارة (٨٥٩٨) .

(١٠١) - «المسند» (٢٩، ٢٨/٤) ورواه أحمد أيضاً (٢٨/٤) من طريقين عن شيبان عن قتادة به ، وإسناده صحيح على شرط الشيخين كما قال المصنف ، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٥٢/٦) وقال : « رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجال أحمد رجال الصحيح » ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» كتاب : المغازي ، =

[١] - في ز ، خ : « ويجعل » . [٢] - في ز : « ويأدمارهم » .

[٣] - في ز ، خ : « فلما » . [٤] - سقط من : ت .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

فساء صباح المنذرين». لم يخرجوه من هذا الوجه، وهو صحيح على شرط الشيخين .
وقوله : ﴿ وتول عنهم حتى حين * وأبصر فسوف يصبرون ﴾ تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك .

سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبَّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

ينزه تعالى نفسه الكريمة ويقدها ويرثها عما يقوله الظالمون المكذوبون المعتدون^[١] - تعالى
وتقدس عن قولهم علواً كبيراً - ولهذا قال : ﴿ سبحان ربك رب العزة ﴾ أي : ذي العزة التي
لا تُرام ، ﴿ عما يصفون ﴾ أي : عن قول هؤلاء المعتدين المفتريين ، ﴿ وسلام على المرسلين ﴾
أي : سلام الله عليهم في الدنيا والآخرة ، لسلامة ما قالوه في ربهم ، وصحته وحقيقته^[٢] ،
﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾ أي : له الحمد في الأولى والآخرة في كل حال . ولما كان
التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من^[٣] النقص بدلالة المطابقة ، ويستلزم إثبات الكمال ، كما أن
الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة ، ويستلزم التنزيه من النقص - قرن بينهما في هذا
الموضع ، وفي مواضع كثيرة من القرآن ؛ ولهذا قال : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون *
وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين ﴾ .

وقال سعيد بن أبي غزوة عن قتادة قال : قال^[٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا
سلمتم عليّ فسلموا على المرسلين ، فإنما أنا رسول من المرسلين » .

هكذا^[٥] رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد عنه كذلك^(١٠٢) ، وقد أسنده ابن
أبي حاتم رحمه الله فقال^(١٠٣) : حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا أبو بكر الأعمش ، ومحمد

= باب : غزوة خيبر (٥٢١/٨) ثنا يزيد بن هارون نا ابن عوف عن عمرو بن سعيد عن أبي طلحة به وهذا
إسناد صحيح أيضاً .

(١٠٢) - رواه ابن جرير (١١٦/٢٣) ثنا بشر ، ثنا يزيد ، ثنا سعيد به ، وهذا إسناد منقطع وقد ذكره من هذا
الوجه السيوطي في « الدر المنثور » (٥٥٣/٥) وزاد نسبه إلى عبدالرزاق - وهو غير موجود في تفسيره
المطبوع . وعبد بن حميد وابن المنذر وكذا ابن أبي حاتم . وانظر ما بعده .

(١٠٣) - ورواه ابن سعد وابن مردويه - كما في الدر المنثور (٥٥٣/٥) - من طريق سعيد عن قتادة به ،
ورجاله ثقات رجال الصحيحين ، غير أن قتادة مدلس ولم يصرح فيه بالسماع ورواه ابن مردويه أيضاً كما
في الدر المنثور من طريق أبي العوام عن قتادة عن أنس مرفوعاً ، وفيه نفس العلة المشار إليها .

[١] - سقط من : ز . [٢] - في خ ، ز : « وحقيقته » .

[٣] - في ز ، خ : « و » . [٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « هذا » .

بن عبد الرحيم - صاعقة - قالاً : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا شيان^[١] ، عن قتادة قال :
حدث أنس بن مالك ، عن أبي طلحة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا
سلمتم علي فسلموا علي المرسلين » .

و^[٢]قال الحافظ أبو يعلى^(١٠٤) : حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا نوح^[٣] وحدثنا
أبو هارون ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا سلم قال :
« سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » . ثم
يسلم . إسناده ضعيف .

وقال ابن أبي حاتم^(١٠٥) : حدثنا عمار بن خالد الواسطي ، حدثنا شبابة ، عن يونس بن
أبي إسحاق ، عن الشعبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يكتب
بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة ، فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم : ﴿ سبحان
ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين ﴾ » .

وروي من وجه آخر متصل موقوف علي علي - رضي الله عنه - :

(١٠٤) - لم أجده في المسند لأبي يعلى بهذا الإسناد ، وإنما رواه (٢/ رقم ١١١٨) ثنا إسحاق ، ثنا حماد -
وهو ابن سلمة - عن أبي هارون نحوه ، ورواه الطيالسي في مسنده (رقم ٢١٩٨) ثنا حماد بن سلمة به
وعنده : أنه كان يقول ذلك ثلاث مرات .

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٧/١) ثنا هشيم ، وعبد بن حميد في المنتخب (٩٥٦) أخبرنا علي بن
عاصم ، ورواه أيضاً (٩٥٤) والطبراني في الدعاء (٢/ رقم ٦٥١) وأبو بكر بن الشَّيْبَانِي في عمل اليوم والليلة
(رقم ١١٩) من طريق سفيان الثوري ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٣/ ١٣٨) من طريق مطرّف بن
طريف ، أربعهم (هشيم وعلي والثوري ومطرّف عن أبي هارون به وذكره الهيثمي في الجمع (٢/
١٥٠، ١٥١) ووقع عنده : عن أبي هريرة قال : قلنا لأبي سعيد وهذا محرف وصوابه : عن أبي هارون ...
وكان هذا تحرف على الهيثمي ولذلك قال : رواه أبو يعلى ، ورجاله ثقات ونقل ذلك عنه أبو الأشبال في
حاشيته على جامع الترمذي ولم يبنه على تصحيحه !! فجل من لا يسهو !!!! وأبو هارون العبدى - واسمه
عمارة بن جوين البصري - متروك ، وكذبه ابن معين وحماد بن زيد وغيرهما ولذلك علّقه الترمذي في
الجامع (٩٧/٢ تحت حديث رقم ٢٩٩) بصيغة التحريض ، وقد ذكر هذا الحديث ابن حجر في نتائج
الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار (٢/ ٢٩٠) وقال : مدار هذا الحديث على أبي هارون ... وهو ضعيف
جداً ، اتفقوا على تضعيفه ، وكذبه بعضهم وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٥٣) وزاد نسبته إلى سعيد
ابن منصور وابن مردويه والدارقطني في الأفراد وانظر ما بعده :

(١٠٥) - وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٥٤) ورجاله ثقات رجال الصحيح غير أنه
مرسل والمرسل من أقسام الضعيف ، وقد ورد من وجه آخر متصلاً موقوفاً على علي بن أبي طالب ، فانظر
الأنبي :

[١] - في خ ، ز : « شيبة » .

[٣] - في خ ، ز : « فرج » .

[٢] - سقط من : ز .

قال أبو محمد البغوي في تفسيره : أخبرنا أبو سعيد أحمد بن شريح ، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي ، أخبرني ابن منجويه ، حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ، حدثنا إبراهيم بن سهلويه ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا وكيع ، عن ثابت بن أبي صفية ، عن الأصمغ بن نباة ، عن علي رضي الله عنه قال : من أحب أن يكتال بالملكيات الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في^[١] مجلسه : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين ﴾ .

وروى الطبراني^(١٠٦) من طريق عبد الله بن صخر [بن أنس]^[٢] عن عبد الله بن زيد بن أرقم ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال دُبُر كل صلاة : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين ﴾ ، ثلاث مرات ، فقد اكْتال بالجزيب الأوفى من الأجر » .

وقد وردت أحاديث^(١٠٧) في كفارة المجلس : « سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك » .

وقد أفردت لها جزءاً على حدة ، فليكتب هاهنا إن شاء الله تعالى .

[آخر تفسير سورة الصفات]

(١٠٦) - المعجم الكبير للطبراني (٥/٥١٢٤) ثنا أحمد بن رشدين المصري ، ثنا عبد المنعم بن بشير الأنصاري ، ثنا عبد الله بن محمد الأنسي من ولد أنس - كذا - عن عبد الله بن زيد به ، وعبد الله بن محمد - أو ابن صخر كما هنا - لم أجد له ترجمة هو وشيخه عبد الله بن زيد ، ثم إن عبد المنعم بن بشير هذا جرحه يحيى بن معين واتهمه . وقال ابن حبان : منكر الحديث جداً ، لا يجوز الاحتجاج به ، وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابع عليه ، وقال الخليلي في الإرشاد : هو وضاع على الأئمة . راجع ترجمته في الميزان واللسان - وبه أعله الهيثمي ، فأورده في المجمع (١٠/١٠٥، ١٠٦) وقال : رواه الطبراني وفيه عبد المنعم بن بشير ، وهو ضعيف جداً . والحديث أورده المنذري في الترغيب والترهيب والسيوطي في الدر المنثور (٥/٥٥٤) ولم يعزياه لغير الطبراني .

(١٠٧) - فمن ذلك حديث أبي هريرة عند الترمذي ، كتاب الدعوات (٣٤٣٣) وقال : حديث حسن صحيح غريب . وصححه أيضاً الحاكم (١/٥٣٦) ووافقه الذهبي ، وكذا صححه ابن حبان (٢/٥٩٤) ، وهو عند أبي داود (٤٨٥٧، ٤٨٥٨) من وجه آخر بإسناد صحيح ، وفي الباب عن جبير بن مطعم عند الطبراني في الكبير (٢/١٥٨٦) وصححه الحاكم (١/٥٣٧) ووافقه الذهبي ، ومن حديث أبي برزة الأسلمي عند أبي داود (٤٨٥٩) والحاكم (١/٥٣٧) والدارمي (٢/٢٨٣) وإسناده صحيح : وآخر من حديث رافع ابن خديج عند الطبراني (٤/٤٤٤٥) والحاكم وإسناده حسن .

[١] - في ز، خ : « من » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « الأنسي » .

تفسير سورة ص

وهي مكة

صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ
قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَجِئْ مِنْ مَنَاصِرٍ ﴿٣﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول «سورة البقرة». بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ أي : والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم في المعاش والمعاد . قال الضحاك في قوله : ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾ ، كقوله : ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ ، أي : تذكيركم . وكذا قال قتادة ، واختاره ابن جرير .

وقال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وابن عيينة ، وأبو حصين ، وأبو صالح ، والسدي : ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾ : ذي الشرف ، أي : ذي الشأن والمكانة .

ولا منافاة بين القولين فإنه كتاب شريف مشتمل على التذكير والإعذار والإنذار ، واختلفوا في جواب هذا القسم ، فقال بعضهم : هو قوله : ﴿إِنْ كُلِّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ﴾ . وقيل : قوله : ﴿إِنْ ذَلِكَ لَحَقَّ تَخَاصُمَ أَهْلِ النَّارِ﴾ ، حكاهما ابن جرير ، [وهذا الثاني فيه بُعد كبير ، وَضَعَفَهُ ابن جرير]^[١] .

وقال قتادة : جوابه : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ ، [واختاره ابن جرير]^[٢] . وقيل : جوابه ما تضمنه سياق السورة بكمالها ، والله أعلم .

ثم حكى ابن جرير عن بعض أهل العربية^[٣] أنه قال : جوابه : « ص » بمعنى^[٤] : صدق حق والقرآن ذي الذكر .

وقوله : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ أي : إن في هذا القرآن لذكرًا^[٥] لمن يتذكر ، وعبرة لمن يعتبر . وإنما لم ينتفع به الكافرون لأنهم ﴿فِي عِزَّةٍ﴾ أي : استكبار عنه وحمية ، ﴿وَشِقَاقٍ﴾ أي : مخالفة له ومعاندة ومفارقة .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز . [٢] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ت : « العلم » . [٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز : « لذكر » .

ثم خوفهم ما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسول وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء ، فقال : ﴿ كم أهلكنا من قبلهم من قرن ﴾ أي : من أمة مكذبة ، ﴿ فنادوا ﴾ أي : حين جاءهم العذاب استغاثوا وجأزوا إلى الله ، وليس ذلك بمُجْدٍ عنهم شيئاً ، كما قال تعالى : ﴿ فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ﴾ أي : يهربون ، ﴿ لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون ﴾ .

قال أبو داود الطيالسي^(١) : حدثنا شعبه ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، قال : سألت ابن عباس عن قول الله : ﴿ فنادوا ولات حين مناص ﴾ ، قال : ليس بحين نداء^[١] ، ولا نَزْو^[٢] . ولا فرار

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ليس بحين مغاث .

وقال شبيب بن بشر عن عكرمة ، عن ابن عباس : نادوا النداء حين لا ينفعهم ، وأنشد :

تَذَكَّرْ^[٣] لَيْلَى لَاتَ حَيْنَ تَذَكَّرِ .

وقال محمد بن كعب في قوله : ﴿ فنادوا ولات حين مناص ﴾ ، يقول : نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم ، واستباصوا^[٤] للتوبة^[٥] حين تولت الدنيا عنهم .

وقال قتادة : لما رأوا العذاب أرادوا التوبة في غير حين^[٦] النداء .

وقال مجاهد : ﴿ فنادوا ولات حين مناص ﴾ ، ليس بحين فرار ولا إجابة .

وقد روي نحو هذا عن عكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبي مالك^[٧] ، والضحاك ، وزيد بن أسلم ، والحسن ، وقاتدة .

وعن مالك ، عن زيد بن أسلم : ﴿ ولات حين مناص ﴾ ، ولا نداء في غير حين النداء .

وهذه الكلمة وهي « لات » ، هي « لا » التي للنفي ، زيدت معها « التاء » ، [كما تراد^[٨] في « ثُم » ، فيقولون : « ثُمّت » ، و« رب » فيقولون^[٩] : « رُبّت » . وهي

(١) - أخرجه أيضًا الطبري في تفسيره (١٢١/٢٣) ، والحاكم (٤٣٢/٢-٤٣٣) من طرق عن أبي إسحاق به . وعزه السيوطي في الدر المنثور (٥٥٦/٥) أيضًا إلى عبدالرزاق ، والفرياني ، وعبد بن حميد وابن المنذر .

[٢] - في ز : « ترو » .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في خ : « واستنصوا » .

[٣] - في ز : « يذكر » .

[٦] - بعده في ز : « لا » .

[٥] - بياض في خ ، ز .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٧] - في خ : « أبو » .

[٩] - في ز : « ويقولون » .

مفصلة ، والوقف عليها . ومنهم من حكى عن المصحف الإمام فيما ذكره [ابن جرير]^[١] أنها متصلة بحين : (ولا تحين مناص) . والمشهور الأول . ثم قرأ الجمهور بنصب ﴿ حين ﴾ ، تقديره : وليس الحين حين مناص . ومنهم من جوز النصب بها ، وأنشد :

تَذْكُرُ حَبِّ لَيْلَى لَاتَ حِينَا وَأَضْحَى الشَّيْبَ قَدْ قَطَعَ الْقَرِينَا
ومنهم من جَوَّزَ الجر بها ، وأنشد :

طَلَبُوا ضَلَحَنَا وَلَاتَ أَوَانٍ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءٍ
وأنشد بعضهم أيضًا :

وَلَاتَ سَاعَةٍ مَنَدَمٍ^[٢] .

بخفض الساعة ، وأهل اللغة يقولون : « النوص : التأخر ، والبوص : التقدم » ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ولات حين مناص ﴾ أي : ليس الحين حين فرار ولا ذهاب .

وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ
إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصْبِرُوا عَلَى
ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِئَلَةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا
أَخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوُّوْا
عَذَابٍ ﴿٨﴾ أَمَ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ
السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ
مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في تعجبهم من بعثه الرسول بشراً ، كما قال تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ﴾ أي : بشر مثلهم ، ﴿ وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلهاً واحداً ﴾ أي : أزعج أن المعبود^[٣] واحد لا إله إلا هو ؟ ! أنكر المشركون ذلك - فَيَجْهَمُ اللَّهُ تعالى - وتعجبوا من ترك الشرك بالله ، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأُشْرِبَتْهُ

[١] - ما بين المعكوفين بياض في خ ، ز .

[٢] - بعده في ز ، خ : إلهاً .

[٣] - في ز : « مند » .

قلوبهم ، فلما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خلع ذلك من قلوبهم ، وإفراد الله بالوحدانية ، أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا : ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ * وَانْطَلِقِ الْمَلَأَ مِنْهُمْ أَنْ ﴾ ، وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين : ﴿ امشوا ﴾ أي : استمروا على دينكم ، ﴿ واصبروا على آلهتكم ﴾ ، ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد .

وقوله : ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ قال ابن جرير : إن هذا الذي يدعوننا إليه محمد من التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم ، والاستعلاء ، وأن يكون له منكم أتباع^[١] ، ولنسنا^[٢] مَجِيئِهِ إِلَيْهِ .

ذكر سبب نزول هذه الآيات

قال السدي : ^[٣] إن ناسًا من قريش اجتمعوا ، فيهم : أبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش ، فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى أبي طالب فلتُكَلِّمَهُ فِيهِ ، فليُصَفِّنا مِنْهُ ، فليُكْفَ عَنْ شَتَمِ آلِهَتِنَا ، وَنَدَّعِهِ وَالْإِلَهَ الَّذِي يَعْبُدُهُ ؛ فَإِنَّا نَخَافُ أَنْ يَمُوتَ هَذَا الشَّيْخُ ، فَيَكُونَ مِنَّا إِلَهٌ شَيْءٌ ، فَنَعْبُدَ الْعَرَبَ ، يَقُولُونَ : تَرَكُوهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ عَنْهُ تَنَاولُوهُ . فَبَعَثُوا رَجُلًا مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ : الْمَطْلَبُ ، فَاسْتَأْذِنْ لَهُمْ عَلَى أَبِي تَالِبٍ ، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ مَشِيخَةُ قَوْمِكَ وَسَرَاتِهِمْ يَسْتَأْذِنُونَ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : أَدْخِلْهُمْ . فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا : يَا أَبَا تَالِبٍ ، أَنْتَ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا ، فَأَنْصِفْنَا مِنْ ابْنِ أَخِيكَ ، فَمَرَهُ فَلْيُكْفَ عَنْ شَتَمِ آلِهَتِنَا وَنَدَّعِهِ وَالْإِلَهَ . قَالَ : فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو تَالِبٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، هَؤُلَاءِ مَشِيخَةُ قَوْمِكَ وَسَرَاتِهِمْ ، وَقَدْ سَأَلُوكَ أَنْ تُكْفَ عَنْ شَتَمِ آلِهَتِهِمْ وَيَدْعُوكَ وَالْإِلَهَ . قَالَ : « يَاعَمَّ ، أَفَلَا أَدْعُوهُمْ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ ؟ » قَالَ : وَالْإِلَامُ تَدْعُوهُمْ ؟ قَالَ : « أَدْعُوهُمْ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِكَلِمَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِهَا^[٤] الْعَرَبُ ، وَيَمْلِكُونَ بِهَا الْعَجَمَ » . فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ : مَا هِيَ وَأَيُّكَ ؟ لِنُعْطِيَنَّكَهَا^[٥] وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهَا . قَالَ : « تَقُولُونَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » . فَنَفَرَ وَقَالَ : سَلُّنَا غَيْرَ هَذَا . قَالَ : « لَوْ جِئْتُمُونِي بِالشَّمْسِ حَتَّى تَضَعُوهَا فِي يَدِي ، مَا سَأَلْتُكُمْ غَيْرَهَا » . فَقَامُوا مِنْ عِنْدِهِ غَضَابًا ، وَقَالُوا : وَاللَّهِ لَنَشْتَمَنَّكَ وَالْإِلَهَ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا . ﴿ وَانْطَلِقِ الْمَلَأَ مِنْهُمْ أَنْ امشوا واصبروا على آلهتكم إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ .

رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير^(٧) ، وزاد : فلما خرجوا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه

(٢) - تفسير الطبري (٢٣/١٢٧-١٢٨) .

[٢] - في ز : « لنا » .

[٤] - سقط من : ز .

[١] - في خ : « الباع » .

[٣] - في خ : « أناسا » .

[٥] - في ت : « لنعطينها »

وسلم عنه^[١] إلى قول « لا إله إلا الله » ، فأبى وقال : بل على دين الأشياخ . ونزلت : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ .

وقال أبو جعفر بن جرير^(٣) : حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا : حدثنا أبو أسامة ، حدثنا الأعمش ، حدثنا عباد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما مرض أبو طالب ، دخل عليه رهط من قريش ، فيهم^[٢] أبو جهل ، فقالوا : إن ابن أخيك يشتم آلهم . ويفعل ويفعل ، ويقول ويقول ، فلو بعثت إليه فنهيته ؟ فبعث إليه ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل ، قال : فخشي أبو جهل إن جلس إلي جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه . فوثب فجلس في ذلك المجلس ، ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً قرب عمه ، فجلس عند الباب . فقال له أبو طالب : أي ابن أخي ، ما بال قومك يشكونك ، يزعمون أنك تشتم آلهم ، تقول وتقول ؟ قال : وأكثروا عليه من القول . وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا عم ، إنني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب ، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية » . ففزعوا لكلمته ولقوله ، وقالوا : كلمة واحدة ! نعم وأبيك عشراً ، فقالوا : وما^[٣] هي ؟ وقال أبو طالب : و^[٤]أي كلمة هي يا بن أخي ؟ فقال : « لا إله إلا الله » . فقاموا فرعين ينفضون ثيابهم ، وهم يقولون : ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾ . قال : ونزلت من^[٥] هذا الموضع إلى قوله : ﴿ لما يذوقوا عذاب ﴾ . لفظ أبي كريب .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، والنسائي من حديث محمد بن عبد الله بن^[٦] نمير ، كلاهما عن أبي أسامة ، عن الأعمش ، عن عباد ، غير منسوب ، به نحوه . ورواه الترمذي ، والنسائي ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير أيضاً ، كلهم في تفاسيرهم^(٤) من حديث سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن يحيى بن عمار الكوفي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فذكر نحوه . وقال الترمذي : حسن .

وقولهم : ﴿ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ﴾ أي : ما سمعنا بهذا الذي يدعوننا إليه محمد من التوحيد في الملة الآخرة .

(٣) - تفسير الطبري (١٢٥/٢٣) ، وأخرجه أحمد (٣٦٢، ٢٢٨/١) والنسائي في التفسير (٤٥٧) من طريق أبي أسامة عن الأعمش به .

[١] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : « فما » .

[٢] - في ز : « منهم » .

[٥] - في ز : « في » .

[٤] - سقط من : ز .

[٦] - في ز ، خ : « وابن » .

و^[١] قال مجاهد وقتادة وابن^[٢] زيد : يعنون دين قريش .

وقال غيرهم : يعنون النصرانية . قاله محمد بن كعب ، والسدي .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ﴾ يعني النصرانية ، قالوا : لو كان هذا القرآن حقًا أخبرتنا به النصاري ﴿ إن هذا إلا اختلاق ﴾ قال مجاهد وقتادة : كذب . وقال ابن عباس : تخرص .

وقولهم : ﴿ أنزل عليه الذكر من بيننا ﴾ يعني : أنهم يستبعدون تخصيصه بإنزال القرآن عليه^[٣] من بينهم كلهم ، كما قالوا في الآية الأخرى : ﴿ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ ، قال الله تعالى : ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ﴾ ، ولهذا لما قالوا هذا الذي دل على^[٤] جهلهم وقلة عقلهم ، في استبعادهم إنزال القرآن على الرسول من بينهم ، قال الله تعالى : ﴿ بل لما يذوقوا عذاب ﴾ أي : إنما يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا إلى حين قولهم ذلك عذاب الله ونقمته ، سيعلمون غيب ما قالوا وما كذبوا به يوم يدعون إلى نار جهنم دُعًا ثم قال مبيتًا أنه المتصرف في ملكه ، الفعال لما يشاء ، الذي يعطي من شاء لمن يشاء ، [ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، ويهدي من يشاء ، ويضل من يشاء]^[٥] ، وينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده ، ويختنم على قلب من يشاء ، فلا يهديه أحد من بعد الله ، وإن العباد لا يملكون شيئًا من الأمر ، وليس إليهم من التصرف [في الملك]^[٦] ولا منقال ذرة ، وما يملكون من قطمير ؛ ولهذا قال تعالى منكراً عليهم : ﴿ أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ﴾ ، أي : العزيز الذي لا يُرام جنابه ، الوهاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد .

وهذه الآية شبيهة بقوله : ﴿ أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرًا * أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكًا عظيمًا * فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرًا ﴾ وقوله : ﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنكم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورًا ﴾ وذلك بعد الحكاية عن الكفار أنهم أنكروا بعثة الرسول البشري ، وكما أخبر تعالى عن قوم صالح حين قالوا : ﴿ أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر * سيعلمون غداً من الكذاب الأشر ﴾

وقوله : ﴿ أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرققوا في الأسباب ﴾ أي : إن

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « وأبو » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « عليه » .

[٥] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

[٦] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

كان لهم ذلك فليصعدوا في الأسباب .

قال [١] ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم : يعني [٢] : طرق السماء .

وقال الضحاك : فليصعدوا إلى السماء السابعة .

ثم قال : ﴿ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ﴾ أي : هؤلاء الجند المكذبون الذين هم في عزة وشقاق سيهزمون [٣] ويغلبون ويكثبون ، كما كبت الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين ، وهذه كقوله : ﴿ أم يقولون نحن جميع منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ ، [وكان ذلك يوم بدر] [٤] ، ﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ .

كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ

لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾

وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قِطْنَا

قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء القرون الماضية ، وما حل بهم من العذاب والنكال والنقمات في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء . وقد تقدّمت قصصهم مبسطة في أماكن متعددة .

وقوله : ﴿ أولئك الأحزاب ﴾ أي : كانوا أكثر منكم وأشد قوة ، وأكثر أموالاً وأولاداً ، فما [٥] دافع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء ، لما جاء أمر ربك ؛ ولهذا قال : ﴿ إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب ﴾ ، فجعل علة هلاكهم هو تكذيبهم بالرسل ، فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر .

وقوله : ﴿ وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ماله من فواق ﴾ قال مالك ، عن زيد بن أسلم : أي : ليس لها مثوية . أي : ما ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها ، أي : قد اقتربت ودنت وأزفت . وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر [٦] الله إسرائيل أن يطولها ، فلا يبقى أحد من أهل السماوات والأرض إلا فزع ، إلا من استثنى الله ، عز وجل .

[٢] - سقط من : ت .

[٤] - ما بين المعكوفين سقط من : خ .

[٦] - في ز : « أمر » .

[١] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : « فسيهزمون » .

[٥] - في ز : « لما » .

وقوله : ﴿ وقالوا ربنا عجل لنا قطننا قبل يوم الحساب ﴾ . هذا إنكار من الله على المشركين في دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب ، فإن القطن هو الكتاب . وقيل : هو الحظ والنصيب .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، والحسن ، وغير واحد : سألو تعجيل العذاب . زاد قتادة : كما قالوا : ﴿ اللهم ؛ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾

وقيل : سألو تعجيل نصيبهم من الجنة ، إن كانت موجودة أن يلقوا ذلك^[١] في الدنيا . وإنما خرج هذا^[٢] منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب .

وقال ابن جرير : سألو تعجيل ما يستحقونه من الخير أو^[٣] الشر في الدنيا . وهذا الذي قاله جيد ، وعليه يدور كلام الضحاك ، وإسماعيل بن أبي خالد ، والله أعلم .

ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستهزاء والاستبعاد ، قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أمراً له بالصبر على أذاهم ، ومبشراً له على صبره بالعاقبة والنصر^[٤] والظفر .

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ
مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا
مُلْكُكُمْ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام ؛ أنه كان ذا أيد ، والأيد : القوة في العلم والعمل ، قال ابن زيد والسدي : الأيد القوة . وقرأ ابن زيد : ﴿ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ﴾ وقال مجاهد : الأيد : القوة في الطاعة .

وقال قتادة : أعطي داود عليه السلام قوة في العبادة ، وفقها في الإسلام ، وقد ذكر لنا أنه عليه السلام كان يقوم ثلث الليل ، ويصوم نصف الدهر ، وهذا ثابت في الصحيحين^(٥) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، ولا يفر إذا لاقى ، وإنه كان أواباً » . وهو الرجاء إلى الله عز وجل في جميع أموره وشئونه .

[٢] - في خ : « ذلك » .

[١] - في خ : « هذا » .

[٤] - في خ : « والصبر » .

[٣] - في خ : « و » .

وقوله : ﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ أي : إنه تعالى سخر الجبال تسبح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار ، كما قال تعالى : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِثِّي مَعَهُ وَالطَّيْرُ ﴾ ، وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه ، وترجع بترجيئه ، إذا مر به الطير وهو سابح^[١] في الهواء فسمعه^[٢] وهو يترنم بقراءة الزبور ، لا تستطيع الذهاب ، بل تقف في الهواء ، تسبح^[٣] معه وتحييه الجبال الشامخات ، ترجع معه ، وتسبح تبعاً له .

قال ابن جرير^(٦) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا محمد بن بشر ، عن مشعر ، عن عبد الكريم ، عن موسى بن أبي كثير ، عن ابن عباس أنه بلغه أن أم هانئ ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة صلى الضحى ثمان ركعات . قال ابن عباس : [قد ظننت]^[٤] أن لهذه الساعة صلاة ، يقول الله تعالى : ﴿ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ .

ثم رواه^(٧) من حديث سعيد بن أبي عروبة ، عن أبي المتوكل ، عن أيوب بن صفوان ، عن مولا^[٥] عبد الله بن الحارث بن نوفل ، أن ابن عباس كان لا يصلي الضحى . قال : فأدخلته على أم هانئ فقلت : أخبرني هذا ما أخبرتيني به^[٦] ، فقالت أم هانئ : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح في بيتي ، ثم أمر بماء صُب في قصعة ، ثم أمر بثوب ، فأخذ يبيني وبينه ، فاغتسل ثم رَش ناحية البيت ، فصلى ثماني ركعات ، وذلك من الضحى ، قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلو سهن^[٧] سواء ، قريب بعضهن من بعض . فخرج ابن عباس وهو يقول : لقد قرأت ما بين اللوحين ما عرفت صلاة الضحى إلا الآن : ﴿ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ ، وكنت أقول : أين صلاة الإشراق ؟ ! وكان بعد يقول : صلاة الإشراق .

(٤) - أخرجه أحمد (٢٢٧/١) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة (ص) ، حديث (٢٣٢٣) ، والنسائي في التفسير (٤٥٦) وأبو يعلى (٢٥٨٣) والطبري (١٢٥/٢٣) ، وابن حبان (١٧٥٧-موارد) ، والحاكم (٤٣٢/٢) ، والبيهقي (١٨٨/٩) من طرق عن سفيان به .

(٥) - صحيح البخاري في التهجد ، باب : من نام عند السحر ، حديث (١١٣١) ومسلم في الصيام ، حديث (١١٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو به .

(٦) - تفسير الطبري (١٣٧/٢٣) ، وانظر التالي .

(٧) - تفسير الطبري (١٣٧/٢٣) . وأخرجه الحاكم في المستدرک (٥٣/٤) من طريق عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد بن أبي عروبة به .

[١] - في ز : « سائح » .

[٢] - في خ ، ت : وتسبح .

[٣] - ما بين المعكوفين في ز : « فظننت » .

[٤] - في ز : « مولا » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - سقط من : خ ، ز .

ولهذا قال : ﴿ والطيير محشورة ﴾ أي : محبوسة في الهواء ، ﴿ كل له أبواب ﴾ أي : مطيع يسبح تبعاً له .

قال سعيد بن جبير وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد ﴿ كل له أبواب ﴾ أي : مطيع .

﴿ وشددنا ملكه ﴾ أي : جعلنا له ملكاً كاملاً من جميع ما يحتاج إليه الملوك .

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد : كان أشد أهل الدنيا سلطاناً .

وقال السدي : كان يحرسه في كل يوم أربعة آلاف .

وقال بعض السلف : بلغني أنه كان حرسه في كل ليلة ثلاثة وثلاثين ألفاً ، لا تدور عليهم الثوبة إلى مثلها من العام القابل .

وقال غيره : أربعون ألفاً [مشملون بالسلح]^[١] .

وقد ذكر ابن جرير ، وابن أبي حاتم^(٨) ، من رواية علباء بن أحمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن نقرين من بني إسرائيل استعدى أحدهما على الآخر إلى داود - عليه السلام - أنه اغتصبه بقرًا ، فأنكر الآخر ، ولم يكن للمدعي بيّنة ، فأرجأ أمرهما . فلما كان الليل أمر داود - عليه السلام - في المنام بقتل المدعي . فلما كان النهار طلبهما وأمر بقتل المدعي ، فقال : يا نبي الله ؛ علام تقتلني وقد اغتصبتني هذا بقري ؟ فقال : إن الله - عز وجل - قد^[٢] أمرني بقتلك ، فأنا قاتلك لا محالة . فقال : والله^[٣] يا نبي الله ؛ إن الله لم يأمرك بقتلي لأجل هذا الذي ادعيت عليه ، وإنني لصادق فيما ادعيت ، ولكنني كنت قد اغتلت أباه وقتلته ، ولم يشعر بذلك أحد ، فأمر [داود بقتله فقتل]^[٤] .

قال ابن عباس : فاشتدت هيئته في بني إسرائيل ، وهو الذي يقول الله عز وجل : ﴿ وشددنا ملكه ﴾ .

وقوله : ﴿ وآتيناه الحكمة ﴾ ، قال مجاهد : يعني الفهم والعقل والفتنة . وقال مرة : الحكمة والعدل . وقال مرة : الصواب .

وقال قتادة : كتاب الله واتباع ما فيه .

(٨) - تفسير الطبري (١٣٨/٢٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : «مشكون السلاح» . [٢] - سقط من خ ، ت .

[٣] - في ز : « يالله » . [٤] - في ت : « به داود فقتل » .

وقال السدي : ﴿الحكمة﴾ النبوة .

وقوله : ﴿وفصل الخطاب﴾ قال شريح القاضي ، والشعبي : فصل الخطاب الشهود والأيمان .

وقال قتادة : شاهدان على المدعي ، أو يمين المدعى عليه ، هو فصل الخطاب الذي فصل به الأنبياء والرسل - أو قال : المؤمنون والصالحون - وهو قضاء هذه الأمة إلى يوم القيامة . وكذا قال أبو عبد الرحمن السلمي .

وقال مجاهد والسدي : وإصابة القضاء وفهمه . وقال مجاهد أيضًا : هو الفصل في الكلام وفي الحكم ، وهذا يشمل هذا كله ، وهو المراد ، واختاره ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم^(٩) : حدثنا عمر بن شبة النميري ، حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن بلال بن أبي بردة ، عن أبيه ، عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال : أول من قال : «أما بعد» . داود - عليه السلام - وهو فصل الخطاب .

وكذا قال الشعبي فصل الخطاب : «أما بعد» .

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (٢١) ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (٢٢) ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِيَ نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (٢٣) ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَالِطَاءِ يُتَّبَعِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (٢٤) ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَّهُ عِندَنَا لُزْفَىٰ وَحُسْنَ مَّثَابٍ﴾ (٢٥)

قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذة^[١] من الإسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم

(٩) - عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٦٤) إلى ابن أبي حاتم والديلمي

[١] - في ز : «مأخوذة» .

حديث يجب اتباعه ، ولكن روى ابن أبي حاتم^(١٠) هنا حديثاً لا يصح سنده ؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي ، عن أنس ، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة ، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يُردَّ علمها إلى الله - عز وجل - فإن القرآن حق ، وما تضمن فهو حق أيضاً .

وقوله : ﴿ ففزع منهم ﴾ ، إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه ، وهو أشرف مكان في داره ، وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم ، فلم يشعر إلا بشخصين قد تَسَوَّرا عليه المحراب ، أي : احتاطا به يسألانه عن شأنهما .

وقوله : ﴿ وعزني في الخطاب ﴾ أي : غلبني يقال : عزَّ يعزُّ : إذا قهر وغلب .

وقوله : ﴿ وظن داود أنما فتناه ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : أي اختبرناه .

وقوله : ﴿ وخر راکعاً ﴾ أي : ساجداً ﴿ وأناب ﴾ ويحتمل أنه ركع أولاً ، ثم سجد بعد ذلك . وقد ذكر أنه استمر ساجداً أربعين صباحاً ، ﴿ ففغرنا له ذلك ﴾ أي : ما كان منه مما يقال فيه : « إن حسنات الأبرار سيئات المقربين » .

وقد اختلف الأئمة - رضي الله عنهم - في سجدة « ص » ، هل هي من عزائم السجود ؟ على قولين ؛ الجديد من مذهب الشافعي رحمه الله أنها ليست من عزائم السجود ، بل هي سجدة شكر . والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد حيث قال^(١١) :

حدثنا إسماعيل - وهو ابن عُليَّة - ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال في السجود في « ص » : ليست من عزائم السجود ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها .

ورواه البخاري ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي في تفسيره ، من حديث أيوب به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال النسائي^(١٢) أيضاً عند تفسير هذه الآية : أخبرني إبراهيم بن^[١] الحسن ، هو المَقْسَمي ،

(١٠) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٥٠/٢٣) ، من طريق يزيد الرقاشي عن أنس به ، وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٥٦٥/٥) إلى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول .

(١١) - المسند (٣٦٠/١) ، وأخرجه البخاري في كتاب سجود القرآن ، باب : سجدة (ص) ، حديث (١٠٦٩) ، وطرفه في (٣٤٢٢) ، وأبو داود في سجود القرآن ، باب : السجود في (ص) ، حديث (١٤٠٩) ، والترمذي في الصلاة ، باب : ما جاء في السجدة في (ص) ، حديث (٥٧٧) ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٥٩٨٨) من طرق عن أيوب السخيتي به .

(١٢) - تفسير النسائي رقم (٤٥٨) ، وهو في السنن الصغرى له أيضاً في كتاب الافتتاح ، باب : =

حدثنا حجاج بن محمد ، عن عمر بن ذر ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في « ص » ، وقال : « سجدها داود عليه السلام ، توبة ، ونسجدها شكراً » .

تفرد بروايته النسائي ، [ورجال إسناده كلهم]^[١] ثقات .

وقد أخبرني شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي قراءة عليه وأنا أسمع :

أخبرنا أبو إسحاق المدرجي ، أخبرنا زاهر بن أبي طاهر الثقفي ، أخبرنا زاهر بن طاهر الشَّامي^[٢] ، أخبرنا أبو سعيد^[٣] الكنجروذي^[٤] ، أخبرنا الحاكم أبو أحمد محمد^[٥] بن محمد الحافظ ، أخبرنا أبو العباس السراج ، حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس ، عن الحسن بن محمد بن عبيد^[٦] الله بن أبي يزيد ، قال : قال لي ابن جريج : يا حسن ؛ حدثني جدك عبيد الله بن أبي يزيد ، عن ابن عباس ؛ قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إني رأيت فيما يرى النائم كأنني أصلي خلف شجرة ، فقرأت السجدة ، فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي ، فسمعتها تقول وهي ساجدة : « اللهم ، اكتب لي بها عندك أجراً ، واجعلها لي عندك ذخراً ، وضع عني بها وزراً ، واقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود » .

قال ابن عباس : فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قام فقرأ السجدة ، ثم سجد ، فسمعته يقول وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة^(١٢) .

رواه الترمذي عن قتيبة ، وابن ماجه عن أبي بكر بن خلاد ، كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس ، نحوه ، وقال الترمذي : غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

= سجود القرآن (السجود في ص) (١٥٩/٢) ، وفي الكبرى برقم (١٠٢٩) بسنده ومثله . وأخرجه الدارقطني في سننه (٤٠٧/١) من طريق عبد الله بن بديع عن عمرو بن ذر به .

(١٣) - أخرجه الترمذي في أبواب الصلاة ، باب : ما يقوله في سجود القرآن حديث (٥٧٩) ، وفي الدعوات ، باب ما يقول في سجود القرآن ، حديث (٣٤٢٤) ، وابن ماجه في إقامة الصلاة ، والسنة ، باب : سجود القرآن ، حديث (١٠٥٣) ، وابن خزيمة (٥٦٢ ، ٥٦٣) من طرق عن محمد بن يزيد بن خنيس به .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « وإسناده رجالهم كلهم » .

[٢] - في ز : « السحامي » .

[٣] - في ز ، خ ، ت : « أبو سعد » والتصويب من اللباب لابن الأثير (١١٣/٣) .

[٤] - في ز : « الكنجروذي » .

[٥] - سقط من : خ ، ز . [٦] - في خ : « عبد » .

وقال البخاري^(١٤) عند تفسيرها أيضًا : حدثنا محمد بن عبد الله ، حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي ، عن العوام ؛ قال : سألت مجاهدًا عن سجدة « ص » ؟ فقال : سألت ابن عباس : من أين سجدت ؟ فقال : أو ما تقرأ : ﴿ ومن ذريته داود وسليمان ﴾ ، ﴿ أولئك الذين هدئ الله فبهدهم اقتده ﴾ ، فكان داود - عليه السلام - من^[١] أمَرَ نبيكم صلى الله عليه وسلم أن يقتدى به ، فسجدها داود - عليه السلام - فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد^(١٥) : حدثنا عفان ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا حميد ، حدثنا بكر - هو ابن عبد الله المزني - أنه أخبره : أن أبا سعيد الخدري رأى رؤيا أنه يكتب « ص » ، فلما بلغ إلى التي يسجد بها رأى الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجدًا . قال^[٢] : فقصها على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يزل يسجد بها بعد . تفرد به أحمد .

وقال أبو داود^(١٦) : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر ﴿ ص ﴾ ، فلما بلغ السجدة نزل فسجد ، وسجد الناس معه ، فلما كان يوم آخر قرأها ، فلما بلغ السجدة تشزّن^(١٧) الناس للسجود فقال : « إنما هي توبة نبي ، ولكني رأيتم تشزّنتم^[٣] » . فنزل وسجد وسجدوا^[٤] . تفرد به أبو داود ، وإسناده على شرط الصحيح .

وقوله : ﴿ وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾ أي : وإن له يوم القيامة لقربة يُقَرِّبه الله ، عز وجل ، بها ، وحسن مرجع ، وهو الدرجات العاليات في الجنة ، لنبوته^[٥] وعدله التام في ملكه ، كما جاء في الصحيح : « المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلنا يديه يمين ، الذين يقسطون في أهليهم وما ؤلوا » .

(١٤) - صحيح البخاري في التفسير ، باب : سورة ص ، حديث (٤٨٠٧) ، وانظر أيضًا الحديث رقم (٤٨٠٦) ، والحديث في مسند أحمد (٣٦٠/١) أيضًا من طريق يحيى بن أبي غنية عن العوام بن حوشب . به .

(١٥) - المسند (٧٨/٣) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨٧/٢) : رجاله رجال الصحيح .
(١٦) - سنن أبي داود في الصلاة ، باب السجود في (ص) حديث (١٤١٠) . وأخرجه الدارمي (١٤٧٤) ، (١٥٦٢) ، وابن خزيمة (١٤٥٥) (١٧٩٥) من طريق سعيد بن أبي هلال به .
(١٧) التشزّن : التأهب والتهيؤ للشيء ، والاستعداد له . النهاية (٤٧١/٢)

[١] - في ز : « فيمن » .

[٣] - في ز : « نشزّم » .

[٥] - في خ : « لتوبته » .

[٢] - في ز : « فقال » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

وقال الإمام أحمد ^(١٧) : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا فضيل ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا ، إِمَامٌ عَادِلٌ . وَإِنْ أَبْغَضَ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدَّهُمْ عَذَابًا ، إِمَامٌ جَائِرٌ** » .

ورواه الترمذي من حديث فضيل - وهو ابن مرزوق الأغر عن عطية به . وقال : لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه .

وقال ابن أبي حاتم ^(١٨) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد الله بن أبي زياد ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر بن سليمان ، سمعت مالك بن دينار في قوله : ﴿ **وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحَسَنَ مَأَبٍ** ﴾ قال : مقام ^[١] داود يوم القيامة عند ساق العرش ، ثم يقول : يا داود ؛ مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به ^[٢] في الدنيا . فيقول : وكيف وقد شليته ؟ فيقول : إني أردته عليك اليوم . قال : فيرفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان .

يٰۤاٰدُوۤدُ اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيۡفَةً فِى الْاَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى

فِيۡضِلَّكَ عَنۡ سَبِيۡلِ اللّٰهِ اِنَّ الَّذِيۡنَ يَظِلُّوۡنَ عَنۡ سَبِيۡلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيۡدٌۢ بِمَا نَسُوۡا

يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

هذه وصية من الله - عز وجل - لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ، ولا يعدلوا عنه فضلوا عن سبيله . وقد توعد تعالى من ضل عن سبيله ، وتناسى يوم الحساب ، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا الوليد ، حدثنا مروان بن جناح ، حدثني إبراهيم أبو زرعة - وكان قد قرأ الكتاب - أن الوليد بن عبد الملك ؛ قال له : أياحاسب الخليفة ، فإنك قد قرأت الكتاب الأول ، وقرأت القرآن وفقّهت ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ أقول ؟ قال : قل في أمان . قلت : يا أمير المؤمنين ؛ أنت أكرم على الله أو داود ؟ إن الله - عز وجل - جمع له النبوة والخلافة ، ثم توعد ^[٣] في كتابه فقال : ﴿ **يَا دَاوُدُ اِنَّا**

(١٧) - المسند (٢٢/٣) ، وأخرجه في (٥٥/٣) ، والترمذي في الأحكام باب : ما جاء في الإمام العادل ، حديث (١٣٢٩) من طريق فضيل بن مرزوق به .

(١٨) - عزاه السيوطي أيضاً في الدر المنثور (٥٧٣/٥) إلى أحمد في الزهد والحكيم الترمذي وابن المنذر .

[١] - في ز ، خ ، ت : يقيم . والمثبت من الدر والمنثور .

[٣] - في ز : « تواعده » .

[٢] - سقط من : ز .

جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴿٢٧﴾ الآية .

[وقال عكرمة : ﴿ لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ [٢٧] ، هذا من المقدم والمؤخر ، لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا .

وقال السدي : لهم عذاب شديد بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب .

وهذا القول أمشئ على ظاهر الآية ، فالله أعلم .

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ

أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ

وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾

يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثاً ، وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحده ، ثم يجمعهم [٢٧] ليوم الجمع ، فيثيب المطيع ويعذب الكافر ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وبينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا ﴾ أي : الذين لا يرون عبثاً ولا معاداً ، وإنما يعتقدون هذه الدار فقط ، ﴿ فويل للذين كفروا من النار ﴾ أي : ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم .

ثم بين تعالى أنه من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمن والكافر ، فقال : ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ أي : لا نفعل ذلك ، ولا يستون عند الله ، وإذا كان الأمر كذلك فلا بُدَّ من دار أخرى ، يثاب فيها هذا المطيع ، ويعاقب فيها هذا الفاجر . وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء ، فإننا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمته ، فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل ، الذي لا يظلم مثقال ذرة ، من إنصاف هذا من هذا . وإذا لم يقع هذا في هذه الدار ، فعين [أن هناك داراً] [٢٨] أخرى لهذا الجزاء والمواساة . ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمأخذ العقلية الصريحة ، قال : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الأبواب ﴾ أي : ذوو العقول ، وهي الأبواب ، جمع لب ، وهو العقل .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من : خ . [٢] - في ز : « جمعهم » .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، وفي ز « دار » .

قال الحسن البصري : والله ما تَدْبُرُهُ بحفظ حروفه وإضاعة حدوده ، حتى إن أحدهم ليقول : قرأت القرآن ، ما يُرَى له القرآن في خلق ولا عمل . رواه ابن أبي حاتم .

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ نَّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ
الْصَّفِيفَتُ الْجَيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ
بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾

يقول تعالى مخبراً^[١] أنه وهب لداود سليمان أي : نبياً ؛ كما قال : ﴿وورث سليمان داود﴾ أي : في النبوة ، وإلا فقد كان له بنون غيره ، فإنه قد كان عنده مائة امرأة حرائر .

وقوله : ﴿نعم العبد إله أواب﴾ ، ثناء على سليمان - عليه السلام - بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله عز وجل .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمود بن خالد ، حدثنا الوليد ، حدثنا ابن جابر ، حدثنا مكحول ؛ قال : لما وهب الله لداود سليمان - عليه السلام - قال له : يا بني ؛ ما أحسن ؟ قال : سكينه الله وإيمان . قال : فما أقبح ؟ قال : كفر بعد إيمان . قال : فما أحلى ؟ قال : روح الله بين^[٢] عباده . قال : فما أبرؤ ؟ قال : عفو الله عن الناس ، وعفو الناس بعضهم عن بعض . قال داود - عليه السلام - : فأنت نبي .

وقوله : ﴿إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾ أي : إذ عرض على سليمان في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات .

قال مجاهد : وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة . والجياد : السراع . وكذا قال غير واحد من السلف .

و^[٣] قال ابن جرير^(١٩) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان ، عن أبيه سعيد بن مسروق ، عن إبراهيم التيمي في قوله : ﴿إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾ قال : كانت عشرين فرساً ذات أجنحة . كذا رواه ابن جرير .

(١٩) - تفسير الطبري (١٥٤/٢٣) لكن نقله السيوطي في الدر المنثور (٥٨٠/٥) عن إبراهيم بلفظ " قال : عشرين ألف فرس ذات أجنحة ، ففقرها " . وعزا إلى الفريابي وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم .

[٢] - في خ ، ز : « من » .

[١] - في خ : « مختبراً » .

[٣] - سقط من : ز .

وقال ابن أبي حاتم ^(٢٠) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا ^[١] إبراهيم بن موسى ، حدثنا ابن أبي زائدة ، أخبرني إسرائيل ، عن سعيد بن مسروق ، عن إبراهيم التيمي ؛ قال : كانت الخيل التي شغلت سليمان عليه الصلاة والسلام عشرين ألف فرس ، فعقرها . وهذا أشبه ، والله أعلم .

وقال أبو داود ^(٢١) : حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا سعيد بن أبي مریم ، أخبرنا يحيى بن أيوب ، حدثني غمارة بن غزيرة ؛ أن محمد بن إبراهيم حدثه ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك - أو : خيبر - وفي سهوتها ستر ، فهبت الريح ، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة - لُعَب - فقال : « ما هذا يا عائشة ؟ » . قالت : بناتي . ورأى بينهما فرساً له جناحان من رقاد ، فقال : « ما هذا الذي أرى وسطهن ؟ » . قالت : فرس . قال : « وما هذا ^[٢] الذي عليه ؟ » . قالت : جناحان . قال : « فرس له جناحان ؟ ! » . [قالت : أمّا] ^[٣] سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة ؟ قالت ^[٤] : فضحك حتى رأيت نواجذه صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ ، ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر ، والذي يقطع به أنه لم يتركها عمداً بل نسياناً ، كما شغل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب ، وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه ^(٢٢) ؛ من ذلك : عن جابر ؛ قال : جاء عمر رضي الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس ، فجعل يسب كفار قريش ، ويقول : يا رسول الله ؛ والله ما كذت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله ما صليتها » . فقال : فقمنا إلى بُطْحَانَ فتوضاً للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعدما غربت الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب .

ويحتمل أنه كان سائماً في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال ، والخيل تراد للقتال ، وقد ادعى ^[٥] طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعاً فنسخ ذلك بصلاة الخوف ، ومنهم من ذهب إلى ذلك في حال المسايقة والمضايقة ، حيث لا يمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود ، كما فعل

(٢٠) - انظر السابق .

(٢١) - سنن أبي داود في الأدب ، باب : في اللعب بالبنات ، حديث (٤٩٣٢) .

(٢٢) - أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة ، باب : من صلى بالناس جماعة بعد ذهاب الوقت ، حديث

(٥٩٦) ، وأطرافه في (٤١١٢، ٥٤٩، ٢٦٤١، ٥٩٨) ، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، حديث

(٦٣١) من حديث جابر رضي الله عنه .

[٢] - سقط من : ز .

[١] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من خ ، ت .

[٣] - ما بين المعكوفين في ز : « ما » .

[٥] - بعده في ز : هذا .

الصحابه - رضي الله عنهم - في فتح تُسْتَر ، وهو منقول عن مكحول ، والأوزاعي ، وغيرهما .
والأول أقرب ؛ لأنه قال بعدها : ﴿ رَدَّوْهَا عَلَيَّ فُطْفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ .

قال الحسن البصري : قال : لا ، والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك . ثم أمر بها
فعمرت . وكذا قال قتادة .

وقال السدي : ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها ؛ تحببها .

وهذا القول اختاره ابن جرير ، قال : لأنه لم يكن ليعذب حيوانًا بالعرقه ، ويهلك مالا من
ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها . وهذا الذي رجح به ابن
جرير فيه نظر ؛ لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ، ولا سيما إذا كان غضبًا لله - عز
وجل - بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج^[١] وقت الصلاة ؛ ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوضه
الله تعالى ما^[٢] هو خير منها ، وهي الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، غدوها شهر
ورواحها شهر ، فهذا أسرع وخير من الخيل .

و^[٣] قال الإمام أحمد (٢٣) : حدثنا إسماعيل ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن
هلال ، عن أبي قتادة وأبي الدهماء - وكانا يكثران السفر نحو البيت - قالا : أتينا على رجل
من أهل البادية ، فقال البدوي : أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يعلمني مما
علمه الله تعالى ، وقال : « إنك لا تدع شيئًا اتقاء الله - عز وجل - إلا أعطاك الله خيرًا
منه » .

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ
لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنِّي بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي
بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي
الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَكُمْ عِندَنَا لُزْلَةً
وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٠﴾

(٢٣) - المسند (٧٨/٥) ، وأخرجه في (٧٩/٥) عن بهز ، وعفان عن سليمان بن المغيرة به .

[٢] - في ز : « بما » .

[١] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز .

يقول تعالى : ﴿ ولقد فتنا سليمان ﴾ أي : اختبارناه بأن سلبناه الملك مرة ، ﴿ وألقينا على كرسيه جسداً ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبیر ، والحسن ، وقتادة ، وغيرهم : يعني شيطاناً . ﴿ ثم أناب ﴾ أي : ثم^[١] رجع إلى ملكه وسلطانه وأبتهته .

قال ابن جرير : وكان اسم ذلك الشيطان صخرًا^[٢] . قاله ابن عباس ، وقتادة . وقيل : آصف . قاله مجاهد . وقيل : أصروا . قاله مجاهد أيضًا . وقيل : حقيق . قاله السدي . وقد ذكروا هذه القصة مبسطة ومختصرة .

وقد قال سعيد بن أبي عروبة : عن قتادة ، قال^[٣] : أمر سليمان - عليه السلام - ببناء بيت المقدس ، فقبل له : ابنه ولا يُسمع^[٤] فيه صوت حديد . قال : فطلب ذلك فلم يقدر عليه . فقبل له : إن شيطاناً في البحر يقال له : « صخر » شبه المارد . قال : فطلبه وكانت عين في البحر تردها في كل سبعة أيام مرة ، فتخرج ماؤها وجعل فيها خمرًا ، فجاء يوم وزده فإذا هو بالخمير ، فقال : إنك لشراب طيب ، إلا أنك تصيبن الحليم وتزيدن الجاهل جهلاً . قال : ثم رجع حتى عطش عطشاً شديداً ، ثم أتاه فقال : إنك لشراب طيب ، إلا أنك تصيبن الحليم ، وتزيدن الجاهل جهلاً . ثم شربها حتى غلبت على عقله ، قال : فأري الخاتم ، أو ختم به بين كتفيه فذلل . قال^[٥] : وكان ملكه في خاتمه ، فأتي به سليمان فقال : إنه قد أمرنا ببناء هذا البيت ، فقبل لنا : لا يسمع^[٦] فيه صوت حديد . قال : فأتي ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة ، فجاء الهدهد فدار حولها ، فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه ، فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه ، فقطعها به ، حتى أفضى إلى بيضه . فأخذ الماس ، فجعلوا يقطعون به الحجارة . وكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء - أو : الحمام - لم يدخل بخاتمه ، فانطلق يوماً إلى الحمام ، وذلك الشيطان - صخر - معه ، وذلك عند [مقارفة قارف]^[٧] فيه بعض نسائه . قال : فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه ، فألقاه في البحر ، فالتقمته سمكة ، ونزع ملك سليمان منه ، وألقي على الشيطان شبه سليمان . قال : فجاء فقعده على كرسيه وسريه ، وسلط على ملك سليمان كله غير نسائه . قال : فجعل يقضي بينهم ، وجعلوا ينكرون منه أشياء ، [حتى قالوا : لقد فتن نبي الله]^[٨] . وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب في القوة فقال : والله لأجربنه . قال : فقال : يا نبي الله - وهو لا يرى إلا أنه نبي الله - ألدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة ، فيدع الغسل عمدًا حتى تطلع الشمس ، أترى عليه بأسًا ؟ فقال : لا . قال : فبينما هو كذلك أربعين ليلة حتى وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة ، فأقبل فجعل لا

[١] - سقط من خ ، ت . [٢] - في ز : « صخر » .

[٣] - سقط من : ز . [٤] - في ز : « تسمع » .

[٥] - سقط من : ز . [٦] - في ز : « تسمعن » .

[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « مقارنة قارن » . [٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

يستقبله جني ولا طير إلا سجد له ، حتى انتهى إليهم ، ﴿ وألقينا على كرسيه جسداً ﴾ قال : هو الشيطان صخر .

وقال السدي : ﴿ ولقد فتنا سليمان ﴾ أي : ابتلينا سليمان ، ﴿ وألقينا على كرسيه جسداً ﴾ قال : [جلس الشيطان]^[١] على كرسيه أربعين يوماً . قال : وكان لسليمان - عليه السلام - مائة امرأة ، وكانت امرأة منهم يقال لها : « جرادة » ، وهي أثر نسائه وأمتنهن عنده ، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ، ولم يَأْتِمْ عليه أحدًا من الناس غيرها ، فأعطاهما يوماً خاتمه ودخل الخلاء ، فخرج الشيطان في صورته ، فقال : هاتي الخاتم . فأعطته الخاتم ، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان ، وخرج سليمان بعد ذلك^[٢] فسأله أن تعطيه خاتمه ، فقالت : ألم تأخذه قبل ؟ قال : لا . وخرج مكانه تائهاً . قال : ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً ، قال : فأنكر الناس أحكامه ، فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلمائهم ، فجاءوا حتى دخلوا على نسائه ، فقالوا : إنا قد أنكرنا هذا ، فإن كان سليمان فقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه . قال : فبكى النساء عند ذلك ، قال : فأقبلوا يمشون حتى أتوا ، فأحذقوا به ثم نشروا فقرعوا التوراة . قال : فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة ، والخاتم معه . ثم طار حتى ذهب إلى البحر ، فوقع الخاتم منه في البحر ، فابتلعه حوت من حيتان البحر . قال : وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها ، حتى انتهى إلى صياد من صيادي^[٣] البحر ، وهو جائع ، وقد اشتد جوعه ، فاستطعمهم من صيدهم ، وقال : إني أنا سليمان . فقام إليه بعضهم [فضربه بعضاً]^[٤] فشجّه ، فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر ، فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه ، وقالوا : بئس ما صنعت حيث ضربته ! قال : إنه زعم أنه سليمان . قال : فأعطوه سمكين مما قد مذر عندهم ، فلم يشغله ما كان به من الضرب حتى قام إلى شط البحر ، فشق بطونهما ، فجعل يغسل ، فوجد خاتمه في بطن إحداهما ، فأخذه فلبسه ، فرد الله عليه بهاءه وملكه ، وجاءت الطير حتى حامت عليه ، فعرف القوم أنه سليمان عليه السلام فقام القوم يعتذرون مما صنعوا ، فقال : ما أحمدكم على عذرکم ، ولا ألوكم على ما كان منكم ، كان هذا الأمر لا بد منه . قال : فجاء حتى أتى^[٥] ملكه ، وأرسل إلى الشيطان ، فجاء به فأمر به ، فجعل في صندوق من حديد ، ثم أطبق عليه ، وقفل عليه بقفل ، وختم عليه بخاتمه ، ثم أمر به فألقي في البحر ، فهو فيه حتى تقوم الساعة . وكان اسمه حقيق . قال : وسخر له الريح ، ولم تكن سخرت له قبل ذلك ، وهو قوله : ﴿ وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ﴾ .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « الشيطان جلس » .

[٢] - سقط من : خ ، ز . [٣] - في ز : « صيادين » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « بعضاً فضربه » .

[٥] - سقط من : ز .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله : ﴿ وألقينا على كرسيه جسداً ﴾ قال : شيطاناً يقال له : آصف . فقال له سليمان : كيف تفتنون الناس ؟ قال : أرني خاتمك أخبرك . فلما أعطاه إياه^[١] نبذه آصف في البحر ، فساح سليمان وذهب ملكه ، وقعد آصف على كرسيه ، ومنعه الله نساء سليمان ، فلم يقربهن ولم يقربنه وأنكرته . قال : فكان^[٢] سليمان يستطعم ، فيقول : أتعرفوني ؟ أطعموني ، أنا سليمان . فيكذبونه ، حتى أعطته امرأة يوماً حوتاً فجعل يطيب بطنه ، فوجد خاتمته في بطنه ، فرجع إليه ملكه ، وفر آصف ، فدخل البحر فاراً .

وهذه كلها من الإسرائيليات ومن أنكرها ما قال ابن أبي حاتم^(٢٤) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن العلاء ، وعثمان بن أبي شيبة ، وعلي بن محمد ، قالوا : حدثنا أبو معاوية ، أخبرنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب ﴾ قال : أراد سليمان أن يدخل الخلاء ، فأعطى الجرادة خاتمته^[٣] - وكانت الجرادة امرأته ، وكانت أحب نسائه إليه - فجاء الشيطان في صورة سليمان ، فقال لها : هاتي خاتمي . فأعطته إياه^[٤] . فلما لبسه^[٥] دانت له الإنس والجن والشياطين ، فلما خرج سليمان من الخلاء قال لها : هاتي خاتمي . قالت : قد^[٦] أعطيته سليمان ! [قال : أنا سليمان . قالت]^[٧] : كذبت ، لست سليمان . فجعل لا يأتي أحداً فيقول له : أنا سليمان ، إلا كذبه ، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة . فلما رأى ذلك عَزَفَ أنه من أمر الله عز وجل . قال : وقام الشيطان يحكم بين الناس ، فلما أراد الله أن يرد على سليمان سلطانه ، ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان . قال : فأرسلوا إلى نساء سليمان فقالوا لهن : أتتكرن^[٨] من سليمان شيئاً ؟ قلن : نعم ، إنه يأتينا ونحن نحُيِّضُ ، وما كان يأتينا قبل ذلك . فلما رأى الشيطان أن قد فُطِنَ له ، ظن أن أمره قد انقطع ، فكتبوا كتباً فيها سحر وكفر ، فدفنوها تحت كرسي سليمان ، ثم أثاروها وقرعوها على الناس . وقالوا : بهذا كان يظهر سليمان على الناس . فأكفر الناس سليمان - عليه السلام - فلم يزلوا يكفرونه ، وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه في البحر ، فتلقته سمكة فأخذته . وكان سليمان يحمل على شط البحر بالأجر ، فجاء رجل فاشترى سمكاً فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم ، فدعا سليمان فقال : تحمل لي^[٩] هذا السمك ؟ فقال : نعم . قال : فبكم^[١٠] ؟ قال : بسمكة من هذا السمك . قال : فحمل سليمان عليه السلام السمك ، ثم انطلق به إلى منزله ، فلما انتهى الرجل إلى بابه أعطاه

(٢٤) - عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٨٠/٥) أيضاً إلى النسائي وابن جرير .

- | | |
|--|--------------------------|
| [١] - في ز : « سليمان » . | [٢] - في ز : « وكان » . |
| [٣] - في ز : « امرأته » . | [٤] - سقط من : خ ، ز . |
| [٥] - في ز : « لبس » . | [٦] - سقط من : خ ، ز . |
| [٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . | [٨] - في ز : « تتكرن » . |
| [٩] - في خ : « منا » . | [١٠] - في خ : « بكم » . |

تلك السمكة التي في بطنها الخاتم ، فأخذها سليمان فشق بطنها ، فإذا الخاتم في جوفها ، فأخذه فلبسه . قال : فلما لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين ، وعاد إلى حاله ، وهرب الشيطان حتى دخل جزيرة من جزائر البحر ، فأرسل سليمان في طلبه ، وكان شيطاناً مريداً ، فجعلوا يطلبونه ولا يقدرّون عليه ، حتى وجدوه يوماً نائماً ، فجاءوا فبنوا عليه بنياناً من رصاص ، فاستيقظ فوثب فجعل لا يثب^[١] في مكان من البيت إلا انمط معه الرصاص . قال : فأخذه فأوثقوه ، وجاءوا به إلى سليمان ، فأمر به فنقر له تخت من رخام ، ثم أدخل في جوفه ، ثم سد بالنحاس ، ثم أمر به فطرح في البحر ، فذلك قوله : ﴿ ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب ﴾ قال : يعني الشيطان الذي كان سلط عليه .

إسناده إلى ابن عباس قوي ، ولكن الظاهر أنه [مما تلقاه]^[٢] ابن عباس - إن صح عنه - من أهل الكتاب ، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان - عليه السلام - ، فالظاهر أنهم يكذبون عليه ؛ ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء ، فإن المشهور أن ذلك الجنّي لم يسلط على نساء سليمان ، بل عصمهن الله منه ، تشريعاً وتكريماً لنبيه صلى الله عليه وسلم . وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف ، كسعيد بن المسيب ، وزيد ابن أسلم ، وجماعة آخرين ، وكلها مثلاً من قصص أهل الكتاب ، والله أعلم بالصواب .

وقال يحيى بن أبي عمرو^[٣] الشيباني^[٤] : وجد سليمان خاتمه في عسقلان ، فمشى في خرقه^[٥] إلى بيت المقدس ، تواضعاً لله عز وجل . رواه ابن أبي حاتم .

وقد روى ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار [في صفة كرسي سليمان عليه الصلاة والسلام خبراً عجيباً ، فقال : حدثنا أبي رحمه الله ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، أخبرني أبو إسحاق المصري ، عن كعب الأحبار]^[٦] : أنه لما فرغ من حديث « إرم ذات العماد » قال له معاوية : يا أبا إسحاق ، أخبرني عن كرسي سليمان بن داود ، وما كان عليه ؟ ومن أي شيء هو ؟ فقال : كان كرسي سليمان من أنياب الفيلة مَفْصَصاً بالدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ . وقد جُعل له^[٧] درجة منها مَفْصَصة^[٨] بالدر والياقوت والزبرجد ، ثم أمر بالكرسي فحُفّ من جانبيه بالنخل ، نخل من ذهب ، شماريخها من ياقوت وزبرجد ولؤلؤ . وجعل على رءوس النخل [التي عن يمين الكرسي طواويس من ذهب ، ثم جُعل على رءوس النخل التي على يسار الكرسي نسور من ذهب مقابلة الطواويس . وجعل على يمين الدرجة الأولى شجرتا صنوبر من

[١] - في خ : « يثيب » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « مما تلقى » ، وفي ت : « إنما تلقاه » .

[٣] - في خ ، ز : « عروبة » .

[٤] - في ز : « الشيباني » .

[٥] - في خ : « جرتة » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٧] - سقط من : خ ، ز .

[٨] - في ز : « مَفْصَصاً » .

ذهب ، وعن يسارها أسدان من ذهب ، وعلى رؤوس الأسدين عمودان من زبرجد^[١] ، وجعل من جانبي الكرسي شجرتا^[٢] كرم من ذهب ، قد أظلتا الكرسي ، وجعل عناقيدهما درًا وياقوتًا أحمر . ثم جعل فوق درج الكرسي أسدان عظيمان من ذهب مجوفان محشوان مسكا وعنبرًا . فإذا أراد سليمان أن يصعد على كرسيه استدار الأسدان ساعة ، ثم يقفان^[٣] فينضحان ما في أجوافهما من المسك والعنبر حول كرسي سليمان - عليه السلام - ثم يوضع منبران من ذهب ، واحد لخليفته والآخر لرئيس أخبار بني إسرائيل ذلك الزمان . ثم يوضع أمام كرسيه سبعون منبرًا من ذهب ، يقعد عليها سبعون قاضيًا من بني إسرائيل وعلمائهم ، وأهل الشرف منهم والطول ، ومن خلف تلك المنابر كلها خمسة وثلاثون منبرًا من ذهب ، ليس عليها أحد ، فإذا أراد أن يصعد على كرسيه وضع قدميه على الدرجة السفلى ، فاستدار الكرسي كله بما فيه وما عليه ، ويسط الأسد يده اليمنى وينشر النسر جناحه الأيسر ، ثم يصعد على الدرجة الثانية ، فيسط الأسد يده اليسرى ، وينشر النسر جناحه الأيمن ، فإذا استوى سليمان على الدرجة الثالثة وقعد على الكرسي ، أخذ نسر من تلك النسور عظيم تاج سليمان^[٤] فوضعه على رأسه ، [فإذا وضعه على رأسه]^[٥] استدار الكرسي بما فيه كما تدور الرحى المسرعة . فقال معاوية^[٦] - رضي الله عنه - : وما الذي يديره يا أبا إسحاق ؟ قال : تين من ذهب ، ذلك الكرسي عليه وهو عظيم مما عمله صخر الجنى ، فإذا أحست بدورانه تلك النسور والأشُد والطواويس التي في أسفل الكرسي دُزْنَ إلى أعلاه ، فإذا وقف وقفن كلهن منكسات رءوسهن على رأس سليمان - عليه السلام - وهو جالس ، ثم ينضحن جميعًا ما في أجوافهن من المسك والعنبر على رأس سليمان - عليه السلام - ثم تتناول حمامة من ذهب واقفة على عمود من جوهر التوراة فتجعلها في يده^[٧] ، فيقرؤها سليمان على الناس .

وذكر تمام الخبر وهو غريب جدًا

﴿ قال رب اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ﴾ قال بعضهم : معناه لا ينبغي لأحد من بعدي ، أي : لا يصلح لأحد أن يسلبني بعدي كما كان من قضية الجسد الذي ألقى على كرسيه ، لا أنه يحجر على من بعده من الناس . والصحيح أنه سأل من الله ملكًا لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله ، وهذا هو ظاهر السياق من الآية ، وبه وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قال البخاري^(٢٥) ، عند تفسير هذه الآية : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا روح ،

(٢٥) - صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب : (هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز : « شجرتي » .

[٣] - في ت : « يقعان » .

[٤] - سقط من : خ ، ز . [٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٦] - في خ ، ز : « إسحاق » . [٧] - في ز : « يدها » .

ومحمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ عَفْرِيَّتَا مِنَ الْجَنِّ تَقُلَّتْ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ ، فَأَمْكِنِي اللَّهُ مِنْهُ ، وَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا » [١] إليه كلكم ، فذكرت قول أخي سليمان : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ .

قال روح : فردّه خاسئًا .

وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به .

وقال مسلم في صحيحه (٢٦) : حدثنا محمد بن سلمة المُرَادِي ، حدثنا عبد الله بن وهب ، عن معاوية بن صالح ، حدثني ربيعة بن يزيد [٢] ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي الدرداء قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ، فسمعناه يقول : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ » . ثم قال : « أَلْعَنَكَ بَلْعَنَةُ اللَّهِ » - ثلاثًا [٣] - وبسط يده كأنه يتناول شيئًا ، فلما فرغ من [٤] الصلاة قلنا : يا رسول الله ، قد [٥] سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك ؟ قال : « إِنْ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسُ جَاءَ بِشَهَابٍ مِنْ يَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِهِ ، فَقُلْتُ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - ثُمَّ قُلْتُ : أَلْعَنَكَ بَلْعَنَةُ اللَّهِ التَّامَةَ . فَلَمْ يَسْتَخِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ ، وَاللَّهُ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِي » [٦] سليمان ، لأَصْبَحَ مَوْتًا يَلْعَبُ [٧] به صبيان أهل المدينة » .

وقال الإمام أحمد (٢٧) : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا ميسرة [٨] بن معبد ، حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال : رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائمًا يصلي ، فذهبت أمر بين يديه فردني ، ثم قال : حدثني أبو سعيد الخدري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يصلي صلاة الوهاب . حديث (٤٨٠٨) ، وأطرافه في (٤٦١، ١٢١٠، ٣٢٨٤، ٣٤٢٣) ، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، حديث (٥٤١) ، والنسائي في تفسيره (٤٦٠) من طريق شعبة به .

(٢٦) - صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث (٥٤٢) . وأخرجه النسائي في كتاب السهو ، باب لعن إبليس والتعوذ بالله منه في الصلاة (١٣/٣) وفي الكبرى (٥٤٩) ، (١١٣٨) ، وابن خزيمة (٨٩١) من طريق عبد الله بن وهب به .

(٢٧) - المسند (٨٢/٣) .

[٢] - في خ ، ز : « زيد » .

[٤] - سقط من : خ .

[٦] - في خ ، ز : « أخي » .

[٨] - في خ ، ز : « مرة » .

[١] - في ز : « فتنظروا » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - سقط من : خ .

[٧] - في ز : « تلعب » .

الصباح وهو خلفه ، فقرأ فالتبست عليه القراءة ، فلما فرغ من صلاته قال : « لو رأيتموني وإبليس ، فأهويت بيدي ، فما زلت أحنقه حتى وجدت بَزْدَ لعابه بين إصبعي هاتين - الإبهام والتي تليها - ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح^[١] مربوطاً بسارية من سواري المسجد ، يتلاعب به صبيان المدينة ، فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل »

[وقد روى أبو داود منه^(٢٨)] : « من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل »^[٢] ، عن أحمد بن أبي شريح ، عن أبي أحمد الزبيري ، به .

وقال الإمام أحمد^(٢٩) : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا إبراهيم بن محمد الفزاري ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني ربيعة بن يزيد^[٣] ، عن^[٤] عبد الله الديلمي قال : دخلت على عبد الله بن عمرو ، وهو في حائط له بالطائف يقال له « الوهط » ، وهو مُحَاصِرُ فتي من قريش يُزَنُّ بِشَرْبِ الخمر ، فقلت : بلغني عنك حديث أنه من شرب شربة خمر لم يقبل الله - عز وجل - له توبة أربعين صباحاً ، وإن الشقي من شقي في بطن أمه ، وإنه من أتى بيت المقدس لا يَنْهَزه إلا الصلاة فيه ، خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه ، فلما سمع الفتى ذكر الخمر اجتذب يده من يده ، ثم انطلق ، فقال عبد الله بن عمرو : إني لا أحل لأحد أن يقول عَلَيَّ ما لم أفل ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من شرب من الخمر شربة ، لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً ، [فإن تاب تاب الله عليه ، فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً ، فإن تاب تاب الله عليه . فإن عاد]^[٥] قال : فلا أدري في الثالثة^[٦] أو الرابعة - فإن عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من ردة الخبال يوم القيامة » .

قال : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله خلق خلقه في ظلمة ، ثم ألقى عليهم من نوره ، فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ، ومن أخطأه ضل ، فكذلك أقول : جف القلم على علم الله عز وجل » .

وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن سليمان سأل الله تعالى ثلاثاً ، فأعطاه اثنتين ، ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة : سألته حكماً يصادف حكمه ، فأعطاه إياه ، وسألته ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فأعطاه إياه ، وسألته : أيما رجل خرج من بيته لا يريد

(٢٨) - سنن أبي داود في الصلاة ، باب : ما يؤمر المصلي أن يدرأ عن الممر بين يديه ، حديث (٦٩٩) .

(٢٩) - المسند (١٧٦/٢) ، وانظر التالي .

[١] - في ز : « أصبح » .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز . - في خ : « زيد » .

[٣] - في خ ، ز : « بن » . - [٤] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

[٥] - في خ : « الثلاثة » .

إلا الصلاة في هذا المسجد ، خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه ، فنحن نرجو أن يكون الله تعالى قد أعطانا إياها .

وقد روى هذا الفصل الأخير من هذا الحديث النسائي وابن ماجه من طرق ، عن عبد الله ابن فيروز الديلمي ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن سليمان لما بنى بيت^[١] المقدس سأل ربه - عز وجل - خللاً ثلاثاً ... وذكره^(٣٠) .

وقد روي من حديث رافع بن عمير - رضي الله عنه - بإسناد وسياق غريين ، فقال الطبراني^(٣١) :

حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني ، حدثنا محمد بن أيوب بن سويد ، حدثني أبي ، حدثنا إبراهيم بن أبي عبله ، عن أبي الزاهرية ، عن رافع بن عمير قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله - عز وجل - لداود - عليه السلام - : ابن لي بيتاً في الأرض . فبنى داود بيتاً لنفسه قبل البيت الذي أمر به ، فأوحى الله إليه : يا داود ، نصبت بيتك قبل بيتي . قال : يا رب ، هكذا قضيت ، من ملك استأثر . ثم أخذ في بناء المسجد ، فلما تم السور سقط ، ثلاثاً ، فشكا ذلك إلى الله - عز وجل - فقال : يا داود ، إنك لا تصلح أن تبني لي بيتاً . قال : ولم يارب ؟ قال : لما جرى على يديك من الدماء . قال : يارب ، أو ما كان ذلك في هোক ومجبتك ؟ قال : بلى ، ولكنهم عبادي ، وأنا أرحمهم . فشق ذلك عليه ، فأوحى الله إليه : لا تحزن ، فلني سأقضي بناءه على يدي ابنك سليمان . فلما مات داود أخذ سليمان في بنيانه فلما تم قرب القرايين ، وذبح الذبائح ، وجمع بني إسرائيل ، فأوحى الله إليه : قد أرى سرورك ببنيان بيتي ، فسلني أعطك . قال : أسألك ثلاث خصال : حكماً يصادف حكمك ، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ، ومن أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما ثنتان^[٢] فقد أعطيهما ، وأنا أرجو أن يكون قد أعطي الثالثة » .

و^[٣] قال الإمام أحمد^(٣٢) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا غمر بن راشد اليمامي ، حدثنا إياس

(٣٠) - أخرجه النسائي في الأشربة ، باب توبة شارب الخمر (٣١٧/٨) ، وابن ماجه في الأشربة ، باب : من شرب الخمر لم تقبل له صلاة ، حديث (٣٣٧٧) ، والدارمي (٢٠٩٧) ، وأحمد (١٧٦/٢) من طرق عن الأوزاعي به .

(٣١) - المعجم الكبير (٢٤/٥) (٤٤٧٧) .

(٣٢) - المسند (٥٤/٤) ، وأخرجه عبد بن حميد (٣٨٧ - منتخب) عن عثمان بن عمر بن راشد اليمامي به .

[٢] - في ز : « اثنتين » .

[١] - في ز : « البيت » .

[٣] - سقط من : ز .

ابن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه قال : ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلا استفتحه : « سبحان الله^[١] ربي الأعلى العلي الوهاب » .

وقد قال أبو عبيد : حدثنا علي بن ثابت ، عن جعفر بن يزقان ، عن صالح بن مسمار قال : لما مات نبي الله داود أوحى الله إلى ابنه سليمان عليهما السلام : « أن سلني حاجتك . قال : أسألك أن تجعل لي قلباً يخشاك ، كما كان قلب أبي ، وأن تجعل قلبي يحبك كما كان قلب أبي . فقال الله : أرسلت إلى عدي وسألته^[٢] حاجته فكانت أن أجعل قلبه يخشاني وأن أجعل قلبه يحبني ، لأهبن له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده . قال الله تعالى : ﴿ فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ﴾ والتي بعدها ، قال : فأعطاه ما أعطاه ، وفي الآخرة لا حساب عليه » .

كذا أورده أبو القاسم بن عساكر في ترجمة سليمان - عليه السلام - في تاريخه .

وروي عن بعض السلف أنه قال : بلغني عن داود أنه قال : « إلهي ، كن لسليمان كما كنت لي . فأوحى الله إليه أن قل لسليمان أن يكون لي كما كنت لي أكون له كما كنت لك » .

وقوله : ﴿ فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ﴾ قال الحسن البصري رحمه الله : لما عقر سليمان الخيل غضباً لله - عز وجل - عوضه الله ما هو خير منها وأسرع ، الريح التي^[٣] غدوها شهر ورواحها شهر .

وقوله : ﴿ حيث أصاب ﴾ أي : حيث أراد من البلاد .

وقوله : ﴿ والشياطين كل بناء وغواص ﴾ أي : منهم من هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاريب وثمانيل وجفان كالجواي وقدر راسيات ، إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر ، وطائفة غواصون في البحار يستخرجون مما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها ، ﴿ وآخرين مقرنين في الأصفاد ﴾ أي : موثقون^[٤] في الأغلال والأكبال ، ممن قد تمرد وعصى وامتنع من العمل وأبى ، أو قد أساء في صنيعه واعتدى .

وقوله : ﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾ أي : هذا الذي أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا ، فأعط من شئت واحرم من شئت ، لا حساب عليك ، أي : مهما فعلت فهو جائز لك ، احكم بما شئت فهو صواب .

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خیر بين أن يكون عبداً

[٢] - في ز : « أسأله » .

[١] - سقط من : خ .

[٤] - في خ : « موثقون » .

[٣] - سقط من : ز .

رسولاً - وهو الذي يفعل ما يؤمر به ، وإنما هو قاسم يقسم بين الناس ما أمره الله به - وبين أن يكون ملكاً نبياً ، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء بلا حساب ولا جناح ، اختار المنزلة الأولى بعد ما استشار جبريل ، فقال له : تواضع . فاختار المنزلة الأولى ؛ لأنها أرفع قدرًا عند الله وأعلى منزلة في المعاد . وإن كانت المنزلة الثانية وهي النبوة مع الملك عظيمة أيضًا في الدنيا وفي الآخرة . ولهذا لما ذكر تعالى ما أعطي سليمان في الدنيا نبه على أنه ذو حظ عظيم عند الله يوم القيامة أيضًا ، فقال : ﴿ وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحَسَنَ مَّآبٍ ﴾ أي : في الدار الآخرة .

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَ لِلْأُولَى الْأَلْبَبِ ﴿٤٣﴾ وَخَذَ بِيَدِكَ ضَغْنًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

يذكر تعالى عبده ورسوله أيوب - عليه السلام - وما كان ابتلاه تعالى به من الضر في جسده وماله وولده ، حتى لم يبق من جسده مفرز لإبرة سليماً سوى قلبه ، ولم يبق له من حال الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه ، غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله ورسوله ، فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه ، وتخدمه نحوًا من ثماني عشرة سنة . وقد كان قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا ، فسلب جميع ذلك . حتى آل به الحال إلى أن ألقى على مزبلة من مزابل البلدة هذه المدة بكما لها ، ورفضه القريب والبعيد سوى زوجته - رضي الله عنها - فإنها كانت لا تفارقه صباحًا ومساءً إلا بسبب خدمة الناس ، ثم تعود إليه قريبًا . فلما طال المطال ، واشتد الحال ، وانتهى القدر المقدور ، وتم الأجل المقدّر ، تضرع إلى رب العالمين وإله المرسلين ، فقال : ﴿ إِنِّي مَسْنِيَ الضَّرَّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ وفي هذه الآية الكريمة قال : ﴿ رَبِّ إِنِّي مَسْنِيَ الشَّيْطَانَ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ قيل : بنصب في بدني ، وعذاب في مالي وولدي . فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين ، وأمره أن يقوم من مقامه ، وأن يركض الأرض برجله . ففعل ، فأنبع الله عينًا وأمره أن يغتسل منها ، فأذهبت جميع ما كان في بدنه من الأذى . ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر ، فأنبع له عينًا أخرى وأمره أن يشرب منها ، فأذهبت جميع ما كان في باطنه من السوء ، وتكاملت العافية ظاهرًا وباطنًا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ .

قال ابن جرير ، وابن أبي حاتم جميعًا (٣٣) : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني نافع بن يزيد ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك - رضي الله

عنه - : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن نبي الله أيوب - عليه السلام - لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة ، فرفضه القريب والبعيد ، إلا رجلين كانا من أخص إخوانه به ، كانا يقدوان إليه ويروحان ، فقال أحدهما لصاحبه : تعلم - والله - لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين . قال له صاحبه : وما ذاك ؟ قال : من ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله ، فيكشف ما به . فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له ، فقال أيوب : لا أدري ما تقول ، غير أن الله يعلم أنني كنت أمرّ على الرجلين يتنازعان ، فيذكران الله - عز وجل - فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما ، كراهية أن يذكر الله إلا في حق . قال : وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ ، فلما كان ذات يوم أبطاً عليها ، وأوحى الله تعالى إلى أيوب - عليه السلام - أن ﴿ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴾ ، فاستبطأته ، فتلقته^[١] تنظر ، فأقبل^[٢] عليها ، قد أذهب الله ما به من البلاء ، وهو على أحسن ما كان . فلما رآته قالت : أي بارك الله فيك ، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى . فوالله على ذلك ، ما رأيت رجلاً أشبه به منك إذ كان صحيحاً ، قال : فإني أنا هو . قال : وكان له أندران ، أندر للقمح وأندر للشعير ، فبعث الله سحابتين ، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض ، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير حتى فاض . هذا لفظ ابن جرير رحمه الله .

وقال الإمام أحمد^(٣٤) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن مثنى قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينما^[٣] أيوب يغتسل عرياناً ، خرّ عليه جراد من ذهب ، فجعل أيوب يحثو^[٤] في ثوبه ، فناداه ربه : يا أيوب ؛ ألم أكن أغنيك عما ترى ؟ قال : بلى يا رب ، ولكن لا غنى بي عن بركتك » . انفرد بإخراجه البخاري من حديث عبد الرزاق به .

ولهذا قال تعالى : ﴿ ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب ﴾ ، قال الحسن ، وقناة : أحياهم الله تعالى له بأعيانهم وزاده مثلهم معهم .

وقوله : ﴿ رحمة منا ﴾ أي : به على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته ، ﴿ وذكرى لأولي الألباب ﴾ أي : لذوي العقول ، ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج والخروج والراحة .

وقوله : ﴿ وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحث ﴾ ، وذلك أن أيوب - عليه السلام -

(٣٤) - المسند (٣١٤/٢) ، وأخرجه البخاري في الغسل ، باب : من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة ... ، حديث (٢٧٨) ، وأطرافه في (٤٧٩٩، ٣٤٠٤) .

[٢] - في ز : « وأقبل » .

[٤] - في ز : « يحثي » .

[١] - في خ : « فبلغته » .

[٣] - في ز : « فبينما » .

كان قد غضب على زوجته ، ووجد عليها في أمر فعلته . قيل : باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه^[١] ، فلامها على ذلك ، وحلف إن شفاه الله ليضربنها مائة جلدة . وقيل : لغير ذلك من الأسباب . فلما شفاه الله وعافاه ، ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب ، فأثأه الله - عز وجل - أن يأخذ ضعفًا - وهو : الشمراخ - فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة ، وقد برت يمينه ، وخرج من حنثه ووفى^[٢] بنذره ، وهذا من الفرج والخروج لمن اتقى الله وأناب إليه ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب ﴾ ، أنشئ الله تعالى عليه ومدحه بأنه ﴿ نعم العبد إنه أواب ﴾ أي : رجاء منيب ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ وقد استدلل كثير من الفقهاء^[٣] بهذه الآية الكريمة على مسائل في الإيمان وغيرها ، وأخذوها بمقتضاها .

وَأَذْكُرْ عِبَدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾

يقول تعالى مخبراً عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين : ﴿ وأذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار ﴾ ، يعني بذلك : العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة .

قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس : ﴿ أولي الأيدي والأبصار ﴾ ، يقول : أولي القوة والعبادة ، ﴿ والأبصار ﴾ ، يقول : الفقه في الدين .

وقال مجاهد : ﴿ أولي الأيدي ﴾ يعني : القوة في طاعة الله ، ﴿ والأبصار ﴾ يعني : البصر في الحق .

وقال قتادة والسدي أعطوا قوة في العبادة وبصراً في الدين .

وقوله : ﴿ إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ﴾ قال مجاهد : أي جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم هم غيرها . وكذا قال السدي : ذكرهم للآخرة وعملهم لها .

وقال مالك بن دينار : نزع الله من قلوبهم حب الدنيا وذكرها ، وأخلصهم لحب الآخرة

[٢] - سقط من : خ .

[١] - سقط من : ز .

[٣] - في خ : « العلماء » .

وذكرها . وكذا قال عطاء الخراساني .

وقال سعيد بن جبّير : يعني بالدار الجنة ، يقول : أخلصناها لهم بذكرهم لها . وقال في رواية أخرى : ﴿ ذَكُرُوا الدَّارَ ﴾ : عقبى الدار .

وقال قتادة : كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة والعمل لها .

وقال ابن زيد : جعل لهم خاصّة أفضل شيء في الدار الآخرة .

وقوله : ﴿ وَإِنِّهِمْ عِنْدَنَا مِنَ الْمَصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ ﴾ أي : لمن المختارين المجتبيين الأخيار ، فهم أخيار مختارون .

وقوله : ﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴾ ، قد تقدم الكلام على قصصهم وأخبارهم مستقصاة في « سورة الأنبياء » بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ ﴾ أي : هذا فضل فيه ذكر لمن يتذكر .

وقال السدي : يعني القرآن .

هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتِنَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾
مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ
الطَّرَفِ أَرَأَيْتَ أَهْلًا هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٢﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ
نَقَادٍ ﴿٥٤﴾

يخبر تعالى عن عبادته المؤمنين السعداء ، أن لهم في الآخرة ﴿ لحسن مآب ﴾ وهو : المرجع والمنقلب . ثم فسره بقوله : ﴿ جنات عدن ﴾ أي : جنات إقامة ﴿ مفتحة لهم الأبواب ﴾ . والألف واللام هنا بمعنى الإضافة كأنه يقول : « مفتحة لهم أبوابها » أي : إذا جاءوها فتحت لهم^[١] أبوابها .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن ثواب^[٢] الهبّاري ، حدثنا عبد الله بن نمير ، حدثنا عبد الله ابن مسلم - يعني ابن هرمز عن ابن سابط ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجنة قصرًا يقال له^[٣] : عدن ، حوله البروج والمروج ، له خمسة آلاف باب ، عند كل باب خمسة آلاف^[٤] حَبْرَة ، لا يدخله - أو : لا يسكنه - إلا نبي أو

[٢] - ياض في خ ، ز .

[٤] - في ز : « إلا » .

[١] - في ت : « لها » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

صديق أو شهيد أو إمام عدل». وقد ورد في ذكر أبواب الجنة الثمانية أحاديث كثيرة من وجوه عديدة .

وقوله : ﴿ متكئين فيها ﴾ قيل : متربعين فيها على سرر تحت الحجال ، ﴿ يدعون فيها بفاكهة كثيرة ﴾ أي : مهما طلبوا وجدوا ، وحضر كما أرادوا . ﴿ وشراب ﴾ أي : من أي أنواعه شاءوا أنتهم به الخدام ﴿ بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴾ .

﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ أي : عن غير أزواجهن ، فلا يلتفتن إلى غير بعولتهن ، ﴿ أثواب ﴾ أي : متساويات في السن والعمر . هذا معنى قول ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد ابن جبير ، ومحمد بن كعب ، والسدي .

﴿ هذا ما توعدون ليوم الحساب ﴾ أي : هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة التي [١] وعدها لعباده المتقين ، التي يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار .

ثم أخبر عن الجنة أنه لا فراغ لها ولا انقضاء ولا زوال ولا انتهاء ، فقال : ﴿ إن هذا لرزقنا ماله من لقاد ﴾ ، كقوله تعالى : ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾ وكقوله : ﴿ عطاء غير مجزوء ﴾ وكقوله : ﴿ لهم أجر غير ممنون ﴾ أي : غير مقطوع ، وكقوله : ﴿ أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ﴾ والآيات في هذا كثيرة جدًا .

هَذَا وَإِنَّ لِلطَّافِينَ لَشَرَّ مَنَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنَسَ الْإِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا
فَلَيْدُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ﴿٥٧﴾ وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجُ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ
مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَأَ بِكُمْ أَنْتُمْ
قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَنَسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي
النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ اتَّخَذَتْهُمْ
سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْبَصَرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾

لما ذكر تعالى مآل السعداء ، تبيّن بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم وحسابهم ، فقال : ﴿ هذا وإن للطافين ﴾ وهم : الخارجون عن طاعة الله ، المخالفون لرسول الله ، ﴿ لشَرَّ مآبٍ ﴾ أي : لسوء منقلب ومرجع . ثم فسره بقوله : ﴿ جهنم يصلونها ﴾

أي : يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم ، ﴿ فبئس المهاد * هذا فليذوقوه حميم وغساق ﴾ ، أما الحميم فهو : الحار الذي قد انتهى حره ، وأما الغساق فهو ضده ، وهو البارد الذي لا يستطيع من شدة برده المؤلم . ولهذا قال : ﴿ وآخر من شكله أزواج ﴾ أي : وأشياء من هذا القبيل ، الشيء وضده يعاقبون بها .

قال الإمام أحمد ^(٣٥) : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دزاج ، عن أبي الهيثم ^[١] ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو أن دُلُومًا من غساق يهراق في الدنيا ، لأنتن أهل الدنيا » .

ورواه الترمذي ، عن سويد بن نصر ، عن ابن المبارك ، عن رشدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، عن دزاج ، به . ثم قال : لا نعرفه إلا من حديث رشدين . كذا قال : وقد تقدم من غير حديثه .

ورواه ابن جرير ^(٣٦) ، عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث به .

وقال كعب الأحبار : غساق ^[٢] : عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة من حية وعقرب وغير ذلك ، فيستقع ، فيؤتى ^[٣] بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة ، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ، ويتعلق جلده ولحمه في كعبيه وعقبه ، ويجر لحمه كما يجرج الرجل ثوبه . رواه ابن أبي حاتم .

وقال الحسن البصري في قوله : ﴿ وآخر من شكله أزواج ﴾ ألوان من العذاب .

وقال غيره : كالزهرير ، والسموم ، وشرب الحميم ، وأكل الزقوم ، والصعود والهوي ، إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة والمتضادة ، والجميع مما يعذبون به ، ويهانون بسببه .

وقوله : ﴿ هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبًا بهم إنهم صالوا النار ﴾ ، هذا إخبار عن قيل أهل النار بعضهم لبعض [كما قال تعالى] ^[٤] : ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴾ ، يعني بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ، ويكفر بعضهم ببعض ، فتقول الطائفة التي تدخل قبل

(٣٥) - المسند (٨٣، ٢٨/٣) ، وأخرجه الترمذي في صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار حديث (٢٥٨٤) .

(٣٦) - تفسير الطبري (١٧٨/٢٣) .

[٢] - في ت : وغساق .

[١] - سقط من : ز .

[٤] - المعكوفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « يؤتى » .

الأخرى ، إذا أقبلت التي بعدها مع الحزنة من الزبانية : ﴿ هذا فوج مقتحم ﴾ أي : داخل معكم ، ﴿ لا مرجئ بهم إنهم صالوا النار ﴾ ؛ لأنهم من أهل جهنم . ﴿ قالوا بل أنتم لا مرجئ بكم ﴾ أي : فيقول لهم الداخلون : بل أنتم لا مرجئ بكم ﴿ أنتم قدمتموه لنا ﴾ أي : أنتم دعوتونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير ، ﴿ فبئس القرار ﴾ أي : فبئس المنزل والمستقر والمصير . ﴿ قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار ﴾ ، [كما قال عز وجل : ﴿ قالت أحرهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ﴾ ^[١]] قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ أي : لكل منكم عذاب بحسبه ^[٢] ﴿ وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار . أتخذناهم سخرى أم زأغت عنهم الأبصار ﴾ ، هذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يَفْقَهُونَ رجالاً كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قالوا : ما لنا لا نراهم معنا في النار ؟

قال مجاهد : هذا قول أبي جهل ، يقول : ما لي لا أرى بلالاً وعماراً وصهيتاً وفلاتاً وفلاتاً .

وهذا مثل ضُرب ، وإلا فكل الكفار هذا حالهم : يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار ، فلما دخل الكفار النار ^[٣] اتفقدهم فلم يجدوهم ، فقالوا : ﴿ ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار . أتخذناهم سخرى ﴾ أي : في الدنيا ، ﴿ أم زأغت عنهم الأبصار ﴾ ، يُسَلِّتون أنفسهم بالحال ، يقولون : أو لعلهم معنا في جهنم ، ولكن لم يقع بصرنا عليهم . فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات ، وهو قوله : ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ﴾ إلى قوله : ﴿ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ .

وقوله : ﴿ إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ﴾ أي : إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد ، من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض ، ولعن بعضهم لبعض ، لحق لا مزية فيه ولا شك .

قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْفَقْرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَكِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ

﴿٧٠﴾

[١] - سقط من خ ، ز .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في خ : « يحسبه » .

يقول تعالى أمراً رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للكفار بالله المشركين به المكذبين لرسوله : إنما أنا منذر ، لست كما تزعمون ، ﴿ وما من إله إلا الله الواحد القهار ﴾ أي : هو وحده قد قَهَرَ كل شيء وغلبه . ﴿ رب السماوات والأرض وما بينهما ﴾ أي : هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه ، ﴿ العزيز الغفار ﴾ أي : غفار مع عزته وعظمته .

﴿ قل هو بَأْ عَظِيم ﴾ أي : خبر عظيم وشأن بليغ وهو إرسال الله إياي إليكم ﴿ أنتم عنه معرضون ﴾ أي غافلون .

قال مجاهد ، وشريح القاضي ، والشَّذِّي في قوله : ﴿ قل هو بَأْ عَظِيم ﴾ يعني : القرآن .

وقوله : ﴿ ما كان لي من علم بالملا الأعلى إذ يختصمون ﴾ أي : لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملا الأعلى ؟ يعني في شأن آدم وامتناع إبليس من السجود له ، ومحاботته ربه في تفضيله عليه . فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد^(٣٧) حيث قال :

حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدثنا جَهْضَم اليمامي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن زيد بن أبي سلام ، عن أبي سلام ، عن عبد الرحمن بن عائش ، عن مالك بن يَخَامِر ، عن معاذ - رضي الله عنه - قال : احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة عن صلاة الصبح ، حتى كدنا نترأى قرن الشمس . فخرج [رسول الله صلى الله عليه وسلم]^[١] سريعا ، فتَوَبَّ بالصلاة فصلى وتجوَّز في صلاته ، فلما سلم قال : « كما أنتم [على مَصَافِكُمْ] »^[٢] . ثم أقبل إلينا فقال : « [إلي سأحدثكم ما حَبَسَنِي عنكم الغداة] »^[٣] . إني قمت من الليل فصليت ما قَدَّرَ لي ، فَنَعَسْتُ في صلاتي حتى استيقظت ، فإذا أنا بربي في أحسن صورة ، فقال : يا محمد ، أتدري فيم يختصم الملا الأعلى قلت : لا أدري رب - أعادها ثلاثا - فرأيت وضع كفه بين كفتي حتى وجدت برد أنامله بين صدري ، فتجلَّى لي كل شيء وعرفت ، فقال^[٤] : يا محمد فيم يختصم الملا الأعلى قلت : في الكفارات . قال : وما الكفارات . قلت : نقل الأقدام إلى الجمعات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات ، وإسباغ الوضوء عند الكريهات . قال : وما الدرجات . قلت : إطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة والناس نيام . قال : سل . قلت : اللهم ، إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت فتنة بقوم فتروني غير مفتون ، وأسألك حُبَّك ، وحُبَّ من يُحِبُّك ، وحُبَّ عمل يقربني إلى حبك . وقال رسول

(٣٧) - المسند (٢٤٣/٥) ، وأخرجه الترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة ص حديث (٣٢٣٥) عن محمد بن بشار عن معاذ بن هانئ عن جهضم به .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز . [٢] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .
[٣] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز . [٤] - في ز : « فتلك » .

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا»^[١] وتعلموها .

فهو حديث المنام المشهور ، ومن جعله يقظة فقد غلط ، وهو في السنن من طرق . وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبد الله اليمامي ، به . وقال : حسن صحيح . وليس هذا الاختصاص هو الاختصاص المذكور في القرآن ؛ فإن هذا قد فُسر ، وأما الاختصاص الذي في القرآن فقد فسر بعد هذا ، وهو قوله تعالى :

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُم سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَبْنَئُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ۖ اسْتَكْبَرْتَ أَتَمَ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتُهُمْ مِّن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِن عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾

هذه القصة ذكرها الله تعالى في « سورة البقرة » ، وفي أول « الأعراف » ، وفي « سورة الحجر » ، و« سبحان » ، و« الكهف » ، و« هاهنا » ، وهي أن الله سبحانه أعلم الملائكة قبل خلق آدم - عليه السلام - بأنه سيخلق بشراً من صلصال من خمأ مسنون ، وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته فليُسجدوا له إكراماً وإعظاماً واحتراماً وامثالاً لأمر الله عز وجل . فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إِبْلِيسَ ، ولم يكن منهم جنساً ، كان من الجن فخانه طبعه وجبلته أحوَج ما كان إليه ، فاستكف^[٢] عن السجود لآدم ، وخاصم ربه - عز وجل - فيه ، وادعى أنه خير من آدم ؛ فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين ، [والنار خير من الطين]^[٣] في زعمه . وقد

[١] - في ز : « فارسوها » .

[٢] - في ز : « فاستأنف » .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

أخطأ في ذلك ، وخالف أمر الله ، وكفر بذلك ، فأبعده الله وأرغم أنفه ، وطرده عن^[١] باب رحمته ومحل أنسه ، وحضرة قدسه ، وسماه « إبليس » ، إعلامًا له بأنه قد أُلِّس من الرحمة ، وأنزله من السماء مذمومًا مذحورًا إلى الأرض ، فسأل الله النظرة إلى يوم البعث ، فأنظره الحليم الذي لا يتفجل على من عصاه . فلما أمِنَ الهلاك إلى يوم القيامة تَمَرَّدَ وطفئ ، وقال : ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ ، كما قال : ﴿ أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلًا ﴾ ، وهؤلاء هم المستثنون في الآية الأخرى ، وهي قوله تعالى : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا ﴾ وقوله : ﴿ قال فالحق والحق أقول * لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين ﴾ ، قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع « الحق » الأولى ، وفسره مجاهد بأن معناه : أنا الحق ، والحق أقول . وفي رواية عنه : الحق مني ، وأقول الحق .

وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي : هو قسم أقسم الله به .

قلت : وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى : ﴿ ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ . وكقوله تعالى : ﴿ قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورًا ﴾ .

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ

﴿٨٧﴾ وَلِلْعَالَمِينَ نَبَأٌ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصيح أجرًا تعطونيهِ من عرض الحياة الدنيا ، ﴿ وما أنا من المتكلفين ﴾ أي : وما أزيد على ما أرسلني الله به ، ولا أبتغي زيادة عليه ، بل ما أمرت به أدتيته لا أزيد عليه ولا أنقص منه ، وإنما أبتغي بذلك وجه الله - عز وجل - والدار الآخرة .

قال سفيان الثوري : عن الأعمش ، ومنصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق قال : أتينا عبد الله بن مسعود قال : يا أيها الناس ، من علم شيئًا فليقل به ، ومن لا يعلم فليقل : الله أعلم ؛ فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم : الله أعلم ، فإن الله قال لنبيكم صلى الله عليه وسلم : ﴿ قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ﴾ . أخرجاه^(٣٨) من حديث الأعمش ، به .

(٣٨) - أخرجه البخاري في التفسير ، باب (وما أنا من المتكلفين) حديث (٤٨٠٩) ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين ، حديث (٢٧٩٨) .

وقوله : ﴿ إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ يعني : القرآن ذكر لجميع المكلفين من الإنس والجن .
 قاله ابن عباس . ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن أبي غسان مالك بن إسماعيل حدثنا
 قيس ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ لِلْعَالَمِينَ ﴾
 قال : الجن والإنس .

وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ ، ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ ﴾ أي : خبره وصدقه ﴿ بَعْدَ حِينٍ ﴾ أي : عن قريب . قال قتادة :
 بعد الموت . وقال عكرمة : يعني يوم القيامة . ولا منافاة بين القولين ، فإن من مات فقد^[١]
 دخل في حكم القيامة .

وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ ، قال الحسن^[٢] : يا ابن آدم ، عند
 الموت يأتيك الخبر اليقين .

[آخر تفسير سورة «ص» ولله الحمد والمنة] .



[٢] - سقط من : خ ، ز .

[١] - في ز : « قد » .

تفسير سورة الزمر

وهي مكية

قال النسائي^(١) : حدثنا محمد بن النضر بن مساور، حدثنا حماد ، عن مروان أبي لبابة^(٢) ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول : ما يريد أن يفطر . ويفطر حتى نقول : ما يريد أن يصوم ، وكان يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي
مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾

يخبر تعالى أن تنزيل هذا الكتاب - وهو القرآن العظيم - من عنده تبارك وتعالى ، فهو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَنْزِلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ وقال : ﴿ وَإِنَّا لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ وقال هاهنا : ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ ﴾ أي : المنيع الجنب ، ﴿ الْحَكِيمِ ﴾ أي : في أقواله وأفعاله ، وشرعه وقدره .

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فاعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ أي : فاعبد الله وحده لا شريك له ، وادع الخلق إلى ذلك ، وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له ، وأنه ليس له شريك ولا عدل ولا تدب ، ولهذا قال : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ أي : لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده ، لا شريك له . وقال قتادة في قوله : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله .

ثم أخبر تعالى عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ

(١) - « عمل اليوم والليلة » رقم (٧١٢) ، أخرجه أحمد (١٢٢، ٦٨/٦) ، والترمذي في فضائل القرآن حديث (٢٩٢٠) ، وفي الدعوات حديث (٣٤٠٥) وابن خزيمة (١١٦٣) من طرق عن حماد بن زيد به .

[١] - في ز ، خ : مروان بن أبي لبابة ، والمثبت من سنن النسائي ، وغيره .

اللَّهُ زُلْفَى ﴿١﴾ أي : إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عَمَدُوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم ، فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ، ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم ، وما ينوبهم من أقر الدنيا ، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به .

قال قتادة ، والشدي ، ومالك عن زيد بن أسلم ، وابن زيد : ﴿ إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى ﴾ أي : ليشفعوا لنا ، ويقربونا عنده منزلة .

ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حَجَّجُوا في جاهليتهم : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك . وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه ، وجاءتهم الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - برَدِّهَا والنهي عنها ، والدعوة إلى إفراذ العبادة لله^[١] وحده لا شريك له ، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم ، لم يأذن الله فيه ولا رَضِيَ به ، بل أبغضه ونهى عنه : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ ، ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي^[٢] إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ وأخبر أن الملائكة التي في السماوات من المقربين وغيرهم ، كلهم عبيد خاضعون لله ، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى ، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم ، يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأتوه ، ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ تعالى الله عن ذلك .

وقوله : ﴿ إن الله يحكم بينهم ﴾ أي : يوم القيامة ، ﴿ فيما هم فيه يختلفون ﴾ أي : سيفصل بين الخلائق يوم مَعَادِهِمْ ، ويجزي كل عامل بعمله ، ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دولهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ .

وقوله : ﴿ إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ أي : لا يرشد إلى الهداية مَنْ قَضَدَهُ الكذب والافتراء على الله ، وقلبه كَفَّار يجحد بآياته وبراهينه .

ثم بين تعالى أنه لا ولد له كما يزعمه جَهْلَةُ المشركين في الملائكة ، والمعادنون من اليهود والنصارى في الغزير وعيسى ، فقال : ﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء ﴾ أي : لكان الأمر على خلاف ما يزعمون . وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه ، بل هو محال ، وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه ، كما قال : ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين ﴾ ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ كل هذا من باب الشرط ، ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لقصد المتكلم .

وقوله : ﴿ سبحانه هو الله الواحد القهار ﴾ أي : تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد ، فإنه الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي كل شيء عبد لديه ، فقير إليه ، وهو الغني

[٢] - في ز : « يوحى » .

[١] - سقط من : خ .

عما سواه ، الذي قد قهر الأشياء فدانت له وذلت وخضعت .

لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ
الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى
النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ
مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾

يخبر تعالى أنه الخالق لما في السماوات والأرض ، وما بين ذلك من الأشياء ، وأنه مالك
الملك المتصرف فيه ، يقلب ليله ونهاره ، ﴿ يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ ﴾
أي : سخرهما يجران متعاقبين لا يقرآن ، كل منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا ، كقوله : ﴿ يغشي
الليل النهار يطلبه حثيثًا ﴾ . هذا معنى ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقاعدة والسدي وغيرهم .

وقوله : ﴿ وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ﴾ أي : إلى مدة معلومة عند الله
ثم تنقضي [١] يوم القيامة . ﴿ ألا هو العزيز الغفار ﴾ أي : مع عزته وعظمته وكبريائه هو
غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه .

وقوله : ﴿ خلقكم من نفس واحدة ﴾ أي : خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم
وألستكم وألوانكم من نفس واحدة ، وهو آدم عليه السلام ، ﴿ ثم جعل منها زوجها ﴾ وهي
حواء عليهما السلام ، كقوله : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة
وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ .

وقوله : ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴾ أي : وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية
أزواج ، وهي المذكورة في « سورة الأنعام » : ﴿ ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز
اثنين ﴾ ﴿ ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ﴾ .

وقوله : ﴿ يخلقكم في بطون أمهاتكم ﴾ أي : قدركم [٢] في بطون أمهاتكم ﴿ خلقًا من

[٢] - في ز : « يخلقكم » .

[١] - ما بين المكوفين في ز : « يوم » .

بعد خلق ﴿ أي : يكون أحدكم أولاً نطفة ، ثم يكون علقة ، ثم يكون مضغة ، ثم يخلق فيكون لحماً وعظماً وعصباً وعروفاً ، وينفخ فيه الروح فيصير خلقاً آخر ، ﴿ فبَارِكُ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .

وقوله : ﴿ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ يعني : ظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة - التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد - ، وظلمة البطن . كذا قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو مالك ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وابن^[١] زيد .

وقوله : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ أي : هذا الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما وخلقكم^[٢] وخلق آباءكم ، هو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك ، ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي : الذي^[٣] لا تنبغي العبادة إلا له وحده ، ﴿ فَأَتَى تَصْرُفُونَ ﴾ أي : فكيف تعبدون معه غيره ؟ أين يذهب بعقولكم ؟ !

إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّكُمْ عِندَ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسَىٰ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾

يقول تعالى مخبراً عن نفسه تعالى : بأنه^[٤] الغني عما سواه من المخلوقات ، كما قال موسى : ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ .

وفي صحيح مسلم^(١) : « يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً » .

وقوله : ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ أي : لا يحبه ولا يأمر به ، ﴿ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ أي : يحبه منكم ويزدكم^[٥] من فضله .

(٢) - تقدم في تفسير سورة يونس الآية (٤٤) .

[١] - في خ ، ز : « وأبو » .

[٣] - في ز : « التي » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز : « ويزيدكم » .

[٤] - في خ : « إنه » .

﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ أي : لا تحمل نفس عن نفس شيئاً^[١] ، بل كلُّ مطالب بأمر نفسه ، ﴿ ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور ﴾ [أي : فلا تخفى عليه خافية]^[٢] .

وقوله : ﴿ وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيئاً إليه ﴾ أي : عند الحاجة يضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل ﴾ أي : في حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع ، كما قال تعالى : ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مرَّ كأن لم يدعنا إلى ضر مسه ﴾ .

﴿ وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله ﴾ أي : في حال العافية يشرك بالله ، ويجعل له أنداداً ، ﴿ قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار ﴾ أي : قل لمن هذه حاله وطريقته ومسلكه : تمتع بكفرك قليلاً وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ، كقوله : ﴿ قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار ﴾ وقوله : ﴿ فتمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ .

أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾

يقول تعالى : أَمَّنْ هذه صفة كمن أشرك بالله وجعل له أنداداً ؟ لا يستترون عند الله ، كما قال تعالى : ﴿ ليسوا سواءً من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ أَمَّنْ هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً ﴾ أي : في حال سجوده وفي حال قيامه ؛ ولهذا استدل بهذه الآية من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع في الصلاة ، ليس هو القيام وحده ، كما ذهب إليه آخرون .

وقال الثوري ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، أنه قال : القانت المطيع لله ولرسوله .

وقال ابن عباس ، والحسن ، والسدي ، وابن زيد : ﴿ آناء الليل ﴾ : جوف الليل .

وقال الثوري ، عن منصور : بلغنا أن ذلك بين المغرب والعشاء .

وقال الحسن ، وقتادة : ﴿ آناء الليل ﴾ : أوله وأوسطه وآخره .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

[١] - سقط من : ز .

وقوله : ﴿ يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ أي : في حال عبادته خائف راج ، ولا بد في العبادة من هذا وهذا ، وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب ؛ ولهذا قال : ﴿ يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ ، فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه^[١] ، كما قال الإمام عبّاد بن حميد في مسنده^(٣) :

حدثنا يحيى بن عبد الحميد ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا ثابت ، عن أنس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي رجل وهو في الموت ، فقال له : « كيف تجدك ؟ » . قال : أرجو وأخاف . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الوطن إلا أعطاه الله - عز وجل - الذي يرجو ، وأمنه الذي يخافه » .

ورواه الترمذي والنسائي في « اليوم والليلة » ، وابن ماجه من حديث سيّار بن حاتم ، عن جعفر بن سليمان ، به ، وقال الترمذي : غريب . وقد رواه بعضهم عن ثابت ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا .

و^[٢] قال ابن أبي حاتم^(٤) ، حدثنا عمر بن شبة ، عن عبيدة النميري ، حدثنا أبو خلف^[٣] ، عبد الله بن عيسى الخزاز^[٤] ، حدثنا يحيى البكاء ، أنه سمع ابن عمر قرأ : ﴿ أمن هو قالت آتاء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ قال ابن عمر : ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وإنما قال ابن عمر ذلك ؛ لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان بالليل وقراءته ، حتى إنه ربما قرأ القرآن في ركعة ، كما روى ذلك أبو عبيدة عنه رضي الله عنه ، وقال الشاعر :

صَحَّحُوا بِأَشْمَطِ عَنَوَانَ السَّجُودِ بِهِ يَقْطَعُ اللَّيْلُ تَسْبِيحًا وَقَرَأْنَا

وقال الإمام أحمد^(٥) : كتب إلي الربيع بن نافع : حدثنا الهيثم بن حميد ، عن زيد بن واقد ، عن سليمان بن موسى ، عن كثير بن مرة ، عن تميم الداري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ بمائة آية في ليلة ، كتب له قنوت ليلة » .

(٣) - المنتخب من مسند عبد بن حميد (١٣٧٠) ، وأخرجه الترمذي في الجنايز ، حديث (٩٨٣) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (١٠٦٢) وابن ماجه في الزهد ، باب : ذكر الموت والاستعداد له ، حديث (٤٢٦١) من طريق سيّار ، عن جعفر بن سليمان به .

(٤) - عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٥/٥-٣٥٦) إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية ، وابن عساكر .

(٥) - المسند (١٠٣/٤) ، وأخرجه الدارمي (٣٤٥٣) من طريق يحيى بن حمزة ، عن زيد بن واقد به .

[٢] - سقط من : ز .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز : « الخراز » .

[٣] - بعده في خ ، ز : « ابن » .

وكذا رواه النسائي في «اليوم والليلة»^(٦) عن إبراهيم بن يعقوب ، عن عبد الله بن يوسف والريبع بن نافع ، كلاهما عن الهيثم بن حُميد ، به .

وقوله : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ أي : هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل لله أندادًا ليضل عن سبيله ؟ ! ﴿ إنما يتذكر أولو الألباب ﴾ أي : إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا مَنْ له لُبٌّ ، وهو العقل .

قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ
وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ
أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى أمرًا عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه : ﴿ قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ﴾ أي : لمن أحسن العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياهم وأخراهم .

وقوله : ﴿ وأرض الله واسعة ﴾ قال مجاهد : فهاجروا فيها وجاهدوا واعتزلوا الأوثان^[١] .

وقال شريك عن منصور ، عن عطاء في قوله : ﴿ وأرض الله واسعة ﴾ قال : إذا دعيتم إلى المعصية فاهربوا ، ثم قرأ : ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ .

وقوله : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ ، قال الأوزاعي : ليس يوزن لهم ولا يكال ، إنما يغرف لهم غرفًا .

وقال ابن جريج^[٢] : بلغني أنه لا يحسب [٣] ثواب عملهم قط ولكن يزدون على ذلك .

وقال السدي : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ : يعني في الجنة .

وقوله : ﴿ قل إنني أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ أي : إنما^[٤] أُمِرْتُ بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، ﴿ وأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ، قال السدي : يعني من أمته صلى الله عليه وسلم .

(٦) - عمل اليوم والليلة رقم (٧١٧) .

[٢] - في خ ، ز : « جرير » .

[١] - مكرره في : ز .

[٤] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفين في ز : « عليهم » .

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُوا مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانِ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادُهُ يَعْبَادُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى : قل يا محمد وأنت رسول الله : ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وهو يوم القيامة . وهذا شرط ، ومعناه التعريض بغيره بطريق الأولى والأخرى ، ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُوا مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾ فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴿ ﴾ ، وهذا أيضًا تهديد وتبذير منهم ، ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ ﴾ أي : إنما الخاسرون كل الخسار ^[١] ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ أي : تفارقوا فلا التقاء لهم أبدًا ، سواء ذهب أهلهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار ، أو أن الجميع أسكنوا النار ، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور ، ﴿ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانِ الْمُبِينُ ﴾ أي : هذا هو الخسار البين الظاهر الواضح .

ثم وصف حالهم في النار فقال : ﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ ، كما قال : ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ وقال : ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وقوله : ﴿ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ ﴾ أي : إنما يقص ^[٢] خبر هذا الكائن لا محالة ليخوف به عباده ، لينزجروا عن المحارم والمآثم .

قوله : ﴿ يَا عِبَادِيَ فَاتَّقُونَ ﴾ أي : اخشوا بأسِي وسطوتي وعذابي ونقمتي .

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا ﴾ ، نزلت في زيد بن عمرو ^[٣] بن نفيل ، وأبي ذر ، وسلمان الفارسي . والصحيح أنها شاملة لهم

[١] - في ز : « الخاسرون » .

[٢] - في ز : « نقص » .

[٣] - في خ : « عمر » .

ولغيرهم ، ممن اجتنب عبادة الأوثان ، وأناب إلى عبادة الرحمن . فهؤلاء هم ^[١] الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

ثم قال : ﴿ فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ أي : يفهمونه ويعملون بما فيه ، كقوله تعالى لموسى حين آتاه التوراة : ﴿ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ﴾ .

﴿ أولئك الذين هداهم الله ﴾ أي : المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة ، ﴿ وأولئك هم أولو الألباب ﴾ أي : ذوو العقول الصحيحة ، والفطر المستقيمة .

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْفَقُوا
رَبَّهُمْ هُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقَهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ بُجُرْجٍ مِّنْ حِجَابٍ الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ
اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى : أفمن كتب الله أنه شقي [تُقَدَّرُ تُقَدَّرُهُ مِمَّا] ^[٢] هو فيه من الضلال والهلاك ؟ أي : لا يهديه أحد من بعد الله ؛ لأنه من يضل الله فلا هادي له ، ومن يهده فلا مضل له .

ثم أخبر عن عباده السعداء أنهم لهم غرف في الجنة ، وهي ^[٣] القصور الشاهقة ، ﴿ من فوقها غرف مبنية ﴾ أي : طباق فوق طباق ، مَبْنِيَّاتٌ محكمات مزخرفات عاليات .

قال عبد الله ابن الإمام أحمد ^(٧) : حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي ، حدثنا محمد ^[٤] بن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان بن سعد ، عن علي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجنة لغرفاً يُرَى بطونها من ظهورها ، وظهورها من بطونها » . فقال أعرابي : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : « لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وصلى [لله بالليل] ^[٥] والناس نيام » . ورواه الترمذي من حديث عبد الرحمن بن إسحاق ، وقال : حسن غريب ، وقد تكلم بعض أهل العلم فيه من قبل حفظه .

(٧) - المسند (١/١٥٥) ، وأخرجه الترمذي في البر والصلة ، باب : ما جاء في قول المعروف ، حديث (١٩٨٤) ، وفي صفة الجنة ، باب : ما جاء في صفة غرف الجنة حديث (٢٥٢٧) ، وابن خزيمة (٢١٣٦) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق به . وقال ابن خزيمة : في القلب من عبد الرحمن بن إسحاق أبي شيبة الكوفي .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز : « بقدر يُنفذه بما » . [٣] - في ز : « وهو » .

[٤] - في خ : « حماد » . [٥] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

وقال الإمام أحمد^(٨) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن ابن مُعَاتِق - أو : أبي مُعَاتِق - عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجنة لغرفة يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وألان الكلام ، وتابع الصيام ، وصلى والناس ليام » . تفرد به أحمد من حديث عبد الله بن معاذ الأشعري عن أبي مالك به .

وقال الإمام أحمد^(٩) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون^[١] الكوكب في السماء » . قال : فحدث بذلك النعمان بن أبي عياش ، فقال : سمعت أبا سعيد الخدري يقول : « كما تراءون الكوكب الدرّي^[٢] في الأفق الشرقي أو الغربي » .

أخرجه في الصحيحين^(١٠) ، من حديث أبي حازم ، وأخرجه أيضًا^[٣] في الصحيحين من حديث مالك ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد^(١١) : حدثنا فزارة ، أخبرني فليح ، عن هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة أهل الغرف ، كما تراءون الكوكب الدرّي الغارب في الأفق الطالع ، في تفاضل^[٤] أهل الدرجات » . فقالوا : يارسول الله ، أولئك النبيون ؟ فقال : « بلى ، والذي نفسي بيده ، وأقوام آمنوا بالله وصدقوا الرسل » .

ورواه الترمذي عن سويد ، عن ابن المبارك ، عن فليح به ، وقال : حسن صحيح .

(٨) - المسند (٣٤٣/٥) ، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢١٣٧) عن الحسين بن مهدي ، عن عبد الرزاق به .

(٩) - المسند (٣٤٠/٥) وأخرجه البخاري في الرقاق ، باب : صفة الجنة والنار ، حديث (٦٥٥٥ ، ٦٥٥٦) ومسلم في الجنة وصفة نعيمها ، حديث (٢٨٣٠ ، ٢٨٣١) .

(١٠) - صحيح البخاري في بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة حديث (٣٢٥٦) ، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها ، حديث (٢٨٣١) من طريق مالك بن أنس به .

(١١) - المسند (٣٣٩/٢) ، وأخرجه في (٣٣٥/٢) عن أبي عامر ، وسريج بن النعمان عن فليح به . وأخرجه الترمذي في صفة الجنة ، باب : ما جاء في ترائي أهل الجنة في الغرف حديث (٢٢٥٦) من طريق فليح به .

[٢] - في ز : « الذي » .

[١] - في خ ، ز : « يتراءون » .

[٤] - في ز : « تفاضيل » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

وقال الإمام أحمد^(١٢) : حدثنا أبو النضر وأبو كامل^[١] قالوا : حدثنا زهير ، حدثنا سعد الطائي ، حدثنا أبو المذله - مولى أم المؤمنين - أنه^[٢] سمع أبا هريرة يقول^[٣] : قلنا : يا رسول الله ، إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا ، وكنا من أهل الآخرة ، فإذا فارقتك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد . قال : « لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي ، لصافحتكم الملائكة بأكفهم ، ولزارتكم في بيوتكم . ولو لم تذببوا لجاء الله بقوم يذنبون كي^[٤] يغفر لهم » . قلنا : يا رسول الله ، حدثنا عن الجنة ، ما بناؤها ؟ قال : « لبننة ذهب ولبننة فضة ، وملاطها المسك الأذفر ، وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا يتأس^[٥] ، ويخلد ولا يموت ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه . ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام ، وتفتح لها أبواب السماوات ، ويقول الرب : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين » . وروى الترمذي ، وابن ماجة بعضه ، من حديث سعد أبي مجاهد الطائي - وكان ثقة - عن أبي المذله وكان ثقة ، به .

وقوله : ﴿ تجري من تحتها الأنهار ﴾ أي : تسلك^[٦] الأنهار بين خلال ذلك ، كما يشاءوا وأين أرادوا ، ﴿ وعد الله ﴾ أي : هذا الذي ذكرناه وعدَّ وعده الله عباده المؤمنين ﴿ إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ .

لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٖٓ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

(١٢) - المسند (٣٠٤/٢) ، وأخرجه الحميدي (١١٥٠) ، وأحمد (٣٠٥/٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧) ، وعبد بن حميد ، والدارمي (٢٨٢٤) ، والترمذي في الدعوات ، باب : في العفو ، والعافية ، حديث (٣٥٩٨) ، وابن ماجة في الصيام ، باب : في الصائم لا ترد دعوته ، حديث (١٧٥٢) ، وابن خزيمة (١٩٠١) من طرق عن سعد بن عبيد أبي مجاهد به . والروايات مطولة ومختصرة .

[٢] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « لكي » .

[١] - في ز : « عامر » .

[٣] - سقط من : ز .

[٥] - في ز : « يتأس » .

[٦] - في ز : « تلك » .

يخبر تعالى أن أصل الماء في الأرض من السماء كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ ، فإذا أنزل الماء من السماء كَمَن في الأرض ، ثم يصرفه تعالى في أجزاء الأرض كما يشاء ، ويُنبِعه عيونًا ما بين صغار وكبار ، بحسب الحاجة إليها ؛ ولهذا قال : ﴿ فَسَلَكَهُ يَنْابِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

قال ابن أبي حاتم رحمه الله : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو قتبية عتبة بن يقظان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْابِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [قال : ليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء ، ولكن عروق في الأرض تغيره ، فذلك قوله تعالى : ﴿ فَسَلَكَهُ يَنْابِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾]^[١] ، فمن سره أن يعود الملح عذبًا فليصعده .

وكذا قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي : إن كل ماء في الأرض ، فأصله من السماء .

وقال سعيد بن جبير : أصله من الثلج . يعني أن الثلج يتراكم على الجبال ، فيسكن في قرارها ، فتنبع العيون من أسافلها .

وقوله : ﴿ ثُمَّ يَخْرُجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلَفًا أَلْوَانُهُ ﴾ أي : ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنابع من الأرض زَرْعًا ﴿ مُخْتَلَفًا أَلْوَانُهُ ﴾ أي : أشكاله وطعومه وروائح ومنافعه ، ﴿ ثُمَّ يَهْبِيجُ ﴾ أي :^[٢] بعد نضارته وشبابه يكتهل^[٣] ﴿ فَنُفِثَ مَصْفُورًا ﴾ ، قد خالطه اليبس ، ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ﴾ أي : ثم يعود يابسًا ينحطم^[٤] : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ أي : الذين يتذكرون بهذا ، فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا ، تكون خَضْرَاءَ نَضْرَةً حَسَنَةً ، ثم تعود عَجُوزًا شَوْهًا ، والشباب يعود شيخًا هَرِمًا كبيرًا ضِعْفًا ، وبعد ذلك كله الموت . فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير ، وكثيرًا ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء ، وينبت به زَرْعًا وثَمَرًا ، ثم يكون بعد ذلك حُطَامًا ، كما قال تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ نَبَاتَ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ .

وقوله : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ أي : هل يستوي هذا ومن هو قاسي القلب بعيد من الحق ؟ ! كقوله تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أي : فلا تلين^[٥] عند ذكره^[٦] ، ولا [تخشع ولا تمي ولا

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « يكتمل » . [٤] - في ز : « ينحطم » .

[٥] - في ز : « يلين » . [٦] - في ز : « ذكر » .

تفهم^[١] ، ﴿ أولئك في ضلال مبين ﴾ .

اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَشِعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ
يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾

هذا مَدْخُجٌ من الله - عز وجل - لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم ، قال الله تعالى : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهاً مثاني ﴾ ، قال مجاهد : يعني القرآن كله^[٢] متشابه مثاني .

وقال قتادة : الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف .

وقال الضحاك : ﴿ مثاني ﴾ : ترديد القول ليفهموا عن ربهم عز وجل .

وقال عكرمة والحسن : ثنى الله فيه القضاء . زاد الحسن : تكون السورة فيها آية وفي السورة الأخرى آية تشبهها .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ مثاني ﴾ : مُرَدَّد ، زُدَّد موسى في القرآن ، وصالح وهود والأنبياء - عليهم السلام - في أمكنة كثيرة .

وقال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ مثاني ﴾ قال : القرآن يشبه بعضه بعضًا ، ويرد بعضه على بعض .

وقال بعض العلماء : ويُزَوَّى عن سفيان بن عيينة معنى قوله : ﴿ متشابهاً مثاني ﴾ : أن سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد ، فهذا من التشابه ، وتارة تكون بذكر الشيء وضده ، كذكر المؤمنين ثم الكافرين ، و^[٣] كصفة الجنة ثم صفة النار ، وما أشبه هذا ، فهذا من المثاني ، كقوله تعالى : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم ﴾ وكقوله : ﴿ كلا إن كتاب الفجار لفي سجين ﴾ إلى أن قال : ﴿ كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين ﴾ ﴿ هذا ذكر ، وإن للمتقين لحسن مآب ﴾ إلى أن قال : ﴿ هذا وإن للطاغين لشر مآب ﴾ ونحو هذا من السياقات ، فهذا كله من المثاني ، أي : في معنيين اثنين^[٤] ، وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضًا ، فهو التشابه . وليس هذا من التشابه المذكور في قوله : ﴿ منه

[١] - ما بين المعكوفين في ز : « يخشع ولا يعي ولا يفهم » .

[٣] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴿﴾ ، ذلك معنى آخر .

وقوله : ﴿﴾ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴿﴾ أي: هذه صفة الأبرار ، عند سماع كلام الجبار ، [المهيمن العزيز الغفار]^[١] ، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد ، والتخويف والتهديد ، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف . ﴿﴾ ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴿﴾ ، لما يرجون ويؤمنون من رحمته ولطفه ، فهم مخالفون لغيرهم من الكفار من وجوه :

أحدها : أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات ، وسماع أولئك نغمات الآيات^[٢] من أصوات القينات .

الثاني : أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبُكياً ، بأدب وخشية ، ورجاء ومحبة ، وفهم وعلم ، كما قال : ﴿﴾ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴿﴾ وقال تعالى : ﴿﴾ والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً ﴿﴾ أي : لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها ؛ بل مصغين إليها ، فاهمين بصيرين بمعانيها ، فلهذا إنما يعملون بها ، ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم .

الثالث : أنهم يلزمون الأدب عند سماعها ، كما كان الصحابة - رضي الله عنهم - عند سماعهم كلام الله من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقشعر جلودهم ، ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله . لم^[٣] يكونوا يتصارخون ولا يتكلمون ما^[٤] ليس فيهم ، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك ، ولهذا فازوا بالقدح العلوي في الدنيا والآخرة .

قال عبد الرزاق : حدثنا معمر قال : تلا قتادة رحمه الله : ﴿﴾ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴿﴾ قال : هذا نعت أولياء الله ، نعتهم الله بأن تقشعر جلودهم ، وتبكي أعينهم ، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم ، إنما هذا في أهل البدع ، وهذا من الشيطان .

وقال السدي : ﴿﴾ ثم تلين [جلودهم و] قلوبهم إلى ذكر الله ﴿﴾ أي : إلى وعد الله .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز : « الآيات » .

[٣] - في ز : « لا » . [٤] - في ز : « لما » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقوله : ﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ﴾ أي : هذه صفة من هداه الله ، ومن كان على خلاف ذلك فهو ممن أضله الله ، ﴿ ومن يضل الله فما له من هاد ﴾ .

أَفَمَنْ يَبْقَىٰ بِوَجْهِهِ سُوءُ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ

تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ

﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

﴿٢٦﴾

يقول تعالى : ﴿ أفمن يبقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ﴾ ، ويُفَرِّغُ فيقال له ولأمثاله من الظالمين : ﴿ ذوقوا ما كنتم تكسبون ﴾ ، كمن يأتي آمناً يوم القيامة ؟ ! كما قال تعالى : ﴿ أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم ﴾ . وقال [١] : ﴿ يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر ﴾ وقال : ﴿ أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة ﴾ واكتفى في هذه الآية بأحد القسمين عن [٢] الآخر كقول الشاعر :

فَمَا أَذْرِي إِذَا تَمَنَّتْ أَرْضًا أَرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي ؟

[يعني : الخير والشر] [٣] .

وقوله : ﴿ كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ يعني : القرون الماضية المكذبة للرسل ، أهلكهم الله بذنوبهم ، وما كان لهم من الله من واق .

وقوله : ﴿ فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ﴾ أي : بما أنزل بهم من العذاب والنكال وتشفي المؤمنين بهم ، فليحذر المخاطبون من ذلك ، فإنهم قد كذبوا أشرف الرسل ، وخاتم الأنبياء ، والذي أعدّه الله لهم في الآخرة من العذاب الشديد أعظم مما أصابهم في الدنيا ؛ ولهذا قال : ﴿ ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ .

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا

عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ

مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

[١] - في خ : « فقال » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في خ : « على » .

يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ ﴿٣١﴾

يقول تعالى : ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ أي : بينا للناس فيه بضرب الأمثال ، ﴿ لعلمهم يتذكرون ﴾ فإن المثل يُقَرَّبُ المعنى إلى الأذهان ، كما قال تعالى : ﴿ ضرب لكم مثلا من أنفسكم ﴾ أي : تعلمونه من أنفسكم ، وقال : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ .

وقوله : ﴿ قرآنا عربيا غير ذي عوج ﴾ أي : هو قرآن بلسان عربي مبين ، لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس ، بل هو بيان ووضوح وبرهان ، وإنما جعله الله كذلك ، وأنزله بذلك ، ﴿ لعلمهم يتقون ﴾ أي : يحذرون ما فيه من الوعيد ، ويعملون بما^[١] فيه من الوعد .

ثم قال : ﴿ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ﴾ أي : يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم ، ﴿ ورجلا سلما^[٢] لرجل ﴾ أي : خالصا لرجل لا يملكه أحد غيره ﴿ هل يستويان مثلا ﴾ أي : لا يستوي هذا وهذا . كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله ، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ، فأين هذا من هذا ؟

قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : هذه الآية ضربت مثلا للمشرك والمخلص ، ولما كان هذا المثل ظاهرا بيّنا جليا ، قال : ﴿ الحمد لله ﴾ أي : على إقامة الحجة عليهم ، ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ أي : فلهذا يشركون بالله .

وقوله : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ، هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى تحقق الناس موته ، مع قوله : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ﴾ ومعنى هذه الآية : ستقلون من هذه الدار لا محالة ، وستجتمعون عند الله في الدار الآخرة ، وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله - عز وجل - فيفصل بينكم ، ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم . فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين ، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين .

ثم إن هذه الآية وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين ، وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة ، فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا ، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة .

[٢] - في ز : « سلما » .

[١] - في ز : « لما » .

قال ابن أبي حاتم - رحمه الله - : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن عمرو ، عن ابن حاطب - يعني يحيى بن عبد الرحمن - [عن ابن الزبير]^[١] ، عن الزبير قال : لما نزلت : ﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ ، قال الزبير : يا رسول الله ؛ أتكرر علينا الخصومة ؟ قال : « نعم » . قال : إن الأمر إذاً لشديد .

وكذا رواه الإمام أحمد^(١٣) [عن سفيان]^[٢] ، وعنده زيادة : ولما نزلت : ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ ، قال الزبير : أي رسول الله ؛ أي نعيم نُسأل عنه وإنما - يعني - هما^[٣] الأسودان : التمر والماء ؟ قال « أما إن ذلك سيكون » .

وقد روى هذه الزيادة الترمذي وابن ماجة من حديث سفيان به . وقال الترمذي : « حسن » .

وقال الإمام أحمد أيضًا^(١٤) : حدثنا ابن نمير ، حدثنا محمد - يعني ابن عمرو - عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير بن العوام ؛ قال : لما نزلت هذه السورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون * ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ ، قال الزبير : أي رسول الله ، أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع^[٤] خواص الذنوب ؟ قال : « نعم ، ليكررن^[٥] عليكم ، حتى يُؤدَّى إلي^[٦] كل ذي حق حقه » . قال الزبير : والله إن الأمر لشديد .

ورواه الترمذي من حديث محمد بن عمرو ، به وقال : « حسن صحيح » .

وقال الإمام أحمد^(١٥) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي عُشانة ، عن عقبة ابن عامر قال ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول الخصمين يوم القيامة

(١٣) - المسند (١٦٤/١) (١٤٠٥) ، وأخرجه الترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الزمر ، حديث (٣٢٣٦) عن ابن أبي عمر عن سفيان به ، دون الزيادة ، وهذه الزيادة أخرجه الحميدي (٦١) ، وأحمد (١٦٤/١) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب : ومن سورة التكاثر حديث (٣٣٥٦) ، وابن ماجة في الزهد ، باب : معيشة أصحاب النبي ﷺ حديث (٤١٥٢) من طريق سفيان بإسناده إلى عبد الله بن الزبير عن الزبير .

(١٤) - المسند (١٦٧/١) (١٤٣٤) ، وانظر السابق .

(١٥) - المسند (١٥١/٤) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٣/٨) : رواه أحمد ، والطبراني بنحوه وأحد إسناده الطبراني رجاله الصحيح غير أبي عُشانة وهو ثقة .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز . [٢] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « بهما » .

[٤] - في ز : « من » . [٥] - في ز : « لتكررن » .

[٦] - ما بين المعكوفين في ز : « يُؤدَّى » .

جاران » . تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد^(١٦) : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دَرَّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ، إنه ليختصم^[١] ، حتى الشاتان فيما انتطحتا » . تفرد به أحمد .

وفي المسند عن أبي ذر^(١٧) رضي الله عنه قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين ينتطحان ، فقال^[٢] : « أتدري فيم ينتطحان يا أبا ذر ؟ » . قلت : لا . قال : « لكن الله يدري وسيحكم بينهما » .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا سهل بن بحر ، حدثنا حيان بن أغلب ، حدثنا أبي ، حدثنا ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجاء بالإمام الخائن يوم القيامة ، فتخاصمه الرعية فيُقْلَبُحُون عليه ، فيقال له : سُدُّ رُكْنًا من أركان جهنم » .

ثم قال : الأغلب بن تميم ليس بالحافظ .

وقال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : ﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ يقول : يخاصم الصادق الكاذب ، والمظلوم الظالم ، والمهدي الضال ، والضعيف المستكبر .

وقد روى ابن مَنْدَه^[٣] في كتاب « الروح » ، عن ابن عباس أنه قال : يختصم الناس يوم القيامة ، حتى تختصم الروح مع الجسد ، فتقول الروح للجسد : أنت فعلت . ويقول الجسد للروح : أنت أمرت ، وأنت سولت . فيبعث الله ملكا يفصل بينهما ، فيقول : إن مثلكما كمثل رجل مقعد بصير وآخر ضرير ، دخلا بستانا ، فقال المقعد للضرير : إني أرى هاهنا ثمارا ، ولكن لا أصل إليها . فقال له الضرير : اركبني فتناولها . فركبه فتناولها ، فأيهما المعتدي؟ فيقولان : كلاهما . فيقول لهما الملك : فإنكما^[٤] قد حكمتما على أنفسكما . يعني أن الجسد للروح كالمطية ، وهو راكبه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا جعفر بن أحمد بن^[٥] عوسجة ، حدثنا ضرار ، حدثنا أبو سلمة

(١٦) - المسند (٢٩/٣) .

(١٧) - المسند (١٦٢/٥) قال : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة وأبو معاوية ، عن أشياخ لم نذكر الثوري عن أبي ذر به . ورواه أحمد (١٧٢/٥) ، والطبراني في الأوسط (٦١١٠) من حديث هزيل بن شرحبيل عن أبي ذر قريظا منه . وانظر مجمع الزوائد (٣٥٥/١٠) .

[١] - في ز : « يختصم » .

[٣] - في خ ، ز : « أمية » .

[٢] - في ز : « قال » .

[٥] - في ز : « عن » .

[٤] - في ز : « إنكما » .

الحزاعي منصور بن سلمة ، حدثنا القُتَيْبِي - يعني يعقوب بن عبد الله - عن جعفر بن المغيرة ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عمر قال : نزلت هذه الآية ، وما نعلم في أي شيء نزلت : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ قلنا : من نخاصم ؟ ليس بيننا وبين أهل الكتاب خصومة ، فمن نخاصم ؟ حتى وقعت الفتنة ، فقال ابن عمر : هذا الذي وَعَدْنَا رَبَّنَا - عز وجل - نختصم فيه .

ورواه النسائي^(١٨) عن محمد بن عامر عن منصور بن سلمة ، به .

وقال أبو العالية : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ قال : يعني أهل القبلة وقال ابن زيد : يعني أهل الإسلام وأهل الكفر . وقد قدمنا أن الصحيح العموم ، والله أعلم .

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (٣٣) وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٥﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى مخاطبًا للمشركين الذين افتروا على الله ، وجعلوا معه آلهة أخرى ، وادّعوا أن الملائكة بنات الله ، وجعلوا لله ولدًا - تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا - ومع هذا كذبوا بالحق إذ جاءهم على السنة رسل الله - صلوات الله عليهم أجمعين - ولهذا قال : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ﴾ أي : لا أحد أظلم من هذا ؛ لأنه جمع بين طَرَفِي الباطل ، كَذَبَ عَلَى اللَّهِ ، وَكَذَبَ رَسُولَ اللَّهِ ، قالوا الباطل وردوا الحق ، ولهذا قال متوعدًا لهم : ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ ، وهم الجاحدون المكذبون .

ثم قال : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ قال مجاهد ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، وابن زيد : الذي جاء بالصدق هو الرسول .

(١٨) - سنن النسائي الكبرى (٤٤٥/٦) (١١٤٤٧) ، وهو في تفسيره برقم (٤٦٧) ، وأخرجه أيضًا الطبراني كما في مجمع الزوائد (١٠٣/٧) وقال الهيثمي : رجاله ثقات . وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٥/٣٢٧) إلى عبد بن حميد ونعيم بن حماد ، وابن مردويه والحاكم .

وقال السدي: هو جبريل - عليه السلام - ﴿وَصَدَّقَ﴾^[١] به يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿والذي جاء بالصدق﴾ قال: من جاء بلا إله إلا الله، ﴿وَصَدَّقَ به﴾ يعني: رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقرأ الربيع بن أنس: ﴿والذين جاءوا بالصدق﴾، يعني: الأنبياء، ﴿وَصَدَّقَ به﴾ يعني: الأتباع.

وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾ قال: أصحاب القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة، فيقولون: هذا ما أعطيتمونا، فعملنا فيه بما أمرتمونا.

وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين؛ فإن المؤمن يقول الحق ويعمل به، والرسول صلى الله عليه وسلم أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير، فإنه جاء بالصدق، وصدق المرسلين، وآمن بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿والذي جاء بالصدق﴾: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ﴿وَصَدَّقَ به﴾ المسلمون.

﴿أولئك هم المتقون﴾ قال ابن عباس: اتقوا الشرك ﴿لهم ما يشاءون عند ربهم﴾ يعني: في الجنة، مهما طلبوا وجدوا، ﴿ذلك جزاء المحسنين﴾ ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون. كما قال في الآية الأخرى: ﴿أولئك الذين نتقبل﴾^[٢] عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون.

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْفِقَامٍ ﴿٢٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ رَحْمَتَهُ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ

[٢] - في ز: «يُتَقَبَل».

[١] - في ز: «وَصَدَّقُوا».

الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَتَقَوَّمُوا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى: ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ وقرأ بعضهم: (عباده)، يعني أنه تعالى يكفي من عبده وتوكل عليه.

وقال ابن أبي حاتم هاهنا: حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب حدثنا عمي، حدثنا أبو هانئ، عن أبي علي عمرو بن مالك الجنبي^[١]، عن فضالة بن عبيد الأنصاري أنه^[٢] سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أفلح من هُدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافاً، وقنع به».

[ورواه الترمذي والنسائي^(١٩) من حديث حيوة بن شريح عن أبي هانئ الخولاني، به. وقال الترمذي: صحيح^[٣]].

﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ يعني المشركين يخوفون الرسول ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم التي يعبدونها^[٤] من دونه جهلاً منهم وضلالاً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ومن يضل الله فما له من هاد * ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام﴾، أي: منيع الجنب لا يضام، من استند إلى جنبه ولجأ إلى بابه، فإنه العزيز الذي لا أعز منه، ولا أشد انتقاماً منه، ممن كفر به وأشرك وعاند رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقوله: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ يعني: المشركين كانوا يعترفون بأن الله هو الخالق للأشياء كلها، ومع هذا يعبدون معه غيره، مما^[٥] لا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً، ولهذا قال: ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته﴾، أي: لا تستطيع^[٦] شيئاً من الأمر.

وذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديث قيس بن الحجاج، عن حنّش الصنعاني، عن ابن عباس

(١٩) - أخرجه أحمد (١٩١٦) والترمذي في الزهد، باب: ما جاء في الكفاف والصبر عليه، حديث (١٣٤٩)، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١١٠٣٣) من طريق حيوة بن شريح به.

[٢] - سقط من: ز.

[١] - في ز: «الجمي».

[٤] - في خ: «يدعونها».

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٦] - في ز: «يستطيع».

[٥] - في ز: «من».

مرفوعاً : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك ، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك . جفت الصحف ، وزفعت الأقلام ، واعمل لله بالشكر في اليقين . واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً . وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً » (٢٠) .

﴿ قل حسبي الله ﴾ أي : الله كافٍ ، عليه توكلت وعليه يتوكل المتوكلون . كما قال هود - عليه السلام - حين قال له قومه : ﴿ إن نقول إلا اعتراك بعض آلها بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري ، حدثنا عبد الله بن بكر السهمي ، حدثنا محمد بن حاتم ، عن أبي المقدام - مولى آل عثمان - عن محمد بن كعب القرظي ، حدثنا ابن عباس ، رفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أحب أن يكون أقرئ الناس فليتوكل على الله . ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق بما في يديه . ومن أحب أن يكون أكرم الناس ، فليقل الله » (٢١) .

وقوله : ﴿ قل يا قوم اعملوا على مكانتكم ﴾ أي : على طريقتكم . وهذا تهديد ووعيد ، ﴿ إني عامل ﴾ أي : على طريقتي ومنهجي ، ﴿ فسوف تعلمون ﴾ أي : ستعلمون غيب ذلك ووباله ﴿ من يأتيه عذاب يخزيه ﴾ أي : في الدنيا ، ﴿ ويحل عليه عذاب مقيم ﴾ أي : دائم مستمر ، لا محيد له عنه . وذلك يوم القيامة .

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَيْتْ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

(٢٠) - أخرجه أحمد (٣٠٣، ٢٩٣/١) ، والترمذي في صفة القيامة ، حديث (٢٥١٦) من حديث قيس بن الحجاج به دون قوله : « واعمل لله بالشكر في اليقين ... الخ » .

(٢١) - أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٦٧٥- منتخبة) عن محمد بن كثير ، عن هشام بن زياد أبي المقدام به .

يقول تعالى مخاطباً رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ يعني : القرآن ﴿ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ أي : لجميع الخلق من الإنس والجن لتنذرهم به ، ﴿ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ﴾ أي : فإِنَّمَا يَعُودُ نَفْعُ ذَلِكَ إِلَىٰ نَفْسِهِ ، ﴿ وَمَنْ ضَلَّ فَلِإِنَّمَا يَضِلَّ عَلَيْهَا ﴾ أي : إِنَّمَا يَرْجِعُ وَبَالُ ذَلِكَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ، ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ ، أي ^[١] : بِمُوكَلِّ ^[٢] أَنْ يَهْتَدُوا ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ﴿ إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ .

ثم قال تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء ، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى ، بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان . والوفاة الصغرى عند المنام ، كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴾ . فذكر الوفاة الصغرى ثم الكبرى . وفي هذه الآية ذكر الكبرى ثم الصغرى ؛ ولهذا قال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قُضِيَ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ، فيه دلالة على ^[٣] أنها تجتمع في الملائكة الأعلى ، كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذي رواه ابن منده وغيره .

وفي صحيح البخاري ومسلم ^(٢٢) من حديث عُبيد ^[٤] الله ابن عمر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا أَوَىٰ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ فِرَاشِهِ فَلْيَتَّقِضْهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلْفَهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ لِيَقُلْ : بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتَ جَنَبِي ، وَبِكَ أَرْفَعُهُ ، إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا ، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادُكَ الصَّالِحِينَ » .

وقال بعض السلف : يقبض ^[٥] أرواح الأموات إذا ماتوا ، وأرواح الأحياء إذا ناموا ، فتتعارف ما شاء الله تعالى أن تتعارف ، ﴿ فَيُمْسِكُ الَّتِي قُضِيَ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ﴾ التي : قد ماتت ، ويرسل الأخرى إلى ﴿ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ .

(٢٢) - أخرجه البخاري في الدعوات ، حديث (٦٣٢٠) ، ومسلم في الذكر والدعاء ، حديث (٢٧١٤) . وجاء الحديث من طرق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة ليس فيه : (عن أبيه) .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في حاشية ز : « وقيل : الوكيل من يجعل إليه الشيء لعجز موكله عنه بنفسه يقول : لسنا بعاجزين عن حملهم الإيمان فنكل ذلك إليك بل نحن قادرون على ذلك قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ وقيل : تُسَيِّخُ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَمْرًا بِالْقِتَالِ . نسفي » .

[٣] - في ز : « إلى » .

[٤] - في خ ، ز : « عبد » .

[٥] - في ز : « تقبض » .

قال السدي : إلى بقية أجلها . وقال ابن عباس : يمسك [١] أنفس الأموات ، ويرسل [٢] أنفس الأحياء ، ولا يغلط . ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ .

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَمْ يُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى دائماً للمشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله ، وهم الأصنام والأنداد ، التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان حداهم على ذلك ، وهي لا تملك شيئاً من الأمر ، بل وليس لها عقل تعقل به ، ولا سمع تسمع به ، ولا بصر تبصر به ، بل هي جمادات أسوأ حالاً من الحيوان بكثير [٣] : قل ، أي يا محمد لهؤلاء الزاعمين أن ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله ، أخبرهم أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه وأذن له ، فمرجعها كلها إليه ، ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ ﴿ له ملك السماوات والأرض ﴾ أي : هو المتصرف في جميع ذلك ، ﴿ ثم إليه ترجعون ﴾ أي : يوم القيامة ، فيحكم بينكم بعدله ، ويجزي كلا بعمله .

ثم قال تعالى دائماً للمشركين أيضاً : ﴿ وإذا ذكر الله وحده ﴾ أي : إذا [٤] قيل : لا إله إلا الله ﴿ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ ، قال مجاهد : ﴿ اشْمَأَزَّتْ ﴾ [٥] انقبضت . وقال السدي : نفرت . وقال قتادة : كفرت واستكبرت . وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : استكبرت . كما قال تعالى : ﴿ إلهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ﴾ أي : عن المتابعة والانقياد لها . فقلوبهم لا تقبل الخير ، ومن لم يقبل الخير يقبل الشر ؛ ولهذا قال : ﴿ وإذا ذكر الذين من دونه ﴾ أي : من الأصنام والأنداد ، قاله مجاهد ، ﴿ إذا هم يستبشرون ﴾ أي : يفرحون ويسرون .

قُلْ اَللّٰهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ عَلَيَّمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ اَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيْ مَا كَانُوْا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ اَنَّ لِلَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مَا فِيْ

[١] - في ز : « تمسك » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « تمسك » .

[٤] - بعده في ت : ثم قال ٨ ،

[٥] - سقط من : ز .

الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافَتْدُوا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ
مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ
بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾

يقول تعالى بعد ما ذكر عن المشركين ما ذكر ، من المذمة لهم في جهم الشرك ، ونفرتهم عن التوحيد : ﴿ قل اللهم فاطر السماوات والأرض [عالم الغيب والشهادة] أي : ادع أنت الله وحده لا شريك له ، الذي خلق السماوات والأرض [١] وفطرها ، أي : جعلها على غير مثال سبق ، ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ أي : السر والعلانية ، ﴿ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ أي : في دنياهم ، ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم ، وقيامهم من قبورهم .

وقال مسلم في صحيحه (٢٣) : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا عمر بن يونس ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا يحيى بن أبي كثير ، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال : سألت عائشة : بأي شيء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته : « اللهم ؛ رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » .

وقال الإمام أحمد (٢٤) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، وأخبرنا سهيل بن [٢] أبي صالح ، وعبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال : اللهم فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، إني أعهد إليك في هذه الدنيا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك ، فإنك إن تكلمي إلي نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير ، وإني لا أثق إلا برحمتك ، فاجعل لي عندك عهداً تؤفني به يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد ، إلا قال الله عز وجل ملائكته يوم القيامة : إن عهدي قد عهد إلي عهداً فأوفوه إياه ، فيدخله الله الجنة » .

(٢٣) - صحيح مسلم في صلاة المسافرين وقصرها ، حديث (٧٧٠) ، قال : حدثنا محمد بن المنثي ، ومحمد بن حاتم ، وعبد بن حميد ، وأبو معين الرقاشي قالوا : ثنا عمر بن يونس به .

(٢٤) - المسند (٤١٢/١) (٣٩١٦) .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في خ ، ز : « عن » .

قال سهيل : فأخبرت القاسم بن عبد الرحمن أن عونًا أخبر بكذا وكذا ؟ فقال : ما في أهلنا جارية إلا وهي تقول هذا في خدرها . انفرد به الإمام أحمد .

وقال الإمام أحمد ^(٢٥) : [حدثنا حسن] ^[١] حدثنا ابن لهيعة ، حدثني حيي بن عبد الله : أن أبا عبد الرحمن حدثه قال : أخرج لنا عبد الله بن عمرو قرطاسًا وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول : « اللهم فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت رب كل شيء ، وإله كل شيء ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، وحده لا شريك لك ، وأن محمدًا عبدك ورسولك ، والملائكة يشهدون . أعوذ بك من الشيطان وشركه ، وأعوذ بك أن أقترف على نفسي إثماً ، أو أجرحه إلى مسلم » .

قال أبو عبد الرحمن : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه ^[٢] عبد الله بن عمرو أن يقول ذلك حين يريد أن ينام . تفرد به أحمد أيضا .

وقال أحمد أيضًا ^(٢٦) : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا ابن عيَّاش ^[٣] ، عن محمد بن زياد الألهاني ، عن أبي راشد الحِزْراني قال : أتيت عبد الله بن عمرو فقلت له : حدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فألقى بين يدي صحيفة فقال : هذا ما كتب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنظرت فيها فإذا فيها أن أبا بكر الصديق قال : يا رسول الله ، علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر ، قل : اللهم فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، لا إله إلا أنت ، رب كل شيء ومليكه ، أعوذ بك من شر نفسي ، وشر الشيطان وشركه ، أو أقترف على نفسي سوءًا ، أو أجرحه إلى مسلم » . ورواه الترمذي ، عن الحسن بن عرفة ، عن إسماعيل بن عياش ، به ، وقال : « حسن غريب من هذا الوجه » .

وقال الإمام أحمد ^(٢٧) : حدثنا هاشم ، حدثنا شيبان ^[٤] ، عن ليث ، عن مجاهد قال : قال أبو بكر الصديق : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت ، وإذا أخذت مضجعي من الليل : « اللهم فاطر السماوات والأرض » إلى آخره .

(٢٥) - المسند (١٧١/٢) ، وأخرجه أيضًا عبد بن حميد (٣٣٨ - منتخب) عن عبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن أبي عبد الرحمن الحلي به . وسيأتي من طريق آخر عن ابن عمرو ، انظر التخریج التالي .

(٢٦) - المسند (١٩٦/٢) ، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٢٠٤) ، والترمذي في الدعوات ، حديث (٣٥٢٩) ، من طريق إسماعيل بن عياش به .

(٢٧) - المسند (١٤/١) (٨١) وضعفه العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز : « يعلم » .

[٣] - في ز : « عباس » . [٤] - في خ ، ز : « سيار » .

وقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وهم المشركون ﴿ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ ﴾ أي : ولو أن جميع ملك الأرض وضيقه معه^[١] ﴿ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ ﴾ أي : الذي أوجبه الله لهم يوم القيامة ، ومع هذا لا يُتَقَبَّلُ منهم الفداء ولو كان ملء الأرض ذهبًا ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وَيَدَا لِهِمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ أي : وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم ، ﴿ وَيَدَا لِهِمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا ﴾ أي : وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم ، ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ أي : وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدار الدنيا .

فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان : إنه في حال الضراء يَضْرَعُ إلى الله - عز وجل - وينيب إليه ويدعوه ، وإذا خوله منه نعمة بغني وطفئ ، وقال : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ أي : لما يعلم الله من استحقاقه له ، ولولا أنني عند الله تعالى خصيص لما خَوَّلَنِي هذا !

قال قتادة : ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ على خير عندي .

قال الله - عز وجل - : ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ﴾ أي : ليس الأمر كما زعموا ، بل أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه ، أيطيع أم يعصي ؟ مع علمنا المتقدم بذلك ، فهي فتنة أي : اختبار ، ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ^[٢] لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، فلماذا يقولون ما يقولون ، ويدعون ما يدعون .

﴿ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي : قد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادعى هذه^[٣] الدعوى - كثير من سلف من الأمم ، ﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي : فما صح

[٢] - في ز : « أكثر الناس » .

[١] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز .

قولهم ولا منعهم جمعهم^[١] وما كانوا يكسبون ، ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾^[٢] والذين ظلموا من هؤلاء ﴿ أَي : من ﴾^[٣] المخاطبين ﴿ سَيَصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ أي : كما أصاب أولئك ، ﴿ وما هم بمعجزين ﴾ كما قال تعالى مخبراً عن قارون أنه قال ﴿ له قومه ﴾^[٤] : ﴿ لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين * قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ﴿ . وقال تعالى : ﴿ وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعجزين ﴾ .

وقوله : ﴿ أو لم يعلموا أن الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ أي : يوسع على قوم ويضيقه على آخرين ، ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ أي : لعبداً وحججاً .

﴿ قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥٣) وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَ ءَايَتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٥٩﴾

هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة ، وإخبار بأن الله

[١] - في ز : « جميعهم » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « لقومه » .

يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها ، وإن كانت مهما كانت ، وإن كثرت وكانت مثل زيد البحر . ولا يصح حمل هذه على غير توبة ؛ لأن الشرك لا يُغفر لمن لم يتب منه .

وقال البخاري^(٢٨) : حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا هشام بن يوسف ؛ أن ابن جريج أخبرهم ؛ قال يعلى : إن سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس ؛ أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا ، وَزَنَوْا فأكثروا . فأتوا محمدًا صلى الله عليه وسلم ؛ فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحسنٌ لو ثخبرنا أنَّ لما عملنا كفرًا . فنزل : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾ ، ونزل قوله : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ .

وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي^(٢٩) ، من حديث ابن جريج ، عن يعلى بن مسلم المكي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس به .

والمراد من الآية الأولى قوله : ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً... ﴾ الآية .

وقال الإمام أحمد^(٣٠) : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو قبيس ؛ قال^[١] : سمعت أبا^[٢] عبد الرحمن المزني^[٣] ؛ يقول : سمعت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ يقول^[٤] : « ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية : ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾... » . إلى آخر الآية ، فقال رجل : يا رسول الله ؛ فمن أشرك ؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « ألا ومن أشرك » . ثلاث مرات . تفرد به الإمام أحمد .

وقال الإمام أحمد أيضًا^(٣١) : حدثنا شريح^[٥] بن النعمان ، حدثنا نوح^[٦] بن قيس ، عن

(٢٨) - صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب : ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾... حديث (٤٨١٠) .

(٢٩) - أخرجه مسلم في الإيمان ، حديث (١٢٢) ، وأبو داود في الفتن والملاحم ، باب : في تعظيم قتل المؤمن ، حديث (٤٢٧٤) والنسائي في تحريم الدم ، باب تعظيم الدم (٨٦/٧) وفي التفسير (٤٦٩) من طريق ابن جريج به .

(٣٠) - المسند (٢٧٥/٥) ، وأخرجه الطبراني في الأوسط (١٧٤) من طريق ابن أبي مريم عن ابن لهيعة به ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٧/١٠) : إسناده حسن .

(٣١) - المسند (٣٨٥/٤) .

[٢] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - في ز : « فرج » .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في خ : « المدني » .

[٥] - في ز : « شريح » .

أشعث بن جابر الحُدَاني ، عن مكحول ، عن عمرو بن عَبَسَةَ^[١] ؛ قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، شيخ كبير يدْعُمُ على عصا له ، فقال : يا رسول الله ؛ إن لي غَدَرَاتٍ وفَجَرَاتٍ ، فهل يغفر لي ؟ فقال : « أَلست تشهد أن لا إله إلا الله ؟ » . قال : بلى ، وأشهد أنك رسول الله . فقال : « قد غفر لك غَدَرَاتُكَ وفَجَرَاتُكَ » . تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد^(٣٢) : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن شهر ابن حَوْشَب ، عن أسماء بنت يزيد ؛ قالت : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ ، وسمعته يقول : ﴿ يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ - ولا ييالي - ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ورواه أبو داود والترمذي من حديث ثابت به .

فهذه الأحاديث كلها دالة على أن المراد أنه يغفر جميع ذلك مع التوبة ، ولا يقنطَرُ عبد من رحمة الله ، وإن عَظُمَت ذُنُوبُهُ وكثرت ؛ فإن باب التوبة والرحمة واسع ، قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ [وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾]^[٢] وقال تعالى في حق المنافقين : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ ، وقال : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، ثم قال : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ .

قال الحسن البصري : انظر إلى هذا الكرم والجود ، قتلوا أوليائِهِ وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة !

والآيات في هذا كثيرة جدًا ، وفي الصحيحين^(٣٣) عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حديث الذي قتل تسعًا^[٣] وتسعين نفسًا ، ثم ندم وسأل عابدًا من عِبَادِ بني إسرائيل : هل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله وأكمل به مائة . ثم سأل عالمًا من علمائِهِم : هل له من توبة ؟^[٤] فقال : ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ ثم أمره بالذهاب إلى قرية يعبد

(٣٢) - المسند (٤٥٤/٦) ، وأخرجه في (٤٦٠/٦) عن عفان عن حماد به . وأخرجه أبو داود في الحروف والقراءات ، حديث (٣٩٨٢، ٣٩٨١) ، والترمذي في القراءات ، باب : ومن سورة هود حديث (٢٩٣٢، ٢٩٣١) من طريق ثابت البناني به . وفي بعض الطرق عن شهر عن أم سلمة ، قال الترمذي : سمعت عبد بن حميد يقول : أسماء بنت يزيد هي أم سلمة الأنصارية .

(٣٣) - أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء ، حديث (٣٤٧٠) ، ومسلم في التوبة ، حديث (٢٧٦٦) من

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[١] - في ز : « عنسية » .

[٣] - في ز : « تسعة » .

الله فيها ، فقصدها فأتاه الموت في أثناء الطريق ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فأمر الله أن يقيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيهما كان أقرب فهو منها . فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بشير ، فقبضته ملائكة الرحمة . وذكر أنه تألى بصدره عند الموت ، وأن الله أمر البلدة الحثيرة أن تقترب ، وأمر تلك البلدة^[١] أن تتباعد .

هذا معنى الحديث ، وقد كتبناه في موضع آخر بلفظه .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، رضي الله عنهما قوله : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ... ﴾ إلى آخر الآية ، قال : قد دعا الله إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله ، ومن زعم أن المسيح هو ابن الله ، ومن زعم أن غزيراً ابن الله ، ومن زعم أن الله فقير ، ومن زعم أن يد الله مغلوله ، ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة ، يقول الله تعالى لهؤلاء : ﴿ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴾ ، ثم دعا إلى توبته من^[٢] هو أعظم قولاً من هؤلاء ، من قال : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ ، وقال : ﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ ، قال ابن عباس : من آتسّر عبادة الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله ، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه .

وروى الطبراني من طريق الشعبي ، عن سنيد بن شكل ، أنه قال : سمعتُ ابن مسعود يقول : إن أعظم آية في كتاب الله : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ ، وإن أجمع آية في القرآن بخير وشر : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ ، وإن أكثر آية في القرآن فرجاً في سورة الغفر : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ ، وإن أشد آية في كتاب الله تصريحاً : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ . فقال له مسروق : صدقت .

وقال الأعمش ، عن أبي سعيد ، عن أبي الكنود ؛ قال : مر عبد الله - يعني ابن مسعود - على قاص ، وهو يذكر الناس ، فقال : يا مُذَكِّر ، لِمَ تُقَنِّطُ الناس ؟ ثم قرأ : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ . رواه ابن أبي حاتم .

ذكر أحاديث فيها نفى القنوط

قال الإمام أحمد^(٣٤) : حدثنا سُريج بن النعمان ، حدثنا أبو عُبيدة عبد المؤمن بن عبيد الله

حديث أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري به .

(٣٤) - المسند (٢٨٣/٣) وأخرجه البخاري في التاريخ (٦٥/٢) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٢٢٦) من طريق عبد المؤمن به . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٨/١٠) : رجاله ثقات .

السدوسي، حدثني حسن السدوسي؛ قال: دخلت على أنس بن مالك؛ فقال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يقول: «والذي نفسي بيده، لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض، ثم استغفرتُم الله لغفر لكم، والذي نفس محمد بيده، لو لم تخطئوا لجاء الله بقوم يخطئون، ثم يستغفرون الله فيغفر لهم». تفرد به أحمد.

وقال الإمام أحمد (٣٥): حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثني ليث، حدثني محمد بن قيس - قاص [١] عمر بن عبد العزيز - عن أبي صرمة، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أنه قال حين حضرته الوفاة: قد كنت كنت [٢] منكم شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «لولا أنكم تذبون» [٣]، خلق الله قوماً يذبون فيغفر لهم».

هكذا رواه الإمام أحمد، وأخرجه مسلم في صحيحه، والترمذي جميعاً، عن قتيبة، عن الليث بن سعد به.

ورواه مسلم من وجه آخر به (٣٦)، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي صرمة - وهو الأنصاري، صحابي - عن أبي أيوب به.

وقال الإمام أحمد (٣٧): حدثنا أحمد بن عبد الملك الحراني، حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك الثكري [٤]؛ قال [٥]: سمعت أبي يحدث عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [«كفارة الذنب الندامة»]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٦]: «لو لم تذبوا لجاء الله بقوم يذبون، فيغفر لهم». تفرد به أحمد.

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد (٣٨): حدثني عبد الأعلى بن حماد التريسي [٧]، حدثنا داود

(٣٥) - المسند (٤١٤/٥)، وأخرجه عبد بن حميد (٢٣٠-منتخب) ومسلم في التوبة، حديث (٢٧٤٨) (٩)، والترمذي في الدعوات، باب، في فضل التوبة والاستغفار حديث (٣٥٣٩) من طريق الليث بن سعد به.

(٣٦) - صحيح مسلم كتاب التوبة حديث (٢٧٤٨) (١٠).

(٣٧) - المسند (٢٨٩/١) (٢٦٢٣)، وإسناده ضعيف، وأخرجه ابن عدي في الكامل (٣٧/٩) - ترجمة يحيى بن عمرو) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٨/١٠) وعزاه لأحمد والطبراني باختصار، والأوسط، والبراز وقال: فيه يحيى بن عمرو بن مالك النكري وهو ضعيف وقد وثق، وبقي رجاله ثقات. وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على المسند.

(٣٨) - المسند (١٠٣، ٨٠/١) وأخرجه أبو يعلى (٤٨٣). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٣/١٠) وقال: رواه عبد الله وأبو يعلى، وفيه من لم أعرفه. وانظر تعليق العلامة أحمد شاكر على المسند (٦٠٥).

[١] - في خ، ز: «قاضي».

[٢] - في ز: «كتمته».

[٣] - سقط من: خ.

[٤] - في ز: «البكري».

[٥] - سقط من: خ، ز.

[٦] - ما بين المعكوفين سقط من: خ، ز.

[٧] - في خ، ز: «القرشي».

ابن عبد الرحمن ، حدثنا أبو عبد الله مسلمة الرازي ، عن أبي عمرو البجلي ، عن عبد الملك بن سفيان الثقفي ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، عن محمد بن الحنفية ، عن أبيه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب العبد المُقْتَن التَّوَاب » . لم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، أخبرنا ثابت ، وحמיד ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ؛ قال : إن إبليس - عليه لعائن الله - قال : يارب ؛ إنك أخرجتني من الجنة من أجل آدم ، و^[١]إني لا أستطيعه إلا بسلطانك . قال : فأنت ^[٢]مسلط . قال : يارب ؛ زدني . قال : لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله . قال : يارب ؛ زدني . قال : أجعل ^[٣]صدورهم مساكن لكم ، وتجرون منهم مجرى الدم . قال : يارب ؛ زدني . قال : أجلب عليهم بخيلك ورجلك ، وشاركهم في الأموال والأولاد ، وعذهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا . فقال آدم : يارب ؛ قد سلطته علي ، وإني لا أمتنع به^[٤] . إلا بك . قال : لا يولد لك ولد إلا وكتلت به من يحفظه من قرناء السوء . قال : يارب ؛ زدني . قال : الحسنة عشر أو أزيد ، والسيئة واحدة أو أمحوها . قال : يارب ؛ زدني . قال : باب التوبة مفتوح ما كان الروح في الجسد . قال : يارب ، زدني . قال : ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق : قال نافع ؛ عن عبد الله بن عمر ، عن عمر رضي الله عنه في حديثه ؛ قال : وكنا نقول : ما الله بقابل ممن افتتن صَرفًا ولا عدلاً ولا توبة ، عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم . قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم . قال : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة^[٥] ، أنزل الله فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم : ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ . وأنبأوا إلي ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ﴾ . قال عمر رضي الله عنه : فكتبته بيدي في صحيفة ، [وبعث بها]^[٦] إلى هشام بن العاص ؛ قال : فقال هشام : لما أتتني جعلت أقرأها^[٧] بذي طُوًى أصعد بها فيه وأصوت ولا أفهمها ، حتى قلت : اللهم أفهمنيها . قال : فألقى الله في قلبي أنها إنما أنزلت فينا ، وفيما كنا نقول في أنفسنا ، ويقال فينا . قال : فرجعت إلى بعيري فجلست عليه ، فلحقت برسول الله صلى الله

[١] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « فإنك » .

[٥] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : ت .

[٧] - سقط من : خ ، ز .

[٦] - في ز : « وبعثها » .

عليه وسلم بالمدينة .

ثم استحث تعالى عباده إلى المسارعة إلى التوبة ، فقال : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ ﴾ [أي : ارجعوا إلى الله واستسلموا له ، ﴿ من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ﴾ أي : بادروا]^[١] بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النعمة ، ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ وهو القرآن العظيم ، ﴿ من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ﴾ أي : من حيث لا تعلمون ولا تشعرون]^[٢] .

ثم قال : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ أي : يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ، ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله عز وجل .

وقوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتَ لِمَنِ السَّاحِرِينَ ﴾ أي : إنما كان عملي في الدنيا عمل ساحر مستهزئ غير موثق مصدق .

﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي : تود أن لو أعيدت إلى الدار الدنيا فتحسن العمل .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : أخبر الله - سبحانه - ما العباد قائلون قبل أن يقولوه ، وعملهم قبل أن يعملوه . وقال : ﴿ وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ ، ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّاحِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فأخبر الله^[٣] تعالى أن لو رُدُّوا لما قدروا على الهدى ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لَمَا نَهَوْنَا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ .

وقد قال الإمام أحمد^(٣٩) : حدثنا أسود ، حدثنا أبو بكر ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول : لو أن الله هداني ! فتكون عليه حسرة » . قال : « وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول : لولا أن الله هداني ! قال^[٤] : فيكون له الشكر » . ورواه

(٣٩) - المسند (٥١٢/٢) ، وأخرجه النسائي في تفسيره (٤٧٤) ، والحاكم في مستدركه (٤٣٦، ٤٣٥/٢) وعنه البيهقي في البعث والنشور (٢٦٩) من طريق أبي بكر بن عياش به نحوه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « تعلموا أو تشعروا » .

[٣] - سقط من : ز . [٤] - سقط من : ز .

النسائي من حديث أبي بكر بن عياش ، به .

ولما تمنى أهل الجرائم العود إلى الدنيا ، وتحسروا^[١] على تصديق آيات الله واتباع رسله ، قال : ﴿ بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ﴾ أي : قد جاءتك أيها العبد النادم على ما كان منه - آياتي^[٢] في الدار الدنيا ، وقامت حججي عليك ، فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها ، وكنت من الكافرين بها ، الجاحدين لها .

وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثْقَاتِ النُّجُومِ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾

يخبر تعالى عن يوم القيامة أنه تسود فيه وجوه ، وتبيض فيه وجوه ، تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف ، وتبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، قال تعالى هاهنا : ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله ﴾ أي : في دعواهم له شريكاً ولولداً ﴿ وجوههم مسودة ﴾ أي : بكذبهم وافترائهم .

وقوله : ﴿ أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ﴾^[٣] أي : أليست جهنم كافية لهم^[٤] سجنًا وموئلاً لهم فيها الخزي والهوان ، بسبب تكبرهم وتجرهم وإبائهم عن الانقياد للحق .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب ، حدثنا عمي ، حدثنا عيسى بن أبي عيسى الخياط ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر في صور الناس ، يعلمهم كل شيء من الصغار ، حتى يدخلوا سجنًا من النار في واد يقال له : بولس^[٥] ، من نار الأنيار^[٦] ، ويسقون عصارة أهل النار ، من طينة الخبال » .

وقوله : ﴿ وينجي الله الذين اتقوا بمِثْقَاتِ النُّجُومِ ﴾ أي : بما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله ، ﴿ لا يمسهم السوء ﴾ أي : يوم القيامة ، ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ أي : ولا يحزنهم الفزع الأكبر ، بل هم آمنون من كل فزع ، مزحزون عن كل شر ، مؤمنون كل خير .

[٢] - في ز : « بلى قد جئتك » .

[٤] - في خ : « لها » .

[٦] - في ز : « الأنيار » .

[١] - في ز : « ويتحسروا » .

[٣] - في ز : « للكافرين » .

[٥] - في ز : « بولس » .

اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُوتِيَتْكُمُ الْخَسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَغْوَى
اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَنْعْبُدَ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
لَنْ أَشْرَكَكَ لِيَجْبُطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ
مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾

يخبر تعالى أنه خالق الأشياء كلها، وربها ومليكيها والمتصرف فيها، وكل تحت تدبيره وقهره
وكلاءه .

وقوله : ﴿ له مقاليد السماوات والأرض ﴾ قال مجاهد : المقاليد هي المفاتيح بالفارسية ،
وكذا قال قتادة وابن زيد وسفيان بن عيينة . وقال السدي : ﴿ له مقاليد السماوات
والأرض ﴾ أي : خزائن السماوات والأرض .

والمعنى على كلا القولين أن أزيمة الأمور بيده ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء
قدير ؛ ولهذا قال : ﴿ والذين كفروا بآيات الله ﴾ أي : حججه وبراهينه ، ﴿ أولئك هم
الخاسرون ﴾ .

وقد روى ابن أبي حاتم هاهنا حديثاً غريباً جداً ، في صحته^[١] نظر ، ولكن نذكره كما ذكره
فإنه قال : حدثنا يزيد بن سنان البصري بمصر ، حدثنا يحيى بن حماد ، حدثنا الأغلب بن
تميم ، عن مخلد بن هذيل العبدى ، عن عبد الرحمن المدني ، عن عبد الله بن عمر ، عن
عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير : ﴿ له
مقاليد السماوات والأرض ﴾ فقال : « ما سألتني عنها أحد قبلك يا عثمان » ، قال :
« تفسيرها : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله وبحمده ، أستغفر الله ، ولا قوة إلا
بالله الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، بيده الخير يحيى ويميت ، [وهو على كل شيء
قدير]^[٢] . من قالها يا عثمان [إذا أصبح]^[٣] عشر مرات^[٤] أعطى خصالاً ستاً^[٥] ، أما
أولهن : فيحرس من إبليس وجنوده ، وأما الثانية : فيعطى قطاراً من الأجر ، وأما الثالثة : فترفع

[١] - في ز : « جدته » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز : « مرار » . [٥] - سقط من : خ ، ز .

له درجة في الجنة، وأما الرابعة: فيزوج^[١] من الحور العين، وأما الخامسة: فيحضره اثنا عشر ملكاً، وأما السادسة: فيعطى من الأجر كمن قرأ القرآن والتوراة والإنجيل والزيور. وله مع هذا يا عثمان من الأجر كمن حج وتقبلت حجته، واعتمر فتقبلت عمرته، فإن مات من يومه طبع بطابع الشهداء.

ورواه أبو يعلى الموصلي^(٤٠) من حديث يحيى بن حماد، به مثله. وهو غريب، وفيه نكارة شديدة، والله أعلم.

وقوله: ﴿قُلْ أَغْفِرُ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾، ذكروا في سبب نزولها ما رواه ابن أبي حاتم وغيره، عن ابن عباس؛ أن المشركين بجهلهم دَعَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عِبَادَةِ آلِهَتِهِمْ، وَيَعْبُدُوا مَعَهُ إِلَهَهُ، فَنَزَلَتْ: ﴿قُلْ أَغْفِرُ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾. ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين. وهذه كقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أي: أخلص العبادة لله وحده، لا شريك له، أنت ومن معك، أنت ومن اتبعك وصدقك.

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ

مَطْوِيَّاتٌ يَبَيِّنُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

يقول تبارك وتعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي^[٢] ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته.

قال مجاهد: نزلت في قريش. وقال السدي: ما عظموه حق عظمتهم.

وقال محمد بن كعب: لو قدروه حق قدره ما كذبوه.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرته الله عليهم، فمن آمن أن^[٣] الله على كل شيء قدير، فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره.

(٤٠) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٦٧/٥) وعزاه إلى: أبي يعلى، ويوسف القاضي في سننه وأبي الحسن القطان في المطولات وابن السني في عمل اليوم والليلة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

[٢] - في ز: «و».

[١] - في خ: «فيتزوج».

[٣] - سقط من: ز.

وقد وردت^[١] أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة ، والطريق فيها^[٢] وفي أمثالها مذهب السلف ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف .

قال البخاري^(٤١) : قوله : ﴿ وماقدروا الله حق قدره ﴾ : حدثنا آدم ، حدثنا شيبان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود ؛ قال : جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال^[٣] : يا محمد ؛ إنا نجد أن الله - عز وجل - يجعل السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلاق على إصبع . فيقول : أنا الملك . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، تصديقاً لقول الخبر ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ... ﴾ الآية .

ورواه البخاري أيضاً في غير هذا الموضع من صحيحه ، والإمام أحمد ، ومسلم ، والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما ، كلهم من حديث سليمان بن مهران الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبيدة^[٤] ، [عن ابن مسعود رضي الله عنه] بنحوه .

وقال الإمام أحمد^(٤٢) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم^[٥] ، عن علقمة ، عن عبد الله رضي الله عنه قال^[٦] : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، فقال : يا أبا القاسم ، أبلغك أن الله يحمل الخلاق على إصبع ، والسماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والثرى على إصبع ؟ قال^[٧] : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه . قال : وأنزل الله - عز وجل - : ﴿ وماقدروا الله حق قدره ﴾ إلى آخر الآية . وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الأعمش به .

وقال الإمام أحمد^(٤٣) : حدثنا الحسين بن حسن الأشقر ، حدثنا أبو كدينة ، عن عطاء ،

(٤١) - صحيح البخاري - كتاب التفسير ، باب : (وما قدروا الله حق قدره) ، حديث (٤٨١١) ، وأطرافه في (٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣) ، وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين ، حديث (٢٧٨٦) ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة الزمر » حديث (٣٢٣٨، ٣٢٣٩) ، والنسائي في التفسير (٤٧٠، ٤٧١) .

(٤٢) - المسند (٣٧٨/١) ، وانظر السابق .

(٤٣) - المسند (٢٥١/١) ، وأخرجه الترمذي في تفسير القرآن ، باب : (ومن سورة الزمر) ، حديث

[١] - في ز : « ورد » .

[٣] - في ز : « قال » .

[٥] - ما بين المعكوفين سقط من : ز .

[٧] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في خ : « علقمة » .

[٦] - ما بين المعكوفين سقط من : خ .

عن أبي الضحى ، عن ابن عباس ؛ قال : مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فقال^[١] : كيف تقول يا أبا القاسم ، يوم يجعل الله السماء على ذة - وأشار بالسبابة - والأرض على ذة ، والجبال على ذة ، وسائر الخلق على ذة - كل ذلك يشير بإصبعه - قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ وما قدرُوا الله حق قدره ... ﴾ الآية .

وكذا رواه الترمذي في التفسير عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، عن محمد بن الصلت أبي جعفر ، عن أبي كدينة يحيى بن المهلب ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى مسلم بن ضبيح ، به ، وقال : حسن صحيح غريب^[٢] ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

ثم قال البخاري^(٤٤) : حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا الليث ، حدثني عبد الرحمن بن خالد ابن مسافر ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « يقبض الله الأرض ، ويطوي السماء يمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟ » تفرد به من هذا الوجه ، ورواه مسلم من وجه آخر .

وقال البخاري في موضع آخر^(٤٥) : حدثنا مُقَدِّم بن محمد ، حدثنا عبيد القاسم بن يحيى ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : « إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين على إصبع وتكون السماوات يمينه ثم يقول : أنا الملك » .

تفرد به أيضًا من هذا الوجه .

ورواه مسلم من وجه آخر .

وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر أبسط من هذا السياق وأطول ، فقال^(٤٦) :

(٣٢٤٠) ، وقال الترمذي : « حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وأبو كدينة اسمه يحيى بن المهلب » .

(٤٤) - صحيح البخاري في التفسير ، باب : ﴿ والأرض جميعًا قبضته .. ﴾ حديث (٤٨١٢) ، وأخرجه الدارمي رقم (٢٨٠٢) .

(٤٥) - صحيح البخاري في التوحيد ، باب : قول الله تعالى ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ ، حديث (٧٤١٢) ، وأخرجه مسلم في صفات المنافقين ، حديث (٢٧٨٨) من طريق سالم بن عبد الله عن أبيه بمعناه .

(٤٦) - المسند (٧٢/٢) (٥٤١٤) ، وأخرجه مسلم في صفات المنافقين ، حديث (٢٧٨٨) (٢٥) ، (٢٦) ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٧٣١٥) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية حديث (١٩٨) ، وفي الزهد ، باب : ذكر البعث ، حديث (٤٢٧٥) من حديث عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر به .

حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن عبيد الله ابن مقسم ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده ، يحركها يقبل بها ويدبر : « يمجّد الرب نفسه : أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الملك ، أنا العزيز ، أنا الكريم » . فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا : ليخزن به .

وقد رواه مسلم ، والنسائي ، وابن ماجه من حديث عبد العزيز بن أبي حازم ، زاد مسلم : ويعقوب بن عبد الرحمن ، كلاهما عن أبي حازم ، عن عبيد الله بن مقسم ، عن ابن عمر ، به ، نحوه . ولفظ مسلم عن عبيد الله بن مقسم في هذا الحديث : أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « يأخذ الله سماواته وأرضه » بيده ويقول : أنا الملك ويقبض أصابعه ويسطها : أنا الملك « حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إنني لأقول : أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

وقال البزار : حدثنا سليمان بن سيف ، حدثنا أبو علي الحنفي ، حدثنا عبد الله بن أبي حازم ، حدثنا محمد بن المنكدر ؛ قال : حدثنا عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ حتى بلغ : ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ ، فقال المنبر هكذا ، فجاء^[١] وذهب ثلاث مرات .

ورواه الإمام الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمرو وقال : صحيح .

وقال الطبراني في « المعجم الكبير »^(٤٧) : حدثنا عبد الرحمن بن معاوية الغثبي ، حدثنا حيان بن نافع بن^[٢] صخر بن جويرية ، حدثنا سعيد بن سالم القداح ، عن معمر بن الحسن ، عن بكر بن خنيس^[٣] ، عن أبي شيبه ، عن عبد الملك بن عمير ، عن جرير ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفر من أصحابه : « إني قارئ عليكم آيات من آخر سورة الزمر ، فمن بكى^[٤] منكم وجبت له الجنة » . فقرأها من عند قوله : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ ، إلى آخر السورة ، فمننا من بكى ، ومننا من لم يبك ، فقال الذين لم يبكوا : يا رسول الله ، لقد جهدنا أن نبكي ، فلم نبك ؟ فقال : « إني سأقرأها عليكم ، فمن لم يبك فليتبك » .

(٤٧) - المعجم الكبير (٢/٢٩٨) (٢٤٥٩) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٤/٧) : فيه بكر بن خنيس وهو متروك .

[٢] - في ز : « عن » .

[٤] - في خ : « يكن » .

[١] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « حيش » .

هذا حديث غريب جدًا .

وأغرب منه ما رواه في « المعجم الكبير » أيضًا : حدثنا هاشم بن زيد ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، حدثني أبي ، حدثني ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى يقول : ثلاث خلال غَيِّثُهُنَّ عن عبادي ، لو رآهن رجل ماعمل سوءًا أبدًا : لو كشفت غطائي فرآني حتى^[١] يستيقن ويعلم كيف أفعل بخلقِي إذا أتيتهم ، وقبضت السماوات بيدي ، ثم قبضت الأرضين ، ثم قلت : أنا الملك ، من ذا الذي له الملك دولي ؟ ثم أريتهم^[٢] الجنة وما أعددت لهم فيها من كل خير ، فيستيقنوها . وأريتهم النار وما أعددت لهم فيها من كل شر فيستيقنوها ، ولكن عمدًا غيبت ذلك عنهم لأعلم كيف يعملون^[٣] ، وقد بينته لهم » . وهذا إسناد متقارب وهي نسخة تروى بها أحاديث جمة ، والله أعلم .

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ
نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ
الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالْيَتِيمَنِ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾
وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾

يقول تعالى مخبرًا عن هول يوم القيامة ، وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة ، فقلوه : ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ ، هذه النفخة هي الثانية ، وهي نفخة الصعق ، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السماوات والأرض ، إلا من شاء الله كما هو مُصَرَّح به مفسرًا في حديث الصور المشهور ثم يقبض أرواح الباقيين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت ، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولًا ، وهو الباقي آخرًا بالديمومة والبقاء ، ويقول : ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ ثلاث مرات . ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول : ﴿ لله الواحد القهار ﴾ أي : الذي هو واحد وقد قهر كل شيء ، وحكم بالفناء على كل شيء . ثم يحيي أول من يحيي إسرافيل ، ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى ، وهي النفخة الثالثة نفخة البعث ، قال تعالى : ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ أي : أحياء بعد ما كانوا عظامًا ورفاتًا ، صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ فلأنما هي زجرة واحدة * فإذا هم بالساهرة ﴾ وقال تعالى : ﴿ يوم يدعوكم

[٢] - في ز : « أريتهم » .

[١] - في ز : « حتى » .

[٣] - في خ : « يعملوني » .

فتستحيون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً ﴿٤٨﴾ وقال تعالى : ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ .

قال الإمام أحمد^(٤٨) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن النعمان بن سالم ؛ قال : سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود ؛ قال : سمعت رجلاً قال لعبد الله بن عمرو : إنك تقول : الساعة تقوم إلى كذا وكذا ؟ قال : لقد هممت أن لا أحدثكم شيئاً ، إنما قلت : سترون بعد قليل أمراً عظيماً . ثم قال عبد الله بن عمرو : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج الدجال في أمتي ، فيمكث فيهم أربعين - لا أدري أربعين يوماً أو أربعين عاماً أو أربعين شهراً أو أربعين ليلة - فيبعث الله عيسى ابن مريم ، كأنه عروة بن مسعود الثقفي ، فيظهر فيهلكه الله ، ثم يلبث الناس بعده سنين سبعا ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام ، فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته ، حتي [لو أن أحدهم كان]^[١] في كبد جبل لدخلت عليه » . قال : سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « ويقبى شرار الناس في خفة الطير ، وأحلام السباع ، لا يعرفون معروفاً ، ولا ينكرون منكراً . قال : فيمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستحيون ؟ فيأمرهم بالأوثان فيعبدونها ، وهم في ذلك ذارّة أرزاقهم ، حسن عيشهم . ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى له^[٢] ، وأول من يسمعه رجل يلوط جوفه ، فيصعق . ثم لا يبقى أحد إلا صُعق . ثم يرسل الله - أو : ينزل الله - مطراً كأنه الطل - أو : الظل ، شك نعمان - فتنبت منه أجساد الناس ﴿٤٩﴾ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴿٥٠﴾ ، ثم يقال : يا أيها الناس ؛ هلموا إلى ربكم : ﴿٥١﴾ وقفوههم إنهم مسئولون ﴿٥٢﴾ ، قال : ثم يقال : أخرجوا بئس النار . قال : فيقال : كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين^[٣] . فيومئذ تبعث الولدان شيئاً ، ويومئذ يكشف عن ساق » .

تفرد بإخراجه مسلم في صحيحه .

وقال البخاري^(٤٩) : حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ؛ قال : سمعت أبا صالح ؛ قال^[٤] : سمعت أبا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال : « بين

(٤٨) - المسند (١٦٦/٢) (٦٥٥٥) - وأخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة حديث (٢٩٤٠) ، والنسائي في الكبرى (٥٠١/٦) (١١٦٢٩) من طريق شعبة به .

(٤٩) - صحيح البخاري في التفسير ، باب (ونفخ في الصور ...) الحديث (٤٨١٤) ، وطرفه في (٤٩٣٥) ، وأخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٩٥٥) والنسائي في الكبرى (١١٤٥٩) ، وفي التفسير (٤٧٩) من حديث الأعمش به .

[١] - ما بين المعكوفين في ز : « أن لو كان أحدهم كان » .

[٣] - في ز : « وتسعون » .

[٢] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : ز .

النفختين أربعون». قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أئيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أئيت. قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أئيت. «ويلي كل شيء من الإنسان إلا عَجَبُ ذَبِّهِ فيه يركب الخلق».

و[١٦] قال أبو يعلى: حدثنا يحيى بن معين^[٢]، حدثنا أبو اليمان، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عمر بن محمد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «سألت^[٣] جبريل عليه السلام عن هذه الآية: ﴿وَنَفْخُ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾: مَنْ الَّذِينَ لَمْ يَشَأَ اللَّهُ أَنْ يَصْعَقَهُمْ؟ قال: هم الشهداء، [٤] مُقْلِدُونَ أَسْيَافَهُمْ حَوْلَ عَرْشِهِ، تُلْقَاهُمْ مَلَائِكَةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَى الْحَشْرِ بِنَجَاتٍ مِنْ يَاقُوتٍ نَمَارَاهُ أَلَيْنَ مِنَ الْحَرِيرِ، مَدُّ خَطَاهَا^[٥] مَدُّ أَبْصَارِ الرِّجَالِ، يَسِيرُونَ فِي الْجَنَّةِ يَقُولُونَ عِنْدَ طُولِ النَّزْهِةِ: انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى رَبِّنَا - عَزَّ وَجَلَّ - لِنَنْظُرَ كَيْفَ يَقْضِي بَيْنَ خَلْقِهِ، يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ إِلَهِي، وَإِذَا ضَحِكْتَ إِلَى عَبْدٍ فِي مَوْطِنٍ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ^[٦]».

رجاله كلهم ثقات إلا شيخ إسماعيل بن عياش، فإنه غير معروف، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أي: أضاءت يوم القيامة إذا تجلَّى الحق تبارك وتعالى للخلائق لفصل القضاء، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ قال قتادة: كتاب الأعمال، ﴿وَجِيءَ بِالْبَيِّنِ﴾، قال ابن عباس: يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات^[٧] الله إليهم ﴿وَالشَّهَدَاءُ﴾ أي: الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالعدل، ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾. قال الله: ﴿وَلَنُضِغَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُنْ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ ولهذا قال: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾ أي: من خير أو شر ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ

[١] - سقط من: ز.

[٣] - في ز: «سأل».

[٢] - في ز: «معن».

[٥] - في ز: «خطامها».

[٤] - ما بين المعكوفين في ز: «متقلدون».

[٦] - في خ: «رسالة».

[٦] - سقط من: خ.

لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾
قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا قَسَّيْتُمْ مَوْءِيهَ الْمُنْكَرِينَ ﴿٧٢﴾

يخبر تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار ؟ ولما يساقون سوقاً عنيفاً يزجر وتهديد ووعيد ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دُعَاً ﴾ أي : يدفعون إليها دفقاً . هذا وهم عطاش ظماء ، كما قال في الآية^[١] الأخرى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الْرَحْمَنِ وَفْدًا ﴾ . ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴿ ، وهم في تلك الحال صُمُّ وبكم وعمي ، منهم من يمشي على وجهه ، ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ﴾^[٢] مأواهم جهنم كلما خبت زنادهم سعيراً ﴿ .

وقوله : ﴿ حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها ﴾ أي : بمجرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها سريعاً ، لتعجل لهم العقوبة ، ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية - الذين هم غلاظ الأخلاق ، شداد القوى ، على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل - : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسَلٌ مِنْكُمْ ﴾ أي : من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم ، ﴿ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ ﴾ أي : يقيمون عليكم الحجج والبراهين^[٣] على صحة ما دعوكم إليه ، ﴿ وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ أي : ويحذرونكم من شر هذا اليوم ؟ فيقول الكفار لهم : ﴿ بل بلى ﴾ أي : قد جاءونا وأنذرونا ، وأقاموا علينا الحجج والبراهين ، ﴿ ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ أي : ولكن كذبناهم وخالفناهم ، لما سبق إلينا من الشقوة التي كنا نستحقها ، حيث عذَّبنا عن الحق إلى الباطل ، كما قال تعالى مخبراً عنهم في الآية الأخرى : ﴿ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ﴾ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير ﴾ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴿ [أي : رجعوا على أنفسهم باللامامة والندامة . ﴿ فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير ﴾^[٤] أي : بُعِدْا لهم وخساراً .

وقوله هاهنا : ﴿ قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ﴾ أي : كل من رآهم وعَلِمَ حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب ، ولهذا لم يسند هذا القول إلى قائل معين ، بل أطلقه ليدل على أن الكون^[٥] شاهد عليهم بأنهم مستحقون ما هم فيه بما حكم العدل الخبير عليهم به ؛ ولهذا قال جل وعلا : ﴿ قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ﴾ أي : ما كنتم فيها لا

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « صماً وبكماً » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[١] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « والبرهان » .

[٥] - في ز : « القول » .

خروج لكم منها ، ولا زوال لكم عنها ، ﴿ فبئس مثوى المتكبرين ﴾ أي : فبئس المصير وبئس المقيل^[١] لكم ، بسبب تكبركم في الدنيا ، وإبائكم عن اتباع الحق ، فهو الذي صيركم إلى ما أنتم فيه ، فبئس الحال وبئس المال .

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُّهُ وَأَوْثَقَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾

وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدًا إلى الجنة ﴿ زُمَرًا ﴾ أي : جماعة بعد جماعة : المقربون ، ثم الأبرار ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، كل طائفة مع من يناسبهم : الأنبياء مع الأنبياء ، والصديقون مع أشكالهم ، والشهداء مع أضرابهم^[٢] ، والعلماء مع أقرانهم ، وكل صنف مع صنف ، كل زمرة تناسب بعضها بعضًا .

﴿ حتى إذا جاءوها ﴾ أي : وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط ، حُبسوا على نقطة بين الجنة والنار ، فاقص لهم مظالم كانت بينهم^[٣] في الدنيا ، حتى إذا هُذِّبوا وثُقِّقوا أُذن لهم في دخول الجنة ، وقد ورد في حديث الصور : أن المؤمنين إذا انتهوا إلى أبواب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم بالدخول^[٤] ، فيقصدون آدم ، ثم نوحًا ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، ثم محمدًا - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - كما فعلوا في العرصات^[٥] عند استشفاعهم إلى الله - عز وجل - أن يأتي لفصل القضاء ، ليظهر شرف محمد صلى الله عليه وسلم على سائر البشر في المواطن كلها .

وقد ثبت في صحيح مسلم^(٥٠) عن أنس - رضي الله عنه - قال^[٦] : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أول شفيع في الجنة » . وفي لفظ لمسلم : « وأنا أول من يقرع باب الجنة » .

(٥٠) - صحيح مسلم في كتاب الإيمان ، حديث (١٩٦) .

[١] - في خ ، ز : « المقل » . [٢] - في خ ، ز : « أقرانهم » .

[٣] - في ز : « لهم » . [٤] - في ز : « في الدخول » .

[٥] - في خ ، ز : « الصرخات » . [٦] - سقط من : ز .

[٧] - سقط من : ز .

وقال الإمام أحمد^(٥١) : حدثنا هاشم ، حدثنا سليمان ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد . قال : يقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك »

ورواه مسلم عن عمرو الناقد وزهير بن حرب ، كليهما^[١] عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن سليمان - وهو ابن المغيرة القيسي - عن ثابت ، عن أنس به .

وقال الإمام أحمد^(٥٢) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن مثنى ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول زفرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا^[٢] يصقون فيها ، ولا يمتخطون فيها ، ولا يتغوطون فيها . آيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ، ومجامرهم^[٣] الألوة ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان ، يرى مخ ساقيهما من وراء اللحم من الحسن . لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيًا » . رواه البخاري عن محمد بن مقاتل ، عن ابن المبارك .

ورواه مسلم عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، كليهما^[٤] عن معمر بإسناده نحوه . وكذا رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٥٣) .

وقال الحافظ أبو يعلى^(٥٤) : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا جريز ، عن غمارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول زفرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دُرّى في السماء إضاءة ، لا يولون ولا يتغوطون ولا يتقلون ولا يمتخطون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ،

(٥١) - المسند (١٣٦/٣) ، وأخرجه عبد بن حميد (١٢٧١) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، حديث (١٩٧) من طريق هاشم بن القاسم به .

(٥٢) - المسند (٣١٦/٢) ، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، حديث (٢٨٣٤) (١٧) من طريق عبد الرزاق به ، وأخرجه البخاري في بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة حديث (٣٢٤٥) عن محمد بن مقاتل عن عبد الله عن معمر به .

(٥٣) - أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب : « ما جاء في صفة الجنة ، وأنها مخلوقة » حديث (٣٢٤٦) من طريق أبي الزناد عن الأعرج به .

(٥٤) - مسند أبي يعلى (٦٠٨٤) .

[٢] - في خ : ولا .

[١] - في ز : « كلاهما » .

[٤] - في ز : « كلاهما » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « من » .

ومجامرهم الألوّة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً في السماء .

وأخرجاه^(٥٥) أيضاً من حديث جرير .

وقال الزهري ، عن سعيد ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل الجنة من أمتي زُفْرَة ، هم سبعون ألفاً ، تضِيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر » . فقام عُكاشة بن مخصن فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم . فقال : « اللهم اجعله منهم » . ثم قام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم . فقال صلى الله عليه وسلم : « سبقك بها عُكاشة » . أخرجاه .

وقد روي هذا الحديث - في السبعين ألفاً [يدخلون الجنة]^[١] بغير حساب - البخاري ومسلم ، عن ابن عباس ، وجابر بن عبد الله ، وعمران بن حصين ، وابن مسعود ، ورفاعة بن عرابة الجهني ، وأم قيس بنت محصن .

ولهما^(٥٦) عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً - أو : سبعمائة ألف - آخذ بعضهم ببعض ، حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة^(٥٧) : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد قال^[٢] : سمعت أبا أمامة الباهلي يقول^[٣] : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « وعدني ربي - عز وجل - أن يدْخُلَ الجنة من أمتي سبعون^[٤] ألفاً ، مع كل ألف سبعون^[٥] ألفاً ، ولا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث خِثَيَات من خِثَيَات ربي ، عز وجل » .

وكذا رواه الوليد بن مسلم ، عن صفوان بن عمرو ، عن سليم^[٦] بن عامر ، عن أبي اليمان

(٥٥) - أخرجه البخاري في اللباس ، باب البرود والخبر والشملة ، حديث (٥٨١١) ، وطرفه في (٦٥٤٢) ، ومسلم في الإيمان حديث (٢١٦) من طريق ابن شهاب به .

(٥٦) - أخرجه البخاري في بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، حديث (٣٢٤٧) ، وأطرافه في (٦٥٤٣ ، ٦٥٥٤) ، ومسلم في الإيمان ، حديث (٢١٩) .

(٥٧) - مصنف ابن أبي شيبة (٤٢٧/٧) ، وأخرجه أحمد (٢٦٨/٥) ، والترمذي في صفة القيامة ، حديث (٢٤٣٧) ، وابن ماجه في الزهد ، باب : صفة أمة محمد ﷺ حديث (٤٢٨٦) من طريق إسماعيل بن عياش به .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « سبعين » .

[٣] - سقط من : ز .

[٦] - في خ ، ز : « حكيم » .

[٥] - في ز : « سبعين » .

عامر بن عبد الله بن لُحَيٍّ^[١] عن أبي أمامة .

ورواه الطبراني ، عن عُتْبَةَ بن عَبْدِ السَّلَمِيِّ : « ثم يشفع كل ألف في سبعين ألفاً » .

وروى مثله عن ثوبان وأبي سعيد الأثماري^[٢] . وله شواهد من وجوه كثيرة .

وقوله : ﴿ حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ : لم يذكر الجواب هاهنا ، وتقديره : حتى إذا جاءوها ، وكانت هذه الأمور من فتح الأبواب لهم إكراماً وتعظيماً ، وتلقته الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء ، لا كما تلقى الزبانية الكفرة بالشراب^[٣] والتأنيب ، فتقديره : إذا كان هذا ، سعدوا وطابوا ، وشروا وفرحوا ، بقدر كل ما يكون لهم فيه نعيم . وإذا حذف الجواب هاهنا ذهب الدهن كل مذهب في الرجاء والأمل .

ومن زعم أن « الواو » في قوله : ﴿ وفتحت أبوابها ﴾ واو الثمانية واستدل به على أن أبواب الجنة ثمانية ، فقد أبعد النجعة ، وأغرق في النزع . وإنما يستفاد كون أبواب الجنة ثمانية من الأحاديث الصحيحة :

قال الإمام أحمد^(٥٨) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أنفق زوجين [من ماله]^[٤] في سبيل الله ، دُعي من أبواب الجنة ، وللجنة أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان » . فقال أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - : يارسول الله ، ما على أحد من ضرورة دُعي من أيها دُعي فهل يُدعى منها كلها أحد يا رسول الله ؟ قال : « نعم ، وأرجو أن تكون منهم » . رواه البخاري ومسلم من حديث الزهري بنحوه .

وفيهما^(٥٩) من حديث أبي حازم سلمة بن دينار ، عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة ثمانية أبواب ، باب منها يسمى الريان ، لا يدخله إلا الصائمون » .

(٥٨) - المسند (٤٤٩/٢) ، وأخرجه البخاري في الصوم ، باب الريان للصائمين ، حديث (١٨٩٧) ، وأطرافه في (٣٦٦٦، ٣٢١٦، ٢٨٤١) ، ومسلم في الزكاة ، حديث (١٠٢٧) .

(٥٩) - أخرجه البخاري في بدء الخلق ، باب صفة أبواب الجنة حديث (٣٢٥٧) عن أبي حازم ، عن سهل به ، وأخرجه مسلم في الصيام حديث (١١٥٢) من حديث أبي حازم ، عن سهل بن سعد به بنحوه .

[٢] - في ت : « الأنباري » .

[١] - في خ ، ز : « يحيى » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في ز : « بالريب » .

وفي صحيح مسلم ^(٦٠) ، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مامنكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو : فيسبغ الوضوء - ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء » .

وقال الحسن بن عرفة ^(٦١) : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي نخس ، عن شهر بن حوشب ، عن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الجنة : لا إله إلا الله » .

ذكر سعة أبواب الجنة

نسأل الله العظيم من فضله أن يجعلنا من أهلها .

في الصحيحين ^(٦٢) من حديث أبي زُرْعَةَ ، عن أبي هريرة في حديث الشفاعة الطويل : « فيقول الله : يا محمد ، أدخل من لا حساب عليه من أمتك من الباب الأيمن ، وهم شركاء الناس في الأبواب الأخر . والذي نفس محمد بيده ، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة - ما بين عضادتي الباب - لكما ^[١] بين مكة وهجر - أو : هجر و ^[٢] مكة » . وفي رواية : « مكة وبصرى » .

وفي صحيح مسلم ^(٦٣) ، عن عُثْمَانَ بْنِ غَزْوَانَ أَنَّهُ خَطَبَهُمْ خُطْبَةً ^[٣] فقال فيها : ولقد ذكر لنا أن : « [ما بين] ^[٤] مصراعين من مصاريع الجنة ، مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وهو كظيط من الزحام » .

وفي المسند ^(٦٤) عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثله .

(٦٠) - صحيح مسلم في الطهارة ، حديث (٢٣٤) ، وفيه قصة .

(٦١) - أخرجه أيضاً أحمد في المسند (٢٤٢/٥) والبخاري كما في كشف الأستار (٩/١) وابن عدي في الكامل (٦٠/٥) من طريق إسماعيل بن عياش به . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١/١) : رواه أحمد والبخاري وفيه انقطاع بين شهر ومعاذ ، وإسماعيل بن عياش روايته عن أهل الحجاز ضعيفة وهذا منها .

(٦٢) - حديث طويل تقدم في الإسراء الآية (٧٩) .

(٦٣) - صحيح مسلم في الزهد والرقائق ، حديث (٢٩٦٧) .

(٦٤) - المسند (٣/٥) .

[٢] - سقط من ز .

[١] - في ز : « كما » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز .

وقال عبد بن حميد : حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن ما بين مصرعين في الجنة مسيرة أربعين سنة » .

وقوله : ﴿ وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم ﴾ أي : طابت أعمالكم وأقوالكم ، وطاب سعيكم فطاب جزاؤكم ، كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُنادى بين المسلمين في بعض الغزوات : « إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة » . وفي رواية : « مؤمنة » .

وقوله : ﴿ فادخلوها خالدين ﴾ أي : ما كثر فيها أبداً لا يغفون عنها حولا .

﴿ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴾ أي : يقول المؤمنون إذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر ، والعطاء العظيم ، والنعيم المقيم ، والملك الكبير ، يقولون عند ذلك : ﴿ الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴾ أي : الذي كان وعدنا على السنة رسله الكرام ، كما دعوا في الدنيا : [﴿ ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ﴾] ، وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رُسُل ربنا بالحق ﴾ [١] ، ﴿ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ﴾ الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ .

وقولهم : ﴿ وأورثنا الأرض نتبوا ﴾ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾ ، قال أبو العالية ، وأبو صالح ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد : أي أرض الجنة .

وهذه الآية كقوله : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ . ولهذا قالوا : ﴿ نتبوا ﴾ من الجنة حيث نشاء ﴾ أي : أين شئنا حللنا ، فنعم الأجر أجرنا على عملنا !

وفي الصحيحين^(٦٥) من حديث الزهري ، عن أنس في قصة المعراج ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أدخلت الجنة فإذا فيها جَنَابُدُ اللَّوْلُؤِ ، وإذا ترابها المسك » .

وقال عبد بن حميد^(٦٦) : حدثنا روح بن عباد ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابن صائد عن تربة الجنة ؟ فقال : دَرَمَكَة بِيضَاءٍ مِشْك خَالِص . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدق » .

(٦٥) - ورد ذلك من طرق عن جمع من الصحابة منها حديث أبي بكر عند أحمد في المسند (٣/١) ، وحديث بشر بن سعيد عند أحمد (٤١٥/٣) والنسائي (١٠٤/٨) ، وابن ماجه (١٧٢٠) .

(٦٦) - تقدم في تفسير سورة الإسراء .

وكذا رواه مسلم^(٦٧) من حديث أبي مسلمة^[١] عن أبي نضرة عن أبي سعيد به .

ورواه مسلم^(٦٨) عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي أسامة ، عن الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد : أن ابن صائد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة ، فقال : « دَرَمَكَة بِيضَاء مَسْك خَالِص » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عاصم بن ضمرة ، عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ ، قال : سيقوا حتى انتهوا إلى باب من أبواب الجنة ، فوجدوا^[٢] عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان ، فعمدوا إلى إحداهما فظهروا منها ، فجرت عليهم نضرة النعيم ، فلم تُغَيِّرْ أَبْشَارَهُمْ بَعْدَهَا أَبَدًا ، ولم تُثَبِّتْ أَشْعَارَهُمْ أَبَدًا بَعْدَهَا ، كَأَنَّمَا دُهِنُوا بِالذَّهَانِ . ثم عَمَدُوا إِلَى الْأُخْرَى كَأَنَّمَا أَمْزُوا بِهَا ، ففُشِرُوا مِنْهَا ، فَأَذْهَبَتْ مَا كَانَ فِي بَطُونِهِمْ مِنْ أَدَى^[٣] أَوْ قَذَى . وتلقتهن الملائكة على أبواب^[٤] الجنة : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبَعْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ . ويلقى كل غلمان صاحبهم يُطِيفُونَ بِهِ ، فغُلَّ الْوُلْدَانُ بِالْحَمِيمِ جَاءَ مِنَ الْغِيَةِ : أَثِيرُ ، قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا ، قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا . قال : وينطلق غلام من غلمانهِ إِلَى أَزْوَاجِهِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، فيقول : هذا فلان - باسمه في الدنيا - فيقلن : أنت رأيته ؟ فيقول : نعم . فيستخفهن الفَرْحَ حتى تخرج إلى أَشْكَمَةِ الْبَابِ . قال : فيجيء فإذا هو بنمارق مصفوفة ، وأكواب موضوعة ، وزراري مبثوثة . قال : ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه ، فإذا هو قد أسس على جندل اللؤلؤ ، بين أحمر وأخضر وأصفر ، ومن كل لون . ثم يرفع [طرفه إلى سقفه]^[٥] ، فلولاً أن الله قَدَّرَهُ^[٦] له ، لَأَنَّهُمْ أَنْ يَذْهَبَ بَيَصْرُهُ ، إنه لمثل البرق . ثم ينظر إلى أزواجه من الحور العين ، ثم يتكئ على أريكة من أرائكه ، ثم يقول : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ ... الآية .

ثم قال : حدثنا أبي ، حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي ، حدثنا مسلمة^[٧] بن جعفر البجلي قال^[٨] : سمعت أبا معاذ البصري يقول^[٩] : إن عليًا رضي الله عنه كان ذات يوم

(٦٧) - المنتخب (٨٧٦) ، وأخرجه مسلم في الفتن ، حديث (٢٩٢٨) (٩٢) .

(٦٨) - صحيح مسلم في الفتن ، حديث (٢٩٢٨) (٩٣) .

[٢] - في ز : « وجدوا » .

[٤] - في ز : « باب » .

[٦] - في ز : « قدر » .

[٨] - سقط من : ز .

[١] - في خ ، ز : « سلمة » .

[٣] - في ز : « الأذى » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٧] - في خ ، ز : « سلمة » .

[٩] - سقط من : ز .

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ، إنهم إذا خرجوا من قبورهم يُستقبلون - أو^[١] : يُؤْتَوْنَ - بثوق لها أجنحة ، وعليها رحال الذهب ، شراك نعالهم نور يتلألأ ، كل خطوة منها مَدَّ البصر ، فينتهون إلى شجرة ينبع^[٢] من أصلها عينان ، فيشربون من إحداها فيُغسل ما في بطونهم من دنس ، ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها^[٣] أبدًا ، وتجرى عليهم نضرة النعيم ، فينتهون - أو : فيأتون - باب الجنة ، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب ، فيضربون بالحلقة على الصفيحة ، فيسمع^[٤] لها طنين يا علي ، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل ، فتبعث قيمتها فيفتح له ، فإذا رآه خَرَّ له - قال مسلمة^[٥] : أراه قال : ساجدًا - فيقول : ارفع رأسك ، فإنما أنا قِئَمَك ، وكلت بأمرك . فيتبعه ويقفو أثره ، فتستخف^[٦] الحوراء العجلة ، فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتقه ، ثم تقول : أنت حيي ، وأنا حَبَك ، وأنا الخالدة التي لا أموت ، وأنا الناعمة التي لا أبأس ، وأنا الراضية التي لا أسخط ، وأنا المقيمة التي لا أظعن ، فيدخل بيتًا من أسفه إلى سقفه مائة ألف ذراع ، بناؤه على جندل اللؤلؤ ، طرائق أصفر وأخضر وأحمر ، ليس فيها طريقة تشاكل صاحبها ، في البيت سبعون سريرًا ، على كل سرير سبعون حَشِيَّة ، على كل حَشِيَّة سبعون زوجة ، على كل زوجة سبعون حلة ، يرى مُخَّ ساقها من باطن الحُلَل ، يقضي جماعها في مقدار ليلة من لياليكم هذه . الأنهار من تحتهم تَطْرُد ، أنهار من ماء غير آسن - قال : صاف ، لا كَدَر فيه - ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه - قال : لم يخرج من ضرع الماشية - ، وأنهار من خمر لذة للشاربين - قال : لم تعصرها الرجال بأقدامهم - ، وأنهار من عسل مصفى - قال : لم يخرج من بطون النحل - . يستجني الثمار ، فإن شاء قائمًا ، وإن شاء قاعدًا ، وإن شاء متكئًا - ثم تلا : ﴿ ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلًا ﴾ فيشتهي الطعام فيأتيه طير أبيض - قال : وربما قال : أخضر . قال : - فترفع أجنحتها ، فيأكل من جنوبها ، أي الألوان شاء ، ثم [يطير فيذهب]^[٧] ، فيدخل الملك فيقول : سلام عليكم ، تلکم الجنة]^[٨] أورثتموها بما كنتم تعملون . ولو أن شعرة من شعر الحوراء وقعت في^[٩] الأرض ، لأضاءت الشمس معها سوادًا^[١٠] في نور .

هذا حديث غريب . وكأنه مرسل ، والله أعلم .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « ينبت » .

[٣] - في خ ، ز : « فلو تسمع » .

[٤] - في ز : « فيستخف » .

[٥] - ما بين المعكوفين في ز : « تطير فتذهب » .

[٦] - في ز : « سوا » .

[٧] - في ز : « سوا » .

[٨] - في ز : « سوا » .

[٩] - في ز : « سوا » .

[١٠] - في ز : « سوا » .

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

لما ذكر تعالى حكمه^[١] في أهل الجنة والنار وأنه نزل كلاً في المحل الذي يليق به ويصلح له ، وهو العادل في ذلك الذي لا يجور ، أخبر عن ملائكته أنهم محدقون من حول عرشه المجيد ، يسبحون بحمد ربهم ، ويمجدونه ويعظمونه ويقدسونه وينزهونه عن النقائص والجور ، وقد^[٢] فصل القضية ، وقضى الأمر ، وحكم بالعدل . ولهذا قال : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي : بين الخلائق ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ .

ثم قال : ﴿ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي : ونطق الكون أجمعه - ناطقه وبهيمة - لله رب العالمين ، بالحمد في حكمه وعدله ، ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه ، فدل^[٣] على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد .

قال قتادة : افتتح الخلق بالحمد في قوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، واختتم بالحمد في قوله : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

آخر تفسير سورة الزمر ، والله الحمد .



[١] - في خ : « محكمه » ، وفي ز : « بحكمه » . [٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في خ ، ز : « فقال » .

تفسير سورة المؤمن

وهي مكية

قد كره بعض السلف - منهم محمد بن سيرين - أن يقال : « الحواميم » ، وإنما يقال : « آل حم »^(١) .

قال عبد الله بن مسعود : « آل حم » دياج القرآن^(٢) .

وقال ابن عباس : إن لكل شيء لباباً ، ولَبَابُ القرآن : « آل حم » ، أو قال : الحواميم^(٣) .

قال مسعر بن كدام : كان يقال لهن : « العرائس » .

روى ذلك كله الإمام العَلَمُ أبو عُبيد القاسم بن سلام رحمه الله ، في كتاب « فضائل القرآن »^(٤) .

وقال حُمَيد بن زُجْويه : حدثنا عبيد الله بن موسى ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ؛ قال : إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلاً ، فمر بأثر غيث ، فبينما هو يسير فيه ويتعجب ، إذ هبط على روضات دمثات ؛ فقال : عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب . فقيل له : إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن ، وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات ، مثل آل حم في القرآن . أورده البغوي^(٥) .

وقال ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب : إن الجَوَاحِج بن أبي الجَوَاحِج حَدَّثَهُ عن ابن عباس ، قال : لكل شيء لباب ، وَلَبَابُ القرآن الحواميم^(٦) .

(١) - رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في « فضائل القرآن » (ص ٢٥٦) بإسناد صحيح إلى ابن سيرين .

(٢) - رواه أبو عبيد في « فضائل القرآن » (ص ٢٥٥) ثنا الأشجعي ، والحاكم (٤٣٧/٢) وعنه البيهقي في « الشعب » (٢٤٧١/٢) من طريق الحميدى ، كلاهما (الأشجعي ، والحميدي) ثنا سفيان - مقروناً به حبيب عند البيهقي - عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد عنه به ، وسكت عنه الحاكم والذهبي ، ومجاهد لم يسمع من ابن مسعود ، كما قال أبو زرعة وغيره . راجع « جامع التحصيل » (ص ٢٧٣ / ت : ٧٣٦) والخبر زاد نسبه السيوطي في « الدر المنثور » (٦٤٣/٥) إلى ابن الضريس وابن المنذر .

(٣) - رواه أبو عبيد (ص ٢٥٥) ثنا الأشجعي ، عن مسعر بن كدام قال : بلغني أنهم كُنُّ يسمين العرائس . ورواه الدارمي (٤٥٨/٢) ثنا جعفر بن عون ، عن مسعر ، عن سعد بن إبراهيم به . وهذا إسناد صحيح ، وقد زاد نسبه السيوطي (٦٤٤/٥) إلى محمد بن نصر .

(٤) - إسناده صحيح . وعزه السيوطي في « الدر المنثور » (٦٤٣/٥) إلى محمد بن نصر ، وحמיד بن زُجْويه .

(٥) - رواه أبو عبيد في « فضائل القرآن » (ص ٢٥٤) ثنا أبو الأسود ، عن ابن لهيعة به ، وابن لهيعة سيء الحفظ .

(٦) - رواه أبو عبيد في « فضائل القرآن » (ص ٢٥٥) ثنا حجاج بن المسعودي ، عن أبي إسحاق ، عن =

وقال ابن مسعود: إذا وقعت في «آل حم» فقد^[١] وقعت في روضات أتانق فيهن .

وقال أبو عبيد^(٧) : حدثنا الأشجعي ، حدثنا مشعر - هو ابن كدام - عن حدثه ؛ أن رجلاً رأى أبا الدرداء يبنى مسجدًا فقال له : ما هذا ؟ فقال : أبنيه من أجل «آل حم» .

وقد يكون هذا المسجد الذي بناه أبو الدرداء ، هو المسجد المنسوب إليه داخل قلعة دِمَشق .

وقد يكون صيانتها وحفظها ببركته وبركة ما وُضع له ، فإن هذا الكلام يدل على النصر على الأعداء ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه في بعض الغزوات : « إن يَتِمَّ الليلة فقولوا : حم ، لا ينصرون » وفي رواية : « لا تنصرون »^(٨) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار^(٩) : حدثنا أحمد بن الحكم [بن ظبيان]^[٢] بن خلف المازني ، ومحمد بن الليث الهمداني ؛ قالا : حدثنا موسى بن مسعود ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي ، عن زرار بن مصعب ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ آية الكرسي وأول حم المؤمن ، عُصِمَ ذلك اليوم من كل سوء » . ثم قال : لا نعلم يُروى إلا بهذا الإسناد .

ورواه الترمذي من حديث المليكي ، وقال : تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ
التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ۝

أما الكلام على^[٣] الحروف المقطعة فقد تقدم في أول «سورة البقرة» بما أغنى عن إعادته هاهنا . وقد قيل : إن ﴿ حم ﴾ اسم من أسماء الله - عز وجل - وأنشدوا في ذلك بيتاً :

= أبي عبيدة قال : قال عبد الله : فذكره وإسناده ضعيف لاختلاط المسعودي ، ولانقطاع بين أبي عبيدة وأبيه عبدالله ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦٤٣/٢) إلى محمد بن نصر ، وابن المنذر .

(٧) - في « فضائل القرآن » (ص ٢٥٥) وإسناده منقطع .

(٨) - يأتي تخريجه (رقم : ١٠) .

(٩) - وعزاه السيوطي أيضاً في « الدر المنثور » (٦٤٤/٢) إلى محمد بن نصر وابن مروي ، وقد رواه الترمذي ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي (٢٨٧٩) - ومن طريقه أورده المصنف في تفسير سورة البقرة / (٢٥٥) - والطبراني ومن طريقه المزني في « تهذيب الكمال » (٩/١٩٧٩) - والدارمي (٢٣٨٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٤٧٤/٢) ، والبغوي في « شرح =

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[١] - سقط من : ز .

[٣] - في ت : « عن » .

يُذَكِّرُنِي حَامِيمَ والرمح^[١] شَاجِرٌ فهلَّا تلا حَامِيمَ قبل التقدم وقد ورد في^[٢] الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي^(١) ، من حديث الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن المهلب بن أبي صفرة ؛ قال^[٣] : حدثني من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنْ يَكُنَّ اللَّيْلَةُ فَقُولُوا : حَم ، لَا يَنْصُرُونَ » . وهذا إسناد صحيح .

واختار أبو عبيد^(١) أَنْ يُرَوَّى : « فَقُولُوا : حَم ، لَا يَنْصُرُوا » ، أي : إِنْ قُلْتُمْ ذَلِكَ لَا يَنْصُرُوا . جعله جزاء لقوله : « فَقُولُوا »^[٤] .

وقوله : ﴿ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ أي : تنزيل هذا الكتاب - وهو القرآن - من الله ذي العزة والعلم ، فلا يرام جنباه ، ولا يخفى عليه الذر وإن تكاثف حجاباه .

وقوله : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ أي : يغفر ماسلف من الذنب ، ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه وَخَضَعَ لَدَيْهِ .

وقوله : ﴿ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ أي : لمن تمرد وطغى وأثر الحياة الدنيا ، وعنا عن^[٥] أوامر الله ، وبغى . وهذه كقوله تعالى : ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ يقرن هذين الوصفين كثيرًا في مواضع متعددة من القرآن ، ليبقى العبد بين الرجاء

= السنة (١١٩٨/٤) من طريق عبد الرحمن بن أبي بكر به . وقال الترمذي : « هذا حديث غريب ، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد الرحمن بن أبي بكر ابن أبي مليكة المليكي من قبل حفظه ... فضعه ابن معين ، وقال أبو حاتم : ليس بقوى في الحديث ، وقال النسائي : ليس بثقة ، وقال أحمد : منكر الحديث ، وقال ابن عدي : « لا يتابع في حديثه ، وهو في جملة من يكتب حديثه » .

(١٠) - رواه أحمد (٦٥/٤) ، (٣٧٧/٥) ، وأبو داود (٢٥٩٧) ، والترمذي (٢٦٨٢) وأبو عبيد القاسم بن سلام في « فضائل القرآن » (ص ٢٥٤) وابن الجارود في « المنتقى » (١٠٦٣) والحاكم (١٠٧/٢) من طريق سفيان الثوري به . ورواه النسائي في « الكبرى » (١٠٤٥٣/٦) من طريق شريك بن عبد الله ، والنسائي أيضًا والحاكم من طريق زهير بن معاوية كلاهما (شريك وزهير) عن أبي إسحاق به . وصححه الحاكم على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي !! ولم يرويا للمهلب بن أبي صفرة وهو ثقة ، ومن دونه ثقات ، والثوري من أثبت الناس في أبي إسحاق ، فالإسناد صحيح كما قال المصنف ، وقد رواه أحمد (٢٨٩/٤) وغيره من طريق الأجلح الكندي ، عن أبي إسحاق ، عن البراء به ، بلفظ : « إِنْ كُنْتُمْ سَتَلْقَوْنَ الْعَدُوَّ غَدًا ، وَإِنْ شَعَارَكُمْ حَم لَا يَنْصُرُونَ » وأعله النسائي بالأجلح فقال : « الأجلح ليس بالقوى ، وكان مسرقًا في التشيع » وتابعه شيبان عند النسائي أيضًا (١٠٤٥١/٦) لكن فيه عننة الوليد بن مسلم ، وسوء حفظ هشام بن عمار . فالملعول على الإسناد الأول ، والله الموفق .

(١١) - فضائل القرآن (ص ٢٥٤) .

[٢] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[١] - في ز : « الرمح » .

[٣] - سقط من : ز .

[٥] - في ز : « على » .

والخوف .

وقوله : ﴿ ذِي الطُول ﴾ قال ابن عباس : يعنى السعة والغنى . وكذا قال مجاهد وقتادة .

وقال يزيد بن الأصم : ﴿ ذِي الطُول ﴾ يعنى : الخير الكثير .

وقال عكرمة : ﴿ ذِي الطُول ﴾ : ذى المن : وقال قتادة : ذى النعم والفواضل .

والمعنى : أنه المتفضل على عباده ، المتطول عليهم بما هم فيه^[١] من المنّ والإنعام ، التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها ، ﴿ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ... ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي : لانظير له في جميع صفاته ، فلا إله غيره ، ولا رب سواه ﴿ إِلَيْهِ الْمَصِير ﴾ أي : إليه المرجع والمآب ، فيجازي كل عامل بعمله ، ﴿ وَهُوَ سَرِيع الْحِسَاب ﴾ .

وقال أبو بكر بن عياش^(١٢) : سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول^[٢] : جاء رجل إلى عمر ابن الخطاب ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إني قَتَلْتُ ، فهل لي من توبة ؟ فقرأ عليه : ﴿ حَم * تَنْزِيل الْكِتَاب مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيم * غَاثِر الذَّنْب وَقَابِلِ التَّوْب شَدِيدِ الْعِقَاب ﴾ ، وقال : اعمل ولا تيأس . رواه ابن أبي حاتم - واللفظ له - وابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم^(١٣) : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن مروان الرُّقِّي ، حدثنا عمر - يعني ابن أيوب - أخبرنا جعفر بن بَرْقَان ، عن يزيد بن الأصم ؛ قال : كان رجل من أهل الشام ذو بأس ، وكان يفد^[٣] إلى عمر بن الخطاب ، ففقد عمر فقال : ما فعل فلان بن فلان ؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ يتابع في هذا الشراب . قال^[٤] : فدعا عمر كاتبه ، فقال : اكتب : من عمر ابن الخطاب إلى فلان بن فلان ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، غافر الذنب وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذي الطول ، لا إله إلا هو إليه المصير . ثم قال لأصحابه : ادعوا الله لأخيبكم أن يُقْبَلَ بقلبه ، وأن^[٥] يتوب عليه . فلما بلغ الرجل كتاب عمر جعل يقرؤه

(١٢) - رواه ابن جرير (٤١/٢٤) وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٦٤٥/٥) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، وفي إسناده جهالة .

(١٣) - ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٩٧/٤) - ومن طريقه أورده المصنف في « مسند الفاروق » (٥١٧/٢) - من طريق كثير بن هشام ، ثنا جعفر بن برقان به ، وقال المصنف في « مسند الفاروق » : « إسناده جيد ، وفيه انقطاع » يعنى : بين يزيد الأصم ، وعمر بن الخطاب . وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦٤٥/٥) وزاد عزوه إلى عبد بن حميد .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - سقط من : خ .

[٣] - في خ ، ز : « يوفد » .

[٥] - سقط من : خ .

ويردده ، ويقول : غافر الذنب ، وقابل التوب ، [شديد العقاب]^[١] ، قد حذرني عقوبته ، ووعدني أن يغفر لي .

ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث جعفر بن برقان ، وزاد : فلم يزل يُرَدِّدها على نفسه ، ثم بكى ، ثم نَزَعَ فأحسن التَّرع . فلما بلغ عمرَ خبره قال : هكذا فاصنعوا ، إذا رأيتم أحاكم زَلْ زَلَّةً فسددوه ووقفوه ، وادعوا الله له^[٢] أن يتوب عليه ، ولا تكونوا أعراناً للشيطان عليه .

وقال ابن أبي حاتم^(١٤) : حدثنا عمر بن شَبَّه^[٣] ، حدثنا حماد بن واقد - أبو عُمر الصَّقَّار - حدثنا ثابت البناني ، قال : كنت مع مصعب بن الزبير في سواد الكوفة ، فدخلت حائطاً أصلي ركعتين ، فانتحيت : حم المؤمن ، حتى بلغت : ﴿ لا إله إلا هو إليه المصير ﴾ فإذا رجل خلفي على بغلة شهباء عليه مُقَطَّعات يمينية ، فقال : إذا قلت : ﴿ غافر الذنب ﴾ فقل : يا غافر الذنب ، اغفر لي ذنبي . وإذا قلت^[٤] : ﴿ قابل التوب ﴾ ، فقل : يا قابل التوب ، اقبل توبتي . وإذا قلت : ﴿ شديد العقاب ﴾ ، فقل : يا شديد العقاب ، لا تعاقبني . قال : فالتفت فلم أر أحداً ، فخرجت إلى الباب فقلت : مَرَّ بكم رجل عليه مقطعات يمينية ؟ قالوا : ما رأينا أحداً . فكانوا^[٥] يُروْنَ أنه إلياس .

ثم رواه من طريق أخرى عن ثابت بنحوه . وليس فيه ذكر إلياس .

مَا يُجَدِّدُ فِي عَايِنِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ
لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ
وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٥﴾



يقول تعالى : ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان ﴿ إلا الذين كفروا ﴾ أي : الجاحدون لآيات الله وحججه وبراهينه ، ﴿ فلا يغرك تقلبهم في البلاد ﴾ أي : في

(١٤) - إسناده ضعيف ، لضعف حماد بن واقد ، وزاد نسبه السيوطي في الدر (٦٤٦/٢) إلى ابن أبي شيبة .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « شعبة » . [٤] - في خ : « بلغت » .

[٥] - في ز : « فكانوا » .

أموالهم ونعيمها وزهرتها ، كما قال : ﴿ لا يغرثك تقلب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ تمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾ .

ثم قال تعالى مسلماً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه ، بأن له أسوة من سلف من الأنبياء ، فإنه قد كذبهم^[١] أممهم وخالفوهم ، وما آمن بهم منهم إلا قليل ، فقال : ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح ﴾ ، وهو أول رسول بعثه الله ينهي عن عبادة الأوثان ، ﴿ والأحزاب من بعدهم ﴾ أي : من كل أمة ، ﴿ وهتت كل أمة برسولهم ليأخذوه ﴾ أي : حرصوا على قتله بكل ممكن ، ومنهم من قتل رسوله ، ﴿ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ﴾ أي : مآخولوا بالشبهة^[٢] ليردوا الحق الواضح الجلي .

وقد قال أبو القاسم الطبراني^(١٥) : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا عارم أبو النعمان ، حدثنا معتمر بن سليمان ؛ قال^[٣] : سمعت أبي يحدث عن حنّش^[٤] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال : « من أعان باطلاً ليدحض بباطله حقاً ، فقد برئت منه ذمة الله ، وذمة رسوله » .

(١٥) - « المعجم الكبير » للطبراني (١١/١٥٣٩) ، ورواه الحاكم في « المستدرک » (٤/١٠٠) ثنا محمد ابن جعفر الخلدی ، ثنا علي بن عبد العزيز به . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » وتعقبه الذهبي بأن « حنّش الرحبي ، ضعيف » وقد رواه الطبراني في « الصغير » (١١/٨٢) وفي « الأوسط » (٣/٢٩٤٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/٢٤٨) من طريق إبراهيم بن محمد بن الحسن بن متويه ، ثنا سعيد بن رحمة المصيصي ، قال : ثنا محمد بن حمير ، عن إبراهيم بن أبي عبلة ، عن عكرمة به . وزاد فيه : « ومن أكل درهمًا من ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين زنية » ، ومن نبت لحته من الشعث فالنار أولى به » . ورواه ابن حبان في « المجروحين » (١/٣٢٤) ثنا أحمد بن عيسى ثنا سعيد به مرفقاً . وقال الطبراني : « لم يروه عن إبراهيم إلا محمد ، ولا رواه عن محمد بن حمير إلا سعيد » وهو ضعيف ، قال ابن حبان : « لا يجوز الاحتجاج به لمخالفته الأثبات في الروايات » وبه أحله الهيثمي في « المجمع » (٤/١٢٠) ، (٤/٢٠٨) ورواه الطبراني أيضاً (١١/١٢١٦) من طريق أبي محمد الجزري - وهو حمزة النصيبی - عن عمرو بن دينار عن ابن عباس به ضمن حديث طويل ، وذكره من هذا الوجه الهيثمي في « المجمع » (٥/٢١٤) ، (٥/٢١٥) وقال : « رواه الطبراني وفيه أبو محمد الجزري - حمزة - ولم أعرفه ، وبقي رجاله رجال الصحيح » والجزري هذا هو حمزة بن أبي حمزة النصيبی ، تركه النسائي والدارقطني ، وقال ابن معين : « ليس حديثه بشيء » ، وقال البخاري وأبو حاتم : « منكر الحديث » وقال ابن عدي : « عامة ما يرويه مناكير ، موضوعة ، والبلاء منه » - راجع « التهذيب » وله طريق آخر رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٦/٧٦) - ومن طريقه ابن الجوزي في « العلل المتناهية » (٢/١٢٧٢) - من طريق إبراهيم بن زياد القرشي عن خُصيف عن عكرمة به ، وقال الخطيب : « إبراهيم بن زياد ، في حديثه نكارة » ، وقال يحيى بن معين : « لا أعرفه » . وقال البخاري في =

[٢] - في ز : « بالسنة » .

[١] - في خ : « كذبهم » .

[٤] - في خ ، ز : « حنّش » .

[٣] - سقط من : ز .

وقوله : ﴿ فَأَخَذْتَهُمْ ﴾ أي : أهلكتهم على ما صنعوا من هذه الآثام والذنوب العظام ، ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ أي : فكيف بلغك عذابي لهم ، ونكالي بهم ؟ قد كان شديداً موجعاً مؤلماً .

قال قتادة : كان والله شديداً .

وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ أي : كما حقت كلمة العذاب على الذين كفروا من الأمم السالفة ، كذلك حقت على المكذبين من هؤلاء الذين كذبوك وخالفوك يا محمد بطريق الأولى والأحرى ؛ لأن من كذبك^[١] فلا وثوق له بتصديق غيرك .

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا
وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي
وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَّحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ
وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

يخبر تعالى عن الملائكة المقرين من حملة العرش الأربعة ومن حوله من^[٢] الكرويين ، بأنهم ﴿ يسبحون بحمد ربهم ﴾ ، أي : يقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائص ، والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح ، ﴿ ويؤمنون به ﴾ أي : خاشعون له أذلاء بين يديه ، وأنهم ﴿ يستغفرون للذين آمنوا ﴾ أي : من أهل الأرض ممن آمن بالغيب ، فقيض الله سبحانه ملائكته المقرين أن يذنبوا للمؤمنين بظهور الغيب ، [ولما كان هذا من سجايا الملائكة - عليهم الصلاة والسلام - كانوا يؤمنون على دعاء المؤمن لأخيه بظهور الغيب]^[٣] ، كما ثبت في

= « التاريخ الكبير » (٢٨٧/١) عن إسناده آخر من طريق إبراهيم هذا : « لم يصح إسناده » وقد جهله الذهبي في « الميزان » (٣٢/١) فهذه طرق ضعيفة لا يتقوى الحديث بها ، ومع هذا فقد رقم به أبو عبد الرحمن الألباني حديث رقم (١٠٢٠) من « الصحيحة » !! .

[١] - في ز : « كَذَّب بك » .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من خ .

صحيح مسلم : « إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك : آمين ، ولك بمثل »^[١] (١٦) .

وقد قال الإمام أحمد^(١٧) : حدثنا عبد الله بن محمد - هو ابن أبي شيبة - حدثنا عبدة ابن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أمية في شيء من شعره فقال :

رَجُلٌ^[٢] وَتَوَرَّ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ وَالنَّسْرُ^[٣] لِلْأُخْرَى ، وَلَيْثٌ مُرْصَدٌ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدق » ، فقال :

وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ خُمْرَاءُ يُصْبِحُ لَوْنُهَا يَتَوَرَّدُ^[٤]

تأبى فما تطلع لنا في رسلها إلا معذبة ولا تجلد

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « صدق » . وهذا إسناد جيد . وهو يقتضي أن حملة العرش اليوم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة [كانوا ثمانية]^[٥] ، كما قال تعالى : ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ .

وهنا سؤال ، وهو أن يقال : ما الجمع بين المفهوم من هذه الآية ودلالة هذا الحديث ؟ وبين الحديث الذي رواه أبو داود^(١٨) :

(١٦) - رواه مسلم ، كتاب : الذكر والدعاء ، باب : فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧) (٢٧٣٢ ، ٢٧٣٣) من حديث أبي الدرداء .

(١٧) - « المسند » (٢٥٦/١) (رقم : ٢٣١٤) وكذا رواه عبد الله بن أحمد عن عبد الله بن محمد به . وكذا رواه ابن أبي عاصم في « السنة » (١/رقم : ٥٧٩) وأبو يعلى في « مسنده » (٢٤٨٢/٤) عن ابن أبي شيبة به - مقروناً به عبد الله بن عمر بن أبان عند أبي يعلى - ورواه الدارمي (٢٧٠٦) وابن خزيمة في « التوحيد » (١١١/١ ص ٢٠٤) من طريق محمد بن عيسى ، ثنا عبدة به ، ورواه ابن خزيمة (١١١/١ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣) وعبد الله بن أحمد (١١٦٩/٢) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٧٧١/٢) من طرق عن محمد بن إسحاق به والحديث ذكره المصنف في « البداية والنهاية » (١٣/١) وقال : « حديث صحيح الإسناد ، رجاله ثقات » وجود إسناده ههنا ، وأعله الهيثمي في « الجمع » (١٣٠/٨) ومن بعده أبو عبد الرحمن الألباني في « تحقيق السنة » بعنونة ابن إسحاق ، غير أنه متابع فقد رواه ابن خزيمة (١/رقم : ١١٣) ثنا أبو هشام زياد بن أيوب ثنا إسماعيل بن عليّة ثنا عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة عن ابن عباس فذكر القصة ، وهذا إسناد صحيح والله الموفق .

(١٨) - « السنن » لأبي داود ، كتاب : السنة ، باب : الجهمية (٤٧٢٣) - ومن طريقه البيهقي في « الأسماء والصفات » (٨٤٧/٢) - ورواه أحمد (٢٠٧/١) وابن ماجه في « السنن » (١٩٣) ، والعقيلي في « الضعفاء » (٢٨٤/٢) واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٦٥١/٣) من طريق محمد بن الصباح به ورواه =

[١] - في ت : « بمثله » .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : « واليسر » .

[٥] - ما بين المعكوفين سقط من : خ .

[٤] - في خ ، ز : « يتردد » .

حدثنا محمد بن الصباح البزاز ، حدثنا الوليد بن أبي ثور ، عن سماك ، عن عبد الله بن عميرة ، عن الأنحاف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب ، قال : كنت بالبطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة ، فنظر إليها فقال : « ماتسمون هذه ؟ » قالوا : السحاب . قال : « والمزن » قالوا : والمزن . قال : « والعنان » . قالوا : والعنان - قال أبو داود : ولم أتقن العنان جيداً - قال : « هل تدرون بُعد ما بين السماء والأرض ؟ » . قالوا : لا ندري . قال : « بُعد ما بينهما إما واحدة ، أو اثنتان^[١] ، أو ثلاث^[٢] وسبعون سنة ، ثم السماء فوقها كذلك - حتى عَدَّ سبع سماوات - ثم فوق السماء السابعة بحر ، بين^[٣] أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية

= لوين - ومن طريق ابن الجوزي في « المتناهية » (١/رقم ٦) والآجزي في « الشريعة » (٧٠٦/٢ ، ٧٠٧) والمزني في « تهذيب الكمال » (٣٤٦٦/١٥) مقرونا بـ « لوين » عباد بن يعقوب ، ومن طريق الأخير رواه عثمان بن أبي شيبة في « كتاب العرش » (رقم : ٩) والبزار (١٣١٠/٤) البحر الزخار وابن خزيمة في « التوحيد » (١٤٥/١) كلاهما حدثنا الوليد بن أبي ثور به .

ورواه أحمد (٢٠٧/١) وابن أبي شيبة (رقم : ٩) والدارمي في « الرد على الجهمية » (رقم ٢٤) من طرق عن الوليد به وأعله ابن الجوزي فقال : « قال ابن نمير ويحيى بن معين ، الوليد ليس بشيء ، وقال ابن نمير - في رواية - هو كذاب ، وقال أحمد والنسائي : ضعيف » والوليد ضعيف كما قال : لكنه لم ينفرد ، فقد تابعه :

- ١ - عمرو بن أبي قيس : - وهو صدوق له أوهام - رواه أبو داود (٤٧٢٤) ، والترمذي (٣٣٢٠) ، والبزار (١٣٠٩/٤) وابن خزيمة في « التوحيد » (١٤٤/١) ، وابن أبي عاصم في « السنة » (١/ح ٥٧٧) ، والرويانى (١٣٢٩/٢) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٢/رقم ٢٠٤) (٥٦٨/١٠) واللالكائي (٣/٦٥٠) .
- ٢ - إبراهيم بن طهمان : وهو ثقة إمام - والحديث في مشيخته (رقم : ١٨) ومن طريقه رواه أبو داود (٤٧٢٥) والآجزي (٧٠٨/٢) ، والبيهقي (٨٨٢/٢) .

٣ - عمرو بن ثابت : وهو ضعيف عند أبي نعيم في أخبار أصبهان (٢/٢) والرويانى (١٣٣٠/٢) ثلاثتهم (العمران وإبراهيم) عن سماك به وأعله البزار فقال : « هذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا الكلام ، وهذا اللفظ إلا من هذا الوجه عن العباس عن النبي - ﷺ - وعبد الله بن عميرة لا نعلم روى عنه إلا سماك بن حرب » وأعله بجهالة عبد الله الذهبي فقال : « العلو » (ص ٥٠) « تفرد به سماك عن عبد الله ، وعبد الله فيه جهالة » وزاد البخاري : « التاريخ الكبير » (٥/٤٩٤) - « ولا يعلم له سماع من الأحنف » مع هذا فقد مال ابن القيم في « تهذيب السنن » (٩٢/٧) ومن قبله شيخه ابن تيمية في « مجموع الفتاوى » (١٩٢/٣) إلى تصحيحه وحسنه أبو عيسى الترمذي !! ولذلك تعقبهم أبو عبد الرحمن الألباني ، فانظر « الضعيفة » (٣/١٢٤٧) ، ورواه عبد الرزاق - ومن طريقه أحمد (٢٠٦/١) ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة (رقم ١٠٠) وأبو يعلى في « مسنده » (٦٧١٣/١٢) والحاكم (٣٧٨/٢ ، ٥٠١) وابن الجوزي في « المتناهية » (١/رقم ٥) عن يحيى بن العلاء عن عمه شعيب بن خالد ، قال : حدثني سماك بن حرب به ، لكنه أسقط الأحنف ابن قيس وقال في لفظه : « بينهما مسيرة خمسمائة سنة ... » وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم

[١] - في ز : « اثنتين » .

[٣] - في خ ، ز : « ماء » .

[٢] - في ز : « ثلاثة » .

أَوْعَالَ ، بين أظلافهن ورُكَبهن مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم الله - عز وجل - فوق ذلك ؟ ثم رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة ، من حديث سماك بن حرب ، به . وقال الترمذي : حسن غريب .

وهذا يقتضي أن حملة العرش ثمانية ، كما قال شهر بن حوشب : حملة العرش ثمانية ، أربعة يقولون : « سبحانك اللهم وبحمدك ، لك الحمد على حلمك بعد علمك » . وأربعة يقولون : [« سبحانك اللهم وبحمدك ، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك »] .

ولهذا [١١] يقولون إذا استغفروا للذين آمنوا: ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً ﴾ أي : إن رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم ، وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم ، ﴿ فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ﴾ أي : فاصفح عن المسيئين إذا تابوا وأنبأوا وأقلعوا عما كانوا فيه ، واتبعوا ما أمرتهم به ، من فعل الخيرات وترك المنكرات ، ﴿ وقهم عذاب الجحيم ﴾ أي : وزحزحهم عن عذاب الجحيم ، وهو العذاب الموجه الأليم . ﴿ ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ أي : اجمع [١٢] بينهم وبينهم ، لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع في منازل متجاورة ، كما قال : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ، وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ أي : ساوينا بين الكل في المنزلة ، لتقر أعينهم ، وما نقصنا العالي حتى يساوي الداني ، بل رفعنا الناقص في العمل ، [فساوينا بكثير العمل [١٣] ، تفضلاً منا [١٤] ومنه .

قال سعيد بن جبير (١٩) : إن المؤمن إذا دخل الجنة سأل عن أبيه وابنه وأخيه ، وأين هم ؟

= يخرجاه « ووافقه الذهبي !! مع أن يحيى بن العلاء متهم بالوضع ، فقال ابن الجوزي : « هذا حديث لا يصح ، قال بعض الحفاظ : تفرد به يحيى بن العلاء . قال أحمد : هو كذاب يضع الحديث ، وقال يحيى : ليس بثقة ، وقال الفلاس : متروك الحديث . وقال ابن عدى : أحاديثه موضوعات ، وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به » .

ورواه الحاكم (٣٧٨/٢ ، ٥٠١) وأشار إلى هذه الرواية الترمذي - من طريق شريك عن سماك به موقوفاً على العباس مختصراً جداً ، ومع ضعف شريك - وهو القاضي - وجهالة ابن عميرة وعدم سماعه من الأحنف ، فقد صححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي !! ورواه أبو الشيخ (٢٠٥/٢) من طريق أبي خالد الدالاني عن سماك عن ابن عميرة عن الأحنف عن النبي صص وهذا مرسل والدالاني : « صدوق يخطئ كثيراً ويدلس » كذا وصفه ابن حجر في « التقریب » وعليه فلا يصح الحديث من جميع وجوهه والله الأمر .

(١٩) - تقدم تخريجه في سورة الرعد .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز : « الجمع » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٤] - سقط من : خ ، ز .

فيقال : إنهم لم ييلغوا طبقتك في العمل . فيقول : إني إنما عملت لي ولهم . فَيُلْحَقُونَ به في الدرجة ، ثم تلا سعيد بن جبير هذه الآية : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ﴾ .

قال مُطَرِّف بن عبد الله بن الشَّخِير (٢٠) : أَصَحُّ عِبَادِ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمَلَائِكَةُ ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ﴾ . وَأَغْشَى عِبَادَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ الشَّيَاطِينُ .

وقوله : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أي : الذي لا يمانع ولا يغالب ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، الحكيم في أقوالك وأفعالك ، من شرعك وقَدْرِكَ .

﴿ وقهم السيئات ﴾ أي: فعلها أو وبّالها من وقعت منه، ﴿ ومن تق السيئات يومئذ ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿ فقد رحمته ﴾ أي: لطف به ونجّيته من العقوبة، ﴿ وذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَفْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَا وَأَحْيَيْنَا أَتَيْنَا فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَلَّيْتُمْ فَأَلْحَكُمُ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٨﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكفار : إنهم يُتَادُونَ يوم القيامة وهم في غمرات النيران يتنظون ، وذلك عندما باشروا من عذاب الله ما لا قِبَلَ لأحد به ، فمقتوا عند ذلك أنفسهم وأبغضوها غاية البغض ، بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة ، التي كانت سبب دخولهم إلى النار : فأخبرتهم الملائكة عند ذلك إخباراً عالياً ، نادوهم نداء بأن^[١] مقت الله لهم في الدنيا - حين كان يُعرض عليهم^[٢] الإيمان ، فيكفرون - أشد من مقتكم أيها المعذبون أنفسكم اليوم في هذه الحالة .

(٢٠) - إسناده صحيح إلى مطرف ، وقد رواه ابن جرير (٤٦/٢٤) .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[١] - سقط من : خ ، ز .

قال قتادة في قوله: ﴿لَمَقْتُ اللَّهَ أَكْبَرَ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ يقول: لَمَقْتُ اللَّهَ أَهْلَ الضَّلَالَةِ حِينَ غُرِضَ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانُ فِي الدُّنْيَا، فَتَرَكُوهُ وَأَبَوْا أَنْ يَقْبَلُوهُ، أَكْبَرُ مِمَّا مَقَتُوا أَنْفُسَهُمْ حِينَ عَانَتُوا عَذَابَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وهكذا قال الحسن البصري، ومجاهد، والسدي، وذو بن عبد^[١] الله الهذلي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وابن^[٢] جرير الطبري، رحمهم الله.

وقوله: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَا اثْنَتَيْنِ﴾ قال الثوري^(٢١): عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. وكذا قال ابن عباس، والضحاك، وقاتادة، وأبو مالك. وهذا هو الصواب الذي لاشك فيه ولا مرية.

وقال السدي: أَمَتُوا فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أَحْيَا فِي قُبُورِهِمْ فَخُوطِبُوا، ثُمَّ أَمَتُوا ثُمَّ أَحْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وقال ابن زيد: أَحْيَا حِينَ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ مِنْ صُلْبِ آدَمَ، ثُمَّ خَلَقَهُمْ فِي الْأَرْحَامِ، ثُمَّ أَمَاتَهُمْ [ثُمَّ أَحْيَاهُمْ]^[٣] يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وهذان القولان - من السدي، وابن زيد - ضعيفان، لأنه يلزمهما على ما قالا ثلاث إحياءات وإماتات. والصحيح قول ابن مسعود، وابن عباس ومن تابعهما. والمقصود من هذا كله: أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدي الله - عز وجل - في عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، كما قال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾، فلا يجابون. ثم إذا رأوا النار وعانوها ووقفوا عليها، ونظروا إلى ما فيها من العذاب والثكال، سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة، فلا يجابون، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو زدوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون. فإذا دخلوا النار وذاقوا مَسَهَا وحسبها ومقامها وأغلغلاها، كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم، ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ

(٢١) - رواه ابن جرير (٤٧/٢٤) من طريق عبد الرحمن بن مهدي ثنا سفيان به، ورواه الفريابي كما في «الدر المنثور» (٦٥٠/٢) - ومن طريقه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠ ٤٣/٩) - والحاكم في «المستدرک» (٣٤٧/٢) من طريق إسرائيل أنبا أبو إسحاق به، وقال الحاكم: «حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وأعله الهيثمي في «المجمع» (١٠٥/٧) بشيخ الطبراني!! وهو متابع من غير واحد والخبر عزاه السيوطي أيضًا في «الدر المنثور» إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

[١] - في خ، ز: «عيد».

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.

[٢] - سقط من: ز.

نُعْمِرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿١٠﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عَدْنَا فَإِنَّ ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ ﴿١١﴾ وَفِي هَذِهِ آيَةُ الْكَرِيمَةِ تَلَطَّفُوا فِي السُّؤَالِ ، وَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ كَلَامِهِمْ مُقَدِّمَةً ، وَهِيَ قَوْلُهُمْ : ﴿ رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتُنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ أَي : قَدَرْتَك عَظِيمَةً ، فَإِنَّكَ أَحْيَيْتُنَا بَعْدَ مَا كُنَّا أَمْوَاتًا ، ثُمَّ أَمَتْنَا ثُمَّ أَحْيَيْتُنَا ، فَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَى مَا تَشَاءُ ، وَقَدْ ^[١] اعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا ، وَإِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ لِأَنفُسِنَا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا ، ﴿ فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ أَي : فَهَلْ أَنْتَ مُجِيبُنَا [إِلَى أَنْ تَعِيدَنَا] ^[٢] إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا ؟ فَإِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ ، لِنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ، فَإِنْ عَدْنَا إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ فَإِنَّا ظَالِمُونَ . فَأَجِيبُوا : أَنْ لَا سَبِيلَ إِلَى عَوْدِكُمْ وَمَرْجِعِكُمْ إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا . ثُمَّ عَلَّلَ الْمَنْعَ مِنْ ذَلِكَ بِأَنْ سَجَايَاكُمْ لَا تَقْبَلُ الْحَقَّ وَلَا تَقْتَضِيهِ بَلْ تَجْحَدُهُ وَتَنْفِيهِ ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا ﴾ أَي : أَنْتُمْ هَكَذَا تَكُونُونَ ، وَإِنْ رَدَدْتُمْ إِلَى الدُّنْيَا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ وَقَوْلُهُ : ﴿ فَالْحِكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ أَي : هُوَ الْحَاكِمُ فِي خَلْقِهِ ، الْعَادِلُ الَّذِي لَا يَجُورُ ، فِيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَرْحَمُ ^[٣] مَنْ يَشَاءُ ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

وقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾ أَي : يَظْهَرُ قُدْرَتُهُ لَخَلْقِهِ بِمَا يَشَاهِدُونَهُ فِي خَلْقِهِ الْغُلُوبِيِّ وَالسُّفْلِيِّ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِ خَالِقِهَا وَمُبْدِعِهَا وَمُنْشِئِهَا ، ﴿ وَيَنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾ ، وَهُوَ الْمَطَرُ الَّذِي يَخْرُجُ بِهِ مِنَ الزَّرْعِ وَالثَّمَارِ مَا هُوَ مُشَاهِدٌ بِالْحَسَنِ ، مِنْ اخْتِلَافِ أَلْوَانِهِ وَطَعُومِهِ ، وَرَوَائِحِهِ وَأَشْكَالِهِ وَأَلْوَانِهِ ، وَهُوَ مَاءٌ وَاحِدٌ ، فَبِالْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَاوَتْ بَيْنَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ، ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ ﴾ أَي : يَعْتَبِرُ وَيَتَفَكَّرُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَيَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى عَظَمَةِ خَالِقِهَا ﴿ إِلَّا مَنْ يَنْبَغِ ﴾ أَي : مَنْ ^[٤] هُوَ بِبَصِيرَةٍ مَنِيْبٍ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وقوله : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ أَي : فَأَخْلَصُوا لِلَّهِ وَحْدَهُ الْعِبَادَةَ وَالِدُعَاءَ ، وَخَالَفُوا الْمُشْرِكِينَ فِي مَسْلِكِهِمْ وَمَذْهَبِهِمْ .

قال الإمام أحمد ^(٢٢) : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ - يَعْنِي : ابْنَ عُرْوَةَ بْنِ

(٢٢) - « الْمُسْنَدُ » (٤/٤) وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ ، كِتَابُ : الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ ، بَابُ : اسْتِحْبَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ (١٣٩) (٥٩٤) ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ ، ثَنَا أَبِي بِهِ . وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٤٠) وَأَبُو دَاوُدَ ، كِتَابُ : الصَّلَاةِ ، بَابُ : مَا يَقُولُهُ الرَّجُلُ إِذَا سَلَّمَ (١٥٠٧) ، وَالنَّسَائِيُّ ، كِتَابُ : الصَّلَاةِ ، بَابُ : عَدَدُ التَّهْلِيلِ وَالذِّكْرِ بَعْدَ التَّسْلِيمِ (٧٠/٣) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ ثَنَا هِشَامٌ بِهِ . وَرَوَاهُ أَحْمَدُ (٥/٤) وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ (١٥٠٦) وَالنَّسَائِيُّ (٦٩/٣) مِنْ طَرِيقِ الْحُجَّاجِ بْنِ أَبِي عَثْمَانَ ، وَمُسْلِمٌ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ كِلَاهُمَا (الْحُجَّاجُ وَمُوسَى) عَنْ أَبِي الزَّيْبِ بِهِ .

[٢] - مَا بَيْنَ الْمَعْكُوفَيْنِ سَقَطَ مِنْ : خ ، ز .

[١] - سَقَطَ مِنْ : ز .

[٤] - سَقَطَ مِنْ : ز .

[٣] - فِي ز : « وَرَحِمَ » .

الزبير - عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي قال : كان عبد الله بن الزبير يقول في دبر كل صلاة حين يسلم : « لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُهَيِّلُ^[١] بهن دبر كل صلاة .

ورواه مسلم وأبو داود والنسائي ، من طرق ، عن هشام بن عروة ، وحجاج بن أبي عثمان ، وموسى بن عقبة ، ثلاثهم عن أبي الزبير ، عن عبد الله بن الزبير قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر الصلاة : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له » . وذكر تمامه .

وقد ثبت في الصحيح عن ابن الزبير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عقب الصلوات المكتوبات : « لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » .

وقال ابن أبي حاتم^(٢٣) : حدثنا الربيع حدثنا الخصب بن ناصح ، حدثنا صالح - يعني المزني - عن هشام بن حسان ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه » .

رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ

(٢٣) - ورواه الترمذي (٣٤٧٩) وابن حبان في « المجروحين » (٣٦٨/١) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٥٦/٤) (٢٣٧/١٤) ، والحاكم في « المستدرک » (٤٩٣/١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٢٢/٥) مخطوط من طرق عن صالح المري به وقال الحاكم : « حديث مستقيم الإسناد ، تفرد به صالح المري ، وهو أحد زهاد البصرة » وتعقبه الذهبي فقال : « صالح متروك » تركه النسائي وغيره وقال البخاري : منكر الحديث ، وضعفه ابن معين وابن المديني وغيرهما ، وبه أهل الحديث أبو عيسى الترمذي فقال : « حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه » واستنكره ابن عدي لصالح هذا ، سيسس الكامل (٤/ ١٣٨٠) وكذا أحله به المنذري في « الترغيب والترهيب » (٤٩٣/٢) فقال : « صالح المري ، لا شك في زهده ، لكن تركه أبو داود والنسائي » - والعراقي في « تخريج أحاديث الإحياء (٩٥٢/٢) المستخرج لكن له شاهد من حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد (١٧٧/٢) ذكره المصنف (سورة البقرة / ١٨٦) بإسناده وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف - ومن أجل هذا الشاهد رقم به أبو عبد الرحمن الألباني حديث (٥٩٤) من « الصحيحة » .

[١] في ز : « يهل » .

الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ
الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾

يقول تعالى عن عظمته وكبريائه ، وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع مخلوقاته كالسقف لها ، كما قال تعالى : ﴿ من الله ذي المعارج * تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ ، وسيأتي بيان أن هذه مسافة ما بين العرش إلى الأرض السابعة ، في قول جماعة من السلف والخلف ، وهو الأرجح إن شاء الله . وقد ذكر غير واحد : أن العرش من ياقوتة حمراء ، اتساع ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة . وارتفاعه عن الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة . وقد تقدم في حديث « الأوعال »^(٢٤) ما يدل على ارتفاعه عن^[١] السماوات السبع بشيء عظيم .

وقوله : ﴿ يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ ، كقوله تعالى : ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ . وكقوله : ﴿ وإنه لتنزىل رب العالمين . نزل به لروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ ولهذا قال : ﴿ لينذر^[٢] يوم التلاق ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس : يوم التلاق : اسم من أسماء يوم القيامة ، حذر منه عباده .

وقال ابن جريج : قال ابن عباس : يلتقي فيه آدم وآخر ولده .

وقال ابن زيد : يلتقي فيه العباد .

وقال قتادة ، والسدي ، وبلال بن سعد ، وسفيان بن عيينة : يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض .

وقال قتادة أيضًا : يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض ، والخالق والمخلوق .

وقال ميمون بن مهران : يلتقي الظالم والمظلوم .

وقد يقال : إن يوم القيامة هو يشمل هذا كله ، ويشمل أن كل عامل سيلقى ما عمله من خير وشر . كما قاله آخرون .

وقوله : ﴿ يوم هم بارزون ﴾ أي : ظاهرون بادون كلهم ، لا شيء يكنهم ولا يظلمهم ولا

(٢٤) - تقدم تخريجه (رقم ١٨) .

[٢] - في ز : « لتندر » .

[١] - في ز : « من » .

يسترهم ؛ ولهذا قال : ﴿ يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء ﴾ أي : الجميع في علمه على السواء .

وقوله : ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ قد تقدم في حديث^[٢١] ابن عمر^(٢٥) : « أنه تعالى يطوي السماوات والأرض بيده ، ثم يقول : أنا الملك ، أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » وفي حديث الصور^(٢٦) : « أنه تعالى إذا قبض أرواح جميع خلقه ، فلم يبق سواه ، وحده لا شريك له ، حينئذ يقول : لمن الملك اليوم ؟ - ثلاث مرات - ثم يجيب نفسه قائلا : ﴿ لله الواحد القهار ﴾ » أي : الذي هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه .

[وقد قال^[٢٢] ابن أبي حاتم^(٢٧) : حدثنا محمد بن غالب الدقاق ، حدثنا عبيد بن عبيدة ، حدثنا معتمر ، عن أبيه ، حدثنا أبو نضرة ، عن ابن عباس قال : ينادي منادي بين يدي الساعة : يا أيها الناس ، أتتكم الساعة . فيسمعها الأحياء والأموات ، قال : وينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول^[٢٣] : ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ .

وقوله : ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ﴾ : يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه ، أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر ، بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها ، وبالسيفة واحدة ، ولهذا قال : ﴿ لا ظلم اليوم ﴾ . كما ثبت في صحيح مسلم^(٢٨) ، عن أبي ذر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه - عز وجل - أنه قال : « يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا » إلى أن قال : « يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم [ثم أوفيكم إياها]^[٢٤] ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » .

وقوله : ﴿ إن الله سريع الحساب ﴾ أي : يحاسب الخلائق كلهم ، كما يحاسب نفساً واحدة ، كما قال : ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾ وقال : ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ .

(٢٥) - تقدم تخريجه

(٢٦) - تقدم تخريجه (سورة الأنعام / آية ٨٢) .

(٢٧) - إسناده صحيح ومعتمر هو ابن سليمان التيمي .

(٢٨) - تقدم تخريجه (سورة يونس / آية ٤٤) .

[٢] - ما بين المعكوفين بياض في : ز .

[٤] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

[١] - في ز : « تفسير » .

[٣] - في خ : « ويقول » .

وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
 حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾
 وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
 السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

يوم الأرزاق : هو اسم من أسماء يوم القيامة ، سميت بذلك لاقترابها ، كما قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الْأَرْزَاقَ * لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ وقال : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ وقال : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ وقال : ﴿ أَتَى أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ وقال : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَ وُجُوهَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُدْعُونَ .

وقوله : ﴿ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ ﴾ قال قتادة : وقفت القلوب في الحناجر من الخوف ، فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها . وكذا قال عكرمة ، والسدي ، وغير واحد .

ومعنى ﴿ كَظِيمٍ ﴾ أي : ساكنين ، لا يتكلم أحد إلا بإذنه . ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ .

وقال ابن جريج : ﴿ كَظِيمٍ ﴾ أي : باكين .

وقوله : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ أي : ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ، ولا شفيع يشفع فيهم ، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير .

وقوله : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ يخبر تعالى عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء ، جليلها وحقيرها ، صغيرها وكبيرها ، دقيقها ولطيفها ، ليحذر الناس علمه فيهم ، فيستحيوا من الله حق الحياء ويتقوه حق تقواه ، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه ، فإنه تعالى يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة ، ويعلم ما تنطوي^[١] عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر .

قال ابن عباس في قوله : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ : وهو الرجل يدخل على أهل البيت يبتهم ، وفيهم المرأة الحسناء ، أو تمر به وبهم المرأة الحسناء ، فإذا غفلوا لحظ إليها ، فإذا فطنوا غص بصره عنها ، فإذا غفلوا لحظ ، فإذا فطنوا غص ، وقد اطلع الله من قلبه

[١] - في ز : « ينطوى » .

أنه ود لو اطلع على فرجها . رواه ابن أبي حاتم (٢٩) .

قال الضحاك : ﴿ خائنة الأعين ﴾ : هو الغمز وقول الرجل : رأيت ولم ير ، أو لم أر وقد رأى .
وقال ابن عباس : يعلم تعالى من العين في نظرها ، هل تريد الخيانة أم لا ؟ وكذا قال مجاهد وقتادة .

وقال ابن عباس في قوله : ﴿ وما تخفي الصدور ﴾ يعلم إذا أنت قدرت عليها هل تزني بها أم لا ؟

وقال السدي : ﴿ وما تخفي الصدور ﴾ أي : من الوسوسة .

وقوله : ﴿ والله يقضي بالحق ﴾ أي : يحكم بالعدل .

وقال الأعمش (٣٠) : عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ والله يقضي بالحق ﴾ : قادر على أن يجزي بالحسنة الحسنة ، وبالسيسة السيئة ﴿ إن الله هو السميع البصير ﴾ .

وهذا الذي فسره ابن عباس في هذه الآية كقوله تعالى : ﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ .

وقوله ﴿ والذين يدعون من دونه ﴾ أي : من الأصنام والأوثان والأنداد ، ﴿ لا يقضون بشيء ﴾ أي : لا يملكون شيئاً ولا يحكمون بشيء ، ﴿ إن الله هو السميع البصير ﴾ أي : سميع لأقوال خلقه ، بصير بهم ، فيهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، وهو الحاكم العادل في جميع ذلك .

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ

كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ

(٢٩) - وعزاه له السيوطي في « الدر المنثور » (٦٥٣/٥) وزاد نسبه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر ، وابن أبي شيبة . وقد رواه هنا في « الزهد » (١٤٢٨/٢) بإسناد فيه انقطاع ، وانظر الآتي .

(٣٠) - رواه الطبراني في « الأوسط » (١٢٨٣/٢) من طريق الحسين بن واقد نا الأعمش ، حدثني سعيد بن جبير عن ابن عباس به ، وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن الأعمش إلا الحسين بن واقد » وهو ثقة إمام « فالإسناد صحيح ، وأعله الهيثمي في « المجمع » (١٠٥/٧) بمن فوق الحسين ، ولا شك أنه متابع ، - جزء من الخبر السابق وقد تقدم تخريجه .

لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى : أو لم يَسِرْ هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد ﴿ في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم ﴾ أي [١] : من الأمم المكذبة بالأنبياء ، ما حل بهم من العذاب والنكال ، مع أنهم كانوا أشد من هؤلاء قوة ، ﴿ وأثارا في الأرض ﴾ أي : أثروا في الأرض من البنيات [٢] والمعالن والديارات ، ما لا يقدر عليه هؤلاء ، كما قال : ﴿ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه ﴾ وقال : ﴿ وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ﴾ أي : ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد ، أخذهم الله بذنوبهم ، وهي كفرهم برسلمهم ، ﴿ وما كان لهم من الله من واقٍ ﴾ أي : وما دفع عنهم عذاب الله أحد ، ولا رده عنهم راد ، ولا وقاهم واقٍ [٣] .

ثم ذكر علة أخذه إياهم وذنوبهم التي ارتكبوها واجتمروها ، فقال : ﴿ ذلك بأنهم كانت تأتيمهم رسلهم بالبينات ﴾ أي : بالدلائل الواضحات والبراهين القاطعات ، ﴿ فكفروا ﴾ أي : مع هذا البيان والبرهان كفروا وجحدوا ، ﴿ فأخذهم الله ﴾ أي : أهلكتهم ودمر عليهم وللكافرين أمثالها ، ﴿ إنه قوي شديد العقاب ﴾ أي : ذو [٤] قوة عظيمة وبطش شديد ، ﴿ وهو شديد العقاب ﴾ أي : عقابه أليم شديد وجيع . أعاذنا الله منه .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقُرُونٍ فَقَالُوا سَحَرٌ كَذَابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى مسلما لنبيه صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه ، ومبشرا له بأن

[٢] - في ز : « البينات » .

[١] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « ذي » .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

العاقبة والنصرة له في الدنيا والآخرة ، كما جرى لموسى بن عمران ، فإن الله تعالى أرسله بالآيات البينات ، والدلائل الواضحات ؛ ولهذا قال : ﴿ بآياتنا وسلطان مبين ﴾ ، والسلطان هو : الحجة والبرهان ﴿ إلى فرعون ﴾ هو : ملك القبط بالديار المصرية ، ﴿ وهامان ﴾ وهو : وزيره في مملكته ، ﴿ وقارون ﴾ وكان أكثر الناس في زمانه مالاً وتجارة ﴿ فقالوا ساحر كذاب ﴾ أي : كذبه وجعلوه ساحراً مجنوناً مموهاً كذاباً في أن الله أرسله ، وهذه كقولته : ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ﴾ أتواصوا به بل هم قوم طاغون .

﴿ فلما جاءهم بالحق من عندنا ﴾ أي : بالبرهان القاطع الدال على أن الله تعالى أرسله إليهم ، ﴿ قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم ﴾ . وهذا أمر ثان من فرعون بقتل ذكور بني إسرائيل ، أما الأول : فكان لأجل الاحتراز من وجود موسى ، أو لإذلال^[١] هذا الشعب وتقليل عددهم ، أو لمجموع الأمرين . وأما الأمر الثاني : فللعلة الثانية ، لإهانة هذا الشعب ، ولكي يتشاءموا بموسى - عليه السلام - ؛ ولهذا قالوا : ﴿ أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾ قال قتادة : هذا أمر بعد أمر .

قال الله تعالى : ﴿ وما كيد الكافرين إلا في ضلال ﴾ أي : وما مكرهم وقصدهم الذي هو تقليل عدد بني إسرائيل لئلا يتصروا عليهم إلا ذاهب وهالك في ضلال .

﴿ وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه ﴾ : وهذا عزم من فرعون - لعنه الله - على قتل موسى - عليه السلام - ، أي : قال لقومه : دعوني حتى^[٢] أقتل لكم هذا ، ﴿ وليدع ربه ﴾ أي : لا أبالي منه . وهذا في غاية الجحد والتجهر والعناد .

وقوله قبحه^[٤] الله : ﴿ إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ﴾ يعني : موسى ، يخشى فرعون أن يضل موسى الناس ويغير رسومهم وعاداتهم . وهذا كما يقال في المثل : صار فرعون مُذَكِّراً ! [يعني : واعظاً]^[٥] ، يشفق على الناس من موسى عليه السلام .

وقرأ الأكثرون : (أن يبدل دينكم وأن يظهر في الأرض الفساد) . وقرأ آخرون : (أو أن يظهر في الأرض الفساد) وقرأ بعضهم : « يظهر في الأرض الفساد » ، بالضم .

وقال موسى : ﴿ إني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ﴾ أي : لما

[٢] - سقط من : ز .

[١] - في ز : « أولاد » .

[٤] - في خ : « لعنه » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - ما بين المعكوفين سقط من : خ .

بلغه قولُ فرعون : ﴿ ذرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى ﴾ ، [قال موسى]^[١] : استجرتُ بالله وُعُذْتُ به من شره وشر أمثاله ؛ ولهذا قال : ﴿ إِنِّي عَذْتُ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ﴾ أيها المخاطبون ، ﴿ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ ﴾ أي : عن الحق ، مجرم ، ﴿ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ . ولهذا جاء في الحديث عن أبيي موسى - رضي الله عنه - : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خاف قومًا قال : «اللهم ، إنا نعوذ بك من شرورهم ، ولدراً بك في نحورهم»^(٣١) .

وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَفِيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ
وإِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقَوْمُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنَ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطيًا من آل فرعون .

قال السدي : كان ابن عم فرعون ، ويقال : إنه الذي نجا مع موسى . واختاره ابن جرير^(٣٢) ، وَرَدَّ قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيليًا ؛ لأن فرعون انفعِل لكلامه واستمعهُ ، وكَفَّ عن قتل موسى - عليه السلام - ولو كان إسرائيليًا لأوشك أن يعاجل بالعقوبة ؛ لأنه منهم .

وقال ابن جريج : عن ابن عباس : لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون ، والذي قال : ﴿ يَا مُوسَى إِنْ الْمَلَأُ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ ﴾ . رواه ابن أبي حاتم^(٣٣) .

وقد كان هذا الرجلُ يكتُمُ إيمانه عن قومه القبط ، فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون :

(٣١) - رواه أحمد (٤١٤/٣ ، ٤١٥) وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : ما يقول إذا خاف قومًا (١٥٣٧) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (٦٠١) وغيرهم وصححه ابن حبان (٤٧٦٥/١١) ، والحاكم (١٤٢/٢) على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي .

(٣٢) - تفسير ابن جرير (٥٧/٢٤ ، ٥٨) .

(٣٣) - إسناده منقطع . والخبر ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦٥٥/٥) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

﴿ ذروني أقتل موسى ﴾ ، فأخذت الرجلَ غضبةً لله عز وجل : « وأفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » كما ثبت بذلك الحديث^(٣٤) ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهي قوله : ﴿ أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ﴾ ، اللهم إلا مارواه البخاري في صحيحه^(٣٥) حيث قال :

حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني يحيى بن أبي كثير ، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي ، حدثني عروة بن الزبير قال : قلت لعبد الله بن عمرو ابن العاص : أخبرني بأشد شيء مما صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة ، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط ، فأخذ بمئكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه ، فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه - فأخذ بمنكبه^[١] ودفع عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ﴿ أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ﴾ .

انفرد به البخاري من حديث الأوزاعي . قال : وتابعه محمد بن إسحاق ، عن يحيى^[٢] . عن عروة ، عن أبيه به .

وقال ابن أبي حاتم^(٣٦) : حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني ، حدثنا عتبة ، عن هشام - يعني ابن عروة - ، عن أبيه ، عن عمرو بن العاص أنه سئل : ما أشد ما رأيت قريشاً بلغوا من

(٣٤) - تقدم تخرجه (سورة المائدة/ آية ٧٩) .

(٣٥) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : سورة المؤمن (٤٨١٥) ، ورواه أيضاً ، كتاب : فضائل الصحابة (٣٦٧٨) ثنا محمد بن يزيد الكوفي ، ثنا الوليد به ، وكتاب : مناقب الأنصار (٣٨٥٦) حدثنا عياش بن الوليد ، ثنا الوليد بن مسلم به . وقال في هذا الموضع الأخير : « تابعه ابن إسحاق حدثني يحيى بن عروة عن عروة ، قلت لعبد الله بن عمرو ، وقال عبدة عن هشام عن أبيه ، قيل لعمرو بن العاص ، وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة حدثني عمرو بن العاص » .

(٣٦) - ورواه النسائي في « التفسير » (رقم ٤٨٢) أخبرنا هناد بن السرى عن عبدة به . ورواه البيهقي في « الدلائل » (٢/ ٢٧٧) من طريق خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن هشام به . ورواه البخاري في « خلق أفعال العباد » (رقم ٣٠٨) ، وأبو يعلى (٧٣٣٩) - وعنه ابن حبان (٦٥٦٩/ ١٤) إحصان (١٦٨٥/ ٥) موارد - من طريقين عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن عمرو به . قال ابن حجر في « الفتح » (٧/ ١٦٩) : « هكذا خالف هشام بن عروة أخاه يحيى بن عروة في الصحابي ، فقال يحيى : « عبد الله بن عمرو » ، وقال هشام : « عمرو بن العاص » ويرجح رواية يحيى موافقة محمد بن إبراهيم التيمي عن عروة ، على أن قول هشام غير مدفوع . لأن له أصلاً من حديث عمرو بن العاص ، بدليل رواية أبي سلمة عن عمرو ، فيحتمل أن يكون عروة سأل مرة ، وسأل أباه أخرى ، ويؤيده اختلاف السياقين ، وقد رواه عبد الله ابن عروة بإسناد آخر عن عثمان ، فلا مانع من التعدد ... » .

[٢] - في خ ، ز : « كثير » .

[١] - في ز : « بمنكبيه » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : مر بهم ذات يوم فقالوا له^[١] : أنت تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ؟ فقال : « أنا ذلك » . فقاموا إليه ، فأخذوا بمجامع ثيابه ، فرأيت أبا بكر محتضنه من ورائه ، وهو يصيح بأعلى صوته ، وإن عينيه ليسيلان ، وهو يقول : يا قوم ، ﴿ اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ﴾ ؟ حتى فرغ من الآية كلها .

وهكذا رواه النسائي من حديث عبدة ، فجعله من مسند عمرو بن العاص ، رضي الله عنه .

وقوله : ﴿ وقد جاءكم بالبينات من ربكم ﴾ أي : كيف تقتلون رجلاً لكونه يقول : « ربي الله » ، وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق ؟ ثم تنزل معهم في المخاطبة فقال : ﴿ وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم ﴾ ، يعني : إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به ، فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه ، فلا تؤذوه ، فإن يك كاذباً فإن الله سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة ، وإن يك صادقاً وقد أذيتموه يصيبكم بعض الذي يعدكم ، فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة ، فمن الجائر عندكم أن يكون صادقاً ، فينبغي على هذا أن لاتعرضوا له ، بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه .

وهكذا أخبر الله عن موسى - عليه السلام - أنه طلب من فرعون وقومه المواجهة في قوله : ﴿ ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم * أن أدوا إلي عباد الله إني لكم رسول أمين * وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين * وإني عدتُ بربي وربكم أن ترجمون * وإن لم تؤمنوا لي فاعتلون ﴾ . وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش^[٢] أن يتركوه يدعوا إلى الله عباد الله ، ولا يمسوه بسوء ، وأن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة في ترك أذنته ، قال الله تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ أي : إلا أن لا تؤذوني فيما بيني وبينكم من القرابة ، فلا تؤذوني وتتركوا بيني وبين الناس . وعلى هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية وكان نتجاً مبيتاً .

وقوله : ﴿ إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ﴾ أي^[٣] : لو كان هذا الذي يزعم أن الله أرسله إليكم كاذباً كما تزعمون ، لكان أمره بيتاً ، يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله ، كانت تكون في غاية الاختلاف والاضطراب ، وهذا نرى أمره سديداً ومنهجه مستقيماً ، ولو كان من المسرفين الكذابين لما هداه الله ، وأرشده إلى ما ترون من انتظام أمره وفعله .

ثم قال المؤمن محذراً قومه زوال نعمة الله عنهم^[٤] ، وحلول نقم^[٥] الله بهم : ﴿ يا قوم

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في خ : « نقمة » .

[٥] - في ز : « عليهم » .

لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض ﴿ أي : قد أنعم الله عليكم بهذا الملك والظهور في الأرض بالكلمة النافذة والجاه العريض ، فراعوا هذه النعمة بشكر الله ، وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم ، واحذروا نعمة الله إن كذبتكم رسوله ، ﴿ فمن ينصرونا من بأس الله إن جاءنا ﴾ أي^[١] : لا تغني عنكم هذه الجنود وهذه العساكر ، ولا ترد عنا شيئاً من بأس الله إن أرادنا بسوء .

﴿ قال فرعون ﴾ لقومه ، راداً على ما أشار به هذا الرجل الصالح البار الراشد الذي كان^[٢] أحق بالملك من فرعون : ﴿ ما أرىكم إلا ما أرى ﴾ أي : ما أقول لكم وأشير عليكم إلا ما أراه لنفسى . وقد كذب فرعون ، فإنه كان يتحقق صدق موسى فيما جاءه^[٣] به من الرسالة ﴿ قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر ﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾ .

فقوله : ﴿ ما أرىكم إلا ما أرى ﴾ : كذب فيه^[٤] وافترى ، وخان الله ورسوله ورعيته ، فغشهم وما نصحهم . وكذا قوله : ﴿ وما أهدىكم إلا سبيل الرشاد ﴾ أي : وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصدق والرشد . وقد كذب أيضاً في ذلك ، وإن كان قومه قد أطاعوه واتبعوه ، قال الله تعالى : ﴿ فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وأضل فرعون قومه وما هدى ﴾ وفي الحديث^(٣٧) : « ما من إمام يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا لم يحرق رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام » .

(٣٧) - رواه البخارى ، كتاب : الأحكام ، باب : من استرعى رعية فلم ينصح (٧١٥٠ ، ٧١٥١) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : استحقاق الوالى ، الغاش لرعيته النار (٢٢٧ ، ٢٢٩) (١٤٢) من حديث معقل بن يسار مرفوعاً بلفظ : « ما من عبد يسترعى الله رعية فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة » وفى لفظ آخر : « ما من والى رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة » ، قال الحافظ فى « الفتح » (١٢٧/١٣) : « وفى رواية الطبرانى من حديث عبد الله بن مغفل : وعرفها يوجد يوم القيامة من مسيرة سبعين عاماً » وفى إسناده هذه الرواية جهالة ، كما قال شيخه الهيثمى فى « المجمع » (٢١٦/٥) وقد وردت روايات متعددة فى ذكر مسافة ريح الجنة ، أقلها : « أربعون عاماً » وأعلىها « خمسمائة عام » ، وقد ذكر هذه الروايات جميعاً الحافظ ابن حجر فى « الفتح » (٢٦٠/١٢) ثم قال : « وهذا اختلاف شديد ، وقد تكلم ابن بطلال على ذلك فقال : « الأربعون » هى الأشد فمن بلغها زاد عمله ويقينه وندمه ، فكأنه وجد ريح الجنة التى تبعته على الطاعة ، قال : والسبعون آخر المعترك ، ويعرض عنده الندم وخشية هجوم الأجل فتزداد الطاع بتوفيق الله فيجد ريحها من المدة المذكورة ، وذكر فى الخمسمائة كلاماً متكلفاً حاصله أنها مدة الفترة التى بين كل نبي ونبي فمن جاء فى آخرها وآمن بالنبين يكون أفضل من غيره فيجد ريح الجنة ، وقال الكرماني : يحتمل أن لا يكون العدد بخصوصه مقصوداً بل المقصود المبالغة فى =

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - فى ز : « منه » .

[١] - سقط من : ز .

[٣] - فى خ : « جاء » .

وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلَوْنَ مَذْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِيٍّ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٍ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾

هذا إخبار من الله - عز وجل - عن هذا الرجل الصالح ، مؤمن^[١] آل فرعون ؛ أنه حذر قومه بأس الله في الدنيا والآخرة فقال : ﴿ يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ﴾ أي : الذين كذبوا رسل الله في قديم الدهر ، كقوم نوح وعاد وثمود ، والذين من بعدهم من الأمم المكذبة ، كيف حل بهم بأس الله ، وما رده عنهم راد ، ولا صده عنهم صاد .

﴿ وما الله يريد ظلماً للعباد ﴾ أي : إنما أهلكهم الله بذنوبهم ، وتكذيبهم رسله ، ومخالفتهم أمره ، فأنفذ فيهم قدره ، ثم قال : ﴿ ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد ﴾ ، يعني : يوم القيامة . وسمي بذلك ؛ قال بعضهم : لما جاء في حديث الصور^(٣٨) : إن الأرض

= التكثير ، ولهذا خص الأربعين والسبعين ، لأن الأربعين يشتمل على جميع أنواع العدد لأن فيه الأحاد ، وأحاده عشرة ، والمائة عشرات ، والألف مئات ، والسبع عدد فوق العدد الكامل وهو ستة إذ أجزأوه بقدره وهي النصف ، والثلث والسدس بغير زيادة ولا نقصان ، وأما الخمسمائة فهي ما بين السماء والأرض . قلت - ابن حجر : والذي يظهر لي في الجمع أن يقال : إن الأربعين أقل زمن يدرك به ربح الجنة من في الموقف ، ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأعمال ، فمن أدركه من المسافة البعدي أفضل ممن أدركه من المسافة القريبى وبين ذلك ، وقد أشار إلى ذلك شيخنا في « شرح الترمذى » فقال : الجمع بين هذه الروايات أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص بتفاوت منازلهم ودرجاتهم ثم رأيت نحوه في كلام ابن العربي ، فقال : ربح الجنة لا يدرك بطبيعة ولإعادة وإنما يدرك بما يخلق الله من إدراكه ، فتارة يدركه من شاء الله من مسيرة سبعين ، وتارة من مسيرة خمسمائة » اهـ .

(٣٨) - تقدم تخريجه (سورة الأنعام/ آية ٨٢) .

إذا زلزلت وانشقت من قطر إلى قطر ، وماجت وارتمت ، فنظر الناس إلى ذلك ، ذهبوا هارين ينادي بعضهم بعضاً .

وقال آخرون - منهم الضحاك - : بل ذلك إذا جيء بجهنم ، ذهب الناس هرباً ، فتلقاهم الملائكة فتردهم إلى مقام المحشر ، وهو قوله تعالى : ﴿ والملاك على أرجائها ﴾ ، وقوله : ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ وقد روي عن ابن عباس والحسن والضحاك : أنهم قرءوا : ﴿ يوم النادى ﴾ بتشديد الدال من نداء البعير إذا شرد وذهب . وقيل : لأن الميزان عنده ملك ، و^[١] إذا وُزن عمل العبد فرجح نادى بأعلى صوته : ألا قد سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً . وإن خف عمله نادى : ألا قد شقي فلان بن فلان .

وقال قتادة : ينادي كل قوم بأعمالهم ؛ ينادى أهل الجنة أهل الجنة ، وأهل النار أهل النار .

وقيل : سمي بذلك لمناداة أهل الجنة أهل النار : ﴿ أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم ﴾ . ومناداة أهل النار أهل الجنة : ﴿ أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين ﴾ ولمناداة أصحاب الأعراف أهل الجنة وأهل النار كما هو مذكور في سورة الأعراف . واختار البغوي وغيره : أنه سمي بذلك لجموع ذلك . وهو قول حسن جيد ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ يوم تولون مدبرين ﴾ أي : ذاهبين هارين ، ﴿ كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ . ولهذا قال ﴿ ما لكم من الله من عاصم ﴾ أي : ما لكم من مانع يمنعكم من بأس الله وعذابه ، ﴿ ومن يضل الله فما له من هاد ﴾ أي : من أضله الله فلا هادي له غيره .

وقوله : ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ﴾ يعني : أهل مصر قد بعث الله فيهم رسولاً من قبل موسى ، وهو يوسف - عليه السلام - كان عزيز أهل مصر ، وكان رسولاً يدعو إلى الله أمته القبط ، فما أطاعوه تلك الطاعة إلا لمجرد الوزارة والجاه الدنيوي ؛ ولهذا قال : ﴿ فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً ﴾ [أي : يستم قلتم طامعين : ﴿ لن يبعث الله من بعده رسولاً ﴾ ^[٢] وذلك لكفرهم وتكذيبهم ، كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ﴾ ، أي : كحالكهم ^[٣] هذا يكون حال من يضل الله لإسرافه في أفعاله وارتياب قلبه .

ثم قال : ﴿ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ﴾ أي : الذين يدفنون الحق

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين العكوفتين سقط من : خ ، ز . [٣] - في خ : « كحالك » .

بالباطل ، ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله ، فإن الله يمقت على ذلك أشد المقت ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي : والمؤمنون أيضًا يُغَضُّونَ من تكون هذه صفته ، فإن من كانت هذه صفته يطبع الله على قلبه ، فلا يعرف بعد ذلك معروفًا ، ولا ينكر منكراً ؛ ولهذا قال : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّكْبِرٍ ﴾ أي : على اتباع الحق ﴿ جبار ﴾ .

وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة - وحكى عن الشعبي - أنه قال : لا يكون الإنسان جبارًا حتى يقتل نفسين . وقال أبو عمران الجوني وقناة : آية الجبابة القتل بغير حق .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِي لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ
فَأُطْلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءِ
عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى مخبرًا عن فرعون وعتوه وتمرده ، وافترائه في تكذيبه موسى - عليه السلام - : أنه أمر وزيره هامان أن يني له ﴿ صرخا ﴾ ، وهو : القصر العالي المنيف الشاهق . وكان اتخاذه من الآجر المضروب من الطين المشوي ، كما قال : ﴿ فَأَوْقَدَ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْخًا ﴾ ، ولهذا قال إبراهيم النخعي : كانوا يكرهون البناء بالآجر ، وأن يجعلوه في قبورهم . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أسباب السموات ﴾ ، قال سعيد بن جبير ، وأبو صالح : أبواب السماوات . وقيل : طرق السماوات ، ﴿ فَأُطْلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا ﴾ ، وهذا من كفره وتمرده ، أنه كذب موسى في أن الله - عز وجل - أرسله إليه ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءِ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ أي : بصنيعه هذا الذي أراد أن يوهب به الرعية أنه يعمل شيئًا يتوصل به إلى تكذيب موسى - عليه السلام - ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد : يعني : إلا في خسار .

وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَنْقُورُ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَنْقُورُ
إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ
سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

يقول المؤمن لقومه ممن ترمد وطغى وأثر الحياة الدنيا ، ونسي الجبار الأعلى ، فقال لهم :

﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ ، لا^[١] كما كذب فرعون في قوله : ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ .

ثم زهدهم في الدنيا التي آثروها على الآخرة ، وصدّتهم عن التصديق برسول الله موسى ، فقال : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ﴾ أي : قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل^[٢] ، ﴿ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ [أي : الدار]^[٣] التي لا زوال لها ، ولا انتقال منها ولا ظعن عنها إلى غيرها ، بل إما نعيم وإما جحيم ؛ ولهذا قال : ﴿ مِنْ عَمَلٍ سَيِّئٍ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا ﴾ أي : واحدة مثلها ، ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أي : لا^[٤] يتقدر بجزاء ، بل^[٥] يثيبه الله ثوابًا كثيرًا لا انقضاء له ولا نفاد .

﴿ وَيَقُولُ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴾ (٤١) تَدْعُونِي
لَا كُفْرًا بِاللَّهِ وَأَشْرَكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ
الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي
الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَآتِ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣)
فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أُمُورِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ
(٤٤) فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِثَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥)
النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ
أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)

يقول لهم المؤمن : ما بالي أدعوكم إلى النجاة ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وتصديق رسوله الذي بعثه ، ﴿ وتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونِي لَأَكْفُرَنَّ بِاللَّهِ وَأَشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾ أي على : جهل بلا دليل ﴿ وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ﴾ أي : هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب إليه ، ﴿ لا جرم أنما تدعونني إليه ﴾ ، يقول : حقًا .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - سقط من : ز .

[١] - بعده في خ ، ز : « ويضمحل » .

[٣] - ما بين المتخوفتين سقط من : ز .

[٥] - في ز : « ثم » .

قال السدي وابن جرير: يعني قوله: ﴿ لا جرم ﴾: حقاً^[١]. وقال: الضحاك: ﴿ لا جرم ﴾: لا كذب.

وقال علي بن أبي طلحة^(٣٩)، عن ابن عباس: ﴿ لا جرم ﴾، يقول: بلى، إن الذي تدعونني إليه من الأصنام والأنداد ﴿ ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة ﴾.

قال مجاهد: الوثن ليس بشيء. وقال قتادة: يعني الوثن لا ينفع ولا يضر.

وقال السدي: لا يجيب داعيه، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وهذا كقوله تعالى: ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾. ﴿ إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ﴾ وقوله: ﴿ وأن مردنا إلى الله ﴾ أي: في الدار الآخرة، فيجازي كلًا بعمله؛ ولهذا قال: ﴿ وأن المسرفين هم أصحاب النار ﴾ أي: خالدين فيها بإسرافهم وهو شركهم بالله ﴿ فستذكرون ما أقول لكم ﴾ أي: سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتكم عنه، ونصحتكم ووضحت لكم، وتذكرونه، وتندمون حيث لا ينفعكم الندم، ﴿ وأفوض أمري إلى الله ﴾ أي: وأتوكل على الله وأستعينه، وأناطعكم وأباعدكم، ﴿ إن الله بصير بالعباد ﴾ أي: هو بصير بهم، فيهدي من يستحق الهداية، ويضل من يستحق الإضلال، وله الحجة البالغة، والحكمة التامة، والقدر النافذ.

وقوله: ﴿ فوفاه الله سيئات ما مكروا ﴾ أي: في الدنيا والآخرة، أما في^[٢] الدنيا فنجاه الله مع موسى - عليه السلام - وأما في الآخرة فبالجنة. ﴿ وحاق بآل فرعون سوء العذاب ﴾ وهو: الغرق في اليم، ثم النقلة منه إلى الجحيم. ﴿ فإن أرواحهم ﴾^[٣] تعرض على النار صباحاً ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم^[٤] في النار؛ ولهذا قال: ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ أي: أشده ألبساً وأعظمه نكالاً. وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله: ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ﴾.

ولكن هاهنا سؤال، وهو أنه لاشك أن هذه الآية مكية، وقد استدلو بها على عذاب القبر في البرزخ، وقد قال الإمام أحمد^(٤٠):

(٣٩) - إسناده منقطع، علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.

(٤٠) - «المسند» (٨١/٦) وذكره الهيثمي في «المجمع» (٥٨٥٧/٣) وقال: «هو في الصحيح باختصار، وهذا رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وصححه المصنف هنا على شرط الشيخين مع أنهما لم يرويا حديثاً»

[١] - في ز: «حق».

[٢] - سقط من: ز.

[٣] - ما بين المعكوفين في ز: «فأرواحهم». [٤] - في ز: «وأجسامهم».

حدثنا هاشم - هو ابن القاسم أبو النضر - ، حدثنا إسحاق بن سعيد - هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص - حدثنا سعيد - يعني أباه - عن عائشة : أن يهودية كانت تخدمها ، فلا تصنع عائشة إليها شيئاً من المعروف إلا قالت لها اليهودية : وراك الله عذاب القبر . قالت : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي فقلت : يا رسول الله ؛ هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة ؟ قال : « لا ، وعمّ ذلك ؟ » قالت : هذه اليهودية ، لا نصنع إليها شيئاً من المعروف إلا قالت : وراك الله عذاب القبر . قال : « كذبت يهودية ، وهم على الله أكذب ، لا عذاب دون يوم القيامة » . ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث ، فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملاً بثوبه ، محرمة عيناه ، وهو ينادي بأعلى صوته : « [أيها الناس أظلكم الفتن] كقطع الليل المظلم ، أيها الناس ؛ لو تعلمون ما أعلم بكيتكم كثيراً وضحكمم قليلاً ؛ أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر ، فإن^[١] عذاب القبر حق » .

وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم ، ولم يخرجاه .

وروى أحمد ومسلم^(٤١) حدثنا يزيد ، حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة - قال^[٢] : سألتها امرأة يهودية فأعطتها ، فقالت لها^[٣] : أعاذك الله من عذاب القبر ! فأنكرت^[٤] عائشة ذلك ، فلما رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له ، فقال : « لا » . [قالت عائشة]^[٥] : ثم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك : « وإله أوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم » .

وهذا أيضاً على شرطهما فيقال : فما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية ، وفيها الدليل على عذاب البرزخ ؟ والجواب أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدواً وعشيا في البرزخ ، وليس فيها دلالة على اتصال تأملها بأجسادها في القبور ، إذ قد يكون ذلك مختصاً بالروح ، فأما حصول ذلك للجسد وتأمله بسببه ، فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية الآتي ذكرها .

وقد يقال : إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار في البرزخ ، ولا^[٦] يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنوبه . ومما يدل على هذا ما رواه الإمام أحمد^(٤٢) :

= بهذا الإسناد ، وإنما روي لرجاله جميعاً من طرق أخرى ، فالحديث صحيح الإسناد فحسب ، والله أعلم .

(٤١) - « المسند » (٢٣٨/٦) وسفيان - وهو ابن حسين - ضعيف في الزهري ، غير أنه متابع من غير واحد ، فانظر الآتي .

(٤٢) - « المسند » (٢٤٨/٦) . وكذا رواه مسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : =

[١] - في خ : « قال » . [٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - سقط من : خ . [٤] - في ز : « أنكرت » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٦] - في ز : « فلا » .

حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا يونس ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة من اليهود ، وهي تقول : أشعرت^[١] أنكم تفتنون في قبوركم ؟ فارتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « إنما يفتن يهود » . قالت عائشة : فلبثنا ليالي ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشعرت أنه أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور ؟ » وقالت عائشة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد يستعيد من عذاب القبر .

وهكذا رواه مسلم ، عن هارون بن سعيد وحرملة ، كليهما^[٢] عن ابن وهب ، عن يونس ابن يزيد الأيلي ، عن الزهري ، به .

وقد يقال : إن هذه الآية دلّت على عذاب الأرواح في البرزخ ، ولا يلزم من ذلك أن يتصل بالأجساد في قبورها ، فلما أوحى إليه في ذلك بخصوصيته استعاذ منه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقد روى البخاري^[٣] من حديث شعبة ، عن أشعث بن أبي الشعثاء ، عن أبيه ، عن مسروق ، عن عائشة رضي الله عنها ؛ أن يهودية دخلت عليها فقالت : أعاذك الله من عذاب القبر ! فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر ؟ فقال : « نعم ، عذاب القبر حق » . قالت عائشة : فما رأيث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلى صلاة إلا تقوّد من عذاب القبر .

فهذا يدل على أنه بادر إلى تصديق اليهودية في هذا الخبر ، وقرر عليه . وفي الأخبار المتقدمة أنه أنكر ذلك حتى جاءه الوحي ، فلعلهما قضيتان ، والله أعلم ، وأحاديث عذاب القبر كثيرة جداً .

وقال قتادة في قوله : ﴿ غَدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ : صباحاً ومساءً ، ما بقيت الدنيا ، يقال لهم : يا آل فرعون ؛ هذه منازلكم ، تويحاً ونقمة وصغاراً لهم .

= استحباب التعوذ من عذاب القبر (١٢٣) (٥٨٤) ، والنسائي (١٠٤/٤) من طريق يونس بن يزيد به . ورواه أحمد (٨٩/٦ ، ٢٧١) من طريق شعيب وابن أخي الزهري عن الزهري به .

(٤٣) - رواه البخاري ، كتاب : الجنائز : باب : ما جاء في عذاب القبر (١٣٧٢) ، وكذا رواه أحمد (٦/١٧٤) ، والنسائي (٥٦/٣) من طريق شعبة به ، ورواه مسلم (١٢٦) (٥٨٦) من طريق أبي الأحوص عن أشعث به ، ورواه أحمد (٤٤/٦ و ٢٠٥) ، والبخاري (٦٣٦٦) ، ومسلم (١٢٥٥) ، والنسائي (١٠٥/٤) من طريقين عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن مسروق به مطولاً ومختصراً .

وقال ابن زيد: هم فيها اليوم يُغذى بهم ويراح إلى أن تقوم الساعة.

وقال ابن أبي حاتم^(٤٤): حدثنا أبو سعيد، حدثنا المحاربي، حدثنا ليث، عن عبد الرحمن ابن كزوان، عن هُزَيْل، عن عبد الله - هو ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: إن أرواح الشهداء في أجواف طيور خُضُر، تَسْرَح بهم في الجنة حيث شاءوا، وإن أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت، فتأوي إلى قناديل معلقة في العرش؛ وإن أرواح آل فرعون في أجواف طير سُود، تغدو على جهنم وتروح عليها، فذلك عرضها.

وقد رواه الثوري عن أبي قيس عن [الهزيل] بن شرحبيل^(٤٥) من كلامه في أرواح آل فرعون، وكذلك قال السدي.

وفي حديث الإسراء من رواية أبي هارون العبدى، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال فيه: «ثم انطلق بي إلى خلق كثير من خلق الله، رجال، كل^[١] رجل منهم بطئه مثل البيت الضخم، مصفدون على سابلة آل فرعون، وآل فرعون يعرضون على النار غدوًا وعشيًا. ﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ وآل فرعون كالإبل المسومة^[٢] يخطبون^[٣] الحجارة والشجر ولا يعقدون^[٤]».

وقال ابن أبي حاتم^(٤٦): حدثنا علي بن الحسين، حدثنا زيد بن أحمز، حدثنا عامر بن مدرك الحارثي، حدثنا عتبة - يعني ابن يقظان^[٥] - عن قيس بن مسلم، عن طارق ابن شهاب، عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «ما أحسن [من محسن]^[٦]»

(٤٤) - وعزاه إلى ابن أبي حاتم السيوطي في «الدر المنثور» (٦٥٩/٥) وليث - هو ابن أبي سليم - ضعيف غير أنه توبع، فقد رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٨٢/٣) عن الثوري عن أبي قيس عبد الرحمن بن ثروان به كذا رواه عبد الرزاق، ورواه وكيع - عند ابن أبي شيبة في «المصنف» (٩٨/٨) - وعبد الرحمن بن مهدي - عند ابن جرير في تفسيره (٧١/٢٤) كلاهما (وكيع وعبد الرحمن) عن الثوري به غير أنهما جعلاه من كلام هزيل لم ينم به إلى ابن مسعود. ورواه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢١٦٥/٦) من طريق سفيان بن عيينة عن مسعر عن أبي قيس به إلى ابن مسعود، وخالفه محمد بن عبيد - كما عند هناد في «الزهد» (١/٣٦٦) - فرواه عن مسعر عن أبي قيس لم ينم به إلى ابن مسعود، ويبدو أن الخلاف من هزيل، فكان مرة يوصله إلى ابن مسعود، ومرة يوقفه على نفسه، والله أعلم.

(٤٥) - تقدم تخريجه في سورة الإسراء.

(٤٦) - وعزاه إلى ابن أبي حاتم أيضًا السيوطي في «الدر المنثور» (٦٦٠/٥) ورواه البزار (١٤٥٤/٤) البحر الزخار) و (٦٤٦/١ مختصر زوائد ابن حجر) وابن ماجه في «التفسير» - كما في «الميزان» للذهبي =

[١] - سقط من: خ .

[٢] - في ز: «المسومة» .

[٣] - في خ، ز: «يخطفون» .

[٤] - في ز: «يعقلون» .

[٥] - في خ: «معطان» .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز: «من محسن» .

مسلم أو كافر إلا أثابه الله . قال : قلنا : يا رسول الله ؛ ما إثابة الكافر ؟ فقال : « إن كان قد وصل رحمًا أو تصدق بصدقة أو عمل حسنة ، أثابه الله المآل والولد والصحة وأشبه ذلك » . قلنا : فما إثابته في الآخرة ؟ قال : « عذابًا دون العذاب » ، وقرأ : ﴿ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ .

رواه البزار في مسنده عن زيد بن أخطم ثم قال : لا نعلم له إسنادًا غير هذا .

وقال ابن جرير ^(٤٧) : حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير ، حدثنا حماد بن محمد الفزاري البلخي ؛ قال : سمعت الأوزاعي وسأله رجل فقال : رحمك الله ، رأينا طيورًا تخرج من البحر ، تأخذ ناحية الغرب بيضًا ، فوجًا فوجًا ، لا يعلم عددها إلا الله - عز وجل - فإذا كان العشي رجع مثلها سودًا ؟ قال : وفطنتم إلى ذلك ؟ قال : نعم . قال : إن تلك ^[١] الطير في حواصلها أرواح آل فرعون ، تُعرض على النار غدوًا وعشيًا ، فترجع إلى وكورها وقد احترقت ريشها وصارت سودًا ، فينبت عليها من الليل ريش أبيض ، وتتناثر السود ، ثم تغدو على النار غدوًا وعشيًا ، ثم ترجع إلى وكورها . فذلك دأبهم في الدنيا ، فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى : ﴿ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ ، قال : وكانوا يقولون : إنهم ستمائة ألف مقاتل .

وقال ^[٢] الإمام أحمد ^(٤٨) : حدثنا إسحاق ، أخبرنا مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال :

= (٣/٥٤٨٠) - والحاكم في « المستدرک » (٢/٢٥٣) ، والبيهقي في « الشعب » (١/رقم ٢٨١) من طريق زيد بن أخطم به وقال البزار : « هذا الحديث لا نعلمه رواه عن رسول الله - ﷺ - إلا عبد الله بن مسعود ، ولا نعلم له إسنادًا عن عبد الله إلا هذا الإسناد » وصحح إسناده الحاكم !! فتعقبه الذهبي بقوله : « عتبة بن يقطان وإياه » حيث تركه الدارقطني ، وقال النسائي : غير ثقة . وقال ابن الجنيدي : لا يساوي شيئًا - وقال في الميزان : « الخبر منكر » . وقال البيهقي : « في إسناده من لا يحتج به » وكذا ضعف إسناده ابن حجر في « الفتح » (١١/٤٣٩ و ٤٣١) وحاول تقويته الهيثمي فقال في « المجمع » (٣/١١٤) : « رواه البزار وفيه عتبة ابن يقطان ، وفيه كلام وقد وثقه ابن حبان « الثقات » (٧/٢٧١) وبقية رجاله ثقات وتعقبه ابن حجر في « مختصر الزوائد » فقال : « قد تفرد بهذا ، ولا يحتمل التفرد من مثله ، والمتن شاذ بمرّة » ورواه الطبراني في تفسيره (٣٠/٢٧٠) عن كعب القرظي مرفوعًا بنحوه ، وهذا مرسل ، وفي إسناده ضعف والله الموفق .

(٤٧) - تفسير ابن جرير (٢٤/٧١) وحماد بن محمد ضعفه صالح جزرة ، وقال العيني : « لم يصح حديثه » راجع « الميزان » للذهبي (٢/٢٢٦٩) ، والخبر ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٥/٦٦٠) وزاد عزوه إلى ابن أبي الدنيا في كتاب « من عاش بعد الموت » .

(٤٨) - « المسند » (٢/١١٣) . ورواه البخاري ، كتاب : الجنائز ، باب : الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي (١٣٧٩) ، ومسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٨٦٦) (٦٥) ، والنسائي ، كتاب : الجنائز ، باب : وضع الجريدة على القبر =

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغدادة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ؛ فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله - عز وجل - إليه يوم القيامة » . أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به .

وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيَكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَاؤُا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾

يخبر تعالى عن تحاج أهل النار في النار ، وتخاصمهم - وفرعون وقومه من جملتهم - فيقول الضعفاء - وهم : الأتباع - للذين استكبروا - وهم : القادة والسادة والكبراء - : ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾ أي : أطعناكم فيما دعوتونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال ، ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴾ أي : قسطًا تتحملونه^[١] عنا . ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا ﴾ أي : لا نتحمل عنكم شيئًا ، كفى بنا ما عندنا ، وما حملنا من العذاب والنكال . ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ أي : يقسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا ، كما قال تعالى : ﴿ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴾ : لما علموا أن الله سبحانه لا يستجيب منهم ، ولا يستمع لدعائهم ، بل قد قال : ﴿ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ ﴾ سألوا الخزنة - وهم كالبوابين لأهل النار - أن يذعوا لهم الله في أن يخفف عن الكافرين ولو يومًا واحدًا من العذاب ، فقالت لهم الخزنة راذين عليهم : ﴿ أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيَكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ أي : أو ما قامت عليكم الحجج في الدنيا على ألسنة الرسل ؟ ﴿ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا ﴾ أي : أنتم لأنفسكم ، فنحن لا ندعو لكم ، ولا نسمع منكم ، ولا نود

= (١٠٧/٤ ، ١٠٨) من طرق عن مالك به . ورواه أحمد (١٦/٢ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ١٢٣) ، والبخارى (٣٢٤٠ ، ٦٥١٥) ، والترمذى (١٠٧٢) ، والنسائي (١٠٦/٤ ، ١٠٧) من طرق عن نافع به .

[١] - في ز : « تتحملون » .

خلاصكم ، ونحن منكم برآء ، ثم نخبركم أنه^[١] سواء دعوتهم أو لم تدعوا ، لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم ؛ ولهذا قالوا : ﴿ وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾ أي : إلا في ذهاب ، لا يتقبل ولا يستجاب .

إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾
يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ
ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَى وَأَوْثَقْنَا بِئِىَ إِسْرَءِيلَ ٱلْكِتَآبِ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَى
لِأَوَّلَى ٱلْأَلْبَآبِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنّ وَعْدَ ٱللّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشَىٰ وَٱلْإِبْكَرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيّ ءَايَآتِ ٱللّهِ
يَغَيِّرُ سُلْطَٰنَهُمْ أَنْتَهُمْ إِنّ فِي صُدُورِهِمْ إِيَّآ كِبَرٌ مَّا هُمْ بِيَبْلِغِيهِ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللّهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾

قد أورد أبو جعفر بن جرير - رحمه الله تعالى - عند قوله تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ﴾ سؤالا فقال : قد عُلم أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد قُتل قومه بالكلية كيحیی وزكريا وشعيا ، ومنهم من خرج من بين أظهرهم إما مهاجرا كإبراهيم ، وإما إلى السماء كعيسى ، فأين النصرة في الدنيا ؟ [ثم أجاب]^[٢] عن ذلك بجوابين أحدهما : أن يكون الخير خرج عائما ، والمراد به البعض ، قال : وهذا سائغ في اللغة .

الثاني : أن يكون المراد بالنصر الانتصار لهم من آذاهم ، وسواء كان ذلك بحضرتهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم ، كما فُعل بقتلة يحيى وزكريا وشعيا ، سلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم ، وقد ذكر أن النمرود أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وأما الذين راموا صلب المسيح عليه السلام ، من اليهود ، فسلط الله عليهم الروم فأهانوهم وأذلّوهم ، وأظهرهم الله عليهم ، ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى ابن مريم إماما عادلا ، وحكما مقسطا ، فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود ، ويقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام ؛ وهذه نصرة عظيمة ، وهذه سنة الله في خلقه في قديم الدهر وحديثه ، أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ، ويقر أعينهم من آذاهم ، ففي صحيح البخاري^(٤٩) عن أبي هريرة -

(٤٩) - تقدم تخريجه (سورة البقرة / آية : ٩٨) .

[١] - سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفين في ز : « فأجاب » .

[٢] - سقط من : ت .

رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « يقول الله تعالى : من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب » . وفي الحديث الآخر : « إني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب » .

ولهذا أهلك تعالى قوم نوح وعاد وثمود ، وأصحاب الرس ، وقوم لوط ، وأهل مدين ، وأشباهم وأضرابهم ، ممن كذب الرسل وخالف الحق ؛ وأنجى الله من بينهم المؤمنين ، فلم يهلك منهم أحداً ، وعذب الكافرين ، فلم يفلت منهم أحداً^[١] .

قال السدي : لم يبعث الله رسولا قط إلّا قوم فيقتلونه ، أو قوماً من المؤمنين يدعون إلى الحق فيقتلون ، فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله لهم من ينصرهم ، فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا ، قال : فكانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا ، وهم منصورون فيها^[٢] .

وهكذا نصر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه على من [خالفه وناوأه]^[٣] ، وكذبه وعاداه ، فجعل^[٤] كلمته هي العليا ، ودينه هو الظاهر على سائر الأديان ؛ وأمره بالهجرة من بين ظهرائي قومه إلى المدينة النبوية ، وجعل له فيها أنصاراً وأعواناً ، ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر ، فنصره عليهم وخذلهم له ، وقتل صناديدهم ، وأسر سراتهم ، فاستاقهم مقرنين في الأصفاد ؛ ثم منّ عليهم بأخذه الفداء منهم ، ثم بعد مدة قريّة فتح مكة ، ففرت عينه بيلده ، وهو البلد المحرم الحرام المشرف المعظم ، فأنقذه الله به مما كان فيه من الشرك والكفر ، وفتح له اليمن ، ودانت له جزيرة العرب بكما لها ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ؛ ثم قبضه الله تعالى إليه ، لما له عنده من الكرامة العظيمة ، فأقام الله أصحابه خلفاء بعده ، فبلغوا عنه دين الله ، ودعوا عباد الله إلى الله . وفتحوا البلاد والرسايق والأقاليم والمدائن والقرى والقلوب ، حتى انتشرت الدعوة الحمديّة في مشارق الأرض ومغاربها . ثم لا يزال هذا الدين قائماً منصوراً ظاهراً إلى قيام الساعة ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ أي : يوم القيامة تكون النصرة أعظم وأكبر وأجل .

قال مجاهد : الأشهاد الملائكة .

وقوله : ﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ﴾ بدّل من قوله : ﴿ ويوم يقوم الأشهاد ﴾ .

وقرأ آخرون : (يومٌ) بالرفع ، كأنه فسر به (يومٌ يقوم الأشهاد : يومٌ لا ينفع الظالمين) ، وهم المشركون ﴿ معذرتهم ﴾ أي : لا يقبل منهم عذر ولا فدية ، ﴿ ولهم اللعنة ﴾ أي : الإبعاد والطرّد من الرحمة ، ﴿ ولهم سوء الدار ﴾ وهي النار . قاله السدي ، بثس المنزل

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[١] - في ز : « واحداً » .

[٣] - ما بين المعكوفين في ز : « خالفهم وناوهم » .

[٤] - في ز : « جعل » .

والمقيل .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ ولهم سوء الدار ﴾ أي : سوء العاقبة .

وقوله : ﴿ ولقد آتينا موسى الهدى ﴾ ، وهو ما بعثه الله به من الهدى والنور ، ﴿ وأورثنا بني إسرائيل الكتاب ﴾ أي : جعلنا لهم العاقبة ، وأورثناهم بلاد فرعون وأمواله وحواسله وأرضه ، بما صبروا على طاعة الله واتباع رسوله موسى - عليه السلام - وفي الكتاب الذي أورثوه - وهو التوراة - ﴿ هدى وذكرى لأولي الألباب ﴾ وهي : العقول الصحيحة السليمة .

وقوله : ﴿ فاصبر ﴾ أي : يا محمد ، ﴿ إن وعد الله حق ﴾ ، أي : وعدناك أنا سنعلي كلمتك ، ونجعل العاقبة لك ولن اتبعك ، والله لا يخلف الميعاد . وهذا الذي أخبرناك به حق^[١] لا مرية فيه ولا شك .

وقوله : ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ ، هذا تهيج للأمة على الاستغفار ، ﴿ وسبح بحمد ربك بالعشي ﴾ أي : في أواخر النهار وأوائل الليل ، ﴿ والإبكار ﴾ ، وهي أوائل النهار وأواخر الليل .

وقوله : ﴿ إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ﴾ أي : يدفعون الحق بالباطل ، ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله ، ﴿ إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه ﴾ أي : مافي صدورهم إلا كبر على اتباع الحق ، واحتقار لمن جاءهم به^[٢] ، وليس ما يرومونه من^[٣] إخمالات الحق وإعلاء الباطل بحاصل لهم ، بل الحق هو المرفوع ، وقولهم وقصدهم هو الموضوع ، ﴿ فاستعذ بالله ﴾ أي : من حال مثل هؤلاء ، ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ أو : من شر مثل هؤلاء المجادلين في آيات الله بغير سلطان . هذا تفسير ابن جرير .

وقال كعب وأبو العالية : نزلت هذه الآية في اليهود : ﴿ إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه ﴾ ، قال أبو العالية : وذلك أنهم ادعوا أن الدجال منهم ، وأنهم يملكون به الأرض . فقال الله لنبية صلى الله عليه وسلم أمراً له أن يستعيذ من فتنة الدجال ؛ ولهذا قال : ﴿ فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير ﴾ .

وهذا قول غريب ، وفيه تعسف بعيد ، وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه ، والله أعلم .

لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

[١] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « بين » .

[٢] - سقط من : ز .

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسَوِّءُ قَلِيلًا مَّا نَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيْنِيَّةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾

يقول تعالى منبهاً على أنه يعيد الخلائق يوم القيامة ، وأن ذلك سهل عليه ، يسير لديه بأنه خلق السماوات والأرض ، وخلقهما أكبر من خلق الناس بدءاً وإعادة ، فمن قدر على ذلك فهو قادر على ما دونه بطريق الأولى والأحرى ، كما قال تعالى : ﴿ أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض [ولم يغي بخلقهن] ^[١] بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ، فلهذا لا يتدبرون هذه الحجة ولا ^[٢] يتأملونها ، كما كان كثير من العرب يعترفون بأن الله خلق السماوات والأرض ، وينكرون المعاد ، استبعاداً وكفراً وعناداً ، وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا .

ثم قال : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء ﴾ أي : كما لا يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئاً ، والبصير الذي يرى ما انتهي إليه بصره ، بل بينهما فرق عظيم ، كذلك لا يستوي المؤمنون الأبرار والكفرة الفجار ، ﴿ قليلاً ما يتذكرون ﴾ أي : ما أقل ما يتذكر كثير من الناس !

ثم قال : ﴿ إن الساعة لأتية ﴾ أي : لكائنة وواقعة ، ﴿ لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ أي : لا يصدقون بها ، بل يكذبون بوجودها .

قال ابن أبي حاتم ^(٥٠) : حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا أشهب ، حدثنا مالك ، عن شيخ قديم من أهل اليمن - قدم من ثم - قال : سمعت أن الساعة إذا دنت اشتد البلاء على الناس ، واشتد حر الشمس .

وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه ؛ أنه ندب عباده إلى دعائه ، وتكفل لهم بالإجابة ، كما

(٥٠) - إسناده صحيح إلى مالك .

[٢] - سقط من : ز .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

كان سفيان الثوري يقول : يَأْمَنْ أَحَبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَأَكْثَرَ سُؤَالَهُ ، وَيَا مَنْ أَبْغَضَ عِبَادَهُ إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ غَيْرُكَ يَا رَب . رواه ابن أبي حاتم .

وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وَبُنَيْيَ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ !

وقال قتادة : قال كعب الأحبار : أعطيت هذه الأمة ثلاثاً لم تُعْطَهُنَّ^[١] أمة قبلهم إلا نبي : كان إذا أرسل الله نبيّاً قيل له : أنت شاهد على أمتك ، وجعلتكم شهداء على الناس . وكان يقال له : ليس عليك في الدين من حرج . وقال لهذه الأمة : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ . وكان يقال له : ادعني أستجب لك ، وقال لهذه الأمة : ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ . رواه ابن أبي حاتم .

وقال الإمام الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده (٥١) ، حدثنا أبو إبراهيم الترمذاني ، حدثنا صالح المري^[٢] ، قال : سمعت الحسن يحدث عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما يروي عن ربه - عز وجل - قال : « أربع خصال ، واحدة منهن لي ، وواحدة لك ، وواحدة فيما بيني وبينك ، وواحدة فيما بينك وبين عبادي ؛ فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئاً ، وأما التي لك عليّ فما عملت من خير جزئتك به ، وأما التي بيني وبينك فمَنَعَكَ الدُّعَاءَ وَعَلَيَّ الإِجَابَةُ ، وأما التي بينك وبين عبادي فارضَ لهم ما ترضى لنفسك » .

وقال الإمام أحمد (٥٢) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن ذَرٍّ ، عن يُسَيعِ الكندي ، عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الدعاء هو العبادة » ، ثم قرأ : ﴿ ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ .

(٥١) - مسند أبي يعلى (٢٧٥٧/٥) ومن طريقه ابن حبان في « المجروحين » (٣٦٨/١ ، ٣٦٩) - ورواه البزار (١/رقم ١٩) من طريق صالح المري به وقال : « تفرد به صالح المري » وهو ضعيف واستنكره له ابن عدى في « الكامل » (١٣٨٠/٤) وقال : « لا أعرف يرويه عن الحسن غير صالح » وبه أعله الهيثمي في « المجمع » (٥٦/١) ، فقال : « رواه أبو يعلى والبزار ، وفي إسناده صالح المري وهو ضعيف - وتدليس الحسن » .

(٥٢) - « المسند » (٢٧١/٤) ورواه أيضاً (٢٦٧/٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٦) ، والترمذي (٢٩٦٩ ، ٣٢٤٧) ، (٣٣٧٢) ، والنسائي في « التفسير » من « الكبرى » (١١٤٦٤/٦) وابن ماجه (٣٨٢٨) ، وابن جرير (٢٤/٧٨) من طرق عن الأعمش به ورواه أحمد (٣٧٦/٤) ورواه أبو داود (١٤٧٩) ، والترمذي (٢٩٦٩) والنسائي (١١٦٤/٦) وابن جرير (٧٩/٢٤) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٧١٤) والحاكم =

[٢] - في خ : « المدني » .

[١] - في ز : « يعطهن » .

وهكذا رواه أصحاب السنن : الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، كلهم من حديث الأعمش به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي ، وابن جرير أيضًا ، من حديث شعبة ، عن منصور ، عن ذرّ به .

وأخرجه الترمذي أيضًا من حديث الثوري عن منصور والأعمش كليهما^[١] عن ذرّ به .

ورواه ابن حبان والحاكم في صحيحيهما ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

وقال الإمام أحمد^(٥٣) : حدثنا وكيع ، حدثنا أبو مليح^[٢] المدني - شيخ من أهل المدينة - سمعه عن أبي صالح ، وقال مرة : سمعت أبا صالح يحدث عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع الله - عز وجل - غضب الله^[٣] عليه » . تفرد به أحمد^(*) ، وهذا إسناد لا بأس به .

وقال الإمام أحمد أيضًا^(٥٤) : حدثنا مزوان الفزاري ، حدثنا ضبيح أبو المليح ، سمعت أبا صالح يحدث عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لا يسأله يفضب عليه » .

قال ابن معين : أبو المليح هذا اسمه : ضبيح . كذا قيده بالضم عبد الغني بن سعيد ؛ وأما أبو صالح هذا فهو^[٤] الخوزي ، سكن شعب الخوز . قاله البزار في مسنده .

وكذا وقع في روايته أبو المليح الفارسي ، عن أبي صالح الخوزي ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لا يسأل الله يفضب عليه » .

= (٤٩١/١) من طريق شعبة عن منصور به . ورواه الترمذي (٣٢٤٧) وأحمد (٢٦٧/٤ ٢٧٦) والحاكم من طريق سفيان الثوري ورواه ابن حبان (٨٩٠/٣) من طريق جرير عن منصور عن ذرّ به وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

(٥٣) - « المسند » (٤٤٣/٢ ، ٤٧٧) ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٤/٧) - وعنه وعن غيره ابن ماجه في « السنن » (٣٨٢٧) - وابن عدى في « الكامل » (٢٧٥٠/٧) والبخاري في « شرح السنة » (٥/١٣٨٩) من طريق وكيع به ، وانظر ما بعده .

(٥٤) - « المسند » (٤٤٢/٢) . ورواه البخاري في « الأدب المفرد » (٦٥٨) ، والحاكم في « المستدرک » (٤٩١/١) من طريق مروان بن معاوية به ورواه البخاري والترمذي (٣٣٧٣) من طريق حاتم بن إسماعيل ورواه الترمذي أيضًا والطبراني في « الدعاء » (٧٩٦/٢) وفي « الأوسط » (٢٤٣١/٣) ومن طريقه =

[١] - في ز : « كلاهما » .

[٢] - في خ ، ز : « صالح » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في ز : « هو » .

وقال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي^(٥٥) : حدثنا همام ، حدثنا إبراهيم بن الحسن ، حدثنا نائل بن نجيح ، حدثني عائذ بن حبيب ، عن محمد بن سعيد ؛ قال : لما مات محمد بن مسلمة الأنصاري ، وجدنا في ذؤابة سيفه كتاباً : بسم الله الرحمن الرحيم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن لربكم في بقية دهركم نفحات ، فتعرضوا له ، لعل دعوة أن تُوافق رحمة فيسعد بها^[١] صاحبها سعادة لا يخسر بعدها أبداً » .

وقوله : ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي ﴾ أي : عن دعائي وتوحيدي ، ﴿ سيدخلون جهنم داخرين ﴾ أي : صاغرين حقيرين^[٢] ، كما قال الإمام أحمد^(٥٦) :

حدثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن عجلان ، حدثني عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال : « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر ، في صور

= المزى في تهذيب الكمال ، (٣٣/٧٤٣٨) واليهيقي في الشعب ، (١٠٩٩/٢) من طريق أبي عاصم الضحاك ابن مخلد . كلاهما (حاتم وأبو عاصم) نا به وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن أبي صالح إلا أبو المليح » وهو ثقة روى عنه جمع من الثقات ، ووثقه ابن معين وابن حبان واعتمد توثيقه الحافظ في « التقريب » لكن شيخه ضعفه ابن معين ، وقال أبو زرعة : « لا بأس به » وتوسط ابن حجر فليبه وقد استنكر له ابن عدى هذا الحديث في « الكامل » ومع هذا فقد قال الحاكم : « حديث صحيح الإسناد ، فإن أبا صالح الخوزي ، وأبا المليح الفارسي لم يذكرا بالجرح ، وإنما هما في عداد المجبولين لقلّة الحديث » !! وهذا عجيب ، فإن أبا المليح تقدم توثيقه ، والخوزي الراجح ضعفه ، لكن للحديث شواهد - تقدم منها حديث ابن مسعود (رقم ٣٥٧/٣) في سورة النساء وشاهد آخر من حديث أنس عند الطبراني في « الدعاء » (رقم ٢٤) لكن إسناده ضعيف ، كما يشهد له حديث النعمان بن بشير المتقدم آنفاً ، ولذلك رقم به أبو عبد الرحمن الألباني (حديث / ٢٦٥٤) من « الصحيحة » فراجعها إن شئت ، وبالله التوفيق .

(٥٥) - في كتابه « المحدث الفاضل بين الراوى والراعى » (ص ٤٩٧/٤٩٥) ونائل ضعيف ، والراوى عن محمد بن مسلمة لم أجد له ترجمة . وقد رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٥٢١٩/١٩) وفي « الأوسط » (٢٨٥٦/٣) ، (٦٢٤٣/٦) من طريق أحمد بن عبدة الضبي نا الحسن بن صالح بن أبي الأسود ، نا عمى منصور بن أبي الأسود ، قال : حدثني شيخ يكنى أبو محمد حدثني شيخ يقال له : المهاجر عن محمد بن مسلمة به . وقال الطبراني : « لا يروى هذا الحديث عن محمد بن مسلمة إلا بهذا الإسناد ، تفرد به أحمد بن عبدة » وهو ثقة إمام ، لكن شيخه زائف حائد عن الحق ، كما قال الأزدى - راجع « الميزان » و« اللسان » - والإسناد فيه جهالة ، فهو مظلّم من جهات متعددة ، و ذكره الهيثمي في « الجمع » (٢٣٤/١٠) وقال : « رواه الطبراني في « الأوسط » و « الكبير » بنحوه ، وفيه من لم أعرفهم ، ومن عرفتهم فقد وثقوا » لكن للحديث شاهدان من حديث أنس وأبي هريرة وبهما رقم أبو عبد الرحمن الألباني الحديث في « الصحيحة » (١٨٩٠/٤) .

(٥٦) - تقدم تخريجه (سورة البقرة / آية ٨٩) .

[٢] - في خ : « نفيرين » .

[١] - سقط من : خ .

الناس ، يعلمهم كل شيء من الصغار ، حتى يدخلوا سجنًا في جهنم يقال له : بولس ، تعلمهم نار الأنيار ، يسقون من طينة الحبال : عصارة أهل النار .

وقال ابن أبي حاتم^(٥٧) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أبو بكر بن محمد بن يزيد بن خنيس ، سمعت أبي يحدث عن وهيب بن الورد ، حدثني رجل ؛ قال : كنت أسير ذات يوم في أرض الروم ، فسمعت هاتفاً من فوق رأس جبل وهو يقول : يارب ؛ عجبت لمن عرفك كيف يرجو أحدًا غيرك ! يارب ؛ عجبت لمن عرفك كيف يطلب حوائجه إلى أحد غيرك ؛ قال : ثم ذهبت ، ثم جاءت الطامة الكبرى ، قال : ثم عاد الثانية فقال : يارب ؛ عجبت لمن عرفك كيف يتعرض لشيء من سخطك يرضى^[١] غيرك . قال وهيب : وهذه الطامة الكبرى . قال : فناديته : أجنيت أنت أم إنسي ؟ قال : بل إنسي ، اشغل نفسك بما يغنيك عما لا يغنيك .

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمْ
اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ
يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ
الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ
الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾

يقول تعالى ممثلاً على خلقه ، بما جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه ، ويستريحون من حركات ترددهم في المعاش بالنهار ، وجعل النهار ﴿مبصراً﴾ ، أي : مضيئاً ، ليتصرفوا فيه بالأسفار ، وقطع الأقطار ، والتمكن من الصناعات ، ﴿إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ أي : لا يقومون بشكر نعم الله عليهم .

(٥٧) - رجاله ثقات معروفون حاشا : «أبأبكر بن محمد» فلم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً . وقد أشار له المزني في ترجمة «أبيه» من «التهذيب» .

ثم قال : ﴿ ذلکم اللہ ربکم خالق کل شیء لا إله إلا هو ﴾ أي : الذي فعل هذه الأشياء هو الله الواحد الأحد ، خالق الأشياء ، الذي لا إله غيره ، ولا رب سواه ، ﴿ فأئنئ توفکون ﴾ أي : فكيف تعبدون غيره من الأصنام ، التي لا تخلق شيئاً ، بل هي مخلوقة منحوتة .

وقوله : ﴿ كذلك یؤفک الذین کانوا بآیات اللہ یجحدون ﴾ أي : كما ضل هؤلاء بعبادة غیر الله ، كذلك أفک الذین من قبلهم ، فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان ، بل بمجرد الجهل والهوى ، وجحدوا حُجج الله وآياته .

وقوله : ﴿ اللہ الذی جعل لکم الأرض قراراً ﴾ أي : جعلها مستقرّاً لكم ، بساطاً مهاداً تعيشون عليها ، وتتصرفون فيها ، وتمشون في منابها ، وأرساها بالجبال لئلا تمید بکم ، ﴿ والسماء بناء ﴾ أي : سقفاً للعالم محفوظاً ، ﴿ وصورکم فأحسن صورکم ﴾ أي : فخلقکم في أحسن الأشکال ، ومنحکم أكمل الصور في أحسن تقويم ، ﴿ وورزکم من الطیبات ﴾ أي : من الماکل والمشارب في الدنيا . فذكر أنه خلق الدار ، والسکان ، والأرزاق ، فهو الخالق الرزاق ، كما قال في سورة البقرة : ﴿ یا أيها الناس اعبدوا ربکم الذی خلقکم والذین من قبلکم لعلکم تتقون ﴾ الذي جعل لکم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لکم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ . وقال هاهنا بعد خلق هذه الأشياء : ﴿ ذلکم اللہ ربکم فبارک اللہ رب العالمین ﴾ أي : فتعالی وتقدس وتنزه رب العالمین کلهم .

ثم قال : ﴿ هو الحي لا إله إلا هو ﴾ أي : هو الحي أزلاً وأبداً ، لم یزل ولا یزال^[١] ، وهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، ﴿ لا إله إلا هو ﴾ أي : لا نظیر له ولا عدیل له ، ﴿ فادعوه مخلصین له الذین ﴾ أي : موحدین له مقربین بأنه لا إله إلا هو ﴿ الحمد لله رب العالمین ﴾ .

قال ابن جریر^(٥٨) : کان جماعة من أهل العلم یأمرون من قال : « لا إله إلا الله » أن یتبعها بالحمد لله رب العالمین [عملاً]^[٢] بهذه الآية .

ثم روى^(٥٩) عن محمد^[٣] بن علي بن الحسن^[٤] بن شقيق ، عن أبيه ، عن الحسين بن واقد ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : من قال : « لا إله إلا الله » ، فليقل

(٥٨) - تفسير ابن جرير (٨١/٢٤) .

(٥٩) - تفسير ابن جرير (٨١/٢٤) حدثني محمد بن علي بن الحسن به ، وصححه الحاكم (٤٣٨/٢) على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . وفي إسناده هناك سقط وخطأ يستدرك من هنا . والخبر ذكره السيوطي =

[٢] - سقط من خ ، ت .

[٤] - في ز : « الحسين » .

[١] - في ز : « لا زال » .

[٣] - في ز : « حجر » .

على^[١] أثرها : « الحمد لله رب العالمين » ، [فذلك قوله تعالى : ﴿ فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴾]^[٢].

وقال أبو أسامة وغيره^(١) ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد بن جبير ، قال : إذا قرأت : ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ﴾ ، فقل : « لا إله إلا الله » وقل على أثرها : « الحمد لله رب العالمين » ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴾ .

❖ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشْدَكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِنَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : إن الله ينهى أن يُعبد أحد سواه من الأصنام والأنداد والأوثان . وقد بين تعالى أنه لا يستحق العبادة أحد سواه ، في قوله : ﴿ هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ﴾ أي : هو الذي يخلقكم في هذه الأطوار كلها ، وحده لا شريك له ، وعن أمره وتديره وتقديره يكون ذلك كله ، ﴿ ومنكم من يتوفى من قبل ﴾ أي : من قبل أن يوجد ويخرج إلى هذا العالم ، بل تُسقطه أمه سقطاً ، ومنهم من يتوفى صغيراً وشاباً ، وكهلاً قبل الشيخوخة ، كقوله : ﴿ لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ ولعلكم تعقلون ﴾ ، قال ابن جريج : تتذكرون البعث .

= في « الدر المنثور » (٦٦٨/٥) وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في « الأسماء والصفات » ولم أجده في مظانه بعد البحث . والله أعلم .

(٦٠) - رواه ابن جرير (٨١/٢٤) من طرق عن إسماعيل به ، وإسناده صحيح ، ولم يعزه السيوطي في « الدر المنثور » (٦٦٨/٥) لغير عبد بن حميد .

[٢] - ما بين المعكوتين سقط من : ز .

[١] - في ز : « في » .

ثم قال : ﴿ هو الذي يحيي ويميت ﴾ أي : هو المتفرد بذلك ، لا يقدر على ذلك أحد سواه ، ﴿ فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾ أي : لا يخالف ولا يمانع ، بل ما شاء كان .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصْرِفُونَهَا ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّْا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ آتُوا مَا كُنتُمْ تَشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنَ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمَّ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾

يقول تعالى : ألا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله ، ويجادلون في الحق بالباطل ، كيف تصرف عقولهم عن الهدى إلى الضلال ، ﴿ الذين كذبوا بالكتاب وما أرسلنا به رسلنا ﴾ أي : من الهدى والبيان ، ﴿ فسوف يعلمون ﴾ : [هذا تهديد شديد ، ووعيد أكيد]^[١] ، من الرب جل جلاله لهؤلاء ، كما قال تعالى : ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ .

وقوله : ﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل ﴾ أي : متصلة بالأغلال ، بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم ، تارة إلى الحميم وتارة إلى الحميم ؛ ولهذا قال : ﴿ يسحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون * يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ . وقال بعد ذكره^[٢] أكلهم الزقوم وشربهم الحميم : ﴿ ثم إن مرجعهم لإلى الحميم ﴾ وقال : ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال * في سموم وحميم * وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم ﴾ إلى أن قال : ﴿ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لا تكون من شجر من زقوم * فمالتون منها البطون * فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم * هذا نزلهم يوم الدين ﴾ ، وقال : ﴿ إن شجرة الزقوم * طعام الأثيم * كالمهل يغلي في البطون * كغلي الحميم * خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم * ثم

[١] - ما بين المعكوفين في ز : « هذا تهديد ووعيد شديد » .

[٢] - سقط من : خ .

صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق إنك أنت العزيز الكريم * إن هذا ما كنتم به تمترون ﴿ أي : يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ ، والتحقير والتصغير ، والتهكم والاستهزاء بهم .

قال ابن أبي حاتم^(٦١) : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن منيع ، حدثنا منصور بن عمار ، حدثنا بشير بن طلحة الخزاعي^[١] ، عن خالد بن دريك ، عن يعلى بن مئينة - رفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : « ينشئ الله سبحانه لأهل النار سوداء مظلمة ، ويقال : يا أهل النار ؛ أي شيء تطلبون ؟ فيذكرون بها سحب الدنيا فيقولون : نسأل بزود الشراب . فتمطرهم أغلالاً تزيد في أغلالهم ، وسلاسل تزيد في سلاسلهم ، وجمراً يلهب النار عليهم » . هذا حديث غريب .

وقوله : ﴿ ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله ﴾ أي : قيل لهم : أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله ؟ هل ينصرونكم اليوم ؟ ﴿ قالوا ضلوا عنا ﴾ أي : ذهبوا فلم ينفعونا ، ﴿ بل لم يكن لدعوا من قبل شيئاً ﴾ أي : جحدوا عبادتهم ، كقوله تعالى : ﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ ولهذا قال : ﴿ كذلك يفضل الله الكافرين ﴾ وقوله^[٢] : ﴿ ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفرحون ﴾ أي : تقول لهم الملائكة : هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق ، وفرحكم وأشركم وبطركم ، ﴿ ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ﴾ أي : فبئس المنزل والمقيل الذي فيه الهوان والعذاب الشديد ، لمن استكبر عن آيات الله ، واتباع دلائله ومحججه !

فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفِّيكَ فَأَلَيْنَا

(٦١) - وعزه السيوطي في « الدر المنثور » (٦٦٩/٥) أيضاً إلى ابن أبي حاتم . وقد رواه الطبراني في « الأوسط » (٤١٠٣/٤) ثنا علي بن سعيد الرازي نا أحمد بن منيع به . ورواه تمام في « فوائده » (١٧٦٩/٥) الروض من طريق محمد بن جعفر العباد نا منصور به . وقال الطبراني : « لا يروى هذا الحديث عن يعلى إلا بهذا الإسناد ، تفرد به منصور » وهو ضعيف ، فقد قال أبو حاتم : ليس بالقوى . وقال العقيلي : « فيه تجهم » ، وقال الدارقطني : « يروى عن ضعفاء أحاديث لا يتابع عليها » راجع « اللسان » لابن حجر (٦/٨٦٤٤) واستكره ابن عدى في « الكامل » (٢٣٩٠/٦) هذا الحديث بعينه . وقال الهيثمي في « المجمع » (٣٩٢/١٠) : « وفيه من فيه ضعف قليل ، ومن لم أعرفه » !! ورجاله معروفون بعضهم من رجال التهذيب ، وبعضهم في « میزان » للذهبي و « لسانه » لابن حجر ، وقد رواه ابن أبي الدنيا في « صفة النار » (رقم / ٦٢) ثنا أحمد بن منيع ثنا منصور بن عمار به موقوفاً ، قال المنذرى في « الترغيب » (٤/٤٧٣) : « وهذا أصح » بل مثل سابقه أيضاً فالخطأ فيه من منصور وهو ضعيف ، ثم إن الحديث منقطع بين خالد ويعلى فإنه لم يسمع منه كما قال السخاوي في « المقاصد » (ص ١٦٠) ولذلك استغربه المصنف هنا .

[١] - في خ : « الجذامي » ، وفي ز : « الجزامي » . [٢] - سقط من : ز .

يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾

يقول تعالى أمرا رسوله صلوات الله وسلامه عليه بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه ، فإن الله سينجز لك ما وعدك من النصر والظفر على قومك ، وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة ، ﴿ فإما نرينك بعض الذي نعدهم ﴾ أي : في الدنيا . وكذلك وقع ، فإن الله أقر أعينهم من كبرائهم وعظمائهم ، أيدوا في يوم بدر ، ثم فتح الله عليه مكة وسائر جزيرة العرب في أيام حياته ، صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ أو لتوفينك فإلينا يرجعون ﴾ أي : فنذيقهم العذاب الشديد في الآخرة .

ثم قال مسليا له : ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ كما قال في « سورة النساء » . سواء ، أي : منهم من أوحينا إليك خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت للرسول العاقبة والنصرة ، ﴿ ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ ، وهم أكثر من ذكر بأضعاف أضعاف ، كما تقدم التنبيه على ذلك في « سورة النساء » ولله الحمد والمنة .

وقوله : ﴿ وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ﴾ أي : ولم يكن لواحد من الرسل أن يأتي قومه بخارق للعادات ، إلا أن يأذن الله له في ذلك ، فيدل ذلك على صدقه فيما جاءهم به ، ﴿ فإذا جاء أمر الله ﴾ ، وهو عذابه وتكأله المحيط بالملكين ، ﴿ قضى بالحق ﴾ ، فينجو^[١] المؤمنون ، ويهلك الكافرون ، ولهذا قال : ﴿ وخسر هنالك المبطلون ﴾ .

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَتُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾

يقول تعالى ممثلا على عباده ، بما خلق لهم من الأنعام ، وهي : الإبل والبقر والغنم ، ﴿ فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ﴾ ، فالإبل تركب وتؤكل وتحلب ، ويحمل عليها الأثقال في

[١] - في ز : « فينجي » .

الأسفار والرحال إلى البلاد النائية ، والأقطار الشاسعة . والبقر تؤكل ، ويشرب لبنها ، وتحترق عليها الأرض . والغنم تؤكل ، ويشرب لبنها . والجميع تجزأصوافها وأشعارها وأوبارها ، فيتخذ منه الأثاث والثياب والأمتعة ، كما فصل ويبيّن في أماكن تقدم ذكرها في « سورة الأنعام » و « سورة النحل » وغير ذلك ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ لتركبوا منها ومنها تأكلون ﴾ * ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ .

وقوله : ﴿ ويريكم آياته ﴾ أي : حججه وبراهينه في الآفاق وفي أنفسكم ، ﴿ فأني آيات الله تنكرون ﴾ ، أي : لا تقدرون^[١] على إنكار شيء من آياته ، إلا أن تعاندوا وتكابروا .

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَسَاءَ أَعْيُنَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُمْ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسول في قديم الدهر ، وماذا حلّ بهم من العذاب الشديد ، مع شدة قواهم ، وما أئزوه في الأرض ، وجمعه من الأموال ، فما أغنى عنهم ذلك شيئاً ، ولا ردّ عنهم ذرة من بأس الله ؛ وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات ، والحجج القاطعات ، والبراهين الدامغات ، لم يلتفتوا إليهم ، ولا أقبلوا عليهم ، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل .

وقال مجاهد : قالوا : نحن أعلم منه ، لن نبعث ولن نعذب .

وقال السدي : فرحوا بما عندهم من العلم بجهالتهم ، فأتاهم من بأس الله مالا يقيّل لهم به ﴿ وحاق بهم ﴾ أي : أحاط بهم ﴿ ما كانوا به يستهزئون ﴾ أي : يكذبون ويستبعدون وقوعه .

﴿ فلما رأوا بأسنا ﴾ أي : عاينوا وقوع العذاب بهم ، ﴿ قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ﴾ أي : وحّدوا الله وكفروا بالطاغوت ، ولكن حيث لا تُقال العثرات ، ولا تنفع المعذرة . وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق : ﴿ آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به

[١] - في ز : « يقدرُوا » .

بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴿١﴾ ، قال الله تعالى : ﴿٢﴾ الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴿٣﴾ ، أي ، فلم يقبل الله منه ؛ لأنه قد استجاب لنبيه موسى دعاءه عليه حين قال : ﴿٤﴾ واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴿٥﴾ ، وهاهنا قال : ﴿٦﴾ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده ﴿٧﴾ أي : هذا حكم الله في جميع مَنْ تاب عند معاناة العذاب : أنه لا يقبل . ولهذا جاء في الحديث : « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يَغْرِغْزِ »^(١٢) ، أي : فإذا غرغر وبلغت الروح الحنجرة ، وعان الملك ، فلا توبة حينئذ ؛ ولهذا قال : ﴿٨﴾ وخسر هنالك الكافرون ﴿٩﴾ .

آخر تفسير سورة المؤمن^[١] ، ولله الحمد والمنة .



(٦٢) - تقدم تخريجه في سورة النساء ، آية (١٧) .

[١] - في ت : « غافر » .

[تفسير حم السجدة]

وهي مكية [١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾
وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكْثَرِ مَا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ
حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونُ ﴿٥﴾

يقول تعالى : ﴿ حم * تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ يعني : القرآن منزل من الرحمن الرحيم كقوله تعالى : ﴿ قل نزل به روح القدس من ربك بالحق ﴾ ، وقوله : ﴿ وإله لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ ، وقوله : ﴿ كتاب فصلت آياته ﴾ أي : بينت معانيه وأحكامه ، ﴿ قرآنًا عريبًا ﴾ أي : في حال كونه لفظًا عريبًا ، بينًا واضحًا ، فمعانيه مفصلة ، وألفاظه واضحة غير مشككة ، كقوله : ﴿ كتاب أحكمت آياته ﴾ ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ أي : هو معجز من حيث لفظه ومعناه ، ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ ، وقوله : ﴿ لقوم يعلمون ﴾ أي : إنما يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون ، ﴿ بشيرًا ونذيرًا ﴾ أي : تارة يبشر المؤمنين ، وتارة ينذر الكافرين ، ﴿ فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ﴾ أي : أكثر قريش ، فهم لا يفهمون منه شيئًا مع بيانه ووضوحه ، ﴿ وقالوا قلوبنا في أكنة ﴾ أي : في غلف مغطاة ﴿ مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ﴾ أي : صمم عما جئتنا به ، ﴿ ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ ، فلا يصل إلينا [٢] شيء مما تقول [٣] ، ﴿ فاعمل إنا عاملون ﴾ أي : اعمل أنت على طريقتك ، ونحن على طريقتنا لا نتابعك .

قال الإمام العَلَم عبد بن حَمِيد في مسنده (١) : حدثني ابن أبي شيبه ، حدثنا علي بن مسهر ، عن الأجلح ، عن الذَّيَال بن حَزْمَةَ الأسدي ، عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : اجتمعت [٤] قريش يومًا فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليأت هذا

(١) - المنتخب (١١٢٣) .

[١] - في ت : « تفسير سورة فصلت » . [٢] - في ز : « إلى » .

[٣] - في ز : « يقول » . [٤] - في ز : « اجتمع » .

الرجل الذي قد فَرَّقَ جماعتنا ، وشَتَّتَ أمرنا ، وعاب ديننا ، فليُكَلِّمهُ وَلْتَنْظُرْ ماذا يَرِدُّ عليه ؟ فقالوا : ما نعلم أحداً غير عُتْبَةَ بن ربيعة . فقالوا : أنت يا أبا الوليد . فَأَتَاهُ عَتْبَةُ فقال : يا محمد ، أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال^[١] : فَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنْ هَؤُلَاءِ خَيْرُ مَنْكَ ، فَقَدْ عَبْدُوا الْآلِهَةَ الَّتِي عِبْتُ ، وَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ خَيْرُ مَنْهُمْ فَتَكَلِّمْ حَتَّى نَسْمَعَ قَوْلَكَ ، إِنَّا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا سَخْلَةً^(٥) قَطُّ أَشْأَمَ عَلَى قَوْمِكَ^(٥٥) مِنْكَ ، فَرَّقَتْ جَمَاعَتَنَا ، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا ، وَعَبَيْتَ دِينَنَا ، وَفَضَحْتَنَا فِي الْعَرَبِ ، حَتَّى لَقِدَ طَارَ فِيهِمْ أَنْ فِي قَرِيشٍ سَاحِرًا ، وَأَنْ فِي قَرِيشٍ كَاهِنًا ! وَاللَّهِ مَا نَنْتَظِرُ إِلَّا مِثْلَ صَبِيحَةِ الْحَبَلَى أَنْ يَقُومَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ بِالسَّيْفِ ، حَتَّى نَتَفَانِي ! أَيُّهَا الرَّجُلُ ، إِنْ كَانَ لِنَا بِكَ الْحَاجَةُ جَمْعُنَا لَكَ حَتَّى تَكُونَ أَغْنَى قَرِيشٍ رَجُلًا ، وَإِنْ كَانَ لِنَا بِكَ الْبَاءَةُ فَاخْتَرِ أَيَّ نِسَاءِ قَرِيشٍ فَلْتَنْزُوجِكَ عَشْرًا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فرغت ؟ » . قال : نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ حَمْدٌ * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثُمُودَ ﴾ » . فقال عَتْبَةُ : حَسْبُكَ ! حَسْبُكَ ! مَا عِنْدَكَ غَيْرَ هَذَا ؟ قَالَ : « لَا » . فَرَجَعَ إِلَى قَرِيشَ ، فَقَالُوا : مَا وَرَأَيْكَ ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَرَى أَنْكُمْ تَكْلُمُونَهُ بِهِ إِلَّا كَلِمَتَهُ . قَالُوا : فَهَلْ أَجَابَكَ ؟ قَالَ : لَا ، وَالَّذِي نَصَبَهَا بَنِيَّةً^(٥٥٥) مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَنْذَرَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثُمُودَ . قَالُوا : وَيْلَكَ ! يَكْلَمُكَ^[٢] الرَّجُلُ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا تَدْرِي مَا قَالَ ؟ ! قَالَ : لَا ، وَاللَّهِ مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعِقَةِ^(٢) .

وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده^(٣) عن أبي بكر بن أبي شيبة بإسناده مثله سواء . وقد ساقه البيهقي في تفسيره بسنده عن محمد بن فضيل ، عن الأجلح - وهو ابن عبد الله الكندي ، وقد ضَعَفَ بعض الشيء - عن الذَّيَّال بن حرملة ، عن جابر ، فذكر الحديث إلى

(٥) السخلة : الذكر والأنثى من لد الضأن والمعز ساعة يولد .

(٥٥) في المنتخب : قومه .

(٥٥٥) يريد الكعبة . وهي بنية إبراهيم عليه السلام لأنه بناها .

(٢) - إسناده ضعيف ؛ الأجلح - وهو ابن عبد الله الكندي - ضعفه غير واحد ، وقد تفرد ، ولا يحتمل تفرده ، والحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤٤٠/٨ عن علي بن مسهر ، وأخرجه الحاكم من طريق جعفر بن عون - كلاهما - عن الأجلح به .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه اهـ . والحديث عزاه السيوطي أيضًا في الدر إلى ابن مردويه ، وابن عساكر ، من هذا الوجه . وانظر بقية تخريجه فيما يلي .

(٣) - المسند (١٨١٨) (٣٤٩/٣) .

[٢] - في ز : « وكلمك » .

[١] - في ت : ف « قال » .

قوله : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً [مثل صاعقة] ^[١] عاد وثمود ﴾ فأمسك عتبة على فيه ، وناشده بالرحم ، ورجع إلى أهله ، ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم . فقال أبو جهل : يامعشر قريش ، والله مانرئى عتبة إلا قد صَبَا إلى محمد ، وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة أصابته ، فانطلقوا بنا إليه . فانطلقوا إليه فقال أبو جهل : يا عتبة ، ما حَبَسَكَ عنا إلا أنك صَبَوْتَ إلى محمد وأعجبك طعامه ، فإن كانت لك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد . فغضب عتبة ، وأقسم أن لا يكلم محمداً أبداً ، وقال : والله لقد علمتم أنني من أكثر قريش مالا ، ولكنني أتيتهم وقَصَصْتُ عليه القصة ^[٢] فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ، وقرأ السورة إلى قوله : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً [مثل صاعقة] عاد وثمود ﴾ ، فأمسكت بفيه ، وناشدته بالرحم أن يَكْفُ ، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئا لم يكذب ، فخشيت أن ينزل بكم العذاب .

وهذا السياق أشبه من سياق البزار وأبي يعلى ، والله أعلم . وقد أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب « السيرة » ^(٤) على خلاف هذا النمط ^[٣] ، فقال :

حدثني يزيد ^[٤] بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي قال : حَدَّثْتُ أَنَّ عْتَبَةَ بْنَ رِيْعَةَ - وَكَانَ سَيِّدًا - قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ : يَامَعِشْرَ قُرَيْشٍ ، أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَأُكَلِّمُهُ وَأَعْرِضُ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ يَقْبَلُ بَعْضُهَا ، فَنُعْطِيهِ أَيُّهَا شَاءَ وَيَكْفُ عَنَّا ؟ وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ ^[٥] حِزَّةً ، وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِيدُونَ وَيُكَثِّرُونَ ، فَقَالُوا : بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، فَقَمَّ إِلَيْهِ فَكَلَّمَهُ . فَقَامَ إِلَيْهِ عْتَبَةُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنَ [السُّطَّةِ فِي] ^[٦] الْعَشِيرَةِ ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ ، فَرَوَّعْتَ بِهِ جَمَاعَتَهُمْ ، وَسَفَهْتَ بِهِ أَحْلَامَهُمْ ، وَعَبَيْتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ ، وَكَفَرْتَ بِهِ مِنْ مَضِيٍّ مِنْ آبَائِهِمْ ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنَّا بَعْضُهَا . قَالَ : فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ » . قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنْ كُنْتُ إِنَّمَا تَرِيدُ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا ، حَتَّى تَكُونَ مِنْ أَكْثَرِنَا أَمْوَالًا . وَإِنْ كُنْتُ تَرِيدُ بِهِ شَرْفًا سَوَدْنَاكَ عَلَيْنَا ، حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ . وَإِنْ كُنْتُ تَرِيدُ بِهِ مَلِكًا مَلَكْنَاكَ عَلَيْنَا . وَإِنْ كَانَ هَذَا ^[٧] الَّذِي يَأْتِيكَ رَجَاءً تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَهُ عَنْ نَفْسِكَ ، طَلَبْنَا لَكَ الطَّبَّ ، وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نَبْرُثَكَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ رَجَاءٌ غَلَبَ النَّابِغَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَاوِيَ مِنْهُ - أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ -

(٤) - السيرة ٣٠٥/١ ، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٠٤/٢ .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - في خ : « الخط » .

[٢] - سقط من : ت .

[٥] - في ز : « أقبل » .

[٤] - سقط من : ز .

[٧] - سقط من : ز .

[٦] - في خ ، ز : « السيطه و » .

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال : « أَفَرُغْتَ يَا أَبَا الوليد ؟ » . قال : نعم . قال : « فاستمع مني » . قال : أفعل . قال : « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم ﴾ تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنًا عربيًّا لقوم يعلمون * بشيرًا ونذيرًا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ﴾ » . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرأها عليه . فلما سمع عتبة أنصت لها^[١]، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها^[٢] ، فسجد ، ثم قال : « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك » . فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : أقسم - يحلف بالله - لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورأيي أنني قد سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا الكهانة^[٣] . يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي^[٤] ، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ! قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما يبدل لكم^(٥) . وهذا السياق أشبه من الذي قبله ، والله أعلم .

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ
وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ
كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾

يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء^[٥] المكذبين المشركين : ﴿ إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ﴾ ، لا كما تعبدونه من الأصنام والأنداد والأرباب المتفرقين ، إنما الله إله واحد ، ﴿ فاستقيموا إليه ﴾ أي^[٦] : أخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على ألسنة الرسل ﴿ واستغفروه ﴾ أي : لسالف الذنوب ، ﴿ وويل للمشركين ﴾ أي : دمار لهم وهلاك

(٥) - إسناده ضعيف ؛ فيه من لم يسم . ويشهد له ما أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٠٦/٢ من حديث عبد الله ابن عمر بلفظ : « لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على عتبة بن ربيعة ﴿ حم تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ أتى أصحابه فقال لهم : يا قوم أطيعوني في هذا الأمر اليوم ، واعصوني فيما بعد ... إلخ » . واستغربه المصنف في البداية والنهاية بقوله : وهذا حديث غريب جدًا من هذا الوجه اهـ .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ت : « لي » ، وفي ز : « في » .

[٦] - سقط من : ز .

[١] - في خ : « إليها » .

[٣] - في خ : « بالكهانة » .

[٥] - سقط من : ز .

عليهم ، ﴿الذين لا يؤتون الزكاة﴾ ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يعني الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله . وكذا قال عكرمة .

وهذا كقوله تعالى : ﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ . وكقوله : ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾ وقوله : ﴿فقل هل لك إلى أن تزكى﴾ . والمراد بالزكاة هاهنا : طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة ، ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك . وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تُطَهَّر من الحرام ، وتكون سبباً لزيادته وبركته وكثرة نفعه ، وتوفيقاً إلى استعماله في الطاعات .

وقال السدي : ﴿وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة﴾ أي : الذين لا يدينون بالزكاة .

وقال معاوية بن قره^[١] : ليس هم من أهل^[٢] الزكاة .

وقال قتادة : يمنعون زكاة أموالهم .

وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين ، واختاره ابن جرير . وفيه نظر ؛ لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة ، على ما ذكره غير واحد ، وهذه الآية مكية ، اللهم إلا أن يقال : لا يبعد أن يكون أصل الزكاة والصدقة كان مأموراً به في ابتداء البعثة ، كقوله تعالى : ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ ، فأما الزكاة ذات التَّصَبُّب والمقادير فإنما يَبْنَى أمرها بالمدينة ، ويكون هذا جمعاً بين القولين ، كما أن أصل الصلاة كان واجباً قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة ، فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف ، فرض الله على رسوله الصلوات الخمس ، وفَصَّل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك ، شيئاً فشيئاً ، والله أعلم .

ثم قال بعد ذلك : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ ، قال مجاهد وغيره : لا مقطوع ولا محبوب . كقوله : ﴿ما كُنْ فِيهِ أَبَداً﴾ وكقوله تعالى : ﴿عطاء غير مجدود﴾ .

وقال السدي : ﴿غير ممنون﴾ عليهم . وقد رد عليه بعض الأئمة هذا التفسير ، فإن المنة لله على أهل الجنة ، قال الله تعالى : ﴿بَلِ اللَّهُ يَمَنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ . وقال أهل الجنة : ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»^(١) .

(٦) - أخرجه البخارى ، فى كتاب المرض . باب : تمنى المريض الموت (٥٦٧٣) ، وفى الرقاق باب : القصد ، والمداومة على العمل (٦٤٦٤) ، ومسلم فى كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : =

﴿ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ مِّن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿ ١٠ ﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿ ١١ ﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿ ١٢ ﴾

هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا معه غيره ، وهو الخالق لكل شيء ، القاهر لكل شيء ، المقدر لكل شيء ، فقال : ﴿ قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ﴾ أي : نظراء وأمثالا تعبدونها معه ، ﴿ ذلك رب العالمين ﴾ أي : الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم .

وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالى : ﴿ خلق السماوات والأرض في ستة أيام ﴾ ، ففصل هاهنا ما يختص بالأرض مما اختص بالسما ، فذكر أنه خلق الأرض أولا لأنها كالأساس ، والأصل أن يُبْدَأَ بالأساس ، ثم بعده بالسقف ، كما قال : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾ الآية . فأما قوله : ﴿ أنتم أشد خلقا أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها . متاعا لكم ولأنعامكم ﴾ ففي هذه الآية أن دُخِيَ الأرض كان بعد خلق السماء فالدُخْيُ هو مفسر بقوله : ﴿ أخرج منها ماءها ومرعاها ﴾ ، وكان هذا بعد خلق السماء ، فأما خلق الأرض فقبل خلق السماء بالنص ، وبهذا أجاب ابن عباس فيما ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية من صحيحه ، فإنه قال :

وقال المنهال : عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس : إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي ، قال : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ ، ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ ، ﴿ ولا يكتُمون الله حديثا ﴾ ، ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ ، فقد كنتم في هذه الآية ؟ وقال : ﴿ أم السماء بناها ﴾ ، إلى قوله : ﴿ دحاها ﴾ ، فذكر خلق

= لن يدخل أحد الجنة بعمله ، بل برحمة الله تعالى (٢٨١٦) كلاهما من حديث أبي هريرة .

وأخرجه البخاري في الرقاق من الموضع السابق (٢٤٦٧) ، ومسلم في الموضع السابق (٢٨١٨) كلاهما من حديث عائشة وأخرجه مسلم في نفس الموضع (٢٨١٧) من حديث جابر بن عبد الله .

السماء قبل الأرض ، ثم قال : ﴿ قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ﴾ ، إلي قوله : ﴿ طائعين ﴾ ، فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء ؟ وقال : ﴿ وكان الله غفوراً رحيمًا ﴾ ، ﴿ عزيزاً حكيمًا ﴾ ، ﴿ سميعاً بصيراً ﴾ ، فكأنه كان ثم مضى .

قال - يعني ابن عباس - : ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ في النفخة الأولى ، ثم ينفخ في الصور ، ﴿ فصَوِّقْ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ ، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ، ثم ^[١] في النفخة الأخرى ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ وأما قوله : ﴿ ما كنا مشركين ﴾ ، ﴿ ولا يكتُمون الله حديثًا ﴾ ، فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم ^[٢] ، فقال المشركون : تعالوا نقول : لم نكن مشركين ، فيختم على أفواههم ، فتنتطق أيديهم ، فعند ذلك يعرف أن الله لا يُكْتَم حديثًا ، وعنده ﴿ يود الذين كفروا ﴾ الآية . وخلق الأرض في يومين ، ثم خلق السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ، ثم دَخَلَ الأرض ، ودَخَّيْها : أن أخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والجماد والأكام وما بينهما في يومين آخرين ، فذلك قوله ﴿ دحاها ^[٣] ﴾ ، وقوله : ﴿ خلق الأرض في يومين ﴾ فُخِّلَتْ الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وُخِّلَتْ ^[٤] السموات في يومين ﴿ وكان الله غفوراً رحيمًا ﴾ : سمى نفسه بذلك ، وذلك قوله ، أي : لم يزل كذلك ، فإن الله لم يُرِد شيئاً إلا أصاب به الذي أراده ، فلا يختلِف عليك القرآن ، فإن كلاً من عند الله عز وجل ، قال البخاري ^(٧) : حدثني يوسف بن عدي ، حدثنا عُبيد الله بن عمرو ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن المنهال - هو ابن عمرو - بالحديث .

فقوله : ﴿ خلق الأرض في يومين ﴾ ، يعني : يوم الأحد ويوم الاثنين ، ﴿ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها ﴾ أي : جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس ، ﴿ وقدر فيها أوقاتها ﴾ وهو : ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزدرع ^[٥] وتغرس ، يعني يوم الثلاثاء والأربعاء ، فهما مع اليومين السابقين أربعة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ في أربعة أيام سواء للسائلين ﴾ أي : لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه .

وقال مجاهد وعكرمة في قوله : ﴿ وقدر فيها أوقاتها ﴾ : جعل في كل أرض ما ^[٦] لا يصلح في غيرها ، ومنه ، العصب باليمن ، والسابوري ^[٧] بسابور ، والطيا لسة بالري .

وقال ابن عباس ، وقتادة ، والسدي في قوله تعالى : ﴿ سواء للسائلين ﴾ أي : لمن أراد السؤال عن ذلك .

[٢] - في ز : « ذنبهم » .

[٤] - في ز : « وخلق » .

[٧] - في ت : « السابري » .

[١] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : « دحيا » .

[٥] - في ت : « تزرع » .

[٦] - في ز : « ما » .

وقال ابن زيد : معناه : ﴿ وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ﴾ أي : على وفق مراد من له حاجة إلى رزق أو حاجة ، فإن الله قَدَّرَ له ما هو محتاج إليه .

وهذا القول يشبه ما ذكره في قوله تعالى : ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ وهو بخار الماء المتصاعد منه^[١] خلقت السماء^[٢] ﴿ فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً وكرها ﴾ أي : استجيبا لأمرى وانفعلا لفعلي [طائعتين أو مكرهتين]^[٣] .

قال الثوري : عن ابن مجزيج ، عن سليمان بن موسى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها ﴾ ، قال : قال الله تعالى للسموات : أطلعي شمسي وقمرى ونجومي . وقال للأرض : شققي أنهارك ، وأخرجي ثمارك . فقالتا : ﴿ أئينا طائعتين ﴾ واختاره ابن جرير رحمه الله .

﴿ قالتا أئينا طائعتين ﴾ أي : بل نستجيب لك مطيعين بما فينا ، مما تريد خلقه من الملائكة والإنس والجن جميعاً مطيعين لك . حكاه ابن جرير عن بعض أهل العربية . قال : وقيل : تنزيلاً لهن معاملة من يعقل بكلامهما^[٤] .

وقيل : إن المتكلم من الأرض بذلك هو مكان الكعبة ، ومن السماء ما يسامته منها ، والله أعلم .

و^[٥] قال الحسن البصري : لو أئيا عليه أمره لعذبهما عذاباً يجدان ألمه . رواه ابن أبي حاتم . ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ أي : ففرغ من تسويتهن سبع سموات في يومين ، أي : آخرين ، وهما يوم الخميس ويوم الجمعة .

﴿ وأوحى في كل سماء أمرها ﴾ أي : ورتب مقرراً في كل سماء ما تحتاج إليه من الملائكة ، وما فيها من الأشياء التي لا يعلمها إلا هو ، ﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ ، وهن الكواكب النيرة^[٦] المشرقة على أهل الأرض ، ﴿ وحفظا ﴾ أي : حرصاً من الشياطين أن تستمع إلى الملأ الأعلى .

﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ أي : العزيز الذي قد عزَّ كل شيء فغلبه وقهره ، العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم .

[١] - بعده في ت : حين .

[٢] - في ت : « الأرض » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « طائعتين أو مكرهين » [٤] - في ز : « لكلامهما » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في ت : « المنيرة » .

قال ابن جرير^(٨) : حدثنا هناد بن السري ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي سعد^[١] البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - قال هناد : قرأت سائر الحديث - أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السماوات والأرض ، فقال : « خلق الله الأرض يوم^[٢] الأحد ويوم الاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب ، فهذه أربعة ، ﴿ قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ﴾ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ﴾ : لمن سأل . قال : « وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، [فخلق في أول ساعة من هذه الثلاثة الأجل ، حين يموت من مات]^[٣] ، وفي الثانية ألقى الأفة على كل شيء مما ينتفع به الناس ، وفي الثالثة آدم ، وأسكنه الجنة ، وأمر إبليس بالسجود له ، وأخرجه منها في آخر ساعة » . ثم قالت اليهود : ثم ماذا يا محمد ؟ قال : « ثم استوى على العرش » . قالوا : قد أصبت لو أتممت ! قالوا : ثم استراح . فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا ، فنزل : ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ فاصبر على ما يقولون^(٩) .

هذا الحديث فيه غرابة .

فأما حديث ابن جريج ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبي هريرة قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : « خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلى^[٤] الليل » . فقد^[٥] رواه مسلم والنسائي في كتابيهما ، من حديث ابن جريج ، به . وهو من

(٧) - في صحيحه ، كتاب التفسير ، سورة حم السجدة الفتح ٥٥٥/٨ .

(٨) - في تفسيره ٩٥/٢٤ .

(٩) - إسناده ضعيف ؛ لضعف أبي سعد البقال ، قاله الحافظ في الفتح ٥٥٨/٨ ، والحديث أخرجه عبد الرزاق - كما في الفتح (٥٥٨/٨) ، والحاكم في المستدرک ٥٤٣/٢ من طريق أبي سعد البقال به ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي قائلا : أبو سعد البقال ، قال ابن معين : « لا يكتب حديثه » .

[٢] - في خ ، ز : « و » .

[١] - في ت : « سعيد » .

[٤] - سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ت : « وقد » .

غرائب الصحيح ، وقد غلَّله البخاري في التاريخ فقال : رواه بعضهم عن أبي هريرة ، عن كعب الأخبار ، وهو أصح^[١٠] .

(١٠) - هذا الحديث أخرجه أحمد ٣٢٧/٢ ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم من صحيحه ، باب: ابتداء الخلق ، وخلق آدم عليه السلام (٢٧٨٩) ، والنسائي في الكبرى (١١٠١٠) ، وأبو يعلى (١٠/٥١٣، ٥١٤) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨١٢) وغيرهم من طريق ابن جريج عن إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة به .

قال المصنف في البداية والنهاية (١٨/١) : وقد تكلم في هذا الحديث على بن المديني والبخاري والبيهقي وغيرهم من الحفاظ اهـ .

قلت : حاصل هذا الكلام أن ابن المديني يرى أن إسماعيل بن أمية لم يأخذ هذا الحديث عن شيخه أيوب بن خالد مباشرة ، ولكن بينهما إبراهيم بن أبي يحيى ، وهو متروك ، وقد أجاب البيهقي عن هذا الكلام بقوله : وقد تابع إسماعيل بن أمية موسى بن عبيدة الربذي عن أيوب بن خالد ، إلا أن موسى بن عبيدة ضعيف ، وروي عن بكر بن الشروذ عن إبراهيم بن أبي يحيى عن صفوان بن سليم عن أيوب بن خالد به ، وإسناده ضعيف والله أعلم . اهـ . قال الشيخ الألباني ردًا على كلام ابن المديني : هذه دعوى عارية عن الدليل ، إلا مجرد الرأي ، ويمثله لا ترد رواية إسماعيل بن أمية ، فإنه ثقة ثبت اهـ . الصحيحة (١٨٣٣) .

أما البخاري فيرى أن هذا الحديث من مسند كعب الأخبار حيث قال في التاريخ (٤١٣/١) ، وقال بعضهم: عن أبي هريرة عن كعب وهو أصح . اهـ . قال الشيخ المعلمي في كتابه «الأنوار الكاشفة» ردًا على كلام البخاري هذا : لم يرتض البخاري قول شيخه ابن المديني ، وأعل الخبر بأمر آخر ومؤدى صنيعة أن يحسد أن أيوب أخطأ وهذا الحسد مبني على ثلاثة أمور : الأول استنكار الخبر لما مر . الثاني : أن أيوب ليس بالقوي ، وهو مقل لم يخرج له مسلم إلا هذا الحديث كما يعلم من الجمع بين رجال الصحيحين ، وتكلم فيه الأزدي ولم ينقل توثيقه عن أحد من الأئمة إلا ابن حبان ذكره في الثقات ، وشرط ابن حبان في التوثيق فيه تسامح معروف . الثالث : الرواية التي أشار إليها بقوله : « وقال بعضهم » وليته ذكر سندها وممتنها فقد تكون ضعيفة في نفسها وإنما قويت عنده للأمرين الآخرين . ويدل على ضعفها أن المحفوظ عن كعب وعبد الله بن سلام ووهب بن منبه ومن يأخذ عنهم أن ابتداء الخلق كان يوم الأحد ، وهو قول أهل الكتاب المذكور في كتبهم وعليه بنوا قولهم في السبت . انظر الأسماء والصفات ص ٢٧٢ ، ص ٢٧٥ وأوائل تاريخ ابن جرير ، وفي الدر المنثور (٩١/٣) : «أخرجه ابن أبي شيبة عن كعب قال : بدأ الله بخلق السموات والأرض يوم الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وجعل كل يوم ألف سنة» وأسند ابن جرير في أوائل التاريخ ٢٢/١ ط - الحسينية « واقتصر على أوله . فهذا يدفع أن يكون ما في الحديث من قول كعب . اهـ المعلمي الأنوار الكاشفة ص ١٨٩ - ١٩٠ وقال الشيخ الألباني ردًا على كلام البخاري : وهذا كسابقه فمن هذا البعض ؟ وما حاله في الضبط والحفظ حتى يرجع على رواية عبد الله بن رافع ؟ وقد وثقه النسائي وابن حبان ، واحتج به مسلم وروى عنه جمع ، ويكفي في صحة الحديث أن ابن معين رواه ولم يعله بشيء ! اهـ هذا وقد استظهر المصنف في البداية والنهاية (١٨/١ - ١٩) قول الإمام البخاري فراجع كلامه هناك . ولابن جريج في هذا الحديث إسناد آخر .

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ
الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ
مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ
لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ
﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ
الْمُؤَنِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَبَجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق : إن أعرضتم عما جئكم به من عند الله ، فإني أنذركم حلول نعمة الله بكم ، كما حلت بالأمم الماضية من المكذبين بالمرسلين ، ﴿ صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود ﴾ أي : ومن شاكلهما^[١] ممن فعل كفعلهما ، ﴿ إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ﴾ ، كقوله تعالى : ﴿ واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ﴾ أي : في القرى المجاورة لبلادهم ، بعث الله إليهم الرسل يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ، ومبشرين ومنذرين ، ورأوا ما أحل الله بأعدائه من النقم ، وما ألبس أوليائه من النعم ، ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا ، بل كذبوا وجحدوا ، وقالوا : ﴿ لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴾ أي : لو شاء^[٢] أرسل الله رسلاً لكانوا ملائكة من عنده ، ﴿ فإننا بما أرسلتم به ﴾ أي : أيها البشر

= فقد أخرجه النسائي في الكبرى (١١٣٩٢) من طريق الأخضر بن عجلان عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة به . وهذه الطريق غير محفوظة تفرد بها الأخضر بن عجلان ، وخالف بها أصحاب ابن جريج ، منهم حجاج بن محمد و هشام بن يوسف ، وحجاج أثبت الناس في ابن جريج انظر شرح العلل لابن رجب ص ٢٧٢ ويشبه أن يكون الأخضر قد روى هذا الحديث عن ابن جريج على الجادة . فعامة رواية ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة ، فسلكتها الأخضر وهم فيها . قال الذهبي في العلل (٧٥) بعد أن ذكر هذا الحديث من طريق الأخضر : الأخضر ثقة ، وثقه ابن معين وقال أبو حاتم : يكتب حديثه . وليفه الأزدي ، وحديثه في السنن الأربعة وهذا الحديث غريب من أفراده اهـ .

[٢] - سقط من خ .

[١] - في ز : « شاكلها » .

﴿ كَافِرُونَ ﴾ أي : لا تتبعكم وأنتم بشر مثلنا . قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا عَاد فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي : بغوا وعَتَوْا وَعَصَوْا ، ﴿ وَقَالُوا مِنْ أَشَدِّ مَنَا قُوَّةً ﴾ أي : متَّوًّا بشدة تركيهم وقواهم ، واعتقدوا أنهم يمتنعون بها من بأس الله ! ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ أي : أفما يتفكرون فيمن يارزون بالعداوة ؟ فإنه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها ، وإن بطشه شديد ، كما قال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ ، فبارزوا الجبار بالعداوة ، وجحدوا بآياته وعصوا رسوله ، فهذا قال : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ ، قال بعضهم : وهي الشديدة الهبوب . وقيل : الباردة . وقيل : هي التي لها صوت .

والحق : أنها متصفة بجميع ذلك ، فإنها كانت ريحاً شديدة قوية ؛ لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم ، وكانت باردة شديدة البرد جداً [كقوله تعالى : ﴿ بَرِيحٌ صَرْصَرٌ عَاتِيَةٌ ﴾ أي : باردة شديدة]^[١] وكانت ذات صوت مزعج ، ومنه سمى النهر المشهور ببلاد المشرق « صرصر » لقوة صوت جريه .

وقوله : ﴿ فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ ﴾ أي : متتابعات ، ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ كقوله : ﴿ فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴾ أي : ابتَدِئُوا بهذا العذاب في يوم نحس عليهم ، واستمر بهم هذا النحس سبع ليالٍ وثمانية أيام ، حتى أبادهم عن آخرهم ، واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ لَنَذِقَنَّهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى ﴾ أي : ، أشد خزيًا لهم^[٢] . ﴿ وَهُمْ لَا يَنْصُرُونَ ﴾ أي : في الأخرى كما لم ينصروا في الدنيا ، وما كان لهم من الله من واق يقيهم العذاب ويدرأ^[٣] عنهم النكال .

وقوله : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ ، قال ابن عباس ، وأبو العالية ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد : يَتَنَّا لهم . وقال الثوري : دعوناهم . ﴿ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ أي : بَصَّرْنَاهُمْ ، وَيَتَنَّا لهم ، ووضَّحْنَا لهم الحقَّ على لسان نبيهم صالح صلى الله عليه وسلم فخالفوه وكذبوه ، وعقروا ناقة الله التي جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم ، ﴿ فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ ﴾ أي : بعث الله عليهم صيحة ورَّجْفَةً وذلاً وهواناً وعذاباً ونكالاً ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي : من التكذيب والجحود ﴿ وَنَجِّنَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي : من بين أظهرهم ، لم يَمَسَّهم سوء ، ولا نالهم من ذلك ضرر ، بل نجاهم الله مع نبيهم صالح بإيمانهم ، وتقواهم لله عز وجل .

[١] - ما بين المكوفتين مقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « بهم » .

[٣] - في ز : « ويرأ » .

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِمَ لِيُجْلَدُوا بِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى : ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ﴾ أي : اذكر لهؤلاء المشركين يوم يحشرون إلى النار ، ﴿ يوزعون ﴾ أي : تجمع الزبانية أولهم على آخرهم ، كما قال تعالى : ﴿ ونسوق الجرمين إلى جهنم وردًا ﴾ أي : عطاشًا .

وقوله : ﴿ حتى إذا ما جاءوها ﴾ أي : وقفوا عليها ، ﴿ شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ أي : بأعمالهم مما قدموه وأخروه ، لا يُكْتَمُ^[١] منه حرف .

﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ﴾ ، أي : لاموا أعضائهم وجلودهم حين شهدوا عليهم ، فعند ذلك أجابتهم الأعضاء : ﴿ قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة ﴾ أي : فهو لا يخالف ولا يمانع ، وإليه ترجعون .

قال الحافظ أبو بكر البزار^(١) : حدثنا [محمد بن] ^[٢] عبد الرحيم ، حدثنا علي بن قادم ، حدثنا شريك ، عن عُثَيْدِ المَكْتَبِ ، عن الشعبي ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، أو تبسم ، فقال : « ألا تسألوني عن أي شيء ضحكتم ؟ » . قالوا : يا رسول الله ، من أي شيء ضحكتم ؟ قال : « عَجِبْتُ من مجادلة العبد ربه يوم القيامة ، يقول : أي ربي ، أليس وعدتني أن لا تظلمني ؟ قال : بلى .

(١١) - وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٤٥٤) عن محمد بن عبد الرحيم ، والحاكم (٦٠١/٤) من طريق إبراهيم بن أبي العنيس كلاهما عن علي بن قادم به وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، قلت : قد أخرجه مسلم كما سيأتي .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[١] - في ز : « نكتم » .

فيقول : فإنني لا أقبل عليّ شاهدًا إلا من نفسي . فيقول الله تبارك وتعالى : أو ليس كفى بي شهيدًا ، وبالملائكة الكرام الكاتبين ؟ قال : فيردّد هذا الكلام مرارًا . قال : فيختم عليّ فيه ، وتكلم أركانه بما كان يعمل ، فيقول : بُعدًا لكُزُّ وسُخْقًا !! عنكن كنت أجادل » .

ثم رواه هو وابن أبي حاتم من حديث أبي عامر الأسدي ، عن الثوري ، عن عُبيد المكتب ، عن فضيل بن عمرو ، عن^[١] الشعبي ، ثم قال : لا نعلم رواه عن أنس غير الشعبي . وقد أخرجه مسلم والنسائي جميعًا عن أبي بكر بن أبي النضر ، [عن أبي النضر]^[٢] عن عُبيد الله ابن عبد الرحمن الأشجعي ، عن الثوري ، به . ثم قال النسائي : لا أعلم أحدًا رواه عن الثوري غير الأشجعي . وليس كما قال كما رأيت ، والله أعلم^(١٢) .

وقال ابن أبي حاتم^(١٣) : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن إبراهيم ، حدثنا إسماعيل بن عُليّة ، عن يونس بن عُبيد ، عن حميد بن هلال قال : قال أبو بردة : قال أبو موسى : ويدعى الكافر والمنافق للحساب ، فيعرض عليه ربه - عز وجل - عمله ، فيجحد ويقول : أيّ ربّ ، وعزتك لقد كتب عليّ هذا الملك ما لم أعمل ! فيقول له الملك : أما عملت كذا ، في يوم كذا ، في مكان كذا ؟ فيقول : لا وعزتك ، أيّ ربّ ما عملته . فإذا فَعَلَ^[٣] ذلك حُيِمَ علىّ فيه ، قال الأشعري : فإنني لأحسب أول ما ينطق منه فخذة اليمنى .

وقال الحافظ أبو يعلى^(١٤) : حدثنا زهير ، حدثنا حسن ، عن ابن لهيعة ، قال دراج عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كان يوم القيامة ، عُرِفَ الكافر بعمله ، فجحد وخاصم ، فيقال : هؤلاء جيرانك يشهدون عليك ؟ فيقول : كذبوا . فيقول : أهلك عشيرتك ؟ فيقول : كذبوا . فيقول : احلفوا . فيحلفون ، ثم يصمتهم الله وتشهد عليهم^[٤] ألستهم ، ويدخلهم النار » .

و^[٥] قال ابن أبي حاتم^(١٥) : وحدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن إبراهيم ، حدثنا عبد الصمد بن

(١٢) - صحيح مسلم ، في آخر كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٩) ، والنسائي في الكبرى (١١٦٥٣) .

(١٣) - التفسير (١٨٤٥٥) .

(١٤) - المسند (١٣٩٢) ، وإسناده ضعيف ؛ لضعف رواية دراج وهو أبو السمع عن شيخه أبي الهيثم وقد توبع ابن لهيعة عليه . فأخرجه الطبري في تفسيره ١٨/١٠٥ من طريق آخر عن دراج به . قال الإمام أحمد كما في الكامل لابن عدى - ترجمة دراج - أحاديث دراج عن أبي الهيثم فيها ضعف ، وقال الآجري - كما في تهذيب الكمال - عن أبي داود : أحاديث دراج مستقيمة إلا ما كان عن أبي الهيثم عن أبي سعيد .

(١٥) - التفسير (١٨٤٥٦) .

[٢] - في خ : « فيه » .

[٤] - سقط من : ز .

[١] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : « تعمل » .

[٥] - سقط من : ز .

عبد الوارث سمعت أبي ، حدثنا علي بن زيد ، عن مسلم بن صبيح أبي الضحى ، عن ابن عباس : أنه قال لابن الأزرق : إن يوم القيامة يأتي على الناس منه حين ، لا ينطقون^[١] ولا يعتذرون ولا يتكلمون حتى يؤذن لهم ، ثم يؤذن لهم فيختصمون ، فيجحد الجاحد بشركه بالله ، فيحلفون له كما يحلفون لكم ، فيبعت الله عليهم حين يجحدون شهداء من أنفسهم ، جلودهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم ، ويختم على أفواههم ، ثم يفتح لهم الأفواه فتخاصم الجوارح ، فنقول : ﴿ أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ﴾ ، وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴿ ، فنقر الألسنة بعد الجحود .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن مجبّر الحضرمي ، عن رافع أبي الحسن - وصف رجلاً جحد - قال : فيشير الله إلى لسانه ، فيربو في فيه^[٢] ، حتى يملاؤه ، فلا يستطيع أن ينطق بكلمة ، ثم يقول لأرأبه كلها : تكلمي واشهدي عليه . فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده وفرجه ويدها ورجلاه : صنعنا ، عملنا ، فعلنا .

وقد تقدم أحاديث كثيرة ، وآثار^[٣] عند قوله تعالى في سورة يس : ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ ، بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وقال ابن أبي حاتم^(١٦) رحمه الله : حدثنا أبي ، حدثنا شريك بن سعيد ، حدثنا يحيى بن سليم الطائفي ، عن ابن خنيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : لما رجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرة البحر قال : « ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟ » . فقال فتية منهم : بلى يا رسول الله ، بينا نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهايينهم ، تحمل على رأسها قلة من ماء ، فمرت بفتى منهم ، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ، ثم دفعها فخرت على ركبتيها ، فانكسرت قلتها . فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت : سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي ، وجمع الأولين والآخرين ، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون ، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدا . قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدقت ، صدقت ، كيف يُقدّس الله^[٤] قوما لا يؤخذ بضعيفهم من شديدهم ؟ » . هذا حديث غريب من هذا الوجه .

ورواه ابن أبي الدنيا في « كتاب الأحوال » : أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال : أخبرنا يحيى ابن سليم ، به^(١٧) .

(١٦) - التفسير (١٨٤٥٧) .

(١٧) - الأحوال (٢٤٣) . والحديث أخرجه ابن ماجه (٤٠١٠) ، وابن حبان (٥٠٥٨ ، ٥٠٥٩) =

[٢] - في ت : « فمه » .

[١] - في ز : « ينطقون » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ز : « آيات » .

وقوله : ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ أي : تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم : ما كنتم تتكتمون منا^[١] الذي كنتم تفعلونه ، بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي ، ولا تبالون منه في زعمكم ، لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم ، ولهذا قال : ﴿ ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون * وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ﴾ ، أي : هذا الظن الفاسد - وهو اعتقادكم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون - هو الذي^[٢] أتلّفكم وأرداكم عند ربكم ، ﴿ فأصبحتم من الخاسرين ﴾ ، أي : في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهلكم .

قال الإمام أحمد رحمه الله^(١٨) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عُمارة ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله قال : كنت مستترا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر : قرشي ، وختناه ثَقَفِيَّانِ^[٣] - أو : ثَقَفِي^[٤] وختناه قُرَشِيَّان - كثير شحم بطونهم ، قليل فقه قلوبهم . فتكلموا بكلام لم أسمع ، فقال أحدهم : أتزون أن الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر : إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه ، وإذا لم نرفعه لم يسمعه . فقال الآخر^[٥] : إن سمع منه شيئاً سمعه كله . قال : فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل : ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ ، إلى قوله : ﴿ من الخاسرين ﴾ .

وكذا رواه الترمذي عن هناد عن أبي معاوية بإسناده نحوه^(١٩) .

وأخرجه أحمد ومسلم والترمذي أيضًا ، من حديث سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن عُمارة بن عُمير ، عن وهب بن ربيعة ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - بنحوه^(٢٠) .

= والخطيب في تاريخه ٣٩٦/٧ من طريق مسلم بن خالد ، والفضل بن العلاء - كلاهما - عن ابن خثيم عن أبي الزبير عن جابر به ، وهذا الإسناد حسن ، ابن خثيم من رجال مسلم . وللحديث شواهد من حديث بريدة بن الحصيب ، وابن عباس وعبد الله بن عمرو وغيرهم . أخرجه ابن أبي شيبة ٥٩٢/٦ ، وابن أبي عاصم ٢٥٧/١ ، والطبراني (١١٢٣٠) ، ٣٨٥/١٩ ، والبيهقي ٩٥/٦ ، وأبو نعيم في الحلية ١٢٨/٦ .

(١٨) - المسند (٣٨١/١) (٣٦١٤) ، (٤٢٦/١) (٤٠٤٧) ، (٤٤٢/١) (٤٢٢٢) .

(١٩) - أخرجه الترمذي في كتاب التفسير من جامعه باب : « ومن سورة حم » حديث (٣٢٤٩) .

(٢٠) - أخرجه أحمد (٤٠٨/١) (٣٨٧٥) ، (٤٤٢/١) (٤٢٢١) ، (٤٤٣/١) (٤٢٣٨) ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم من صحيحه ، حديث (٥/٢٧٧٥) ، والترمذي عقب الحديث رقم (٣٢٤٩) من الموضوع السابق .

[١] - في ز : « من » .

[٣] - في ز : « ثقيفيان » .

[٢] - سقط من : ز .

[٥] - في ز : « الآخران » .

[٤] - في ز : « ثقيفي » .

ورواه البخاري ومسلم أيضًا ، من حديث السفينيين ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي معمر عبد الله بن سَخْبَرَة ، عن ابن مسعود ، به (٢١) .

وقال عبد الرزاق (٢٢) : أخبرنا معمر ، عن بَهْز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴾ ، قال : « إِنْكُمْ تُدْعَوْنَ مُقَدَّمًا عَلَى أَفْوَاهِكُمْ بِالْفِدَامِ ، فَأُولَ شَيْءٍ يَبِينُ عَنْ أَحَدِكُمْ فَخُذْهُ وَكُفَّهُ » .

قال معمر : وتلا الحسن : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ﴾ ، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قَالَ اللَّهُ : أَنَا مَعَ عَبْدِي عِنْدَ ظَنِّهِ بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي » (٢٣) . ثم افترَّ الحسن ينظر في [١] هذا ، فقال : أَلَا إِنَّمَا عَمِلَ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ ظَنُونِهِمْ بِرَبِّهِمْ ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَأَحْسَنَ الظَّنِّ بِرَبِّهِ فَأَحْسَنَ الْعَمَلِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَأَسَاءَ [٢] الظَّنِّ بِاللَّهِ فَأَسَاءَ [٣] الْعَمَلِ . ثم قال : قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ﴾

(٢١) - أخرجه البخاري في التفسير من صحيحه ، باب : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ ... ﴾ الآية حديث (٤٨١٧) في كتاب التوحيد من صحيحه باب : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ ... ﴾ الآية ، وأخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم حديث (٥/٢٧٧٥) من طريق الثوري - وحده - عن منصور به والحديث أخرجه أيضًا الحميدى في مسنده (٨٧) عن ابن عيينة ، وأحمد ١٤٣/١ (٤٢٣٨) من طريق الثوري ، والنسائي في الكبرى (١١٤٦٨) من طريق السفينيين - كلاهما - عن منصور به ، ورواه البخاري في كتاب التفسير باب : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ ... ﴾ الآية حديث (٤٨١٦) من طريق آخر عن منصور به .

(٢٢) - إسناده حسن ؛ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٨٥/٣) ، وفي المصنف (٢٠١١٥) ١٣٠/١١ ومن طريقه النسائي في الكبرى (١١٤٦٩) .

وأخرجه أحمد (٤/٥) ، والنسائي في الزكاة ، باب : وجوب الزكاة (٤/٥ - ٥) ، وباب من سأل بوجه الله عز وجل (٨٢/٥ - ٨٣) ، وابن المبارك في الزهد (٩٨٧) ، والطبراني في الكبير (٩٦٩ - ٩٧٧) ١٩/٤٠٧ - ٤٠٩ من طرق عن بهز بن حكيم عن أبيه به .

وأخرجه أحمد (٤٤٦/٤) ، (٣/٥) ، والنسائي في الكبرى (١١٤٣١) ، والطبراني في الكبير (١٠٣٦) - (١٠٣٨) (٤٢٦/١٩ - ٤٢٨) من طريق آخر عن حكيم به مطولاً ومختصراً .

(٢٣) - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١٨٥/٣ عن معمر بهذا السياق وهو مرسل وأصله في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة ، فأخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ما يذكر في الذات والنعوت ، حديث رقم (٧٤٠٥) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب : الحث على ذكر الله تعالى حديث رقم (٢٦٧٥) كلاهما من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة به .

[١] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : « فأسيا » .

[٢] - في ز : « فأسيا » .

ولا أبصاركم ﴿٢٤﴾ ، إلى قوله : ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا النضر بن إسماعيل القاصي - وهو أبو المغيرة - حدثنا ابن أبي ليلى ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال ^[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن ^[٢] بالله الظن ، فإن قوماً قد ^[٣] أرداهم سوء ظنهم بالله ، فقال الله تعالى : ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾ » ^(٢٥) .

وقوله : ﴿ فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين ﴾ أي : سواء عليهم أصبروا أم لم يصبروا هم في النار ، لا محيد لهم عنها ، ولا خروج لهم منها . وإن طلبوا أن يستعتبوا ويبدوا أعذاراً فما لهم أعذار ، ولا تقال لهم عثرات .

قال ابن جرير : ومعنى قوله : ﴿ وإن يستعتبوا ﴾ أي : يسألوا الرجعة إلى الدنيا ، فلا جواب لهم ، قال : وهذه كقوله تعالى إخباراً عنهم : ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين * ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون * قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ .

❖ وَفِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُ فَرَزَيْنَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ

الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٢٥﴾

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾

فَلَنَذِيقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾

ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ مِمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾

(٢٤) - عبد الرزاق في تفسيره (١٨٥/٣) .

(٢٥) - حديث صحيح وهذا الإسناد ضعيف . النضر ضعفه غير واحد ، وقال ابن حبان : كان ممن فحش خطؤه ، وكثر وهمه . استحق الترك من أجله وقال ابن معين : ليس بشيء . والحديث أخرجه أحمد ٣/ ٣٩٠ ، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله حديث رقم (٤) من طريق النضر به وأخرجه أحمد ٣/ ٣٢٥ ، ٣/ ٣٣٤ ، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت ، حديث (٢٨٧٧) (٨٢) ، وعبد بن حميد (١٠٤١) من طريق ابن جريج . وواصل عن أبي الزبير به ، وأخرجه أحمد ٣/ ٢٩٣ ، ٣١٥ ، ٣٣٠ ، وعبد بن حميد ١٠١٥ ، ومسلم في الموضع السابق حديث رقم (٢٨٧٧) (٨١) ، وأبو داود (٣١١٣) ، وابن ماجه (٤١٦٧) من طريق آخر عن جابر به .

[٢] - في ز : « محسن » .

[١] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ
أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

يذكر تعالى أنه هو الذي^[١] أضل المشركين ، وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته ، وهو الحكيم في أفعاله ، بما قَيَّضَ لهم من القُرَّاء من شياطين الإنس والجن ، ﴿ فزينا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ أي : حَسَبْنَا لهم أعمالهم في الماضي^[٢] ، وبالنسبة إلى المستقبل فلم يروا أنفسهم إلا محسنين ، كما قال تعالى : ﴿ ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين * وإلهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وحق عليهم القول ﴾ أي : كلمة العذاب كما حق^[٣] على أم قد خلت من قبلهم ، ممن فعل كفعلهم ، من الجن والإنس ، ﴿ إنهم كانوا خاسرين ﴾ أي : استَوَوْا هم وإياهم في الخسار والدمار .

وقوله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن ﴾ أي : تواصلوا فيما بينهم أن لا يطيعوا للقرآن ، ولا ينقادوا لأوامره ، ﴿ والغوا فيه ﴾ أي : إذا تلى لا تستمعوا له . كما قال مجاهد : ﴿ والغوا فيه ﴾ ، يعني بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ القرآن ، قريش تفعله .

وقال الضحاك عن ابن عباس : ﴿ والغوا فيه ﴾ : عيبوه .

وقال قتادة : اجحدوا به ، وأنكروه وعادوه .

﴿ لعلكم تغلبون ﴾ : هذا حال هؤلاء الجبهة من الكفار ، ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن . وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين بخلاف ذلك فقال : ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ ثم قال تعالى منتصراً للقرآن ، ومنتقماً ممن عاداه من أهل الكفران : ﴿ فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ﴾ أي : في مقابلة ما اعتمدوه في القرآن وعند سماعه ، ﴿ ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون ﴾ أي : بشر أعمالهم ، وسَيِّئُ فعالهم^[٤] ﴿ ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يحسدون * وقال الذين كفروا ربنا أَرْنَا اللذين أضلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ .

قال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل ، عن مالك بن الحُصَيْن الفَزَارِي ، عن أبيه ، عن علي - رضي الله عنه - في قوله : ﴿ اللذين أضلَّانَا ﴾ قال : إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه .

[٢] - في خ ، ز : « المعاصي » .

[١] - سقط من : ز .

[٤] - في ت : « أفعالهم » .

[٣] - في ز : « حقق » .

وهكذا روى^[١] حبة العرنبي عن عليّ مثل ذلك .

وقال السدي : عن علي : فإبليس يدعو به كلّ صاحب شرك ، وابن آدم يدعو به كل صاحب كبيرة ، فإبليس - لعنه الله - هو الداعي إلى كل شر من شرك فما دونه ، وابن آدم الأول . كما ثبت في الحديث : « ما قُتِلَت نفس ظلماً إلا كان عليّ ابن آدم الأول كِفْل من دمه ؛ لأنه أول من سن القتل »^(٢٦) .

وقوله : ﴿ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا ﴾ أي : أسفل منا في العذاب ليكونا أشد عذاباً منا ، ولهذا قالوا : ﴿ لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ أي : في الدرك الأسفل من النار ، كما تقدم في « الأعراف » من سؤال الأتباع من الله أن يعذب قادتهم أضعاف عذابهم ، قال : ﴿ لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾ أي : إنه تعالى قد أعطى كلّاً منهم ما يستحقه من العذاب والنكال ، بحسب عمله وإفساده ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زَدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُلِّ آلٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَِرٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ أي : أخلصوا العمل لله ، وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم .

قال الحافظ أبو يعلى الموصلي^(٢٧) : حدثنا الجراح ، حدثنا سلم^[٢] بن قتيبة أبو قتيبة الشّعيري ، حدثنا سهيل بن أبي خزم ، حدثنا ثابت ، عن أنس بن مالك قال : قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ ، قد قالها ناس^[٣] ثم كفر أكثرهم ، فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها .

(٢٦) - تقدم تخريجه في سورة المائدة الآية رقم (٣٠) .

(٢٧) - إسناده ضعيف ؛ في إسناده سهيل بن أبي حزم القطعي وهو ضعيف . وهو في مسند أبي يعلى (٦/ ٣٤٩٥) ومن طريقه ابن عدي في الكامل (١٢٨٨/٣) وأخرجه الترمذی (٣٢٥٠) في كتاب التفسير =

[١] - في ت : « رواه » .

[٣] - في ز : « قوم » .

[٢] - في ز : « مسلم » .

وكذا رواه النسائي في تفسيره والبخاري وابن جرير عن عمرو بن علي الفلاس عن سلم^[١] بن قتيبة ، به . وكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن الفلاس ، به^[٢] . ثم قال ابن جرير :

حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عامر ابن سعد^[٣] ، عن سعيد بن نمران قال : قرأت عند أبي بكر الصديق هذه الآية : ﴿ إِنْ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ ، قال : هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً^(٢٨) .

ثم روى من حديث الأسود بن هلال قال : قال أبو بكر رضي الله عنه ماتقولون^[٤] في هذه الآية : ﴿ إِنْ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ ؟ قال^[٥] : فقالوا : ﴿ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ من ذنب . فقال : لقد حملتموها على غير المحمل ، ﴿ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ ، فلم يلتفتوا إلى إله غيره ، وكذا قال مجاهد وعكرمة والسدي وغير واحد .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبد الله الظهري ، أخبرنا حفص بن عمر العدني ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة قال : سئل ابن عباس رضي الله عنهما : أي آية في كتاب الله أربخص ؟ قال : قوله : ﴿ إِنْ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ على شهادة أن لا إله إلا الله .

وقال الزهري : تلا عمر هذه الآية على المنبر ، ثم قال : استقاموا - والله - لله بطاعته ، ولم يروغوا رَوْغَانَ الثعالب .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ على أداء فرائضه . وكذا قال قتادة ، قال : وكان الحسن يقول : اللهم ، أنت ربنا ، فارزقنا الاستقامة .

وقال أبو العالية : ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ : أخلصوا له العمل والدين .

وقال الإمام أحمد^(٢٩) : حدثنا هشيم ، حدثنا يعلى بن عطاء ، عن عبد الله بن سفيان

= باب : ومن سورة حم السجدة ، والنسائي في الكبرى (١١٤٧٠) ، من طريق عمرو بن علي الفلاس عن سلم بن قتيبة به . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وزاد السيوطي في الدر نسبه إلى البخاري ، وابن مردويه ، وابن أبي حاتم :

(٢٨) - تفسير الطبري (١١٤/٢٤) .

(٢٩) - حديث صحيح . أخرجه أحمد (٣٨٤/٤) وأخرجه أيضًا (٤١٣/٣) والدارمي (٢٧١٣) والنسائي في الكبرى (١١٤٨٩) من طريق يعلى بن عطاء عن عبد الله بن سفيان عن أبيه به .

[٢] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « تقول » .

[١] - في ز : « مسلم » .

[٣] - في ز : « سعيد » .

[٥] - مضب عليه في : ز .

الثقفي ، عن أبيه ، أن رجلاً قال: يا رسول الله، مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحدًا بعدك. قال: « قل : آمنت بالله ، ثم استقم » . قلت : فما أتقي ؟ فأومأ إلى لسانه . ورواه النسائي من حديث شعبة عن يعلى بن عطاء به .

ثم قال الإمام أحمد^(٣٠) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا إبراهيم بن سعد ، حدثني ابن شهاب ، عن محمد بن عبد الرحمن بن ماعز العامري^[١] ، عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال : قلت : يا رسول الله، حدثني بأمر أعتصم به . قال: « قل: ربي الله، ثم استقم » . قلت: يا رسول الله ، ما أكثر ما تخاف علي ؟ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بطرف لسان نفسه ، ثم قال : « هذا » . وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه ، من حديث الزهري ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقد أخرجه مسلم في صحيحه والنسائي^(٣١) ، من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن سفيان بن عبد الله الثقفي . قال : قلت : يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك . قال : « قل : آمنت بالله ، ثم استقم » . وذكر تمام الحديث .

وقوله: ﴿تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قال مجاهد ، والسدي ، وزيد بن أسلم ، وابنه : يعني عند الموت قائلين ﴿أَنْ لَا تَخَافُوا﴾ قال مجاهد ، وعكرمة ، وزيد بن أسلم : أي مما تقدمون^[٢] عليه من أمر الآخرة ، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ ، على ما خلفتموه من أمر الدنيا ، من ولد وأهل ، ومال أو دين ، فإننا نخلفكم فيه ، ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فيبشرونهم بذهاب الشر [وحصول الخير]^[٣] .

وهذا كما في حديث البراء - رضي الله عنه - : « إن الملائكة تقول لروح المؤمن : اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمريه ، اخرجي إلى روح وريحان ، ورب غير غضبان » .

وقيل : إن الملائكة تنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم . حكاه ابن جرير عن ابن عباس ، والسدي .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد السلام بن مطهر ، حدثنا جعفر بن سليمان : سمعت ثابتاً [قرأ سورة « حم »]^[٤] السجدة » ، حتى بلغ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا

(٣٠) - مسلم في الإيمان من صحيحه باب جامع أوصاف الإسلام حديث رقم (٦٢) (٣٢)

(٣١) - أخرجه أحمد (٤١٣/٣) ، والدارمي (٢٧١٤) ، والترمذي (٢٤١٠) ، وابن ماجه (٣٩٧٢) ، من طريق الزهري عن محمد بن عبد الرحمن بن ماعز به .

[١] - في ت : « الغامدي » .

[٢] - في ز : « يقدمون » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين بياض في : ز .

اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴿٣٠﴾ . فوقف فقال : بلغنا أن العبد المؤمن حين^[١] يبعثه الله من قبره يلتقيه ملكاه^[٢] اللذان كانا معه في الدنيا ، فيقولان له : لا تخف ولا تحزن ، ﴿ وَأَبشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ ﴿٣١﴾ قال : فيؤمن الله خوفه ، ويُقَرِّر عينه ، فما عظيمة يَحْشَى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قُرَّة عين ، لما هَدَاهُ اللَّهُ ، ولما كان يعمل له في الدنيا^(٣٢) .

و^[٣٣] قال زيد بن أسلم : يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث . رواه ابن أبي حاتم . وهذا القول يجمع الأقوال كلها ، وهو حسن جدًا ، وهو الواقع .

وقوله : ﴿ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ أي : [تقول الملائكة للمؤمنين]^[٣٤] عند الاحتضار : نحن كنا أولياءكم ، أي : قرناءكم في الحياة الدنيا ، نُسدِّدكم ونوفقكم ، ونحفظكم بأمر الله ، وكذلك نكون معكم في الآخرة ، نُؤنس منكم الوحشة في القبور ، وعند النفخة في الصور ، ونؤمنكم يوم البعث والنشور ، ونجاوز بكم الصراط المستقيم ، ونوصلكم إلى جنات النعيم . ﴿ ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ﴾ أي : في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهي النفوس ، وتقر به العيون ، ﴿ ولكم فيها ما تدعون ﴾ [أي : مهما طلبتم وجدتم ، وحضر بين أيديكم كما اخترتم]^[٣٥] ، ﴿ نزلًا من غفور رحيم ﴾ [أي : ضيافة وعطاء وإنعاما من غفور لذنوبكم ، رحيم بكم رءوف ، حيث غفر ، وستر ، ورحم ولطف .

وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديث « شوق الجنة » عند قوله تعالى : ﴿ ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون » نزلًا من غفور رحيم ﴿^[٣٦] ، فقال :

حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين أبي سعيد ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني حشاش بن عطية ، عن سعيد بن المسيب : أنه لقي أبا هريرة ، فقال أبو هريرة : نسأل الله أن يجمع بيني وبينك في شوق الجنة . فقال سعيد : أو فيها سوق ؟ قال : نعم ، أخبرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أن أهل الجنة إذا دخلوا فيها ، نزلوا بفضل أعمالهم ، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا ، فيزورون الله - عز وجل - ويرز لهم عرشه ، ويَبْدَى لهم في روضة من رياض الجنة ، وتوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من

(٣٢) - عزاه السيوطي في الدر (٦٨٣/٥) إلى ابن أبي حاتم ، وابن المنذر . وإسناده حسن ، جعفر بن سليمان تكلم فيه بعضهم من قبل مذهبه في التشيع ، ووثقه جماعة .

[١] - في ز : « حيث » .

[٢] - في خ : « الملكان » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « يقول للمؤمن الملائكة » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

فضة ، ويجلس أذنهم وما فيهم ذنئ على كثنان المسك والكافور ما يرون بأن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً .

قال أبو هريرة : قلت : يا رسول الله ، وهل تَرَى ربنا ؟ قال : « نعم ، [هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟] قلنا : لا . قال صلى الله عليه وسلم : « فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم تعالى » [١] ، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة ، حتى إنه ليقول للرجل منهم : يا فلان بن فلان ، أتذكر يوم عملت كذا وكذا ؟ - يذكّره ببعض غدراته في الدنيا - فيقول : أي رب ، أفلم تغفر لي ؟ فيقول : بلى ، فبِسَعَةِ مغفرتي بلغت منزلتك هذه . قال : فبينما هم على ذلك ، غَشِيَتْهم سحابة من فوقهم ، فأمرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط . قال : ثم يقول ربنا - عز وجل - : قوموا إلى ما أعددْتُ لكم من الكرامة ، وخذوا ما اشتهيتم . قال : فنأثي سواقاً قد حَفَّت به الملائكة ، فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله ، ولم تسمع الأذان ، ولم يخطر على القلوب . قال : فيحمل لنا ما اشتهينا ، ليس يباع فيه شيء ولا يُشترى ، وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضاً . قال : فيقبل الرجل ذو المنزلة الرفيعة ، فيلقى من هو دونه - وما فيهم ذنئ فيزوجه ما يرى [٢] عليه من اللباس ، فما ينقضي آخر [٣] حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه ، وذلك لأنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها . ثم ننصرف إلى منازلنا ، فيتلقانا أزواجنا فيقلن : مرحباً وأهلاً بحبنا ، لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقنا عليه . فيقول : إنا جالسنا اليوم [ربنا الجبار] [٤] - عز وجل - ويَحِقُّنا أن نَتَّقَلَبَ بمثل ما انقلبنا به .

وقد رواه الترمذي في « صفة [٥] الجنة » من جامعه ، عن محمد بن إسماعيل ، عن هشام ابن عمار ، ورواه ابن ماجة عن هشام بن عمار ، به نحوه [٦] .

ثم قال الترمذي : « هذا حديث غريب ، لانعرفه إلا من هذا الوجه » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله »

(٣٣) - حديث ضعيف . أخرجه الترمذي (٢٥٤٩) ، وابن ماجة (٤٣٣٦) ، وابن أبي عاصم في السنة (٥٨٥) ، وابن حبان (٧٤٣٨) ، وتام في فوائده (١٧٨٧) ، والعقيلي في الضعفاء ٤١/٣ من طريق هشام ابن عمار به .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « الجبار ربنا » .

[٥] - في خ ، ز : « قصة » .

لقاءه . قلنا : يارسول الله ، كلنا نكره الموت ؟ قال : « ليس ذلك كراهية الموت^[١] ، ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير من الله بما هو صائر إليه ، فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله فأحب الله لقاءه » . قال : « وإن الفاجر - أو الكافر - إذا حضر جاءه بما هو صائر إليه من الشر - أو : ما يلقى من الشر - فكره لقاء الله ، فكره الله لقاءه » .

وهذا حديث صحيح وقد ورد في الصحيح من غير هذا الوجه^(٣٤) .

وهذا الحديث اختلف فيه على الأوزاعي . فقد رواه عبد الحميد بن حبيب - كما ذكر المصنف - عن الأوزاعي عن حسان بن عطية به ، وعبد الحميد بن حبيب لينة غير واحد ، وقد خالفه الوليد بن مسلم عند ابن عساكر في تاريخه (٤٠ / ٥) ، والهقل بن زياد عند ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ، باب : سوق الجنة حديث رقم (٢٥٦) كلاهما عن الأوزاعي قال نبئت أن سعيد بن المسيب لقي أبا هريرة ... الحديث . وهذا أصح . فالهقل بن زياد ، والوليد بن مسلم من أثبت أصحاب الأوزاعي . ولم يذكر الواسطة بين الأوزاعي وبين سعيد والحديث رواه سويد بن عبد العزيز عن الأوزاعي على ثلاثة أوجه :

الأول : عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيد أنه لقي أبا هريرة الحديث . فوافق بها رواية عبد الحميد ابن حبيب عن الأوزاعي . أخرجه ابن أبي عاصم (٥٨٦) ، والآجري في الشريعة ص ٢٦٠ ، والعقيلي في الضعفاء (٤٢ / ٣) ، وتما في فوائده (١٧٨٨ - الروض) .

الثاني : عن الأوزاعي قال : نبئت أن سعيد ... الحديث ، فوافق بها رواية الوليد بن مسلم ، والهقل بن زياد عن الأوزاعي ، أخرجه ابن عساكر (٤ / ٤٠) .

الثالث : عن الأوزاعي عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب به فجعل الواسطة بين الأوزاعي وبين سعيد عبد الرحمن بن حرملة .

والحديث رواه أيضًا عبد القدوس بن حجاج عن الأوزاعي فقال : عن الزهري عن سعيد بن المسيب فذكره . فجعل الواسطة بين الأوزاعي وسعيد الزهري . أخرجه تمام في فوائده (١٧٩٠ - الروض) ، وابن عساكر في تاريخه (٧ / ٤٠) .

وحكى الدارقطني في العلل (٢٧٦ / ٧) أن عبد القدوس بن حجاج رواه عن الأوزاعي قال : نبئت عن أبي هريرة . ولم يذكر حتى سعيد بن المسيب ثم رجحها قائلًا : وهذا أشبهها بالصواب اهـ . ورواه محمد بن مصعب القرقيساني عن الأوزاعي فقال : عن الزهري قال : قال لي سعيد . فجعل الزهري الواسطة بين الأوزاعي وبين سعيد ، أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٧ / ٤٠ - ٨) ، قال الدارقطني في العلل : وهم في قوله عن الزهري اهـ .

فالحاصل : أن هذا الحديث ضعيف لإبهام الواسطة بين الأوزاعي وبين سعيد بن المسيب وكل الطرق التي ذكر فيها اسم الواسطة معلولة للمخالفة والله أعلم . وانظر الضعيفة (١٧٢٢) ، والعلل للدارقطني (٧ / ٢٧٥) .

(٣٤) - حديث صحيح . المسند (٢٣٧ / ٣) ، وأخرجه أبو يعلى (٣٨٧٧) ، والبزار (٧٨٠ - كشف) وعزاه المزى في التحفة (٧١٢) إلى النسائي في الكبرى مستدركه على الحافظ بن عساكر ، وتبعه ابن حجر في الفتح (٣٠٨ / ١١) وهذا الحديث يرويه أنس عن عبادة بن الصامت ، أخرجه أحمد ٣٣١ / ٥ ، والبخاري في الرقاق ح (٦٥٠٧) ، ومسلم في الذكر والدعاء حديث (٢٦٨٣) .

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله﴾ ، أي : دعا عبادة الله إليه ، ﴿وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ أي : وهو في نفسه مهتد بما يقوله ، [فنفعه لنفسه]^[١] ولغيره لازم ومتعد ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه ، وينهون عن المنكر ويأتونه ، بل يأتمر بالخير ويترك الشر ، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى . وهذه عامة في كل من دعا إلى خير ، وهو في نفسه مهتد ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - أولى الناس بذلك ، كما قال محمد بن سيرين ، والسدي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقيل : المراد بها المؤذنون الصلحاء ، كما ثبت في صحيح مسلم : « المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة »^(٣٥) .

وفي السنن مرفوعاً : « الإمام ضامن ، والمؤذن مؤتمن ، فأرشد الله الأئمة ، وغفر للمؤذنين »^(٣٦) .

(٣٥) - صحيح مسلم في كتاب الصلاة ، باب : فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه ، حديث رقم (٣٨٧) .

(٣٦) - حديث صحيح . أخرجه الشافعي في الأم ١٤١/١ ، والحميدي (٩٩٩) ، والطبراني (٢٤٠٤) ، وأحمد (٢٨٤/٢ ، ٣٨٢ ، ٤٢٤ ، ٤٦١ ، ٤٧٢) ، وأبو داود (٥١٨) ، والترمذي (٢٠٧) ، والطحاوي في المشكل ٥٢/٣ ، والطبراني في الصغير ص ٥٩ ، ١٢٣ ، ١٦٤ ، وأبو نعيم في الحلية ١١٨/٧ ، والخطيب في تاريخه (٢٤٢/٣) ، (٣٨٧/٤) ، (٤١٢/٩) ، (٣٠٦/١١) ، والبيهقي (٤٣٠/١) من طريق الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة . وأعل البيهقي هذا الحديث بالانقطاع بين الأعمش وأبي صالح . فقد أخرجه أحمد ٢٣٢/٢ ، وأبو داود (٥١٧) ، ومن طريقه البيهقي ٤٣٠/١ - من طريق الأعمش عن رجل عن أبي صالح به . وأجيب عن ذلك بأجوبة . انظرها في نيل الأوطار ٣٣٤/١ ، وفي الإرواء ١/٢٣٢ ، وفي الباب عن عائشة عند أحمد ٦٥/٦ ، والطحاوي ٥٣/٣ ، والبيهقي ٤٣١/١ وفي سنده ضعف . ولقوله صلى الله عليه وسلم : « الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن » شواهد انظرها في الإرواء ٢٣١/١ (٢١٧) .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « نفسه بنفسه » .

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن عروبة الهروي، حدثنا غسان قاضي هراة، وقال أبو زرعة: حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن مطر، عن الحسن، عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: سهام المؤذنين عند الله يوم القيامة كسهام المجاهدين، وهو بين الأذان والإقامة كالمشحط في سبيل الله في دمه.

قال: وقال ابن مسعود: لو كنت مؤذنًا ما باليت أن لا أحج ولا أعتمر ولا أجاهد.

قال: وقال عمر بن الخطاب: لو كنت مؤذنًا لكمل أمري، وما باليت أن لا أنتصب لقيام الليل ولا لصيام النهار^[١]، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم اغفر للمؤذنين». ثلاثًا، قال: فقلت: يا رسول الله، تركتنا ونحن نجتلد^[٢] على الأذان بالسيوف. قال: «كلا يا عمر، إنه يأتي على الناس زمان يتركون الأذان^[٣] على ضغفائهم، وتلك لحوم حرمها الله على النار، لحوم المؤذنين»^(٣٧).

قال: وقالت عائشة: ولهم هذه الآية: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾، قالت^[٤]: فهو المؤذن إذا قال: «حي على الصلاة». فقد دعا إلى الله.

وهكذا قال ابن عمر وعكرمة: إنها نزلت في المؤذنين.

وقد ذكر البغوي عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - أنه قال في قوله: ﴿وعمل صالحاً﴾، قال: يعني صلاة ركعتين بين الأذان والإقامة.

ثم أورد البغوي حديث عبد الله بن المغفل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بين كل أذانين صلاة». ثم قال في الثالثة: «لمن شاء».

وقد أخرجه الجماعة في كتبهم، من حديث عبد الله بن بريدة، عنه^(٣٨).

وحديث الثوري، عن زيد^[٥] العتي، عن [أبي إياس]^[٦] معاوية بن قرة، عن أنس بن

(٣٧) - أورده المصنف في مسند الفاروق عن أبي بكر الإسماعيلي بسنده إلى الحسن البصري عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا إسناد منقطع بين الحسن وعمر بن الخطاب. انظر مسند الفاروق ١/١٤٤.

(٣٨) - أخرجه أحمد (٨٦/٤)، (٥٤/٥)، (٥٥/٥)، والبخاري في كتاب الأذان باب كم بين =

[١] - في ز: «نهار». [٢] - في خ، ز: «نجهت».

[٣] - سقط من: خ، ز. [٤] - في ز: «قال».

[٥] - في ز: «يزيد».

[٦] - ما بين المعكوفتين في خ، ز: «أبي أمامة بن».

مالك رضي الله عنه ، قال الثوري : لا أراه إلا قد رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : « الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة » (٣٩) .

ورواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي في « اليوم والليلة » ، كلهم من حديث الثوري ، به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن (٤٠) .

ورواه النسائي أيضًا من حديث سليمان التيمي عن قتادة عن أنس به .

والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم ، فأما حال نزول هذه الآية فإنه لم يكن الأذان مشروعًا بالكلية ؛ لأنها مكية ، والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة ، حين أريته عبد الله ابن زيد بن عبد ربه الأنصاري في منامه ، فقضيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن يلقيه على بلال فإنه أندى صوتًا ، كما هو مقرر^[١] في موضعه ، فالصحيح إذا أنها عامة ، كما قال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الحسن البصري : أنه تلا هذه الآية : ﴿ ومن أحسن قولاً ﴾

= الأذان والإقامة ح (٦٢٤) وطره في (٦٢٧) ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب : بين كل أذانين صلاة ، ح (٨٣٨) ، وأبو داود في الصلاة باب الصلاة قبل المغرب ح رقم (١٢٨٣) ، والترمذي في كتاب الصلاة ، باب ما جاء في الصلاة قبل المغرب ، حديث (١٨٥) ، والنسائي في كتاب الأذان ، باب : الصلاة بين الأذان والإقامة حديث رقم (٦٨١) ، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة ... باب : ما جاء في الركعتين قبل المغرب حديث (١١٦٢) .

(٣٩) - هذا الحديث أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٤٩٥/١) وابن أبي شيبة (٢٢٥/١٠) ، وأحمد ١١٩ ، وأبو داود في الصلاة (٥٢١) ، والترمذي في الصلاة (٢١٢) ، وفي الدعوات (٣٥٩٥) ، والنسائي في كتاب عمل اليوم والليلة من الكبرى ، باب : الترغيب في الدعاء بين الأذان والإقامة (٩٨٩٦) - (٩٨٩٧) ، والطبراني في الدعاء باب فضل الدعاء بين الأذان والإقامة ح (٤٨٣) ، والبيهقي (٤١٠/١) من طريق وكيع وأبي نعيم وأبي أحمد الزبيري عن سفيان الثوري عن زيد العمى عن أبي إياس عن أنس بن مالك به . وسقط من مصنف ابن أبي شيبة المطبوع ذكر « سفيان » ، وهذا إسناد ضعيف لحال زيد العمى فإنه كان سيئ الحفظ ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح وقد رواه أبو إسحاق الهمداني عن بريد بن أبي مريم عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا . وأخرجه النسائي في الكبرى (٩٨٩٨) من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري به موقوفًا ، وكذا رواه قتادة عن أنس من قوله . أخرجه النسائي في الكبرى (٩٨٩٩ - ٩٩٠٠) . أما حديث بريد بن أبي مريم عن أنس والذي ذكره الترمذي فأخرجه ابن أبي شيبة (٢٢٦/١٠) ، وأحمد (١٥٥/٣ ، ٢٥٤) ، (٢٢٥/٣) ، وابن خزيمة (٤٢٦ - ٤٢٧) ، وابن حبان (١٦٩٥) من طرق عنه به ، وانظر الإرواء (٢٦٢/١) .

(٤٠) - كذا نقل المصنف عن الترمذي أنه قال : « حديث حسن » وسبق في التعليق على الهامش السابق أنه قال : « حديث حسن صحيح » ، وكذا هي في النسخة التي بين أيدينا والتي قام الشيخ أحمد شاكر بتحقيقها وأثبت كلمة : « صحيح » ثم علق عليها قائلًا : « زيادة من ع ، و ، م وهي زيادة جيدة اه . وهذا يعني أن بعض النسخ ورد فيها : « حديث حسن » بدون صحيح ، وكذا أثبتتها الحافظ المزى في تحفة الأشراف (١٥٩٤) قائلًا : « ت في الصلاة ... وقال حسن » اه ، وقال ابن حجر في نتائج الأفكار =

مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ، فقال : هذا حبيب الله ، هذا ولي الله ، هذا صفوة الله ، هذا خيرة الله ، هذا أحب أهل الأرض إلى الله ، أجاب الله في دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب الله [فيه من]^[١] دعوته ، وعمل صالحاً في إجابته ، وقال : إنني من المسلمين ، هذا خليفة الله .

وقوله : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ أي : فرق عظيم بين هذه وهذه ، ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ أي : من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه ، كما قال عمر : ما عاقبت من عصي الله فيك بمثل^[٢] أن تطيع الله فيه .

وقوله : ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ ، وهو الصديق ، أي : إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادتة تلك الحسنه إليه إلى مصافاتك ومحبتك ، والحنو عليك ، حتى يصير كأنه ولي لك حميم ، أي : قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك .

ثم قال : ﴿ وَمَا يَلْقَاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ أي : وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على^[٣] ذلك ، فإنه يشق^[٤] على النفوس ، ﴿ وَمَا يَلْقَاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ أي : ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية : أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الإساءة ، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان ، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم .

وقوله : ﴿ وَإِنَّمَا يَنزَغُكُمُ الشَّيْطَانُ نَزْغًا فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ أي : إن شيطان الإنس ربما ينخدع بالإحسان إليه ، فأما شيطان الجن فإنه لا حيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك ، فإذا استعذت بالله ولجأت إليه ، كف عنك ورد كيده . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة يقول : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه »^(٤١) .

= (٣٤/أ) - كما في حاشية الدعاء للطبراني (١٠٢١/٢) - : « ولم أر هذه الزيادة في النسخ الموثقة ... وعددها » اهـ ، يعنى كلمة : « صحيح » فالله أعلم .

(٤١) - حديث صحيح بمجموع طرقه . أخرجه ابن أبي شيبة ٢٣١/٢ ، وأبو داود الطيالسي (٩٤٧) ، وأحمد ٨٥/٤ ، وأبو داود في الصلاة (٧٦٤) ، وابن ماجه في الصلاة (٨٠٧) ، وابن الجارود في المنتقى (١٨٠) ، والحاكم ٢٣٥/١ ، والبيهقي ٣٥/٢ ، وابن حبان في الثقات ٢٢٢/٢ وغيرهم من طريق عمرو بن مرة عن عاصم العزى عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير به . قال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي . قلت : في إسناده عاصم العزى وقد اختلف في اسمه ، ولم يوثقه أحد . وقال =

[١] - ما بين المعكوفين في خ ، ز : « في » . [٢] - في ز : « أن بمثل » .

[٣] - سقط من : ز . [٤] - في ز : « مشق » .

وقد قدمنا أن هذا المقام لانظير له في القرآن إلا في « سورة الأعراف » عند قوله تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين * وإما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴾ ، وفي سورة المؤمنين عند قوله : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون * وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ .

وَمِنْ آيَاتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا
لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾
فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْئَمُونَ
﴿٣٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ
وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

يقول تعالى منها خلقه على قدرته العظيمة ، وأنه الذي لا نظير له ، وأنه على ما يشاء قادر ، ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ﴾ أي : إنه خلق الليل بظلامه ، والنهار بضيائه ، وهما متعاقبان لا يقرآن ، والشمس ونورها وإشراقها ، والقمر وضيائه وتقدير منازلها في فلكه ، واختلاف سيره [في سمائه]^[١] ، ليغرف باختلاف سيره وسير الشمس مقادير الليل والنهار ، والجمع والشهور والأعوام ، ويتبين بذلك حلول الحقوق ، وأوقات العبادات والمعاملات .

ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي ، نبه تعالى على أنهما مخلوقان عبيدان من عبيده ، تحت قهره وتسخيره ، فقال : ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ أي : ولا تشركوا به ، فما تنفعكم^[٢] عبادتكم له مع عبادتكم لغيره ، فإنه لا يغفر أن يشرك به . ولهذا قال : ﴿ فإن استكبروا ﴾ أي : عن أفراد العبادة له وأتوا إلا أن يشركوا معه غيره ، ﴿ فالذين عند ربك ﴾ ، يعني الملائكة ﴿ يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾ ، كقوله : ﴿ فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ﴾ .

وقال الحافظ أبو يعلى^(٤٢) : حدثنا سفيان - يعني ابن وكيع - حدثنا أبي ، عن ابن أبي

= الحافظ : « مقبول » . وللحديث شواهد كثيرة انظر الإرواء ٥٣/٢ (٣٤٢) .

(٤٢) - المسند (٢١٩٤) وأخرجه الطبراني في الأوسط (٤٦٩٨ ، ٢٧٩٥) ، وفي الدعاء (٢٠٥١) ، =

[١] - ما بين المعكوتين في ز : « سماء » . [٢] - في ز : « ينفعكم » .

ليلي ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا الليل ولا النهار ، ولا الشمس ولا القمر ، ولا الرياح فإنها ترسل رحمة لقوم ، وعذابا لقوم » .

وقوله : ﴿ ومن آياته ﴾ أي : على قدرته على إعادة الموتى ﴿ أنك ترى الأرض خاشعة ﴾ أي : هامدة لا نبات فيها ، بل هي ميتة ، ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ﴾ ، أي : أخرجت من جميل^[١] ألوان الزروع والثمار ، ﴿ إن الذي أحيها لحبي الموتى إنه على كل شيء قدير ﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾
بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكُنتُمْ عِزٌّ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾

قوله : ﴿ إن الذين يلحدون في آياتنا ﴾ قال ابن عباس : الإلحاد وضع الكلام على غير مواضعه . وقال قتادة : وغيره هو الكفر والعناد .

وقوله : ﴿ لا يخفون علينا ﴾^[٢] : فيه تهديد شديد ، ووعيد أكيد ، أي : إنه تعالى عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وصفاته ، وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال ، ولهذا قال : ﴿ أفمن يلقي في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة ﴾ أي : أيسوي هذا وهذا ؟ لا يستويان .

[ثم قال - عز وجل - تهديدا للكفرة : ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ قال مجاهد ، والضحاك ، وعطاء الخراساني : ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ : وعيد . أي : من خير أو شر ، إنه عالم بكم وبصير بأعمالكم . ولهذا قال : ﴿ إنه بما تعملون بصير ﴾]^[٣] .

ثم قال : ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم ﴾ ، قال الضحاك ، والسدي ، وقاتدة :

= وقام في فوائده (١١٣٦ - الروض) من طرق عن سعيد بن بشير . كلاهما - سعيد بن بشير وابن أبي ليلى - عن أبي الزبير عن جابر به مرفوعا . قال الهيثمي في المجمع ٧/٨ : رواه الطبراني في الأوسط وفيه سعيد بن بشير وثقه جماعة وضعفه جماعة وبقي رجاله ثقات . ورواه أبو يعلى بإسناد ضعيف اهـ .

[١] - في ز : « جميع » .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

[٢] - بعده في ت : أي .

وهو القرآن ، ﴿ وإِنَّهٗ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ أي : منيع الجنب ، لا يُرام أن يأتي أحد بمثله ، ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ أي : ليس للبطلان إليه سبيل ، لأنه منزل من رب العالمين ، ولهذا قال : ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ أي : حكيم في أقواله وأفعاله ، حميد بمعنى محمود ، أي : في جميع ما يأمر به وينهى عنه الجميع محموداً عواقبه وغاياته .

ثم قال : ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرَّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ ، قال قتادة ، والسدي ، وغيرهما : ما يقال لك من التكذيب إلا كما قد قيل للرسل من قبلك فكما قد كُذِّبَتْ فقد كذبوا ، وكما صَبَرُوا على أذى قومهم لهم^[١] ، فاصبر أنت على أذى قومك لك . وهذا اختيار ابن جرير ، ولم يحك هو ولا ابن أبي حاتم غيره .

وقوله : ﴿ إِنْ رِبِّكَ لَذُوْ مَغْفِرَةٍ ﴾ أي : لمن تاب إليه ، ﴿ وَذُوْ عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي : لمن استمر على كفره ، وطغيانه ، وعناده ، وشقاقه ، ومخالفته .

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد عن علي ابن زيد عن سعيد بن المسيب قال: لما^[٢] نزلت هذه الآية: ﴿ إِنْ رِبِّكَ لَذُوْ مَغْفِرَةٍ ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْلَا غُفْرُ اللَّهِ وَتَجَاوُزُهُ مَا هُنَا أَحَدًا الْعِشَى ، وَلَوْلَا وَعِيدُهُ وَعِقَابُهُ لَأَتَّكَلَّ كُلُّ أَحَدٍ » .

وَلَوْ جَعَلْتَهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيْٓ أَذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾

لما ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته ، وإحكامه في لفظه ومعناه ، ومع هذا لم يؤمن به المشركون تبَّه على أن كفرهم به كُفْرُ عناد وتعنت ، كما قال : ﴿ ولو نزلناه على بعض الأعجمين * فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ﴾ ، وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغه العجم ، لقالوا على وجه التعنت والعناد^[٣] : ﴿ لولا فصلت آياته أعجمي وعربي ﴾ أي : لقالوا : هلا أنزل مفصلاً بلغة العرب ولأنكروا ذلك وقالوا : أعجمي وعربي ؟ أي : كيف ينزل كلام أعجمي

[٢] - سقط من : ز .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في خ ، ز : « والفساد » .

على مخاطب عربي لا يفهمه؟!

هكذا زُوي هذا المعنى عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والسدي ، وغيرهم .

وقيل : المراد بقولهم : ﴿لولا فصلت آياته أعجمي وعربي﴾ أي : هلا أنزل بعضهما بالأعجمي وبعضها بالعربي ؛ هذا قول الحسن البصري ، وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام في قوله ﴿أعجمي﴾ وهو رواية عن سعيد بن جبير ، وهو في العناد أبلغ .

ثم قال تعالى : ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾ أي : قل يا محمد : هذا القرآن لمن آمن به هدىً لقلبه ، وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب ، ﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر﴾ أي : لا يفهمون ما فيه ، ﴿وهو عليهم عمى﴾ أي : لا يهتدون إلى ما فيه من البيان ، كما قال تعالى : ﴿ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ قال مجاهد يعني : بعيد من قلوبهم .

قال ابن جرير : معناه كأن^[١] من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد ، لا يفهمون ما يقول .

قلت : وهذا كقوله تعالى : ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ وقال الضحاك : ينادون يوم القيامة بأشنع أسمائهم وقال السدي : كان عمر بن الخطاب جالساً عند رجل من المسلمين يقضي ، إذ قال : يالليكه . فقال عمر : لم ثلثي ؟ هل رأيت أحداً ، أودعاك أحد ؟ قال : دعاني داع من وراء البحر . فقال عمر : ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ أي : كُذِّب وأوذى^[٢] ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى﴾ بتأخير الحساب إلى يوم المعاد ، ﴿لقضي بينهم﴾ أي : لعجل لهم العذاب ، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً ، ﴿والهم لفي شك منه مريب﴾ أي : وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا ، بل كانوا شاكين فيما قالوا ، غير محققين لشيء كانوا فيه . هكذا وجهه^[٣] ابن جرير وهو محتمل ، والله أعلم .

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

إِلَيْهِ يَرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ۖ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا

[١] - في خ : « مكان » ، وفي ز : « فكأن » . [٢] - في خ ، ت : « وأذى » .

[٣] - في ز : « وجه » .

تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَتَيْنَ شُرَكَاءِي قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ

﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾

يقول تعالى : ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ﴾ أي : [إنما يعود نفع ذلك على نفسه]^[١] ، ﴿ ومن أساء فعليها ﴾ أي : [إنما يرجع وبال ذلك عليه] ، ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ أي : لا يعاقب أحداً إلا بذنب ، ولا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه ، وإرسال الرسول إليه .

ثم قال : ﴿ إليه يرد علم الساعة ﴾ أي : لا يعلم ذلك أحدٌ سواه ، كما قال صلى الله عليه وسلم ، وهو سيد البشر لجبريل وهو من سادات الملائكة ، حين سأله عن الساعة ، فقال : « ما المسئول عنها بأعلم من السائل »^[٢] وكما قال تعالى : ﴿ إلى ربك منتهاها ﴾ وقال : ﴿ لا يجليها لوقتها إلا هو ﴾ .

وقوله : ﴿ وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ أي : الجميع بعلمه^[٣] لا يعزب عن علمه من^[٤] مقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وقد قال تعالى : ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ﴾ . وقال [جلت عظمتها]^[٥] : ﴿ يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار ﴾ وقال : ﴿ وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ .

وقوله : ﴿ ويوم يناديهم أين شركائي ﴾ أي : يوم القيامة ينادي الله المشركين على رءوس الخلائق : أين شركائي الذين عبدتموهم معي ؟ ﴿ قالوا أذنك ﴾ أي : أعلمناك ، ﴿ ما منا من شهيد ﴾ أي : ليس أحد منا اليوم يشهد أن معك شريكاً ، ﴿ وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل ﴾ أي : ذهبوا فلم ينفعوهم ، ﴿ وظنوا ما لهم من محيص ﴾ [أي : وظن المشركون يوم القيامة ، وهذا بمعنى اليقين] ﴿ ما لهم من محيص ﴾^[٦] أي : لا محيد لهم عن عذاب الله ، كقوله تعالى : ﴿ ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً ﴾

لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ

(٤٣) - أخرجه البخارى فى الإيمان ، باب : سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام ، حديث (٥٠) ، ومسلم فى الإيمان (١) (٨) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - فى ز : « يعلمه » .

[٣] - سقط من خ ، ت .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً
وَلَكِنْ تُرْجَعُ إِلَى رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا
وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ
وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾

يقول تعالى : لا يَمَلُ الإنسان من دعائه ربه بالخير - وهو : المال ، وصحة الجسم ، وغير ذلك ، ﴿ وإن مسه الشر ﴾ ، وهو : البلاء أو الفقر ﴿ فيؤس قنوط ﴾ أي : [يقع في ذهنه]^[١] أنه لا يتهيأ له بعد هذا خير .

﴿ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي ﴾ أي : إذا أصابه خير ورزق بعد ما كان في شدة ليقولن : هذا لي ، إني كنت أستحقه عند ربي ، ﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾ أي : يكفر بقيام الساعة ، أي : لأجل أنه تحوّل نعمة بفخر ، ويطر ، ويكفر ، كما قال تعالى : ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى ﴾ .

﴿ ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى ﴾ أي : ولئن كان ثم معاد فليحسنن إليّ ربي ، كما أحسن إليّ في هذه الدار ، يتمنى على الله - عز وجل - بعد^[٢] إساءته العمل وعدم اليقين . قال الله تعالى : ﴿ فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ ﴾ يتهدد تعالى من كان هذا عمله واعتقاده ، بالعقاب والنكال .

ثم قال : ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ﴾ أي : أعرض عن الطاعة ، واستكبر عن الانقياد لأوامر الله - عز وجل - كقوله تعالى : ﴿ فتولى بركنه ﴾

﴿ وإذا مسه الشر ﴾ أي : الشدة ، ﴿ فذو دعاء عريض ﴾ ، أي : يطيل المسألة في [الشيء الواحد]^[٣] . فالكلام العريض : ما طال لفظه وقل معناه ، والوجيز : عكسه ، وهو : ما قل ودل . وقد قال تعالى : ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مَرَّ كَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ زُرٍّ مَّسَهُ ﴾ ... الآية .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَن أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي
شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَتَرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ

[١] - ما بين المعكوفين سقط من : خ . [٢] - في ت : « مع » .

[٣] - ما بين المعكوفين في خ ، ز : « الذي يؤاخذ » .

أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمَ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيتِهِ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾

يقول تعالى : ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن : ﴿ أرايتم إن كان هذا القرآن ﴾ من عند الله ثم كفرت به ﴿ أي : كيف تُزَوِّن حالكم عند الله الذي أنزله على رسوله ولهذا قال : ﴿ من أضل ممن هو في شقاق بعيد ﴾ أي : في كفر وعناد ومشاقة للحق ، ومسلك بعيد من الهدى .

ثم قال : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ﴾ أي : سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله عز وجل - على رسوله صلى الله عليه وسلم - بدلائل خارجية^[١] ﴿ في الآفاق ﴾ ، من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقالييم وسائر الأديان .

قال مجاهد ، والحسن ، والسدي : ودلائل في أنفسهم ، قالوا : وقعة بدر ، وفتح مكة ، ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم ، نصر الله فيها محمداً وصحبه ، وخذل فيها الباطل وحزبه

ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاق والهيئات العجيبة ، كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى . وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة ، من حسن وقبيح وبين ذلك ، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله ، وقوته ، وحيله ، وحذره أن يجوزها ، ولا يتعدها .

كما أنشده ابن أبي الدنيا في كتابه « التفكير والاعتبار » ، عن شيخه أبي جعفر القرشي : حيث قال - وأحسن المقالة - :

وَإِذَا نَظَرْتَ تُرِيدُ مُعْتَبِرًا	فَانْظُرْ إِلَيْكَ فَفِيكَ مُعْتَبِرٌ
أَنْتَ الَّذِي يُنْسَى وَيُنْسَى فِي الدَّ	دُنْيَا وَكُلُّ أَمُورِهِ عِبَرٌ
أَنْتَ الْمَصْرُوفُ ^[٢] كَانَ فِي صِغَرِ	ثُمَّ اسْتَقَلَّ بِشَخْصِكَ الْكِبَرُ
أَنْتَ الَّذِي تَنْعَاهُ خَلْقُهُ	يَنْعَاهُ مِنْهُ الشُّعْرُ وَالْبَشَرُ
أَنْتَ الَّذِي تُعْطَى وَتُسَلَبُ لَا	يُنْجِيهِ مِنْ أَنْ يُسَلَبَ الْحَذَرُ
أَنْتَ الَّذِي لَاشِيءٌ مِنْهُ لَهُ	وَأَحَقُّ مِنْهُ بِمَالِهِ الْقَدَرُ

[١] - في ز : « خارجة » .

[٢] - في ز : « المتصرف » .

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^[١] أي: كفى بالله شهيدًا على أفعال عباده وأقوالهم، وهو يشهد أن محمدًا صادق فيما أخبر به عنه، كما قال: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾^[٢].

وقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾^[٣] أي: في شك من قيام الساعة، ولهذا لا يتفكرون فيه، ولا يعملون له، ولا يحذرون منه، بل هو عندهم هَدَرٌ لا يعبأون به، وهو واقع لا ريب فيه وكائن لا محالة.

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا خلف بن تميم، حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد الأنصاري: أن عمر بن عبد العزيز صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فإني لم أجمعكم لأمر أحدثته^[١] فيكم، ولكن فكرت في هذا الأمر الذي أنتم إليه صائرون، فعلمت أن المصدق بهذا الأمر أحق، والمكذب به هالك، ثم نزل.

ومعنى قوله - رضي الله عنه - : «أن المصدق به أحق»، أي: لأنه لا يعمل له عمل مثله، ولا يحذر منه ولا يخاف من هوله، وهو^[٢] مع ذلك مصدق به، موقن بوقوعه، وهو مع ذلك يتمادى في لعبه وغفلته وشهواته وذنوبه، فهو أحق بهذا الاعتبار، والأحق في اللغة: ضعيف العقل.

وقوله: ﴿وَالْمَكْذِبُ بِهِ هَالِكٌ﴾^[٣]: هذا واضح، والله أعلم. ثم قال تعالى مقررًا على أنه على كل شيء قدير، وبكل شيء محيط، وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾^[٤] أي: المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته، وتحت طي علمه، وهو المتصرف فيها كلها بحكمه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

[آخر تفسير سورة فصلت]^[٣].



[١] - في ز: «أحدثه».

[٢] - سقط من: ز.

[٣] - سقط من: ز.

جبار عنيد منهم ، ثم ^[١] يخسف الله بها وبهم جميعاً ، فذلك قوله : ﴿ حم * عسق ﴾ ، يعني : عزيمة من الله تعالى وقتنة وقضاء حتم : ﴿ حم ﴾ ، «عين» يعني : عدلاً منه ، «سين» : يعني سيكون ، «ق» : يعني واقع لهاتين المدينتين .

وأغرب منه ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي ^(٢) في الجزء الثاني من مسند ابن عباس ، وعن أبي ذر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ، ولكن إسناده ضعيف جداً ومنقطع ، فإنه قال :

حدثنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم ، حدثنا أبو عبد الملك الحسن بن يحيى الحشني الدمشقي ، عن أبي ^[٢] معاوية قال : صعد عمر بن الخطاب المنبر فقال : أيها الناس ، هل سمع منكم ^[٣] أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر : ﴿ حم * عسق ﴾ ؟ فوثب ابن عباس فقال : أنا . قال : ﴿ حم ﴾ اسم من أسماء الله [تعالى] . قال : فعين ؟ قال : عاين المولود عذاب يوم بدر . قال : فسین ؟ قال : سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . قال : ففاف ؟ فسكت ، فقام أبو ذر ففسر كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وقال : قاف : قارة من السماء تغشى الناس ^[٤] .

وقوله : ﴿ كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ﴾ أي : كما أنزل إليك هذا القرآن ، كذلك أنزل الكتب والصحف على الأنبياء قبلك . وقوله : ﴿ الله العزيز ﴾ أي في انتقامه ، ﴿ الحكيم ﴾ في أقواله وأفعاله .

قال الإمام مالك ^(٣) - رحمه الله - : عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم [فقال : يا رسول الله ^[٥] ، كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليّ فيفصم عني ، وقد وعيت ما قال . وأحياناً يأتيني الملك رجلاً فيكلمني ، فأعي ما يقول » . قالت عائشة : فلقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه ،

(٢) - عزاه في الدر المنثور إلى ابن عساكر ، وأبي يعلى ، وقال : إسناده ضعيف . وهو - كما قال المصنف - ضعيف جداً . الحسن بن يحيى ضعفه غير واحد . وقال الدارقطني : متروك ، وقال ابن حبان : استحق الترك . والحديث عزاه في المطالب (٤٠٩٢) إلى أبي يعلى .

(٣) - أخرجه مالك في الموطأ « جامع القراءة » حديث (٢٧٠) ، والبخاري في بدء الوحي من صحيحه حديث (٢) ، ومسلم في الفضائل ، باب : طيب عرق النبي صلى الله عليه وسلم حديث (٢٢٣٣) من طريق هشام بن عروة به .

[١] - في ز : « من » . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « أحد منكم » . [٤] - ما بين المعكوفتين يياض في خ ، ز .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وإن يجيبه ليتفصّد عَرَقًا .

أخرجاه في الصحيحين ولفظه للبخاري .

وقد رواه الطبراني^(٤) عن عبد الله ابن الإمام أحمد ، عن أبيه ، عن عامر بن صالح ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن الحارث بن هشام : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف ينزل عليك الوحي ؟ فقال : « مثل صلصلة الجرس ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال^[١] » . قال : « وهو أشده عليّ » . قال : « وأحياناً يأتيني الملك فيتمثل لي فيكلمني ، فأعي ما يقول » .

وقال الإمام أحمد^(٥) : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عمرو ابن الوليد ، عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، هل تحس بالوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسمع صلاصل ثم أسكن^[٢] عند ذلك ، فما من مرة يوحى إليّ إلا ظننت أن نفسي تُقبض » . تفرد به أحمد .

وقد ذكرنا كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول شرح البخاري بما أغنى عن إعادته هاهنا ، ولله الحمد والمنة .

وقوله تعالى : ﴿ له ما في السماوات وما في الأرض ﴾ أي : الجميع عبيد له وملك له ، تحت قهره وتصريفه ، ﴿ وهو العلي العظيم ﴾ ، [كقوله تعالى^[٣] : ﴿ الكبير المتعال ﴾ وهو العلي الكبير ﴾ والآيات في هذا كثيرة .

(٤) - المعجم الكبير (٣٣٤٣) عن عبد الله بن أحمد به . والحديث أخرجه أحمد (٢٥٧/٦) عن عامر بن صالح - من ولد عبد الله بن الزبير ، قال : حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن الحارث بن هشام . فجعله أيضًا من مسند الحارث بن هشام . قال الحافظ في الفتح (١٩/١) : ويحتمل أن يكون الحارث أخبرها بذلك بعد ، فيكون من مرسل الصحابة - يعني حديث عائشة السابق - وهو محكوم بوصله عند الجمهور . وقد جاء ما يؤيد ذلك ؛ ففي مسند أحمد من طريق عامر بن صالح ... وساق حديث أحمد ثم عقب قائلاً : وعامر ضعيف ، لكن وجدت له متابعا ... والمشهور الأول . اهـ . يعني أن المشهور الحديث من مسند عائشة لا من مسند هشام .

(٥) - المسند (٢٢٢/٢) . وعزه في الجمع (٢٥٦/٨) إلى الطبراني وقال : إسناده حسن . قلت : في إسناده ابن لهيعة ، والكلام فيه مشهور ، والحديث صحيح بما سبق من مسند عائشة ، والحارث بن هشام . والله أعلم .

[٢] - في ت : « أسكت » .

[١] - في ت : « قاله » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴾ ، قال ابن عباس ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وكعب الأحبار : أي فَرَقًا من العظمة . ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، كتوله : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ وقوله : ﴿ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ إعلام بذلك وتنويه به .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ يعني المشركين ﴿ اللَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي : شهيد على أعمالهم ، يحصيها ويعدّها عدّا ، وسيجزئهم بها أوفر الجزاء . ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ أي : إنما أنت نذير ، والله على كل شيء وكيل .

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ



يقول تعالى : وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك ، ﴿ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ أي : واضحا جليا بينا ، ﴿ لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى ﴾ وهي مكة ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ أي : من سائر البلاد شرقا وغربا . وسُمّيت مكة « أم القرى » ؛ لأنها أشرف من سائر^[١] البلاد ، لأدلة كثيرة مذكورة في مواضعها . ومن أوجز ذلك وأدله ما قال الإمام أحمد^(١) :

حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله ابن عدي بن الحمراء الزهري أخبره ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو واقف

(٦) - المسند (٣٠٥/٤) ، وأخرجه عبد بن حميد (٤٩١) ، والدارمي (٢٥١٣) ، والترمذي في المناقب ، باب : فضل مكة (٣٩٢٥) ، والنسائي في الكبرى : كتاب الحج ، باب : فضل مكة (٤٢٥٢ - ٤٢٥٣) ، وابن ماجه في المناسك ، باب فضل مكة (٣١٠٨) ، وابن حبان (٣٧٠٨) ، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٦٢١) ، والفسوى في التاريخ (٢٤٤/١) ، والحاكم (٤٣١/٣) ، وابن الأثير في أسد الغابة (٣/٣٣٦) ، وابن حزم في المحلى (٢٨٩/٧) ، والمزى في تهذيب الكمال (٢٩١/١٥) ، من طرق عن الزهري عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدي به . ورواه ابن أخي الزهري عند الحاكم (٢٨٠/٣) عن الزهري عن محمد بن جبير - بدلا من أبي سلمة - عن عبد الله بن عدي فذكره ، وابن أخي الزهري روايته ضعيفة في الزهري انظر شرح العليل ص ٢٦٧ - ٢٦٨ . ورواه عبد الرزاق عن معمر - عند أحمد (٣٠٥/٤) =

بالخَزْزَرَةِ^[١] في سوق مكة: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت». وهكذا رواه^[٢] الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، من حديث الزهري، به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقوله: ﴿وتنذر يوم الجمع﴾، وهو يوم القيامة، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد.

وقوله: ﴿لا ريب فيه﴾ أي: لا شك في وقوعه وأنه كائن لا محالة.

وقوله: ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾، كقوله: ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن﴾ أي: يغيب^[٣] أهل الجنة أهل النار وكقوله تعالى: ﴿ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نُؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد﴾.

قال الإمام أحمد^(٧): حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا ليث، حدثني أبو قبيل^[٤]

= والنسائي في الكبرى (٤٢٥٤)، والبخاري (٤٠/٢ - ١١٥٦ - كشف) - عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة. فجعله من مسند أبي هريرة. وهذه الرواية وهم. قال البزار: لا نعلم رواه عن الزهري إلا معمر اه. يعني بهذا الإسناد، قال الحافظ في الإصابة (١٦٣/٦): اختلف على الزهري فيه، فقال الأكثر: عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدي بن الحمراء، وقال معمر: عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ومرة أرسله، وقال ابن أخي الزهري: عن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عدي. والمحفوظ الأول. قال البغوي لا أعلم له غيره. اه. وثم خلافت آخر على الزهري في هذا الحديث انظره في علل ابن أبي حاتم (٢٨٢/١) ورواه البزار برقم (١١٥٧ - كشف) من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة. وهذه الرواية أيضًا وهم. فقد تفرد بها محمد بن عمرو، قال الترمذي: وحديث الزهري عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدي، أصح. وقال ابن أبي حاتم، وأبو زرعة كما في العلل (١/٢٨٠) عن حديث محمد بن عمرو: هذا خطأ، وهم فيه محمد بن عمرو، ورواه الزهري عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدي وهو الصحيح. اه.

(٧) - المسند (١٦٧/٢)، وأخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٢٦٣)، والترمذي في القدر (٢١٤١)، والنسائي في التفسير من الكبرى (١١٤٧٣)، والطبري في التفسير (٧/٢٥)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٤٨)، وابن وهب في القدر (١٣) والفرجاني في القدر (٤٥ - ٤٦)، وأبو نعيم في الحلية ١٦٨/٥ - ١٦٩، والبغوي في التفسير من طرق عن أبي قبيل عن شفي عن عبد الله بن عمرو به، وهذا الإسناد جيد قوى. أبو قبيل وثقه غير واحد. وقال الحافظ: صدوق يهيم. وشفي: تابعي جليل، وترجم له بعضهم في كتب الصحابة. وللعلامة أحمد شاكر كلام نفيس على توجيه معنى هذا الحديث، فانظره في تحقيقه لهذا الحديث على مسند أحمد. والحديث أخرجه البغوي في تفسيره (١٢٠/٤) من وجه آخر عن عبد الله بن عمرو عن النبي، صلى الله عليه وسلم.

[٢] - في ت: «رواية».

[٤] - في ز: «قيل».

[١] - في ز: «بالخزورة».

[٣] - في ت: «يخدم».

الْمَغْفَرِي^[١] ، عَنْ شُقَيْي الْأَصْبَحِي ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ ، فَقَالَ : « أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ ؟ » . قَالَ^[٢] : قُلْنَا : لَا ، إِلَّا أَنْ تَخْبِرَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيُمْنِي : « هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، بِأَسْمَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَقِبَائِلِهِمْ ، ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى آخِرِهِمْ لَا يَزَادُ فِيهِمْ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُمْ أَبَدًا » . ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الْيُسْرَى : « هَذَا كِتَابُ أَهْلِ النَّارِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَقِبَائِلِهِمْ ، ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى آخِرِهِمْ ، لَا يَزَادُ فِيهِمْ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُمْ أَبَدًا » . فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَلَايَ شَيْءٍ إِذَا^[٣] نَعْمَلُ إِنْ كَانَ هَذَا أَمْرًا^[٤] قَدْ فُرِّغَ مِنْهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، فَإِنْ صَاحِبُ الْجَنَّةِ يَخْتِمُ لَهُ بِعَمَلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ ، وَإِنْ صَاحِبُ النَّارِ لِيَخْتِمَ لَهُ بِعَمَلِ النَّارِ ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ » . ثُمَّ قَالَ بِيَدَيْهِ فَقَبِضَهُمَا^[٥] ، ثُمَّ قَالَ : « فَرِّغْ رَيْكُم - عَزَّ وَجَلَّ - مِنَ الْعِبَادِ » . ثُمَّ قَالَ بِالْيُمْنِي فَنَبَذَ بِهَا فَقَالَ : « فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ » ، وَنَبَذَ بِالْيُسْرَى فَقَالَ : « فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ » .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعًا ، عن قتيبة ، عن الليث بن سعد وبكر بن مضر ، كلاهما عن أبي قَبِيل^[٦] ، عَنْ شُقَيْي بْنِ مَانِعٍ الْأَصْبَحِي ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، بِهِ .

وقال الترمذي : « حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ » . وساقه البغوي في تفسيره من طريق بشر بن بكر ، عن سعيد بن عثمان ، عن أبي الزاهرية ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرَهُ بِنَحْوِهِ . وَعِنْدَهُ زِيَادَاتٌ مِنْهَا ؛ ثُمَّ قَالَ : « فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ، عَدَلَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عبد الله بن صالح - كاتب الليث - عن الليث ، بِهِ

ورواه ابن جرير^(٨) عن يونس ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبي قَبِيل ، عَنْ شُقَيْي ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، فَذَكَرَهُ ثُمَّ رَوَى عَنْ يُونُسَ ، عَنْ ابْنِ وَهْبٍ ، عَنْ عَمْرٍو بْنِ

(٨) - تفسير الطبري (٧/٢٥) بهذا الإسناد . وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٧١٣) من طريق آخر عن يحيى بن أسيد به . وقول المصنف : (والموقوف أشبه) . يفهم منه أنه جعل حديث عبد الله ابن عمرو المرفوع وحديثه الموقوف حديثًا واحدًا وعليه رجح الموقوف ، والذي يظهر لي أنهما حديثان مختلفان ، والمرفوع فيه زيادات ليست في الموقوف ، وإن كان الموقوف جزءًا منه والله أعلم . وهذا وإسناد الموقوف ضعيف ، يحيى بن أبي أسيد ترجم له البخاري في التاريخ (٢٦١/٨) ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٢٩/٩) ولم يذكر في جرح ولا تعديلًا وروى عنه جماعة ، ولم يوثقه معتبر فهو مجهول الحال .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ت : « أمر » .

[٦] - في ز : « قيل » .

[١] - في ز : « المغفري » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ت : « قبضها » .

الحارث وحيوة بن شريح ، عن يحيى بن [أبي أسيد]^[١] : أن أبا فراس حَدَّثه : أنه سمع عبد الله ابن عمرو يقول : إن الله لما خلق آدم نفضه نفض المزود^[٢] وأخرج منه كل ذريته فخرج أمثال النغف فقبضهم قبضتين ، ثم قال : شقي وسعيد . ثم ألقاهما ثم قبضهما فقال : فريق في الجنة وفريق في السعير . وهذا الموقف أشبه بالصواب . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد رحمه الله^(٩) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - أخبرنا الجريري ، عن أبي نضرة أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له : أبو عبد الله ، دخل عليه أصحابه يعودونه وهو يكي ، فقالوا له : ما يُكيك ؟ ألم يقل لك رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذ من شاربك ثم أقره حتى تلقاني » . قال : بلى ، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله قبض يمينه^[٣] قبضة ، وأخرى باليد الأخرى ، قال : هذه لهذه ، وهذه لهذه ولا أبالي » . فلا أدري في أي القبضتين أنا .

وأحاديث القدر في الصحاح والسنن والمسانيد كثيرة جداً ، منها حديث علي ، وابن مسعود ، وعائشة ، وجماعة جمة .

وقوله : ﴿ ولو شاء الله لجمعهم أمة واحدة ﴾ أي : إما على الهداية أو على الضلالة ، ولكنه تعالى فاوت بينهم ، فهدى من شاء^[٤] إلى الحق ، وأضل من شاء^[٥] عنه ، وله الحكمة والحجة البالغة . ولهذا قال : ﴿ ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ﴾ .

وقال ابن جرير^(١٠) : حدثني يونس أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن أبي

(٩) - المسند (١٧٦/٤) ، (٦٨/٥) وذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٢١٥/٦) من طريق حماد بن سلمة عن سعيد الجريري به وهذا الإسناد صحيح على شرط مسلم ، والجريري وإن كان قد اختلط بأخرة إلا أن حماد بن سلمة ممن سمع منه قبل الاختلاط كما ذكر العجلي في ثقافته (٣٩٤/١) والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (١٨٦/٧) وقال : رواه أحمد وأحمد ورجاله رجال الصحيح اهـ ، وفي القبضتين أحاديث انظر الأسماء والصفات للبيهقي (٧٠٥ - ٧١٥) ، والصحيحة (٤٧ - ٥٠) .

(١٠) - أخرجه الطبري في تفسيره (٩/٢٥) ووقع في المطبوع من التفسير « ... عن عمرو بن الحارث ، عن أبي شُبَّويه عن ابن حجرية » ولا أعرف من سماه بأبي شُبَّويه ، وإنما ترجم له المزي في تهذيبه باسم أبي سَوَيْة ، وترجم له ابن حبان باسم أبي سويد كما عند المصنف ، وقال : وقد غلط من سماه أبا سوية ، وقال الحافظ في التقریب : أبو سويد ويقال : أبو سوية ، فالله أعلم ، قال ابن حجر في التقریب : صدوق اهـ ، وأثنى عليه ابن يونس ، وابن ماكولا وعلى كل فلا يخفى أن الحديث بهذا السياق ضعيف من حيث =

[١] - ما بين المعكوفين في ز : « الأسد » . [٢] - في ز : « المروء » .

[٣] - سقط من : خ . [٤] - في ت : « يشاء » .

[٥] - في ت : « يشاء » .

سويد حدثه ، عن ابن حَجيرة : أنه بلغه أن موسى - عليه السلام - قال : يارب خَلِّقْكَ الذين خلقتهم ، جعلت منهم فريقًا في الجنة وفريقًا في النار ، لوما أدخلتهم كلهم الجنة ؟ ! فقال : يا موسى ، ارفع دَزعَكَ . فرفع ، قال : قد رفعت . قال : ارفع . فرفع^[١] ، فلم يترك شيئًا ، قال : يارب ، قد رفعت . قال : ارفع . قال : قد رفعت ، إلا ما لا خير فيه . قال : كذلك أدخل خلقي كلهم الجنة ، إلا ما لا خير فيه .

أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

يقول تعالى منكراً على المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله ، ومخبراً أنه الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده ، فإنه القادر على إحياء الموتى وهو على كل شيء قدير .

ثم قال : ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾ أي : مهما اختلفتم فيه من الأمور ، وهذا عام في جميع الأشياء ، ﴿ فحكمه إلى الله ﴾ أي هو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، كقوله : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾ ﴿ ذلكم الله ربي ﴾ أي : الحاكم في كل شيء ، ﴿ عليه توكلت وإليه أئيب ﴾ ، أي : أرجع في جميع الأمور .

وقوله : ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ أي : خالقهما وما بينهما ، ﴿ جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾ أي : من جنسكم وشكلكم ، مئةً عليكم وتفضلاً ، جعل من جنسكم ذكراً وأنثى ﴿ ومن الأنعام أزواجاً ﴾ أي : خلق لكم في الأنعام ثمانية أزواج .

وقوله : ﴿ يذُرُوكُمْ فِيهِ ﴾ أي : يخلقكم فيه ، أي : في ذلك الخلق على هذه الصفة لا

= الإسناد فإنه من بلاغات ابن حَجيرة عن موسى عليه السلام ، وقد ورد نحو هذا الأثر عن موسى من بلاغات عمار ابن يسار عن ابن عساكر في تاريخه ٣٧١/١٧ مخطوط « ترجمة موسى بن عمران عليه السلام » .

يزال يذروكم^[١] فيه ذكور وإناث ، خلقًا من بعد خلق ، وجيلًا بعد جيل ونسلًا بعد نسل من الناس والأنعام .

[وقال البغوي رحمه الله : ﴿ يذروكم فيه ﴾ أي : في الرحم . وقيل : في البطن . وقيل : في^[٢] هذا الوجه من الحلقة .

قال مجاهد : ونسلًا بعد نسل في الناس والأنعام^[٣] . وقيل : « في » بمعنى « الباء » ، أي : يذروكم به .

﴿ ليس كمثله شيء ﴾ أي : ليس كخالق الأزواج كلها شيء ؛ لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له ، ﴿ وهو السميع البصير ﴾ .

وقوله : ﴿ له مقاليد السموات والأرض ﴾ تقدم تفسيره في « سورة الزمر » ، وحاصل ذلك أنه المتصرف الحاكم^[٤] فيهما ، ﴿ يسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ أي : يوسع على من يشاء ، ويضيق على من يشاء ، و^[٥] له الحكمة والعدل التام ، ﴿ إنه بكل شيء عليم ﴾ .

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مُرِيبٌ ﴿١٤﴾

يقول تعالى لهذه الأمة : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ﴾ ، فذكر أول الرسل بعد آدم وهو نوح - عليه السلام - وآخرهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهم : إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم عليهم السلام . وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة ، كما اشتملت آية « الأحزاب » عليهم في قوله :

[١] - بعده في ت : يذروكم .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : خ .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ﴾ الآية . والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو : عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يُوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ . وفي الحديث : « نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد »^[١] . أي : القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم ؛ كقوله تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ أي : وصلى الله سبحانه وتعالى جميع الأنبياء عليهم السلام بالائتلاف والجماعة ، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف .

وقوله : ﴿ كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾ أي : شق عليهم وأنكروا ما تدعوهم إليه يا محمد ، من التوحيد .

ثم قال : ﴿ الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ أي : هو الذي يُقَدِّر الهداية لمن يستحقها ، ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد ، ولهذا قال : ﴿ وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم ﴾ أي : إنما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه إليهم ، وقيام الحجة عليهم ، وما حملهم على ذلك إلا البغي والعناد والمشاقة .

ثم^[٢] قال تعالى : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى ﴾ أي : لولا الكلمة السابقة من الله بإنظار العباد بإقامة حسابهم إلى يوم المعاد ، لعجل لهم العقوبة في الدنيا سريعا .

وقوله : ﴿ وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم ﴾ ، يعني : الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكذب للحق ﴿ لفي شك منه مريب ﴾ أي : ليسوا على يقين من أمرهم ، وإنما هم مقلدون لأبائهم وأسلافهم ، بلا دليل ولا برهان ، وهم في حيرة من أمرهم ، وشك مريب ، وشقاق بعيد .

فَلِذَلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حِجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات ، كل منها منفصلة عن التي قبلها ، حكم برأسه ، قالوا : ولا نظير لها سوى آية الكرسي ، فإنها أيضا عشرة فصول كهذه .

فقوله^[٣] : ﴿ فلذلك فادع ﴾ أي : فللذي أوحينا إليك من الدين الذي وصينا به جميع

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ت : « قوله » .

المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولي العزم وغيرهم ، فادْعُ الناس إليه .

وقوله : ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ﴾ أي : واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله كما أمرك الله عز وجل

وقوله : ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ، يعني : المشركين فيما اختلقوه ، وكذبوه ، وافتروه من عبادة الأوثان .

وقوله : ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ أي : صَدَقْتُ بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء ، لا نفرق بين أحد منهم .

وقوله : ﴿وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي : في الحكم كما أمرني الله .

وقوله : ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ أي : هو المعبود ، لا إله غيره ، فنحن نقر بذلك اختيارًا ، وأنتم وإن لم تفعلوه اختيارًا ، فله يسجد من في العالمين طوعًا واختيارًا .

وقوله : ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ أي : نحن برآء منكم ، كما قال تعالى : ﴿وَأَنْ كَذَبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بِرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ .

وقوله : ﴿لَا حِجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ ، قال مجاهد : أي لا حُصُومَة . قال السدي : وذلك قبل نزول آية السيف . وهذا مُتَّجِه ؛ لأن هذه الآية مكية ، وآية السيف بعد الهجرة .

وقوله : ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ أي : يوم القيامة ، كقوله : ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ﴾ .

وقوله : ﴿وَالِيهِ الْمَصِيرُ﴾ أي : المرجع والمآب يوم الحساب .

وَالَّذِينَ يَحْجُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ

وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ

يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾

يقول تعالى متوعداً الذين يَصُدُّونَ عن سبيل الله مَنْ آمَنَ بِهِ : ﴿وَالَّذِينَ يَحْجُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي : يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ، ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى ، ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي : باطلة عند الله ، ﴿وَالَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أي : يجادلون في الساعة لئلا يعلموا أنها الحق .

غضب ﴿ أي : منه ، ﴿ ولهم عذاب شديد ﴾ أي يوم القيامة .

قال ابن عباس ، ومجاهد : جادلوا المؤمنين بعدما استجابوا لله ولرسوله ، ليصدوهم عن الهدى ، وطمعوا أن تعود الجاهلية .

وقال قتادة : هم اليهود والنصارى ، قالوا لهم : ديننا خير من دينكم ، [ونبينا قبل نبيكم ، ونحن خير منكم]^[١] ، وأولى بالله^[٢] منكم . وقد كذبوا في ذلك .

ثم قال : ﴿ الله الذي أنزل الكتاب بالحق ﴾ ، يعني : الكتب المنزلة من عنده على أنبيائه ﴿ والميزان ﴾ ، وهو : العدل والإنصاف . قاله مجاهد ، وقتادة . وهذه كقوله تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ وقوله : ﴿ والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ﴾ .

وقوله : ﴿ وما يدريك لعل الساعة قريب ﴾ فيه ترغيب فيها وترهيب منها وتزهيد^[٣] في الدنيا .

وقوله : ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴾ أي : يقولون : ﴿ متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ ؟ وإنما يقولون ذلك تكديتاً واستبعاداً ، وكفراً وعناداً . ﴿ والذين آمنوا مشفقون منها ﴾ أي : خائفون وجُلُونَ من وقوعها ، ﴿ ويعلمون أنها الحق ﴾ أي : كائنة لا محالة ، فهم مستعدون لها عاملون من أجلها .

وقد روي من طرق تبلغ درجة التواتر في الصحاح والحسان والسنن والمسانيد وفي بعض ألفاظه : أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوت جهوري ، وهو في بعض أسفاره ، فناداه فقال : يا محمد . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم [نحوًا من صوته]^[٤] : « هاؤم » . فقال : متى الساعة ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويحك ، إنها كائنة ، فما أعددت لها ؟ » . فقال : حُبَّ الله ورسوله . فقال : « أنت مع من أحببت »^[٥] .

(١١) - أخرجه البخارى فى أحاديث الأنبياء برقم (٣٤٤٢ ، ٣٤٤٣) ، ومسلم فى كتاب الفضائل باب فضل عيسى عليه السلام برقم (٢٣٦٥) من حديث أبى هريرة .

(١٢) - أخرجه البخارى فى كتاب الأدب باب علامة الحب فى الله حديث رقم (٦١٧١) ، ومسلم فى البر والصلة باب المرء مع من أحب حديث (٢٦٣٩) من حديث أنس بن مالك ، وأخرجه البخارى فى الموضع السابق حديث (٦١٦٨ - ٦١٧٠) ، ومسلم فى الموضع السابق حديث (٢٦٤٠ - ٢٦٤١) من حديث عبد الله بن مسعود .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - فى ز : « تزهّد » . [٤] - ما بين المعكوفين سقط من : خ ، ز .

فقوله في الحديث : « المرء مع من أحب » . هذا متواتر لا محالة ، والغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة ، بل أمره بالاستعداد لها .

وقوله : ﴿ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يَمَارُونَ فِي السَّاعَةِ ﴾ أي : يحتاجون في وجودها ويدفعون وقوعها ، ﴿ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ أي : في جهل بين ؛ لأن الذي خلق السماوات والأرض قادرٌ على إحياء الموتى بطريق الأولى والأخرى ، كما قال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ .

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِّقَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى مخبراً عن لطفه بخلقه في رزقه إياهم عن آخرهم ، لا ينسى أحداً منهم ، سواء في رزقه البرّ والفاجر ؛ كقوله تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾ . ولها نظائر كثيرة .

وقوله : ﴿ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ أي : يوسع على من يشاء ، ﴿ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ أي : لا يعجزه شيء .

ثم قال : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ ﴾ أي : عمل الآخرة ، ﴿ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾ أي : تقويه ونعيته على ما هو بصدده ، ونكثر نماءه ، ونجزه بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلى ما يشاء الله . ﴿ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ أي : ومن كان إنما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا ، وليس له إلى الآخرة همّة ألبتة^[١] بالكلية ، حزمه الله الآخرة ، والدنيا إن شاء أعطاه منها ، وإن لم يشأ لم يحصل له لا

هذه ولا هذه ، وفاز هذا الساعي بهذه النية بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة .

والدليل على هذا أن هذه الآية هاهنا مُقَيَّدَةٌ بالآية التي في « سبحان » وهي قوله تعالى : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً * كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً * انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾ .

وقال^[١] الثوري : عن مُغَيَّرَةٍ ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بشر هذه الأمة بالسوء والرفعة ، والنصرة والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة من نصيب »^(١٣) .

وقوله : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ أي : هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم ، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس ، من تحريم ما حرموا عليهم ، من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وتحليل الميتة والدم والقمار ، إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالات الباطلة . التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم ، من التحليل والتحریم ، والعبادات الباطلة ، والأقوال الفاسدة .

وقد ثبت في الصحيح^(١٤) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت عمرو بن لُحَيٍّ بن قَمْعَةَ يَجْرُ قُضْبُهُ فِي النَّارِ أَهْ^[٢] أَوَّلُ مَنْ سِيبَ السَّوَابِ » . وكان هذا الرجل أحد

(١٣) - أخرجه أحمد ، وابنه عبد الله في زوائده (١٣٤/٥) ، والحاكم (٣١١/٤ ، ٣١٨) ، والبيهقي في الدلائل (٣١٨/٦) ، والبغوي في شرح السنة (٤١٤٥) من طريق المعتمر بن سليمان ، ويحيى بن يمان ، وزيد ابن الحباب وغيرهم عن الثوري عن المغيرة بن مسلم عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي ... فذكره ، ورواه قبيصة عن الثوري - فقال - عن أيوب عن أبي العالية عن أنبي - فجعل أيوب بدلاً من الربيع ابن أنس . وقبيصة ضعفه ابن معين في حديثه عن الثوري ، والذي يؤيد أن هذا الحديث حديث الربيع بن أنس أن غير الثوري رواه عنه عن أبي العالية . فقد أخرجه أحمد (١٣٤/٥) ، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (١٣٤/٥) من طريق عبد الرحمن بن مهدي ، وعبد الواحد بن غياث - كلاهما - عن عبد العزيز بن مسلم أخى المغيرة بن مسلم عن الربيع به . والحاصل : أن هذا الحديث يرويه المغيرة بن مسلم ، وأخوه عبد العزيز بن مسلم عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب . والربيع بن أنس قال الحافظ في التقریب : صدوق له أوهام ورمى بالتشيع .

قلت : وقد تفرد بهذا الحديث . ومن حسن إسناده فقد أصاب . والله أعلم .

(١٤) - أخرجه البخاري في التفسير باب : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ... ﴾ الآية حديث رقم (٤٦٢٣) ، (٤٦٢٤) ، ومسلم في صفة الجنة حديث رقم (٢٨٥٦) من حديث أبي هريرة .

ملوك خزاعة ، وهو أول من فعل هذه الأشياء ، وهو الذي حَمَلَ قريشًا على عبادة الأصنام ، لعنه الله وقبحه ! ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي : لعوجلوا بالعقوبة ، لولا ما تقدم من الإنظار إلى يوم المعاد ، ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي : شديد موجه في جهنم وبئس المصير .

ثم قال تعالى : ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مَشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ أي : في عرصات القيامة ، ﴿ وهو واقع بهم ﴾ أي : الذي^[١] يخافون منه واقع بهم لا محالة ، هذا حالهم يوم معادهم ، وهم في هذا الخوف والرجل ، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ، فأين هذا من هذا ؟ أين من هو في العرصات في الذل والهوان والخوف المحقق عليه بظلمه ، ممن هو في روضات الجنات ، فيما يشاء من مأكَل ومشرب وملابس ومسكن ومناظر ومناكح وملاذ ، فيما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ؟

قال الحسن بن عرفة : حدثنا عُثْمَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَبَارِ ، حدثنا محمد بن سعد الأنصاري ، عن أبي طَيِّبَةَ قَالَ : إِنْ الشُّرْبُ^(٥) مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَتُظْلِمُهُمُ السَّحَابَةُ فَيَقُولُ : مَا أَمْطَرْتُكُمْ ؟ قَالَ : فَمَا يَدْعُو دَاعٍ مِنَ الْقَوْمِ بِشَيْءٍ إِلَّا أَمْطَرْتَهُمْ ، حَتَّى إِنْ الْقَائِلَ مِنْهُمْ لَيَقُولَ : أَمْطَرْنَا كَوَاعِبَ أَتْرَابًا .

رواه ابن جرير^(١٥) عن الحسن بن عرفة ، به .

ولهذا قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ أي : الفوز العظيم ، والنعمة التامة السابعة الشاملة العامة .

ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقَرِّفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَبَشِّرِ اللَّهَ الْبَاطِلَ وَيُخَيِّطِ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَذَاتِ الضُّدُورِ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى لما ذكر روضات الجنات^[٢] ، لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات : ﴿ ذَلِكَ

(٥) الشرب : الجماعة من القوم يجتمعون على الشراب .

(١٥) - عزاه أيضًا في الدر إلى ابن جرير . ولم أجده في هذا الموضع من الآية عند قوله : ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ فلعله سقط من المطبوع والله أعلم ، وهذا الإسناد رجاله لا بأس بهم ، وقد ترجم الحافظ لكل واحد منهم بقوله : « صدوق » .

الذي ييشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿ أي : هذا حاصل لهم ، كائن لا محالة ، بيشارة الله لهم به .

وقوله : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ أي : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش [١١] : لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالاً تعطوني ، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني ، وتدروني أبلغ رسالات ربي ، إن لم تصبروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة .

قال البخاري (١٦) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عبد الملك بن ميسرة قال [١٢] : سمعت طاوساً عن ابن عباس : أنه سُئِلَ عن قوله تعالى : ﴿ إلا المودة في القربى ﴾ ، فقال سعيد بن جبيرة : قريئ آل محمد . فقال ابن عباس : عَجَلْتُ ، إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة [١٣] ، فقال : إلا أن [تصلوا ما] [١٤] بيني وبينكم من القرابة . انفرد به البخاري .

ورواه الإمام أحمد عن يحيى القطان عن شعبة ، به . وهكذا روى عامر الشعبي ، والضحاك ، وعلي بن أبي طلحة ، والعمري ، ويوسف بن مهران ، وغير واحد ، عن ابن عباس ، مثله . وبه قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي ، وأبو مالك ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني (١٧) حدثنا هاشم بن يزيد الطبراني وجعفر القلانسي قالا : حدثنا آدم بن أبي إياس ، حدثنا شريك ، عن خُصَيْف ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس قال : قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تؤذوني » [١٥] في نفسي لقرباتي منكم ، وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم » .

(١٦) - أخرجه البخاري في التفسير باب : ﴿ إلا المودة في القربى ﴾ حديث رقم (٤٨١٨) ، وأحمد (١/ ٢٢٩ ، ٢٨٦) ، والترمذي في التفسير باب : « ومن سورة حم عسق » حديث رقم (٣٢٥١) ، والنسائي في الكبرى (١١٤٧٤) من طرق عن شعبة به ، وقول المصنف : « انفرد به البخاري » غير صحيح ، فقد رأيت أن الترمذي أخرجه ، وكذلك النسائي في الكبرى .

(١٧) - أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١٢٢٣٣) من هذه الطريق ، وأخرجه في الأوسط عن جعفر بن محمد القلانسي - وحده - به ، ثم أعاده في الكبير (١١/ ١٢٢٣٨) من طريق آخر عن سعيد بن جبيرة ، والحديث عزاه السيوطي في الدر إلى ابن أبي حاتم في تفسيره ، وابن مردويه .

[١] - ما بين المعكوفين في ز : « قل » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفين في ز : « لما » .
[٥] - في ز : « تؤذوني » .

وروى الإمام أحمد^(١٨) ، عن حسن بن موسى : حدثنا قَزعة - يعني ابن سويد - وابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن قَزعة بن سويد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا أسألكم على ما آتيتكم من البينات والهدى أجراً ، إلا أن توادوا الله ، وأن تقربوا إليه بطاعته » .

وهكذا روى قتادة^(١٩) عن الحسن البصري ، مثله . وهذا كأنه تفسير بقول ثان ، كأنه يقول : ﴿ إلا المودة في القربى ﴾ أي : إلا أن تعملوا بالطاعة التي تقربكم عند الله زلفى .

وقول^[٢١] ثالث : وهو ما حكاه البخاري وغيره^(٢٠) ، رواية عن سعيد بن جبير - ما معناه - أنه قال : معنى ذلك أن تودوني في قرابتي ، أي : تحسنوا إليهم وتبروهم .

وقال السدي^(٢١) : عن أبي الديلم قال : لما جيء بعلي بن الحسين أسيراً ، فأقيم على درج دمشق ، قام رجل من أهل الشام فقال : الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم ، وقطع قرني الفتنة . فقال له علي بن الحسين : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم . قال : أقرأت آل حم ؟ قال : قرأت القرآن ، ولم أقرأ آل حم . قال : ما قرأت : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ ؟ قال : وإنكم أنتم هم ؟ قال : نعم .

وقال [أبو إسحاق]^[٢٢] السبيعي : سألت عمرو بن شعيب عن قوله تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ ، فقال : قربى النبي صلى الله عليه وسلم . رواهما ابن جرير^(٢٢) .

ثم قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا عبد السلام ،

(١٨) - المسند (٢٦٨/١) ، وأخرجه الطبراني في الكبير (١١١٤٤/١١) ، والطبري في تفسيره ٢٥/٢٥ ، والحاكم (٤٤٣/٢ ، ٤٤٤) وعزاه في الدر إلى ابن مردويه ، وابن أبي حاتم من هذا الوجه ، وهذا الإسناد ضعيف لضعف قزعة ، وقال في المجمع (١٠٣/٧) : « رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد فيهم قزعة وثقه ابن معين وغيره وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات » ، والحديث صحيحه الحاكم ووافقه الذهبي .

(١٩) - أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦/٢٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به .

(٢٠) - تقدم ضمن تخريج حديث ابن عباس فانظر الصفحة السابقة .

(٢١) - أخرجه الطبري في تفسيره (٢٥/٢٥) من طريق إسماعيل بن أبان قال ثنا الصباح بن يحيى المري عن السدي به ، وإسماعيل بن أبان الوراق رمى بالتشيع ، فلا تقبل له الرواية التي تنصر مذهبه وهذا منه .

(٢٢) - أخرجه الطبري في المصدر السابق .

[١] - في ت : وقول .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « أبو الحسن » .

حدثني يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : قالت الأنصار : فعلنا وفعلنا ، وكأنهم فخرُوا . فقال ابن عباس - أو : العباس ، شك عبد السلام - : لنا الفضل عليكم . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم في مجالسهم فقال : « يامعشر الأنصار ، ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي ؟ » قالوا : بلى ، يا رسول الله . قال : « [ألم تكونوا ضللاً فهداكم الله بي ؟] » قالوا : بلى ، يا رسول الله [٢١] . قال : « أفلا تحبونني ؟ » قالوا : ما نقول يا رسول الله ؟ قال : « ألا تقولون : ألم يخرجك قومك قاونك ؟ أو لم يكذبوك فصدقناك ؟ أو لم يخدوك فنصرتك ؟ » . قال : فما زال يقول حتى جثوا على الركب ، وقالوا : أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله . قال : فنزلت : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن علي بن الحسين ، عن عبد المؤمن بن علي ، عن [٢٢] عبد السلام ، عن يزيد بن أبي زياد - وهو ضعيف - بإسناده مثله ، أو قريباً منه [٢٣] .

وفي الصحيحين [٢٤] في قسم غنائم حنين قريب من هذا السياق ، ولكن ليس فيه ذكر نزول هذه الآية . وذكر نزولها في المدينة فيه [٢٥] نظر ؛ لأن السورة مكية ، وليس يظهر بين هذه الآية الكريمة وبين السياق مناسبة ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم [٢٥] : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا رجل سماه ، حدثنا حسين الأشقر ، عن قيس ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه

(٢٣) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٥/٥) ، وعزاه في الدر إلى ابن مردويه وابن أبي حاتم من هذا الوجه ، وأعله المصنف هنا بيزيد بن أبي زياد . وضعفه ابن حجر في الفتح (٥٦٤/٨) وقال : ويطله أن الآية مكية اهـ .

(٢٤) - أخرجه البخاري في المغازي والسير حديث رقم (٤٣٣٠) ، وفي التمني باب ما يجوز من اللؤ وقوله تعالى : ﴿ لو أن لي بكم قوة ﴾ حديث رقم (٧٢٤٥) مختصراً ، وأخرجه مسلم في الزكاة حديث رقم (١٠٦١) من مسند عبد الله بن زيد به ، وفي الباب عن أنس بن مالك ، وأبي سعيد الخدري ، أخرجهما أحمد (٦٧/٣ و ٧٦ ، ١٠٤ ، ٢٥٣) .

(٢٥) - أخرجه الطبراني ٤٤٤/١١ (١٢٢٥٩) من طريق آخر عن حسين الأشقر به وعزاه السيوطي أيضاً في الدر إلى ابن المنذر وابن مردويه ، وذكره الهيثمي في المجمع (١٧١/٩) وقال : رواه الطبراني وفيه جماعة ضعفاء وقد وثقوا . اهـ . يعنى حسين الأشقر وشيخه قيس بن الربيع ، وعليه فهذا الحديث ضعيف ، من حيث الإسناد ، وأما من حيث المتن ، فهذه الآية نزلت بمكة ولم يكن إذ ذاك لفاطمة أولاد بالكلية ، فإنها لم تنزوج بعلى إلا بعد بدر من السنة الثانية للهجرة كما ذكر المصنف .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز : « بن » .

الآية : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ، قالوا : يارسول الله ، من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم ؟ قال : « فاطمة وولدها عليهم السلام » .

وهذا إسناد ضعيف فيه مبهم لا يعرف عن شيخ شيعي متحرق ، وهو حسين الأشقر ، ولا يقبل خبره في هذا المحل . وذكر نزول هذه الآية في المدينة بعيد ، فإنها مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة أولاد بالكلية ، فإنها لم تتزوج بعلي إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة .

والحق تفسير الآية بما فسرهما به الإمام حبيب الأمة ، وترجمان القرآن ، عبد الله بن عباس ، كما رواه عنه البخاري ، ولا تنكر الوصاة بأهل البيت ، والأمر بالإحسان إليهم ، واحترامهم وإكرامهم ، فإنهم من ذرية طاهرة ، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض ، فخرا وحسبا ونسبا ، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجليلة ، كما كان عليه سلفهم ، كالعباس وبنيه ، وعلي وأهل بيته وذوهم^[١] ، رضي الله عنهم أجمعين .

وفي الصحيح^[٢] (٢٦) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته بغدير خم : « إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي ، وإلهما لم يفترقا حتى يرذا علي الحوض » .

وقال الإمام أحمد^(٢٧) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن يزيد

(٢٦) - أخرجه مسلم في فضائل الصحابة ، باب : من فضائل علي بن أبي طالب حديث رقم (٣٤٠٨) من مسند زيد بن أرقم بنحو السياق التي ذكرها المصنف وليس بلفظه ، ولهذا الحديث شواهد كثيرة . انظرها في الصحيحة (٣٥٥/٤ ، ٣٦١) ، وسيأتي تخريجه مفصلاً عندما يذكر المصنف طريقه بعد قليل .

(٢٧) - هذا الحديث ضعيف مداره على يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف وقد اختلط بأخرة ، وقد اضطرب في هذا الحديث ، فارة يجعله من مسند العباس ، وثارة يجعله من مسند عبد المطلب بن ربيعة ، وفي بعض الطرق سماه المطلب بن ربيعة . أخرجه أحمد ٢٠٧/١ ، ١٦٥/٤ ، وفي الفضائل (١٧٥٧) ، والترمذي في المناقب حديث رقم (٣٧٠٨) ، والنسائي في المناقب من الكبرى حديث رقم (٨١٧٦) ، والبزار (٣١٦) ، والحاكم (٣٣٢/٣) ، والخطيب في تاريخه (٣٨٦/٣) من طرق عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث به . قال البزار : لا نعلم رواه إلا يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث وللحديث طريق أخرى عند ابن ماجه في المقدمة برقم (١٤٠) من طريق محمد بن كعب القرظي عن العباس ، وهذا الإسناد ضعيف لانقطاعه ، فإن محمد بن كعب لم يدرك العباس بن عبد المطلب كما يعلم من تاريخ وفاته ، وله طريق أخرى من مرسل أبي الضحى وهو مسلم بن صبيح قال : قال العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ... فذكره مرسلًا . أخرجه أحمد في الفضائل (١٧٥٦) ، وقد وصله الطبراني في الكبير (٤٣٣/١١) (١٢٢٢٨) ، والخطيب في تاريخه (٣١٦/٥ ، ٣١٧) عن أبي الضحى عن عبد الله بن عباس ، عن العباس ... فذكره . وإسناده ضعيف . ووصله الخطيب من وجه آخر عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة وضعفه أيضًا ، فالخاصل أن هذا الحديث ورد بأسانيد هذا حالها وهي بينة الضعف ، والله أعلم .

[١] - في ت : « وذريته » .

[٢] - في ز : « الصحيحين » .

ابن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت : يا رسول الله ، إن قريشًا إذا لقي بعضهم بعضًا لقَّوهم ببشر حسن ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها ؟ قال : فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبًا شديدًا ، وقال : « والذي نفسي بيده ، لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله » .

ثم قال أحمد : حدثنا جرير ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن عبد المطلب بن ربيعة قال : دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنا لنخرج فنرى قريشًا تحدث ، فإذا رأونا سكتوا . فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرَّ عرق بين عينيه ، ثم قال : « والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمانًا حتى يحبكم لله ولقرايتي » .

وقال البخاري^(٢٨) : حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب ، حدثنا خالد ، حدثنا شعبة ، عن واقد قال^[١] : سمعت أبي يحدث عن ابن عمر ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : ارقبوا محمدًا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته .

وفي الصحيح^(٢٩) : أن الصديق قال لعلي - رضي الله عنهما - : والله لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرايتي .

وقال عمر بن الخطاب للعباس^(٣٠) - رضي الله عنهما - : والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم ؛ لأن إسلامك كان^[٢] أحب إلي رسول الله من إسلام الخطاب .

فحال الشيخين - رضي الله عنهما - هو الواجب على كل أحد أن يكون كذلك ، ولهذا كانا أفضل المؤمنين بعد النبيين والمرسلين - رضي الله عنهما - وعن سائر الصحابة أجمعين .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أبي حيان التميمي ، حدثني يزيد بن حيان قال : انطلقت أنا وحصين بن ميسرة ، وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم ، فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعت حديثه ، وغزوت معه ، وصليت معه . لقد رأيت يا زيد خيرًا كثيرًا . حدثنا

(٢٨) - أخرجه البخاري في المناقب باب مناقب قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم (٣٧١٣)، ثم أعاده في فضل الحسن والحسين حديث رقم (٣٧٥١) من طريق آخر عن شعبة .

(٢٩) - أخرجه البخاري في الموضع السابق حديث رقم (٣٧١٢) .

(٣٠) - أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٩١٤/٨ من طريق إبراهيم بن المهاجر عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال عمر للعباس ... فذكره .

يا زید ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : يا ابن أخي ، والله لقد [كثرت] ^[١] سنتي وقدم عهدي ، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما حدثتكم فاقبلوه ، وما لا فلا تُكلفوني . ثم قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ^[٢] خطيباً فبنا ، بماء يدعى حُحْمًا - بين مكة والمدينة - فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر وعظ ، ثم قال : « أما بعد ، ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين ، أولهما : كتاب الله ، فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » - فحث على كتاب الله ورغب فيه - وقال : « وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، فمن أهله من أهل بيتي ، ومن أهل بيتي من حرم الصدقة بعده . قال : ومن هم ؟ قال : هم آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل العباس . قال : أكل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم .

وهكذا رواه مسلم في الفضائل والنسائي من طرق عن يزيد بن حيان ، به ^(٣١) .

وقال أبو عيسى الترمذي ^(٣٢) : حدثنا علي بن المنذر الكوفي ، حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد - والأعمش ، [عن حبيب بن أبي ثابت] ^[٣] ، عن زيد بن أرقم - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، والآخر عترتي : أهل بيتي ، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما » . تفرد بروايته الترمذي ثم قال : هذا حديث حسن غريب ^[٤] .

وقال الترمذي أيضًا ^(٣٣) : حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي ، حدثنا زيد بن الحسن ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣١) - أخرجه مسلم في فضائل الصحابة حديث رقم (٣٤٠٨) ، وأبو داود (٤٩٧٣) ، وأحمد ٣٦٦/٤ ، وعبد بن حميد (٢٦٥) ، والدارمي (٣٣١٩) ، وغيرهم من طرق عن يزيد بن حيان به .

(٣٢) - (٣٣) - أخرجهما الترمذي في المناقب ، باب : مناقب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم (٣٧٨٦ ، ٣٧٨٨) ، وقد تقدمت الإشارة إلى صحة هذا الحديث بشواهد ومجموع طرقه ، ويستغرب من رواية الترمذي هذه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر هذه الخطبة في حجة الوداع . والمشهور أنه ذكرها يوم غد يرخم كما جاء في صحيح مسلم . لذلك قال الترمذي عقب هذه الرواية : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وانظر شواهد هذا الحديث وبعض طرقه في السلسلة الصحيحة (٤ / ٣٥٥) ، (٣٦١ / ٤) .

[١] - ما بين المعكوفين في ز : « لقد كبر » . [٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفين في ز : « عن أبي حبيب عن أبي ثابت » .

[٤] - في ت : « صحيح » .

في حجته يوم عرفة ، وهو على ناقته القَصْواء^[١] يخطب ، فسمعته يقول : « يا أيها الناس ، إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتي : أهل بيتي » .

تفرد به الترمذي أيضًا ، وقال : حسن غريب . وفي الباب عن أبي ذر ، وأبي سعيد ، وزيد ابن أرقم ، وحذيفة بن أسيد .

ثم قال الترمذي^(٣٤) : حدثنا أبو داود [سليمان بن]^[٢] الأشعث ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا هشام بن يوسف ، عن عبد الله بن سليمان النوفلي ، عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه ، وأحبوني بحب الله ، وأحبوا أهل بيتي بحبي » .

ثم قال : حسن غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه .

وقد أوردنا أحاديث أخر عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ بما أغنى عن إعادتها هاهنا ، والله الحمد والمنة .

وقال الحافظ أبو يعلى^(٣٥) : حدثنا شُوَيْد بن سَعِيد ، حدثنا مُفَضَّل بن عبد الله ، عن أبي إسحاق ، عن حَنْش قال : سمعت أبا ذر وهو أخذ بحلقة الباب يقول : يا أيها الناس ، من

(٣٤) - أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٩٢٢) ، والبخاري في التاريخ ١٨٣/١ ، والترمذي في المناقب باب : مناقب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم (٣٧٩٠) ، والطبراني في الكبير (١/٣٨) ، (٣٤٣/١٠) ، والحاكم (١٥٠/٣) ، والبيهقي في الشعب (١/٢٨٨) ، وفي مناقب الشافعي (٤٥/١) ، والذهبي في الميزان (٤٣٢/٢) ، والمزى في التهذيب (٦٤/١٥) ، والخطيب في تاريخه (٤/١٦٠) ، وأبو نعيم في الحلية (٢١١/٣) ، من طريق هشام بن يوسف عن عبد الله بن سليمان النوفلي به . وعبد الله بن سليمان ضعيف . قال الذهبي في الميزان : فيه جهالة . وقال في الديوان : مجهول . وقال الحافظ في التقریب : مقبول . وقد تفرد بهذا الحديث ولم يتابع عليه فإسناده ضعيف لا يثبت .

(٣٥) - أخرجه ابن عدى في الكامل (٢٤٠٦/٦) عن أبي يعلى به وأخرجه الحاكم (١٥٠/٣ - ١٥١) من طريق آخر عن المفضل بن صالح به . ووقع في رواية أبي يعلى كما ذكر المصنف : « المفضل بن عبد الله » وإنما هو المفضل بن صالح ، قال ابن عدى في الكامل : وكان سويد - الراوى عنه - يسميه المفضل بن عبد الله . اهـ . والمفضل ضعيف . قال البخاري : منكر الحديث ، وقال الذهبي في استدراكه على الحاكم : « المفضل واه » وقال ابن عدى : أنكر ما رأيت له حديث الحسن بن علي . قال الذهبي في الميزان (٥/٢٩٢) ، وحديث سفينة نوح أنكر وأنكر . اهـ . يعني هذا الحديث . والحديث أخرجه الطبراني في الكبير (٢٦٣٧) ، وفي الصغير (١٣٩/١ - ١٤٠) من طريق الأعمش ، عن أبي إسحاق به ، وفي إسناده عبد الله ابن داهر وهو متروك . وله طريق أخرى فقد أخرجه الطبراني في الكبير (٢٦٣٦) ، والبخاري (٣٩٠) من طريق سعيد بن المسيب عن أبي ذر وإسناده واه فيه الحسن بن أبي جعفر وهو متروك ، ورواه الحسن بن أبي جعفر =

[١] - في ز : « القصوى » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « وسليمان » .

عرفني فقد عرفني ، ومن أنكرني^[١] فأنا أبو ذر ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح ، من دخلها نجا ، ومن تخلف عنها هلك » . هذا بهذا الإسناد ضعيف .

وقوله : ﴿ ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسناً ﴾ أي : ومن يعمل حسنة ﴿ نزد له فيها حسناً ﴾ أي : أجرًا وثوابًا ، كقوله : ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا ﴾ .

وقال بعض السلف : من ثواب الحسنة الحسنه بعدها ، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها .

وقوله : ﴿ إن الله غفور شكور ﴾ أي : يغفر الكثير من السيئات ، ويكثر القليل من الحسنات ، فيستر ويغفر ، ويضاعف فيشكر .

وقوله : ﴿ أم يقولون افتري على الله كذباً فإن يشأ الله يختم على قلبك ﴾ أي : لو افتريت عليه كذباً كما يزعم هؤلاء الجاهلون ﴿ يختم على قلبك ﴾ أي : لطبع على قلبك وسلبك ما كان آتاك من القرآن ؛ كقوله تعالى : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ أي : لانتقمنا منه أشد الانتقام ، وما قدر أحد من الناس أن يحجز عنه .

وقوله : ﴿ ويمح الله الباطل ﴾ ، ليس معطوفاً على قوله : ﴿ يختم ﴾ فيكون مجزوماً ، بل هو مرفوع على الابتداء . قاله ابن جرير ، قال : وحذفت من كتابته « الواو » في رسم المصحف الإمام ، كما حذفت من^[٢] قوله : ﴿ سندع الزبانية ﴾ ، وقوله : ﴿ ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير ﴾ .

وقوله : ﴿ ويحق الحق بكلماته ﴾ معطوف على ﴿ ويمح الله الباطل ويحق الحق ﴾ أي : يحققه ويثبت ويبينه ويوضحه ، ﴿ بكلماته ﴾ أي : بحججه وبراهينه ، ﴿ إله عليم بذات الصدور ﴾ أي : بما تكنه الضمائر ، وتنطوي عليه السرائر .

وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾
وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ

= بإسناد آخر أخرجه الطبراني في الكبير (٢٦٣٨) ، من طريقه عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وهذا من تخليط هذا الهالك الحسن بن أبي جعفر . وللحديث شواهد في أسانيدنا كلها مقال وانظرها في مجمع الزوائد (١٧١/٩) .

شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ
مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا
وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ممثلاً على عباده بقبول توبتهم إليه إذا تابوا ورجعوا إليه : إنه من كرمه وحلمه أنه يعفو ويصفح ويستر ويغفر ، كقوله : ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾ وقد ثبت في صحيح مسلم - رحمه الله - حيث قال (٣٦) :

حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قالا : حدثنا عمر بن يونس ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا إسحاق بن أبي طلحة ، حدثني أنس بن مالك - وهو عمه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه ، من أحدكم كان راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه ، وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها ، قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذا هو [١] بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم ، أنت عبدي وأنا ربك - أخطأ من شدة الفرح » .

وقد ثبت أيضاً في الصحيح من رواية عبد الله بن مسعود نحوه (٣٧) .

وقال عبد الرزاق (٣٨) ، عن معمر ، عن الزهري في قوله : ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ﴾ : إن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في المكان الذي يخاف أن يقتله العطش فيه » .

وقال همام بن الحارث : سئل ابن مسعود عن الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها ؟ قال : لا بأس به ، وقرأ : ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ﴾ الآية . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم من حديث شريك القاضي ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن إبراهيم النخعي ، عن همام ،

(٣٦) - أخرجه مسلم في كتاب التوبة من صحيحه ، حديث رقم (٢٧٤٧) .

(٣٧) - أخرجه مسلم في كتاب التوبة من صحيحه ، حديث رقم (٢٧٤٤) . وفي الباب عن أبي هريرة ، والنعمان بن بشير ، والبراء بن عازب ، وكلها في صحيح الإمام مسلم ، انظر كتاب التوبة باب في الحظ على التوبة والفرح بها .

(٣٨) - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١٩١/٢ ، وهو في صحيح مسلم حديث رقم (٢٦٧٥) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة فذكره ، وانظر المصدر السابق .

فذكره (٣٩) .

وقوله : ﴿ ويعفو عن السيئات ﴾ أي : يقبل التوبة في المستقبل ، ويعفو عن السيئات في الماضي ، ﴿ ويعلم ما تفعلون ﴾ أي : هو عالم بجميع ما فعلتم وصنعتم وقتلتم ، ومع هذا يتوب على من تاب إليه .

وقوله : ﴿ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ ، قال السدي : يعني يستجيب لهم . وكذا قال ابن جرير : معناه يستجيب الدعاء لهم ولأصحابهم وإخوانهم . وحكاه عن بعض النحاة ، وأنه جعلها كقوله : ﴿ فاستجاب لهم ربهم ﴾ .

ثم روى هو وابن أبي حاتم^(٤٠) ، من حديث الأعمش ، عن شقيق بن سلمة ، عن سلمة ابن سبرة قال : خطبنا معاذ بالشام فقال : أنتم المؤمنون ، وأنتم أهل الجنة . والله^[٤١] إني أرجو أن يدخل الله من تثبتون من فارس والروم الجنة ، وذلك بأن أحدكم إذا عمل له - يعني أحدهم عملاً قال : أحسنت - رحمك^[٤٢] الله أحسنت بارك الله فيك - ثم قرأ : ﴿ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ﴾ .

وحكى ابن جرير عن بعض أهل العربية [أنه جعل^[٤٣]] ﴿ ويستجيب الذين آمنوا ﴾ كقوله : ﴿ الذين يستمعون القول ﴾ ، أي : هم الذين يستجيبون للحق ويتبعونه ، كقوله تبارك وتعالى : ﴿ إنما يستجيب ﴾^[٤٤] الذين يسمعون والموتى يعثهم الله ﴿ والمعنى الأول أظهر ، لقوله تعالى : ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ أي : يستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك . ولهذا قال ابن أبي حاتم :

حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن المصنف ، حدثنا بقرية ، حدثنا إسماعيل بن عبد الله الكندي ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ ، قال : « الشفاعة لمن وجبت له النار ، ممن صنع إليهم معروفاً في الدنيا »^(٤٥) .

(٣٩) - أخرجه ابن أبي حاتم - كما في الدر المنثور - والطبري في تفسيره ٢٨/٢٥ وفي إسناده شريك كان صدوقاً سيئ الحفظ ولا سيما بعد توليه القضاء .

(٤٠) - انظر المصدر السابق .

(٤١) - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر - وابن أبي عاصم في السنة (٨٤٦) ، والطبراني في الكبير ١٠/٢٤٨ ، وفي الأوسط (٥٧٧٠) ، من طرق عن بقرية به . وهذا إسناد ضعيف لا ثبت كما قال المصنف فيما سبق ، وعلمته إسماعيل الكندي قال الذهبي : روى عن الأعمش ، وعنه بقرية بخبر عجيب منكر = .

[٢] - في ز : « يرحمك » .

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : « جعله قوله » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « أن جعله » .

و^[١] قال قتادة عن إبراهيم النخعي اللخمي في قوله تعالى : ﴿ ويستجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات ﴾ ، قال : يشفعون في إخوانهم ، ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ ، قال : يشفعون في إخوان إخوانهم

وقوله : ﴿ والكافرون لهم عذاب شديد ﴾ ، لما ذكر المؤمنين وما لهم من الثواب الجزيل ، ذكر الكافرين وما لهم عنده يوم القيامة من العذاب الشديد الموجه المؤلم يوم معادهم وحسابهم .

وقوله : ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ﴾ أي : لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق ، لحملهم ذلك على البغي والطغيان من بعضهم على بعض ، أشراً وبطراً .

وقال قتادة : كان يقال : خير العيش ما لا يُلْهيك ولا يُطْغيك . وذكر قتادة حديث : « إنما أخاف عليكم ما يخرج الله من زهرة الحياة الدنيا » ، و^[٢] سؤال السائل : أيأتي الخير بالشر ؟ الحديث^(٤٢) .

وقوله : ﴿ ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير ﴾ أي : ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم ، وهو أعلم بذلك ، فيغني من يستحق الغنى ، ويفقر من يستحق الفقر . كما جاء في الحديث المروي : « إن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الغنى ، ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه ، وإن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الفقر ، ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه »^(٤٣) .

= قلت : ولهذا الحديث إسناد آخر ، فقد أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠٨/٤ ، ١٢٨/٧ من طريق ابن حمير عن الثوري عن الأعمش عن شقيق به ، وقال في الموضع الأول : غريب من حديث الأعمش ، عزيز عجيب من حديث الثوري ، تفرد به إسماعيل الكندي عن الأعمش . وقال في الموضع الثاني : « غريب من حديث الثوري تفرد به ابن حمير » ، ورواه بقية عن إسماعيل بن عبد الله الكندي عن الأعمش مثله . اهـ . قلت : يعنى أن حديث الثوري غير محفوظ ، والحديث حديث إسماعيل الكندي ، فقد أفحش الخطأ من اعتبر الثوري متابعا لإسماعيل وصححه لذلك .

(٤٢) - أخرجه ابن جرير الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسلًا والحديث في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري فقد أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ، باب : يستقبل الإمام القوم حديث (٩٢١) ، وأطرافه (١٤٦٥ ، ٢٨٤٢ ، ٦٤٢٧) ، ومسلم في كتاب الزكاة باب : تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا حديث رقم (١٢٢ ، ١٢٣) - (١٠٥٢) .

(٤٣) - هذا الحديث يروى من مسند عمر بن الخطاب ، ومن مسند أنس بن مالك .

أولاً : حديث عمر ، أخرجه الخطيب في تاريخه ١٥/٦ ، ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية ٤٤/١ من طريق يحيى بن عيسى ، عن سفيان الثوري ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن كثير ابن أفلح عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل فذكره ويحيى بن عيسى =

وقوله : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا ﴾ أي : من بعد إياس الناس من نزول المطر ، ينزله عليهم في وقت حاجتهم وقرهم إليه ، كقوله : ﴿ وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴾

وقوله : ﴿ وينشر رحمته ﴾ أي : يعم بها الوجود على أهل ذلك القطر وتلك الناحية .

قال قتادة : ذكر لنا أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين ، قحط المطر وقنط الناس ؟ فقال عمر - رضي الله عنه - : مطرتم ، ثم قرأ : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ﴾^(٤٤) . أي : هو المتصرف لخلقهم بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم ، وهو المحمود العاقبة في جميع ما يقدره ويفعله .

= وهو الرمل . قال ابن معين : ليس بشيء . وقال النسائي : ليس بالقوى . وقال ابن حبان في المجروحين (٢٦٦/٣) (١٢٧ -) ، وكان من ساء حفظه وكثر وهمه حتى جعل يخالف الأبيات فيما يروى الثقات ، فلما كثر ذلك في روايته بطل الاحتجاج به . وقال ابن عدى في الكامل (٢٦٧٣/٧) : « عامة رواياته لما لا يتابع عليه » وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية عقب روايته لهذا الحديث : « هذا حديث لا يصح ... ففيه يحيى ابن عيسى الرمل قال يحيى : ما هو بشيء . وقال ابن حبان : ساء حفظه فكثر وهمه فبطل الاحتجاج به » .

ثانياً : حديث أنس بن مالك . أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٤٤/١) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣١٨) ، والبغوي في شرح السنة (٢٣/٥) والحكيم الترمذى في نواذر الأصول ٤٢٩/١ ، وابن أبى الدنيا في الأولياء (١) وزاد السيوطى في الدر المنثور نسبته إلى ابن عساكر في تاريخه ، وزاد ابن حجر في الفتح (٣٤٢/١١) نسبته إلى البزار وأبى يعلى وزاد الألبانى في الصحيحة (١٨٩/٤) نسبته إلى محمد بن سليمان الربعى في جزء من حديثه ، وزاد الهيثمى في المجمع نسبته إلى الطبرانى في الأوسط . كلهم من طريق عمر بن سعيد الدمشقى ، والحسن بن يحيى الدمشقى كلاهما عن صدقة بن عبد الله الدمشقى عن هشام الكنانى ، عن أنس مرفوعاً وهذا إسناد ضعيف جداً ، صدقة بن عبد الله - وهو أبو معاوية السمين - ضعيف ، وشيخه هشام الكنانى لا يعرف . وقال ابن الجوزي - كما في العلل المتناهية (٤٤/١) : « هذا حديث لا يصح ففيه الخشنى ، قال يحيى بن معين : ليس بشيء . وقال الدارقطنى : متروك ، وأما صدقة فمجروح » .

أما الخشنى وهو الحسن بن يحيى فقد تابعه عمر بن سعيد كما تقدم ، والحديث ذكره الهيثمى في المجمع وعزاه للطبرانى في الأوسط ، وأعله بعمر بن سعيد هذا . وعليه فهذا الحديث لا يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فالخشنى ، وصدقة ضعيفان ، وشيخهما ضعيف ، وهشام الكنانى الراوى عن أنس لم أجد من ترجمه ، وقال الشيخ الألبانى في الصحيحة : لم أعرفه . وانظر كلام الحافظ ابن رجب الحنبلى على هذا الحديث في أثناء كلامه على شرح حديث : « من عادى لى ولياً » الحديث الثامن والثلاثون من جامع العلوم والحكم ، وانظر الصحيحة (١٨٨/٤) .

(٤٤) - أخرجه ابن جرير الطبرى في تفسيره ، وعزاه في الدر إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر من هذا الوجه ، وقول عمر : « مطرتم » أى ما دام أن الحال أصبح كما تقولون فسيفى الله عز وجل بوعده وينزل الغيث ، وينشر رحمته ، ويؤيد هذا المعنى قول عمر كما في الدر المنثور : « مطرتم إذا » .

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ
إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ
وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

يقول تعالى : ﴿ ومن آياته ﴾ الدالة على عظمته وقدرته العظيمة وسلطانة القاهر ﴿ خلق السماوات والأرض وما بَثَّ فيهما ﴾ أي : ذرأ فيهما ، أي : في السماوات والأرض ، ﴿ من دابة ﴾ ، وهذا يشمل الملائكة والجن والإنس وسائر الحيوانات ، على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم ، وطباعهم وأجناسهم وأنواعهم ، وقد فرقهم في أرجاء أقطار الأرض والسماوات ، ﴿ وهو ﴾ ومع هذا كله ﴿ وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ﴾ أي : يوم القيامة يجمع الأولين والآخرين وسائر الخلائق في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي ، ويُنفذهم البصر ، فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق .

وقوله : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ﴾ أي : مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما هو عن سيئات تقدمت لكم ، ﴿ ويعفو عن كثير ﴾ أي : من السيئات ، فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها ، ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهورها من دابة ﴾ ، وفي الحديث الصحيح : « والذي نفسي بيده ، ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ، إلا كفر الله عنه بها من خطاياها ، حتى الشوكة يشاكها » (٤٥) .

وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن عُليّة ، حدثنا أيوب قال : قرأت في كتاب أبي قلابة ، قال : نزلت : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ، وأبو بكر يأكل ، فأمسك وقال : يا رسول الله ، إني لَرَأء ما عملت من خير وشر ؟ فقال : « أرايت ما رأيت مما تكره ، فهو من مثاقيل ذرّ الشر ، وتَدَخَّر مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة » . قال : قال أبو إدريس : فإني أرى مصداقها في كتاب الله : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ . ثم رواه من وجه آخر عن أبي قلابة عن أنس قال : والأول أصح (٤٦) .

(٤٥) - أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب المرض ، باب : ماجاء فى كفارة المرض (٥٦٤١) ، (٥٦٤٢) ، ومسلم فى صحيحه - كتاب البر والصلة ، والآداب ، باب : « ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن » حديث (٢٥٧٣) ، من حديث أبى سعيد الخدرى ، وفى الباب عن أبى هريرة ، وعائشة وغيرهما .

(٤٦) - هذا الحديث يأتى تخريجه والكلام عليه فى سورة الزلزلة حيث استوعب المصنف هناك طرقه ، ورأيت أن الكلام عليه هناك أنسب ، والله المستعان .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع ، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، حدثنا الأزهر بن راشد الكاهلي ، عن الحضر بن القواس الجلي^[١] ، عن^[٢] أبي سخيلة ، عن علي - رضي الله عنه - قال : ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله - عز وجل - وحدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ﴿ ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾^[٣] ، وسأفسرها^[٤] لك يا علي : ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا ، فبما كسبت أيديكم ، والله تعالى أحلم من أن يُثني عليه العقوبة في الآخرة ، وما عفا الله عنه في الدنيا ، فالله تعالى أكرم من أن يعود بعد عفوهِ^[٥] .

وكذا رواه الإمام أحمد عن مروان بن معاوية [وعنده] عن^[٦] أبي سخيلة قال : قال علي ... فذكر نحوه مرفوعاً .

ثم روى ابن أبي حاتم نحوه من وجه آخر موقوفاً فقال : حدثنا أبي ، حدثنا منصور بن أبي مزاحم ، حدثنا أبو سعيد بن أبي الوضاح ، عن أبي الحسن ، عن أبي جحيفة قال : دخلت على علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال : ألا أحدثكم بحديث ينبغي لكل مؤمن أن يعنيه ؟ قال : فسألناه ، فتلا هذه الآية : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ . قال : ما عاقب الله به في الدنيا فالله أحلم من أن يُثني عليه العقوبة يوم القيامة ، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعود في عفوهِ يوم القيامة .

وقال الإمام أحمد^(٤٨) : حدثنا يعلى بن عبيد ، حدثنا طلحة - يعني ابن يحيى - ، عن أبي بردة ، عن معاوية - هو ابن أبي سفيان ، رضي الله عنهما - قال^[٧] : سمعت رسول الله

(٤٧) - وعزاه في الدر المنثور إلى ابن أبي حاتم من هذا الوجه ، والحديث أخرجه أحمد ٨٥/١ ، وأبو يعلى (٣٥٢/١ ، ٤٥٣) ، والدولابي في الكنى (١٨٥/١ - ١٨٦) ، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن مردويه ، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ، وإسحاق بن راهويه ، وابن منيع ، وعبد بن حميد من هذا الوجه . وهذا إسناد ضعيف ، أزهر بن راشد الكاهلي ضعفه ابن معين وقال أبو حاتم : مجهول ، وقال الحافظ في التقریب : ضعيف ، والحضر بن القواس : جهله أبو حاتم وذكره ابن حبان في الثقات ، وشيخه ؛ قال أبو زرعة : لا أعرف اسمه . وقال الحافظ : مجهول ، وللحديث طريق أخرى فقد أخرجه أحمد (٩٩/١) ، وابن أبي حاتم كما ذكر المصنف ، والسيوطي في الدر ، والحاكم ٤٤٥/٢ ، وصححه على شرط الشيخين ، وزاد الحاكم نسبته إلى ابن راهويه من طريقين عن أبي جحيفة . به موقوفاً وهذا هو الصحيح عن علي ، والمرفوع لا يثبت لما سبق ذكره في إسناده .

(٤٨) - أخرجه أحمد (٩٨/٤) ، وعبد بن حميد (٤١٥) ، وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات ، والحاكم ٣٤٧/١ من طريق طلحة بن يحيى عن أبي بردة به ، وصححه على شرط البخاري ومسلم ، وفي إسناده =

[١] - في خ : « الجليلي » ، وفي ز : « الجلي » . [٢] - بعله في خ : « ابن » .

[٣] - في ز : « ما فسرها » . [٤] - بعله في خ : « ابن » .

[٥] - سقط من : خ .

صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من شيء يصيب المؤمن^[١] في جسده يؤذيه إلا كفر الله عنه به من سيئاته » .

وقال أحمد أيضًا^(٤٩) : حدثنا حسين، عن زائدة ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كثرت ذنوب العبد، ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله بالحرز ليكفرها » .

وقال ابن أبي حاتم^(٥٠) : حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي ، حدثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن - هو البصري - قال في قوله : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ ، قال^[٢] : لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفس محمد بيده ، ما من خدش عود ، ولا اختلاج^[٣] عرق ولا عشرة قدم إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه^[٤] أكثر » .

وقال أيضًا : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو^[٥] بن علي ، حدثنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال : دخل عليه بعض أصحابه وقد كان ابتلي في جسده ، فقال له بعضهم : إنا [لَنَبْشِسُ لَكَ لَمَّا^[٦]] نرى فيك . قال : فلا تبتس بما

= طلحة بن يحيى لم يحتج به البخارى ، وقال الحافظ فى التقريب : صدوق يخطئ . فإسناد الحديث ضعيف ولكن الحديث له شواهد كثيرة يرتقى بها إلى الصحة ، وهو فى الصحيحين وغيرهما ، عن غير واحد من الصحابة ، وقد سبق بعض الشيء من هذه الشواهد كما ذكر المصنف ، وانظر السلسلة الصحيحة (٢٢٧٤) .

(٤٩) - إسناده ضعيف ، وأخرجه أحمد (١٥٧/٦) ، والبزار (٨٧/٤ - ٢٤٧١١ - كشف) من طريق حسين بن على به . وفيه الليث - وهو ابن أبى سليم - وهو ضعيف ، وقال الهيثمى فى المجمع (٢٩١/٢) : « رواه أحمد وفيه ليث ابن أبى سليم وهو مدلس وبقية رجاله ثقات » ، وذكره أيضًا فى ١٩٢/١٠ وقال : « رواه أحمد والبزار وإسناده حسن » ، وانظر شواهد فيما سبق .

(٥٠) - إسناده ضعيف ، فبين الحسن والنبي صلى الله عليه وسلم مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل ، وإسماعيل ابن مسلم - وهو المكي - ضعيف والحديث أخرجه هناد فى الزهد (٤٢٩) ووکیع فى الزهد (٩٣) وعبد بن حميد وابن المنذر - كما فى الدر - من طرق عن إسماعيل بن مسلم به وفى رواية وكيع من طريق سفيان عن رجل عن الحسن به والحديث أخرجه البيهقى فى الشعب ١٥٣/٧ ، وابن جرير الطبرى ٢٥/٢١ من طريق قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً أيضًا وفى الباب عن البراء بن عازب عند الطبرانى فى الأوسط - كما فى الجامع الصغير للسيوطى ، وصححه الألبانى (صحيح الجامع الصغير ١٢٠/٥ - ١٢١) ولفظه ما اختلج عرق ولا عين إلا بذنب .

[١] - فى خ ، ز : « ابن آدم » .

[٣] - فى خ ، ز : « اختلاف » .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - فى ز : « عمرو » .

[٤] - سقط من : ز .

[٦] - ما بين المعكوفين فى ز : « ليس لما » .

ترى ، فإن ما ترى بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ (٥١) .

وحدثنا أبي : حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني ، حدثنا جرير ، عن أبي البلاد قال : قلت للعلاء بن بدر : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ ، وقد ذهب بصري وأنا غلام ؟ قال : فيذنوب والديك (٥٢) .

وحدثنا أبي : حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا وكيع ، عن عبد العزيز بن أبي رزاد ، عن الضحاك قال : ما [نعلم أحداً حفظ]^[١] القرآن ثم نسيه إلا بذنب ، ثم قرأ الضحاك : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ . ثم يقول الضحاك : وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن (٥٣) ؟

وَمِنْ آيَاتِهِ الْمَجَارِي فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾
 إِنَّ يَسْأَلُ يَسْتَكِينُ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ
 عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾
 وَيَعْقُوبَ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى : ومن آياته الدالة على قدرته وسلطانه ، وتسخيره البحر لتجري فيه الفلك

(٥١) - أخرجه ابن أبي الدنيا في الكفارات - ومن طريقه البيهقي في الشعب (١٥٣/٧) ، وأخرجه عبد بن حميد - كما في الدر المنثور - والحاكم ٤٤٥/٢ - ٤٤٦ ، وقال : «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» والحديث رواه المبارك بن فضالة عن الحسن قال : «دخلنا على عمران بن الحصين ... فذكر نحوه» أخرجه البيهقي في الشعب ١٩٦/٧ ، وفيه أن الحسن لقي عمران بن الحصين وسمع منه ، وفي ذلك نظر ، فقد قال علي بن المديني : «سمعت يحيى بن القطان وقيل له كان الحسن يقول : سمعت عمران بن حصين ؟ فقال : أما عن ثقة فلا» وهذا طعن صريح في رواية المبارك هذه ، وذكر صالح بن أحمد أنه أنكر علي من يقول عن الحسن حدثني عمران - ومثل ابن معين عن الحسن هل لقي عمران بن الحصين ؟ فقال : أما في رواية البصريين فلا وأما في رواية الكوفيين فنعم ، وانظر ترجمة الحسن من جامع التحصيل .

(٥٢) - وعزاه في الدر أيضاً إلى ابن المنذر ، وهذا الإسناد صحيح ، أبو البلاد وهو يحيى بن سليمان كذا ترجم له البخاري في التاريخ الكبير ، وابن حبان في الثقات ، وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٩/١٦٠) : «يحيى بن أبي سليمان» واسم أبي سليمان الضحاك الغطفاني ، ثم نقل بإسناده عن ابن معين أنه قال : «ثقة» .

(٥٣) - أخرجه ابن أبي شيبة (١٦٢/٧) عن وكيع به ، وعزاه في الدر إلى ابن أبي حاتم ، وابن المبارك في الزهد ، وعبد بن حميد وابن المنذر ، والبيهقي في الشعب من هذا الوجه ، وعبد العزيز بن أبي رزاد صدوق عابد ، ورمى بالإرجاء ، ووقع في المطبوع من المصنف لابن أبي شيبة : «ابن أبي داود» وهو تصحيف .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : «تعلم أحد» .

بأمره ، وهي الجوارى في البحر [كالأعلام ، أي :^[١] كالجبال ،] قاله مجاهد ، والحسن ، والسدي ، والضحاك ، أي : هي في البحر كالجبال [أي :^[٢] في البر ، ﴿ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنَ الرِّيحَ ﴾ أي : التي تسير بالسفن ، لو شاء لسكنها حتى لا تتحرك السفن ، بل تظل راکدة لا تبحر ولا تذهب ، بل واقفة على ظهره ، أي : على وجه الماء ، ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ ﴾ أي : في الشدائد ، ﴿ شُكُورٍ ﴾ أي : إن^[٣] في تسخيره البحر وإجرائه الهواء بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم ، لدلالات على نعمه تعالى على خلقه ﴿ لِكُلِّ صَبَّارٍ ﴾ أي : في الشدائد ، ﴿ شُكُورٍ ﴾ في الرخاء .

وقوله : ﴿ أَوْ يُوقِنَ بِمَا كَسَبُوا ﴾ أي : ولو شاء لأهلك السفن وغرقها بذنوب أهلها الذين هم راكبون عليها ، ﴿ وَيَعِفَّ عَنْ كَثِيرٍ ﴾ أي : من ذنوبهم . ولو أخذهم^[٤] بجميع ذنوبهم لأهلك كل من ركب في البحر .

وقال بعض علماء التفسير : معنى قوله : ﴿ أَوْ يُوقِنَ بِمَا كَسَبُوا ﴾ أي : لو شاء لأرسل الرياح قوية عاتية ، فأخذت السفن وأحالتها عن سيرها المستقيم ، فصرفت ذات اليمين أو ذات الشمال ، أبقة لا تسير على طريق ، ولا إلى جهة مقصد .

وهذا القول هو يتضمن هلاكها ، وهو مناسب للأول ، وهو أنه تعالى لو شاء لسكن الرياح فوقفت ، أو لقواه فشردت وأبقت وهلكت . ولكن من لطفه ورحمته أنه يرسله بحسب الحاجة ، كما يرسل المطر بقدر الكفاية ، ولو أنزله كثيرا جدًّا لهدم البنيان ، أو قليلا لما أنبت الزرع والثمار ، حتى إنه يرسل إلى مثل بلاد مصر سيفا من أرض أخرى غيرها ، لأنهم لا يحتاجون إلى مطر ، ولو أنزل عليهم لهدم بنيانهم ، وأسقط جدرانهم .

وقوله : ﴿ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴾ ، أي : لا محيد لهم عن بأسنا ونقمتنا ، فإنهم مقهورون بقدرتنا .

فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمِنَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَبُونَ ﴿٣٩﴾

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - في ز : « واخذهم » .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز .

يقول تعالى مُحَقَّرًا لِسَانِ الحياة الدنيا وزينتها ، وما فيها من الزهرة والنعيم الفاني ، بقوله : ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ أي : مهما حصلتم وجمعتم فلا تغتروا به ، فإنما هو متاع الحياة الدنيا ، وهي دار دنيئة فانية زائلة لا محالة ، ﴿ وما عند الله خير وأبقى ﴾ أي : وثواب الله خير من الدنيا ، وهو باق سَرْمَدِيٌّ ، فلا تَقْدَمُوا الفاني على الباقي ، ولهذا قال : ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي : [للذين صبروا]^[١] على ترك الملاذ في الدنيا ، ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ أي : ليعينهم على الصبر في أداء الواجبات وترك المحرمات .

ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ ﴾ وقد قدمنا الكلام على الإثم والفواحش في « سورة الأعراف » .

﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ أي : سجيتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس ، ليس سجيتهم الانتقام من الناس .

وقد ثبت في الصحيح^(٥٤) : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك^[٢] حرمة الله » .

وفي حديث آخر^(٥٥) : كان يقول لأحدنا عند المعتبة : « ما له ؟ قَرِبت^[٣] جبينه^[٤] » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن زائدة ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : كان المؤمنون يكرهون أن يستذلوا ، وكانوا إذا قدروا عفوا^(٥٦) .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ ﴾ أي : اتبعوا رسله وأطاعوا أمره ، واجتنبوا زجره ، ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ ، وهي أعظم العبادات لله - عز وجل - ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنِهِمْ ﴾ أي : لا يرمون أمرًا حتى يتشاوروا فيه ، ليتساعدوا بأرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها ، كما قال تعالى : ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ ولهذا كان - عليه السلام - يشاورهم في الحروب ونحوها ، لطيب بذلك^[٥] قلوبهم . وهكذا لما حضرت عمر بن

(٥٤) - أخرجه البخارى فى الأدب باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : « يسروا ولا تعسروا » حديث رقم (٦١٢٦) ، وفى المناقب حديث رقم (٣٥٦٠) ، ومسلم فى الفضائل حديث رقم (٢٣٢٧) ، كلاهما من حديث عائشة به .

(٥٥) - أخرجه البخارى فى الأدب من صحيحه ، باب لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فاحشًا ولا متفحشًا ، وفى باب ما ينهى عن السباب واللعن حديث رقم (٦٠٣١) ، (٦٠٤٦) .

(٥٦) - وعزاه فى الدر إلى ابن أبى حاتم ، وابن جرير الطبرى ، وابن المنذر ، من هذا الوجه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٢] - فى ز : « انتهكت » .

[٣] - فى ز : « برئت » . [٤] - فى خ ، ز : « يمينه » .

[٥] - فى ز : « ذلك » .

الخطاب الوفاة حين طعن جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر ، وهم : عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهم أجمعين^[١] - فاجتمع رأي الصحابة كلهم على تقديم عثمان عليهم رضي الله عنهم .

﴿ وما رزقناهم ينفقون ﴾ ، وذلك بالإحسان^[٢] إلى خلق الله ، الأقرب إليهم منهم فالأقرب .

وقوله : ﴿ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾ ، أي : فيهم قوة الانتصار من ظلمهم واعتدئ عليهم ، ليسوا بعاجزين ولا أذلة ، بل يقدرّون على الانتقام من بغى عليهم ، وإن كانوا مع هذا إذا قدرّوا عفا ، كما قال يوسف - عليه السلام - لإخوته : ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ﴾ ، مع قدرته على مؤاخذتهم ومقابلتهم على صنيعهم إليه ، وكما عفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية ، ونزلوا من جبل التنعيم ، فلما قدر عليهم [عفا عنهم]^[٣] مع قدرته على الانتقام^(٥٧) .

وكذلك عفوه عن « عَوْزُث بن الحارث »^[٤] أراد الفتك به حين اخترط سيفه وهو نائم ، فاستيقظ - عليه السلام - وهو في يده ضلّتا ، فاتهره ، فوضعه من يده ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف [من يده]^[٥] ، ودعا أصحابه ثم أعلمهم بما كان من أمره وأمر هذا الرجل ، وعفا عنه . وكذلك عفا عن ليبد بن الأعصم الذي سحره - عليه السلام - ومع هذا لم يعرض له ولا عاتبه مع قدرته عليه^[٦] ، وكذلك عفوه - عليه السلام - عن المرأة اليهودية - وهي زينب أخت مرحب اليهودي الخيري الذي قتله محمد بن مسلمة ، التي سمت الذراع يوم خيبر - فأخبره الذراع بذلك ، فدعاها فاعترفت ، فقال : « ما حملك على ذلك ؟ » . قالت : أردت : إن كنت نبيا لم يضرّك ، وإن لم تكن نبيا استرحنا منك . فأطلقها عليه الصلاة والسلام ، ولكن لما مات منه^[٧] بشر بن البراء قتلها به ، والأحاديث والآثار [في هذا]^[٨] كثيرة جدًا ، ولله الحمد .

(٥٧) - ذكر المصنف في هذه الجزئية عدة مواقف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسنعرج على كل موقف من هذه المواقف ونخرجها من موضعها ، سالكين في ذلك المنهج المتبع من أول الكتاب ، وهو باختصار ما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفينا بتخريج الموضع منهما أو من أحدهما ، وإن كان في غيرهما استقصينا بقدر المستطاع تخريجه والحكم عليه .

أولاً : عفو النبي صلى الله عليه وسلم عن الثمانين في غزوة الحديبية انظر هذا الخبر عند المصنف =

[١] - في ز : « جميعهم » .

[٢] - في ز : « الإحسان » .

[٣] - ما بين المعكوفين في ت : « من عليهم » . [٤] - في ت : « الذي » .

[٥] - ما بين المعكوفين سقط من : خ . [٦] - سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز : « معه » . [٨] - ما بين المعكوفين سقط من : خ .

وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾
وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى
الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ ، كقوله تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ وقوله : ﴿ وإن عاقبتم فاعقبوا بمثل ما عوقبتم به ولن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ فشرع العدل وهو القصاص ، وندب إلى الفضل وهو العفو ، كقوله : ﴿ والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ أي : لا يضيع ذلك عند الله ؛ كما صح في الحديث ^(٥٨) : « وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً » .

وقوله : ﴿ إنه لا يحب الظالمين ﴾ أي : المعتدين وهو المبتدئ بالسيئة .

ثم قال : ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ أي : ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم .

قال ابن جرير ^(٥٩) : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد ، حدثنا معاذ بن معاذ ، حدثنا ابن

= في تضاعيف كلامه على غزوة الحديبية في البداية والنهاية ١٩١/٤ .

ثانياً : قصة غوث بن الحارث انظرها أيضاً في البداية والنهاية للمصنف ٣/٤ - ٤ ، والدلائل للبيهقي ٣/١٦٩ وأصل القصة في الصحيحين وغيرهما ، أخرجه البخاري في المغازي باب (٣١) غزوة ذات الرقاع ، الفتح (٤٢٦/٧) ، ومسلم في الفضائل حديث (١٣) ، (١٤) .

ثالثاً قصة لبيد بن الأعصم ، سوف يذكر المصنف قصته وما ورد فيها عند تفسير سورتي المعوذتين ورأينا أن من الأنسب تخريجها هناك .

رابعاً قصة المرأة اليهودية وهي زينب بنت الحارث . وقد عقد المصنف لها فصلاً كاملاً في البداية والنهاية ٤/٢٣٧ باب : « قصة الشاة المسمومة والبرهان الذي ظهر » ، وأصل الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجزية الفتح (٢٧٢/٦) باب رقم (٥٨) ، وأخرجه في كتاب المغازي باب غزوة خيبر الفتح (٤٠٠/٧) ، وأخرجه في الطب باب (٥٥) ما يذكر في سم النبي صلى الله عليه وسلم .

(٥٨) - سبق تخريج هذا الحديث عند الآية (١٤٩) من سورة النساء وهذا الحديث بلفظ : « ما نقص مال من صدقة ولا زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، ومن تواضع لله رفعه » .

(٥٩) - إسناده ضعيف . لحال علي بن زيد بن جدعان ، وأم محمد زوجة أبي علي بن زيد بن جدعان مجهولة الحال ترجم لها المزى ، وابن حجر ولم يذكرها فيها جرحاً ولا تعديلاً ، بينما قال الذهبي في الميزان =

عون قال : كنت أسأل عن الانتصار ﴿ ولئن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ ، فحدثني علي بن زيد بن جدعان ، عن أم محمد - امرأة أبيه ، قال ابن عون : زعموا أنها كانت تدخل على أم المؤمنين عائشة - قالت : قالت أم المؤمنين : دخل علينا^[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا زينب بنت جحش ، [فجعل يصنع]^[٢] بيده شيئاً فلم يَقْطِن لها ، فقلت بيده حتى فطنته لها فأمسك ، وأقبلت زينب تقحم^[٣] لعائشة ، فنهاها ، فأبت أن تنتهي . فقال لعائشة : « سُبِّهَا » . فسبَّها فغلبتها ، وانطلقت زينب فأتت علياً فقالت : إن عائشة تقع بكم ، وتفعل بكم . فجاءت فاطمة فقال لها : « إنها حبة أهلك ورب الكعبة » . فانصرفت وقالت لعلي : إني قلت له كذا وكذا ، فقال لي كذا وكذا . قال^[٤] : وجاء علي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه في ذلك .

هكذا ورد هذا السياق ، وعلي بن زيد بن جدعان يأتي في رواياته بالمنكرات غالباً ، وهذا فيه نكارة ، والحديث الصحيح خلاف هذا السياق ، كما رواه النسائي وابن ماجه من حديث خالد بن سلمة الفأفاء ، عن عبد الله البهي ، عن عروة قال : قالت عائشة رضي الله عنها : ما علمت حتى دخلت علي زينب بغير إذن وهي غضبي ، ثم قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : حسبك إذا قلت لك ابنة أبي بكر ذُرِّيَّتُهَا^[٥] .. ثم أقبلت علي^[٦] فأعرضت عنها ، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : « دولك فانتصري » . فأقبلت عليها حتى رأيها قد ييس ريقها في فمها ، ما تَرَدُّ علي شيئاً . فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتهلل وجهه . وهذا لفظ النسائي^(٦٠) .

= (٤/ الترجمة ١٠٩٣٨) : « تفرد عنها علي بن زيد بن جدعان قلت : فهذا الإسناد واه والحديث أخرجه أحمد (١٣٠/٦) (٢٥٠٩٨) (٢٥٠٩٩) ، وأبو داود في الأدب باب في الانتصار حديث رقم (٤٨٩٨) من طرق عن ابن عون به ، وعزه في الدر إلى ابن مردويه ، ووقع عند أحمد «أم سلمة» بدلاً من «زينب بنت جحش» وذلك من رواية سليم بن أخضر عن ابن عون ، قال أحمد «إلا أن سليماً قال أم سلمة» يعني جعل الحمل في هذا على سليم بن أخضر .

(٦٠) - هذا الحديث رواه زكريا بن أبي زائدة . واختلف عليه ، فرواه محمد بن بشر والمعلی بن منصور ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة عنه عن خالد بن سلمة عن عبد الله البهي عن عروة عن عائشة به ، أخرجه هكذا أحمد ٩٣/٦ ، وابنه عبد الله ٩٣/٦ ، والبخاري في الأدب المفرد (٥٥٨) ، والنسائي في الكبرى كتاب عشرة النساء ، باب : في الانتصار حديث رقم (٨٩١٤) ، (٨٩١٥) ، وفي التفسير ، سورة الشورى باب : ﴿ ولئن انتصر بعد ظلمه ﴾ حديث رقم (١١٤٧٦) ، وابن ماجه في النكاح باب حسن معاشره النساء (٦٣٧/١) حديث رقم (١٩٨١) ، وخالفهم إسحاق بن يوسف فرواه عن زكريا بن أبي زائدة =

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز : «فجعلت تصنع» .

[٣] - في ت : « تقلم » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز : « درعيها » .

[٦] - في ز : « إلى » .

وقال البزار : حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا أبو غسان ، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي حمزة ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » .

ورواه الترمذي^(٦١) من حديث أبي الأحوص ، عن أبي حمزة - واسمه ميمون - ، ثم قال : لا نعرفه إلا من حديثه ، وقد تكلم فيه من قبل^[١] حفظه .

وقوله : ﴿ إنما السبيل ﴾ أي : إنما الحرج والعنت ﴿ على الذين يظلمون الناس ويغفون في الأرض بغير الحق ﴾ أي : يبدعون الناس بالظلم . كما جاء في^[٢] الحديث الصحيح : « المستبكتان ما قالوا ، فعلى البادى ما لم يعتد المظلوم » .

﴿ أولئك لهم عذاب أليم ﴾ أي : شديد موجع .

قال أبو بكر بن أبي شيبة^(٦٢) : حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا سعيد بن زيد أخو حماد ابن زيد حدثنا عثمان الشحام ، حدثنا محمد بن واسع قال : قدمت مكة فإذا على الخندق منظرَةٌ فأخذت فانطلق بي إلى مروان بن المهلب ، وهو أمير على البصرة ، فقال : ما حاجتك يا أبا عبد الله ؟ قلت : حاجتي إن استطعت أن تكون كما قال أخو بني عدي . قال : ومن أخو بني عدي ؟ قال : العلاء بن زياد ، استعمل صديقاً له مرة على عمل ، فكتب إليه : أما بعد ، فإن^[٣] استطعت أن لا تبيت إلا وظهرك خفيف ، وبطنك خميص ، وكفك نقيّة من دماء المسلمين وأموالهم ، فإنك إذا فعلت ذلك لم يكن عليك سبيل ، ﴿ إنما السبيل على الذين

= عن عبد الله البهي عن عائشة ، ولم يذكر عروة ، أخرجه هكذا النسائي في الكبرى كتاب عشرة النساء باب الانتصار حديث رقم (٨٩١٦) والحديث صحيحه الشيخ الألباني على شرط مسلم انظر الصحيحة (١٨٦٢) .

(٦١) - هذا الحديث ضعيف وعلة : أبو حمزة هذا ، قال الإمام أحمد : متروك ، والحديث أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف كتاب الدعاء ، باب : الرجل يظلم فيدعو الله على من ظلمه ٩٣/٧ ، والترمذي في الدعوات من جامعه باب من دعا على من ظلمه فقد انتصر حديث رقم (٣٥٤٧) ، وأبي يعلى حديث رقم (٤٤٥٤ ، ٤٦٣١) وابن عدى في الكامل ٢٤٠٧/٦ من طريق أبي حمزة به ، قال ابن عدى : « ... وأحاديثه التي يرويها خاصة عن إبراهيم مما لا يتابع عليها » قلت : وهذا منها . والحديث ضعفه الشيخ الألباني كما في ضعيف الجامع برقم (٥٥٨٨) .

(٦٢) - إسناده صحيح . الحسن بن موسى - وهو الأشيب - ثقة ثبت ، وسعيد بن زيد قال الحافظ : صدوق له أوهام وهو من رجال مسلم ، وعثمان الشحام قال الحافظ في التقييد : « لا بأس به » ، وهو من رجال مسلم .

[١] - في ز : « قبيل » .

[٣] - في ز : « إن » .

[٢] - سقط من : ز .

يظلمون الناس ويغفون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ﴿٤٠﴾ . فقال : صدق والله ونصح ، ثم قال : ما [١١] حاجتك يا أبا عبد الله ؟ قلت : حاجتي أن تلحقني بأهلي . قال : نعم . رواه ابن أبي حاتم .

ثم إنه تعالى لما ذم الظلم وأهله وشرع القصاص ، قال نادياً إلى العفو والصفح : ﴿ ولن صبر وغفر ﴾ أي : صبر على الأذى وستر السيئة ، ﴿ إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ .

قال سعيد بن جبير : لمن حق الأمور التي أمر الله بها ، أي : لمن الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل .

و[١٢] قال ابن أبي حاتم (٦٣) : حدثنا أبي ، حدثنا عمران بن موسى الطرسوسي [٣] ، حدثنا عبد الصمد بن يزيد - خدام الفضيل بن عياض - قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلاً قتل : يا أخي ، اعف عنه ، فإن العفو أقرب للتقوى . فإن قال : لا يحتمل قلبي العفو ، ولكن أنتصر كما أمرني الله عز وجل . [فقل له] [٤] : إن كنت تحسن أن تنتصر وإلا فارجع إلى باب العفو ، فإنه باب واسع ، فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله ، وصاحب العفو ينال على فراشه بالليل ، وصاحب الانتصار يقلب الأمور .

وقال الإمام أحمد (٦٤) : حدثنا يحيى - يعني ابن سعيد القطان - عن ابن عجلان ، حدثنا سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن رجلاً شتم أبا بكر والنبي صلى الله عليه وسلم جالس ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم يعجب ويتبسّم ، فلما أكثر ردّ عليه بعض قوله ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقام ، فلاحقه أبو بكر فقال : يا رسول الله ، إنه

(٦٣) - صحيح إلى الفضيل ، فقد أخرج أبو نعيم في حليته (١١٢/٨) هذا الخبر من وجه آخر عن عبد الصمد عن الفضيل به الحلية .

(٦٤) - أخرجه أحمد ٤٣٦/٢ ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب : في الانتصار ، حديث رقم (٤٨٩٨) ، والبيهقي في الشعب ٢٥٨/٦ من طرق عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري به . ورواية محمد بن عجلان عن سعيد المقبري مضطربة . وقد اختلطت عليه رواية المقبري عن رجل عن أبي هريرة ، ورواية المقبري عن أبي هريرة فجعلها جميعاً عن أبي هريرة . فروايت عن المقبري مردودة ، ولا سيما إذا خولف عن المقبري كما في هذا الحديث فقد رواه الليث بن سعد ، وهو ثقة ثبت ، عن المقبري عن بشير بن الحر عن سعيد بن المسيب مرسل . أخرجه هكذا أبو داود في الموضع السابق حديث رقم (٤٨٩٧) والبخاري في التاريخ الكبير ١٠٢/٢ كلاهما من طريق الليث بن سعد وقال البخاري : « وقال ابن عجلان : عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والأول أصح » يعني رواية الليث .

[١] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « الترسيوسي » .

[٢] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « قال له الفضيل » .

كان يشتمني وأنت جالس ، فلما زددت عليه بعض قوله غضبت وقلت ! قال : « إنه كان معك ملك يرد عنك ، فلما رددت عليه بعض قوله حضر الشيطان ، فلم أكن لأقعد مع الشيطان » . ثم قال : « يا أبا بكر ، ثلاث كلهن حق : ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضي عنها لله ، إلا أغر الله بها نضره ، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة ، إلا زاده الله بها كثرة ، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة ، إلا زاده الله بها قلة » .

وكذا^[١] رواه أبو داود ، عن عبد الأعلى بن حماد ، عن سفيان بن عيينة . قال : ورواه صفوان بن عيسى ، كلاهما عن محمد بن عجلان . ورواه من طريق الليث ، عن سعيد المقبري ، عن بشير بن الحر ، عن سعيد بن المسيب مراسلاً^(٦٥) ، وهذا الحديث في غاية الحسن في المعنى وهو سبب سبه للصديق .

وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرْتَهُمْ يَعْضُضُونَ عَلَيْهِمَا خَشِيعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ

مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة : إنه ما شاء كان ولا راد له ، وما لم يشأ لم يكن فلا موجد له ، وأنه من هده فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، كما قال : ﴿ ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾ ثم قال مخبراً عن الظالمين ، وهم المشركون بالله ﴿ لما رأوا العذاب ﴾ أي : يوم القيامة يتمنون الرجعة إلى الدنيا ، ﴿ يقولون هل إلى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ ، كما قال : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ .

وقوله : ﴿ وتراهم يعرضون عليها ﴾ أي : على النار ﴿ خاشعين من الدل ﴾ أي : الذي

(٦٥) - تقدم تخريجه في سورة البقرة عند الآية رقم (٢٨٢) .

[١] - سقط من : خ ، ز .

قد اعتراهم بما أسلفوا من عصيان الله ، ﴿ ينظرون من طرف خفي ﴾ ، قال مجاهد : يعني ذليل . أي : ينظرون إليها مُتَسَارِقَةً خوفاً منها ، والذي يحذرون منه واقع بهم لا محالة ، وما هو أعظم مما في نفوسهم . أجارنا الله من ذلك .

﴿ وقال الذين آمنوا ﴾ أي : يقولون يوم القيامة : ﴿ إن الخاسرين ﴾ أي : الخسار الأكبر ﴿ الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ﴾ أي : ذهب بهم إلى النار ، فقدموا لذتهم في دار الأبد ، وخسروا أنفسهم ، وفرق بينهم وبين أصحابهم وأحبائهم وأهاليهم وقراباتهم ، فخسروهم ، ﴿ ألا إن الظالمين في عذاب مقيم ﴾ أي : دائم سرمدي أبدي ، لا خروج لهم منها ولا محيد لهم عنها .

وقوله : ﴿ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ﴾ أي : ينقذونهم مما هم فيه من العذاب والنكال ، ﴿ ومن يضلل الله فما له من سبيل ﴾ أي : ليس له خلاص .

أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ
يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا
إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبًا وَإِنْ نَضِيبُ
سَيِّئَةٍ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾

لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة من الأحوال والأمور العظام الهائلة ، حذر منه وأمر بالاستعداد له ، فقال : ﴿ استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ﴾ أي : إذا أمر بكونه فإنه كلمح البصر يكون ، وليس له دافع ولا مانع .

وقوله : ﴿ ما لكم من ملجأ^[١] يومئذ وما لكم من نكير ﴾ أي : ليس لكم حصن تنحصنون فيه ، ولا مكان يسترکم وتتنكرون^[٢] فيه^[٣] ، فتغيبوا عن بصره - تبارك وتعالى - بل هو محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته ، فلا ملجأ منه إلا إليه ، ﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفر * كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ .

وقوله : ﴿ فإن أعرضوا ﴾ ، يعني المشركين ﴿ فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ أي : لست عليهم بمصيطر . وقال تعالى : ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ قال تعالى : ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ أي :

[٢] - في ز : « تكرون » .

[١] - في ز : « نجاء » .

[٣] - سقط من : خ .

إنما كلفناك أن تبلغهم رسالة الله إليهم .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبْنَا بِهَا ﴾ أي : إذا أصابه رخاء ونعمة فرح بذلك ، ﴿ وَإِن تَصْبِهِم ﴾ يعني الناس ﴿ سَيِّئَةً ﴾ أي : جذب ونقمة وبلاء وشدة ، ﴿ فَإِن الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ أي : يجحد ما تقدم من النعمة ولا يعرف إلا الساعة الراهنة ، فإن أصابته نعمة أشرب وطر ، وإن أصابته محنة يمس وقنط . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٦٦) : « يا معشر النساء ، تصدقن فلاني رأيتكن أكثر أهل النار » . فقالت امرأة : ولم يا رسول الله ؟ قال : « لأنكن تكثرن الشكاية ، وتكفرن العشير ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم تركت يومًا ، قالت : ما رأيت منك خيرا قط » . وهذا حال أكثر الناس إلا من هداه الله وألهمه رشده ، وكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فالؤمن كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن » ^(٦٧) .

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَهَبُ

لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ ^(٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِثَاءً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِمًا

إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ^(٥٠)

يخبر تعالى أنه خالق السماوات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما ، وأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه يعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ، ولا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، وأنه يخلق ما يشاء ، و ﴿ يهب لمن يشاء إناثا ﴾ أي : يرزقه البنات فقط - قال البغوي : ومنهم لوط - عليه السلام - ﴿ ويهب لمن يشاء الذكور ﴾ أي : يرزقه البنين فقط . قال البغوي : إبراهيم الخليل - عليه السلام - لم يولد له أنثى .

﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِثَاءً ﴾ أي : ويعطي من يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثى ؛ أي : من هذا ومن ^[١] وهذا ، قال البغوي ، كمحمد عليه الصلاة والسلام . ﴿ ويجعل من يشاء عقيما ﴾ أي : لا يولد له . قال البغوي : كيحيى وعيسى ، عليهما السلام . فجعل الناس أربعة أقسام : منهم من يعطيه البنات ، ومنهم من يعطيه البنين ، ومنهم من يعطيه من النوعين ذكورا وإناثا ، ومنهم من يمنعه هذا وهذا ، فيجعله عقيما لا نسل له ولا يولد له . ﴿ إله عليم ﴾ أي : بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام ، ﴿ قدير ﴾ أي : على ما ^[٢] يشاء ، من

(٦٦) - تقدم هذا الحديث مرارا . في سورة البقرة الآية رقم (١٥٣) ، وفي الأعراف رقم (٩٥) ، وفي يونس

(١٢) ، وفي الروم رقم (٣٣) ، وفي سبأ الآية (١٩) وسيأتي في التغابن الآية (١١)

(٦٧) - تقدم هذا الحديث في سورة البقرة عند الآية رقم (٨٧) .

وقوله : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾ ، يعني القرآن ، ﴿ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ أي^[١] : على التفصيل الذي شرع لك في القرآن ، ﴿ ولكن جعلناه ﴾ أي القرآن ﴿ نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾ ، كقوله : ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ .

وقوله : ﴿ وإنا ﴾ أي يا محمد ﴿ لنهدي إلى صراط مستقيم ﴾ ، وهو الحق^[٢] القويم ، ثم فسره بقوله : ﴿ صراط الله ﴾ أي : شرعه الذي أمر به الله ، ﴿ الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴾ أي : ربهما ومالكهما والمتصرف فيهما ، الحاكم الذي لا معقب لحكمه ، ﴿ ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ أي ترجع الأمور ، فيفصلها ويحكم فيها .

[آخر تفسير سورة «سورة الشورى» والحمد لله رب العالمين] .



[٢] - في ت : « الخلق » .

[١] - سقط من : ز .

تفسير سورة الزخرف

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّمَا فِيْ أَمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيْ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَّبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَّبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

يقول تعالى : ﴿ حم * والكتاب المبين ﴾ أي : البين الواضح ، الجلي المعاني والألفاظ ؛ لأنه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس ؛ ولهذا قال : ﴿ إنا جعلناه ﴾ أي : أنزلناه ﴿ قرآنًا عربيًا ﴾ أي : بلغة العرب ، فصيحًا واضحًا ، ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ أي : تفهمونه وتدبرونه ، كما قال ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وإله في أم الكتاب ﴾ [لدينا لعلني حكيم]^[١] ، [بين شرفه في الملإ الأعلى ، ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض ، فقال تعالى : ﴿ وإله ﴾ أي : القرآن ﴾ في أم الكتاب]^[٢] أي : اللوح المحفوظ ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، ﴿ لدينا ﴾ أي : عندنا ، قاله قتادة وغيره ، ﴿ لعلني ﴾ أي : ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل ، قاله قتادة ، ﴿ حكيم ﴾ أي : محكم بريء من اللبس والزيف .

وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله ، كما قال : ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾ في كتاب مكنون * لا يمسّه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين ﴾ ، وقال : ﴿ كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره ﴾ في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدي سفرة * كرام برة ﴾ ، ولهذا استنبط العلماء ، رحمهم الله ، من هاتين الآيتين أن المحدث لا يمس المصحف ، كما ورد به الحديث إن صح^(١) ؛ لأن الملائكة يعظمون المصاحف المشتملة على القرآن في الملإ الأعلى ، فأهل الأرض

(١) - يعني حديث : أنه صلى الله عليه وسلم قال لحكيم بن حزام : « لا يمس المصحف إلا طاهر » =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

= الدارقطني (١٢٢/١، ١٢٣)، الحاكم في المعرفة من مستدرکه (٤٨٥/٣)، والبيهقي في الخلافيات، والطبراني (٣/٢٠٥/رقم: ٣١٣٥) من حديث حكيم، قال: لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، قال: «لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر» وفي إسناده سويد أبو حاتم، وهو ضعيف، وذكر الطبراني في الأوسط (٣٠٧/٢) مجمع البحرين (رقم: ٤٣٢): أنه تفرد به، وحسن الحازمي إسناده.

وحديث عمرو بن حزم أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب في كتابه إلى أهل اليمن: «وأن لا يمس القرآن إلا طاهر...»، وهو مشهور قد رواه مالك (٢/٨٤٩) والشافعي - كما في معرفة السنن (٦/٢٦٦/رقم: ٤٩٧٩) - عنه، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه: أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم.... ووصله نعيم بن حماد، عن ابن المبارك، عن معمر، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، عن أبيه، عن جده، ووجه محمد بن عمرو بن حزم ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يسمع منه. وكذا أخرجه عبد الرزاق (٤/٤ - ٥/رقم: ٦٧٩٣)، عن معمر، ومن طريقه الدارقطني (١/١٢٢). ورواه أبو داود (ص ٢١١ - ٢١٢/رقم: ٢٥٧) والنسائي في كتاب العقول: ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين له (٨/٥٩/رقم: ٤٨٥٥) من طريق ابن وهب، عن يونس، عن الزهري مرسلًا، ورواه أبو داود في المراسيل (ص ٢١١ - ٢١٢/رقم: ٢٥٧) عن ابن شهاب قال: قرأت في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم حين بعثه إلى نجران...، وكان الكتاب عند أبي بكر بن حزم. ورواه النسائي في كتاب العقول، ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين له (٨/٥٧، ٥٨/رقم: ٤٨٥٣) وابن حبان (٨/١٨٠ - ١٨٢/رقم: ٦٥٢٥)، والحاكم (١/٣٩٥ - ٣٩٧)، والبيهقي (٨/٢٨) موصولًا مطولًا، من حديث الحكم بن موسى، عن يحيى بن حمزة، عن سليمان بن داود، حدثني الزهري، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جده. وفرقه الدارمي في مسنده (٢/٢٤٩) عن الحكم مقطعا. وقد اختلف أهل الحديث في صحة هذا الحديث فقال أبو داود في المراسيل: قد أسند هذا الحديث ولا يصح، والذي في إسناده سليمان بن داود وهم، إنما هو سليمان بن أرقم.

وقال في موضع آخر: لا أحدث به، وقد وهم الحكم بن موسى في قوله: سليمان بن داود، وقد حدثني محمد بن الوليد الدمشقي أنه قرأه في أصل يحيى بن حمزة: سليمان بن أرقم. وهكذا قال أبو زرعة الدمشقي: إنه الصواب. وتبعه صالح بن محمد جزرة، وأبو الحسن الهروي وغيرهما. وقال جزرة: نا دحيم قال: قرأت في كتاب يحيى بن حمزة حديث عمرو بن حزم، فإذا هو عن سليمان بن أرقم، قال صالح: كتب هذه الحكاية عني مسلم بن الحجاج. قلت: ويؤكد هذا ما رواه النسائي في كتاب العقول، ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين له (٨/٥٨، ٥٩/رقم: ٤٨٥٤) عن الهيثم بن مروان - مقبول - عن محمد بن بكر - صدوق - عن يحيى بن حمزة، عن سليمان بن أرقم - قال أحمد: لا يروى عنه. وقال عباس وعثمان عن ابن معين: ليس بشيء. وقال الجوزجاني: ساقط. وقال أبو داود والدارقطني: متروك. وقال أبو زرعة: ذاهب الحديث. (الميزان ١٩٦/٢). وقال في التقريب: ضعيف - عن الزهري، وقال: هذا أشبه بالصواب.

وقال ابن حزم: صحيفة عمرو بن حزم منقطعة لا تقوم بها حجة، وسليمان بن داود متفق على تركه. وقال عبد الحق: سليمان بن داود هذا الذي يروي هذه النسخة عن الزهري ضعيف، ويقال: إنه سليمان بن أرقم. وتعبه ابن عدي فقال: هذا خطأ إنما هو سليمان بن داود، وقد جوده الحكم بن موسى. انتهى. وقال أبو زرعة: عرضه على أحمد، فقال: سليمان بن داود هذا ليس بشيء. وقال ابن حبان: سليمان =

بذلك أولي وأحرى ، لأنه نزل عليهم ، وخطابه متوجه إليهم ، فهو^[١] أحق أن يقابله بالإكرام والتعظيم ، والانتقاد له بالقبول والتسليم ، لقوله : ﴿ وإله في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴾ .

وقوله : ﴿ أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين ﴾ ، اختلف المفسرون في معناها ، فقيل : معناها : أتحسبون أن نصفح عنكم فلا نعتذركم ولم تفعلوا ما أمرتم به ؟ ! قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وأبو صالح [والسدي]^[٢] واختاره ابن جرير^(٢) .

= ابن داود اليمامي ضعيف ، وسليمان بن داود الخولاني ثقة ، وكلاهما يروي عن الزهري ، والذي روى حديث الصدقات هو الخولاني ، فمن ضعفه فإنما ظن أن الراوي له هو اليمامي . قلت : ولولا ما تقدم من أن الحاكم ابن موسى وهم في قوله : سليمان بن داود ، وإنما هو سليمان بن أرقم لكان لكلام ابن حبان وجه ، وصححه الحاكم ، وابن حبان كما تقدم والبيهقي ، ونقل عن أحمد بن حنبل أنه قال : أرجو أن يكون صحيحاً ، قال : وقد أثنى على سليمان بن داود الخولاني هذا أبو زرعة ، وأبو حاتم ، وعثمان بن سعيد ، وجماعة من الحفاظ .

قال الحاكم : وحدثني أبو أحمد الحسين بن علي ، عن ابن أبي حاتم ، عن أبيه : أنه سئل عن حديث عمرو ابن حزم ؟ فقال : سليمان بن داود عندنا ممن لا بأس به ، وقد صحح الحديث بالكتاب المذكور جماعة من الأئمة . لا من حيث الإسناد ؛ بل من حيث الشهرة ، فقال الشافعي في رسالته : لم يقبلوا هذا الحديث حتى ثبت عندهم أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابن عبد البر : هذا كتاب مشهور عند أهل السير ، معروف ما فيه عند أهل العلم معرفة يستغنى بشهرتها عن الإسناد ، لأنه أشبه التواتر في مجيئه لتلقي الناس له بالقبول والمعرفة ، قال : ويدل على شهرته ما روى ابن وهب ، عن مالك ، عن الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب قال : وجد كتاب عند آل حزم يذكرون أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال العقيلي : هذا حديث ثابت محفوظ ؛ إلا أنا نرى أنه كتاب غير مسموع عن فوق الزهري . وقال يعقوب بن سفيان : لا أعلم في جميع الكتب المنقولة كتاباً أصح من كتاب عمرو بن حزم هذا ، فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتابعين يرجعون إليه ويدعون رأيهم . وقال الحاكم : قد شهد عمر بن عبد العزيز ، وإمام عصره الزهري ، لهذا الكتاب بالصحة ، ثم ساق ذلك بسنده إليهما . قال ابن حجر : حديث عمرو بن حزم أشهر - يعني من حديث حكيم المتقدم سابقاً - والشيخ محيي الدين في الخلاصة ضعف حديث حكيم بن حزام ، وحديث عمرو بن حزم ، جميعاً .

وفي الباب عن ابن عمر : رواه الدارقطني (١٢١/١) ، والطبراني (١٢ / ٣١٣ ، ٣١٤ / رقم : ١٣٢١٧) ، وإسناده لا بأس به ، ذكر الأثر أن أحمد احتج به .

وعثمان بن أبي العاص ، رواه الطبراني ، وابن أبي داود في المصاحف (ص : ١٨٥) ، وفي إسناده انقطاع ، وفي رواية الطبراني من لا يعرف .

وعن ثوبان ، أورده علي بن عبد العزيز في منتخب مسنده ، وفي إسناده خصب بن جحدر ، وهو متروك . وروى الدارقطني (١٢٣/١) في قصة إسلام عمر ، أن أخته قالت له قبل أن يسلم : « إنك رجس ، ولا يمسه إلا المطهرون » وفي إسناده مقال .

وفيه عن سلمان موقوفاً ، أخرجه الدارقطني (١٢٣/١) ، والحاكم (١٨٣/١) .

وقال قتادة في قوله : ﴿ أفنضرب عنكم الذكر صفحاً ﴾ ، والله ، لو أن هذا القرآن رفع حين رُدِّته أوائل هذه الأمة لهلكوا ، ولكن الله عاد بعائده^[١] ورحمته ، وكرره^[٢] عليهم ودعاهم إليه عشرين سنة ، أو ما شاء الله من ذلك .

وقول قتادة لطيف المعنى جداً ، وحاصله أنه يقول في معناه : إنه تعالى من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير والذكر الحكيم - وهو القرآن - وإن كانوا مسرفين معرضين عنه ، بل يأمر^[٣] به ليهتدي^[٤] من قَدَّر هدايته ، وتقوم الحجة على من كَتَب شقاوته .

ثم قال تعالى مسلماً لنبيه في تكذيب من كذبه من قومه ، وأمرأ له بالصبر عليهم ، ﴿ وكم أرسلنا من نبي في الأولين ﴾ أي : في شيع الأولين ، ﴿ وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون ﴾ أي : يكذبونه ويسخرون به .

وقوله : ﴿ فأهلكنا أشد منهم بطشاً ﴾ [أي : فأهلكنا المكذبين بالرسل ، وقد كانوا أشد بطشاً]^[٥] ، من هؤلاء المكذبين لك يا محمد ؛ كقوله : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة ﴾ والآيات في ذلك كثيرة .

وقوله : ﴿ ومضى مثل الأولين ﴾ ، قال مجاهد : سنتهم . وقال قتادة : عقوبتهم . وقال غيرهما : عبرتهم . أي : جعلناهم عبرة لمن بعدهم من المكذبين أن يصيبهم ما أصابهم ، كقوله في آخر هذه السورة : ﴿ فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴾ وكقوله : ﴿ سنة الله التي قد خلت في عبادہ ﴾ ، وقال : ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾ .

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ
 (٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرِ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوهَا (١١) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَائِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ

[١] - في ز ، خ : « بعائده » .

[٢] - في ت : « أمر » .

[٣] - في ت : « وكرهم » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « ليهدي » .

عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لِمُتَقَرِّينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى : ولئن سألت - يا محمد - هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره : ﴿ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولْنَ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ أي : ليعترفن^[١] بأن الخالق لذلك^[٢] هو الله وحده لا شريك له ، وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأنداد .

ثم قال : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾ ، أي : فراشًا قرارًا ثابتةً ، يسيرون عليها ويقومون وينامون ويتصرفون^[٣] ، مع أنها مخلوقة على تيار الماء ، لكنه أرساها بالجبال لئلا تميد هكذا ولا هكذا ، ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا ﴾ أي : طرقًا بين الجبال والأودية ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أي : في سيركم من بلد إلى بلد ، وقطر إلى قطر ، وإقليم إلى إقليم .

﴿ وَالَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ﴾ أي : بحسب^[٤] الكفاية ؛ لزروعكم وثماركم وشربكم لأنفسكم ولأنعامكم .

وقوله : ﴿ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا ﴾ أي : أرضًا ميتةً ، فلما جاءها الماء اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج .

ثم نبه بإحياء الأرض على إحياء الأجساد يوم المعاد^[٥] بعد موتها ، فقال : ﴿ كَذَلِكَ نَخْرِجُونَ ﴾ ثم قال : ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾ أي^[٦] : مما تثبت الأرض من سائر الأصناف ، من نبات وزروع وثمار وأزاهير ، وغير ذلك من الحيوانات على اختلاف أجناسها وأصنافها ، ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفَلَكَ ﴾ أي : السفن ﴿ وَالْأَنْعَامَ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ أي : ذللها لكم وسخرها ويُسِّرُها لأكلكم لحومها ، وشربكم ألبانها ، وركوبكم ظهورها ، ولهذا قال : ﴿ لَتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ﴾ أي : لتستووا متمكنين واقفين^[٧] ﴿ عَلَىٰ ظُهُورِهِ ﴾ أي : على^[٨] ظهور هذا الجنس ، ﴿ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ ﴾ أي : فيما سخر لكم ﴿ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّنِينَ ﴾ أي : مقاومين . ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه .

قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد : ﴿ مقرنين ﴾ أي : مطيعين^[٩] . ﴿ وإنا إلى ربنا

[٢] - في ز : « كذلك » .

[٤] - في ت : « في حسب » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

[١] - في ز ، خ : « ليعرفن » .

[٣] - في ت : « وينصرفون » .

[٥] - في ت : « الميعاد » .

[٧] - في ت : « مرتفقين » .

[٩] - في ز ، خ : « مطيعين » .

لمنقلبون ﴿ أي : لصائرون^[١] إليه بعد مماتنا ، وإليه سيرنا الأكبر . وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة ، كما نبه بالزاد الدنيوي على الأخروي في قوله : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ وباللباس الدنيوي على الأخروي في قوله تعالى^[٢] : ﴿ وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ﴾

ذكر الأحاديث الواردة عند ركوب الدابة

حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا شريك بن عبد الله ، عن أبي إسحاق ، عن علي بن ربيعة ، قال : رأيت علياً - رضي الله عنه - أتى بدابة ، فلما وضع رجله في الركاب قال : باسم الله . فلما استوى عليها قال : الحمد لله ، ﴿ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ﴾ وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴿ ، ثم حمد الله ثلاثاً ، وكبر ثلاثاً ، ثم قال : سبحانك ، لا إله إلا أنت ، قد ظلمت نفسي فاغفر لي . ثم ضحك ، فقلت له : من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت ثم ضحك . فقلت : مم ضحكت يا رسول الله ؟ فقال : « يعجب الرب من عبده إذا قال : رب ، اغفر لي ، ويقول : علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري » .

وهكذا رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، من حديث أبي الأحوص - زاد النسائي ومنصور - عن أبي إسحاق الشيباني ، عن علي بن ربيعة الأسدي الوالبي ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح^(٣) .

وقد قال عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة : قلت لأبي إسحاق الشيباني^[٣] : ممن سمعت

(٢) - راجع تفسيره (٤٩/٢٥) .

(٣) - « المسند » (٩٧/١) . رواه أبو داود (٢٦٠٢) ، والترمذي (٣٤٤٦) ، والطيالسي في « مسنده » (ص ٢٠ / ١٣٢) والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (٥٠٢) وابن حبان (٢٦٩٨/٦) والطبراني في « الدعاء » (٧٨٤) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٢/ج ٩٨١) كلهم من طريق أبي الأحوص به .

والنسائي أيضاً والزار (٧٧٣/٣) والبحر الزخار ، وأبو يعلى في « مسنده » (١/ج ٥٨٦) - ومن طريق الضياء في « المختارة » (٦٧٦/٢) والطبراني (٧٨٥) والحاكم (٩٩/٣) من طريق منصور بن المعتمر ، عن أبي إسحاق به ، ورواه عبد الرزاق في « المصنف » (٣٩٧، ٣٩٦/١٠) - ومن طريقه أحمد (١١٥/١) وعبد بن حميد في « المنتخب » (٨٨) . ومن طريقه الضياء (٦٧٧/٢) - والطبراني في « الدعاء » (٧٨٢) والبيهقي في « السنن الكبرى » (٢٥٢/٥) - عن معمر بن راشد ، وأحمد (١٢٨/١) وعبد بن حميد (٨٩) والطبراني (٧٨٣) من طريق إسرائيل بن يونس ، والطبراني (٧٨١) والدارمي في « الرد على المريسي » (ص ٢٠٢) والدارقطني =

[١] - في ز ، خ : « صائرون » . [٢] - ما بين المعكوفين سقط من : ز ، خ .

[٣] - بعده في خ : « عن علي بن ربيعة الأسدي » .

هذا الحديث ؟ قال : من يونس بن خباب . فلقيت يونس بن خباب فقلت : ممن سمعته ؟ فقال من رجل سمعه من علي بن ربيعة^(٤) .

ورواه بعضهم عن يونس بن خباب ، عن شقيق بن عقبة الأسدي ، عن علي بن ربيعة الوالبي ، به^(٥) .

حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا أبو بكر بن عبد الله ، عن علي بن أبي طلحة ، عن عبد الله بن عباس ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أردفه على دابته ، فلما استوى عليها كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ، وحمد الله^[١] ثلاثاً ، [وسبح ثلاثاً]^[٢] وقلل الله واحدة . ثم استلقى عليه فضحك ، ثم أقبل عليه فقال : « ما من امرئ مسلم يركب دابة فيصنع كما صنعت ، إلا أقبل الله - عز وجل - عليه ، فضحك إليه كما ضحك إليك » . تفرد به أحمد^(٦) .

= في «العلل» (٤/س ٤٣٠) عن سفيان الثوري .

والطبراني (٧٨٦) عن أبلج بن عبد الله الكندي ، (٧٨٧) عن عبد الرحمن بن حميد الرؤاسي .

وابن حبان (٢٦٩٧/٦) من طريق علي بن سليمان أبي نوفل الكيساني .

وعمر بن قيس الملائي كما قال أبو الحسن الدارقطني في «العلل» (٤/س ٤٣٠) .

كلهم (معمر وإسرائيل والثوري والرؤاسي والكيساني والملائي) عن أبي إسحاق وانظر ما بعده . :

(٤) - قال أبو الحسن الدارقطني في «العلل» (٤/س ٤٣٠) : « . . وأبو إسحاق لم يسمع هذا الحديث من علي بن ربيعة ، يبين ذلك ما رواه عبد الرحمن بن مهدي ، عن شعبة ، قال : قلت لأبي إسحاق : سمعته من علي بن ربيعة ؟ فقال : حدثني يونس بن خباب ، عن رجل ، عنه . وروى هذا الحديث شعيب بن صفوان عن يونس بن خباب ، عن شقيق بن عقبة الأسدي ، عن علي بن ربيعة ، ورواه المنهال بن عمرو وإسماعيل ابن عبد الملك بن أبي الصغير ، عن علي بن ربيعة ، فهو من رواية أبي إسحاق مراسلاً ، وأحسنها إسناداً حديث المنهال بن عمرو ، عن علي بن ربيعة » ومن هذا الوجه صححه الحاكم على شرط مسلم (٢/٩٨، ٩٩) ووافقه الذهبي : وإسناده حسن فحسب وكان لأجل هذا قال الترمذي : « حديث حسن صحيح » وصححه ابن حبان واختاره الضياء ، ورقم به أبو عبد الرحمن الألباني (حديث/٢٢٦٧) من «صحيح أبي داود» .

(٥) - رواه من هذا الوجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ج ١٧٥) وفي «كتاب الدعاء» (رقم ٧٧٩) من طريق ابن لهيعة ، حدثني عبد ربه بن سعيد ، عن يونس بن خباب ، عن شقيق الأزدي ، عن علي بن ربيعة به . وقال الطبراني : « لم يور هذا الحديث عن شقيق الأزدي - وهو : شقيق بن أبي عبد الله - إلا يونس بن خباب ، ولا عن يونس إلا عبد ربه بن سعيد ، تفرد به ابن لهيعة » وهو ضعيف . ويونس بن خباب ضعفه جماعة ، ووثقه آخرون : والضعف إليه أقرب ، لكن الحديث حسن من طريق آخر ، فانظر السابق .

(٦) - «المسند» (١/٣٣١) ، ولم يعزه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٧١٦) لغير أحمد . وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٣٤) وقال : « رواه أحمد ، وفيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف كما أن في سنده انقطاعاً بين علي =

حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبي الزبير ، عن علي بن عبد الله البارقى ، عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا ركب راحلته^[١] كبر ثلاثاً ثم قال : « سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون » ، ثم يقول : « اللهم ، إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم ؛ هَوِّنْ علينا السفر واطو لنا البعيد ؛ اللهم ؛ أنت صاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، اللهم ؛ اصحبنا في سفرنا ، واخلفنا في أهلنا » . وكان إذا رجع إلى أهله قال : « أيون تائبون إن شاء الله ، عابدون ، لربنا حامدون » .

وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي ، من حديث ابن جريج ، والترمذي من حديث حماد ابن سلمة ، كلاهما عن أبي الزبير ، به^(٧) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم ، عن عمرو بن الحكم بن ثوبان ، عن أبي لاس الخزاعي ؛ قال : حملنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على إبل من إبل الصدقة إلى الحج ، فقلنا : يا رسول الله ، ما نرى أن تحملنا هذه ! فقال : « ما من بعير إلا في ذروته شيطان ، فاذكروا اسم الله عليها إذا ركبتموها كما أمركم ، ثم امتنوها لأنفسكم ، فإنما يحمل الله ، عز وجل »^(٨) .

أبو لاس اسمه : محمد بن الأسود بن خلف .

ابن أبي طلحة وابن عباس ، ومع هذا فقد أورده المنذري في « الترغيب والترهيب » (٧٣/٤) وسكت عنه !! . (٧) - « المسند » (١٤٤/٢) ، ورواه الترمذي ، كتاب : الدعوات (٣٤٤٧) والدارمي (٢٦٨٥، ٢٦٧٦) وصححه ابن حبان (٢٦٩٥/٦) والحاكم (٢٥٤/٢) من طرق عن حماد بن سلمة به .

ورواه أحمد (١٥٠/٢) ومسلم ، كتاب : الحج (٤٢٥) (١٣٤٢) وأبو داود ، كتاب : الجهاد (٢٥٩٩) والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (٥٤٨) وغيرهم من طرق عن ابن جريج عن أبي الزبير به .

(٨) - « المسند » (٢٢١/٤) . ورواه ابن خزيمة (٢٥٤٣، ٢٣٧٧) وابن سعد في « الطبقات » (٢٢٢/٤) وابن أبي عاصم في « الأحاد والمثاني » (٢٣٢٨/٤) والطبراني في « المعجم الكبير » (٨٣٧/٢٢) والحاكم (٤٤٤/١) - وعنه البيهقي في « السنن الكبرى » (٢٥٢/٥) وابن عبد البر في « التمهيد » (٣٠٢/٥) - ورواه إسحاق بن راهويه وابن منده - كما قال ابن حجر في « تغليق التعليق » (٢٥/٣) - كلهم من طريق محمد بن عبيد به . وصححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وعلقه البخاري في صحيحه كتاب : الزكاة ، باب : (٤٩) فقال : « ويذكر عن أبي لاس الخزاعي . . . » قال ابن حجر في « التغليق » : « وإنما لم يجرم به لعنة ابن إسحاق » ، وقال في « الفتح » (٣٣٢/٣) : « رجاله ثقات ، إلا أن فيه عننة ابن إسحاق ولهذا توقف ابن المنذر - « الترغيب والترهيب » (٧٢/٤) - في ثبوته » لكن رواه أحمد « والطبراني (٨٣٨/٢٢) من طريق يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، ثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن إبراهيم به ، بتصريح =

حديث آخر في معناه : قال أحمد : حدثنا عتّاب ، أخبرنا عبد الله (ح) وعلي بن إسحاق ، أخبرنا عبد الله - يعني : ابن المبارك - ، أخبرنا أسامة بن زيد ، أخبرني محمد بن حمزة ؛ أنه سمع أباه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « على ظهر كل بعير شيطان ، فإذا ركبتموها فسموا الله - عز وجل - ثم لا تقصروا عن حاجاتكم »^(٩) .

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مِنْ يَتَشَوُّوا فِي الْحَلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين فيما افتروه وكذبوه في جعلهم بعض الأنعام لطواغيتهم وبعضها لله ، كما ذكر الله عنهم في سورة الأنعام ، في قوله : ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون ﴾ . وكذلك جعلوا له من قسمي البنات والبنين أحسهما وأردأهما وهو البنات ، كما قال تعالى : ﴿ ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذا قسمة ضيزى ﴾ وقال هاهنا : ﴿ وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين ﴾ .

= ابن إسحاق . وهذا إسناد حسن ، وقد قال الهيثمي في « المجمع » (١٠ / ١٣٤) : « رواه أحمد والطبراني بأسانيد ، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق ، وقد صرح بالسماع في أحدهما » .

(٩) - « المسند » (٣ / ٤٩٤) ، وكذا رواه النسائي في « عمل اليوم والليلة » (٥٠٤) (٢ / ٢٨٥ ، ٢٨٦) والطبراني في « المعجم الكبير » (٣ / ٢٩٩٣) وفي « الأوسط » (٢ / ١٩٢٤) ابن حبان (٤ / ١٧٠٣) والحاكم (١ / ٤٤٤) من طريق أسامة بن زيد به . وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن محمد بن حمزة إلا أسامة بن زيد اللبثي « وبه أعله أبو عبد الرحمن النسائي فقال عقبه : « أسامة بن زيد ليس بالقوى في الحديث » . لكن وثقه ابن معين . وقال ابن عدي : ليس به بأس . وفي « التقریب » : « صدوق يهيم » . فيحتمل تحسين حديثه ، وصححه ابن حبان ، وقال الحاكم : « صحيح على شرط مسلم » ووافقه الذهبي ، واللبثي إنما أخرج له مسلم متابعة . والحديث رقم به أبو عبد الرحمن الألباني (٣٩١٩) من « صحيح الجامع » وقد ذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠ / ١٣٤) وقال : « رواه أحمد والطبراني في « الكبير » و « الأوسط » ورجالهما رجال الصحيح غير محمد بن حمزة وهو ثقة » .

ثم قال : ﴿ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴾ ، وهذا إنكار عليهم غاية الإنكار . ثم ذكر تمام الإنكار فقال : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ أي : إذا بشر أحد هؤلاء بما جعلوه لله من البنات يأنف من ذلك غاية الأنفة ، وتعلوه كآبة من سوء ما بُشِّرَ به ، ويتوارى من القوم من خجله من ذلك ، يقول تعالى : فكيف تأنفون أنتم من ذلك ، وتنسبونه إلى الله عز وجل ؟ !

ثم قال : ﴿ أَوْ مِنْ يَنْشَأُ فِي الْحُلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرَ مُبِينٍ ﴾ أي : المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحللي منذ تكون طفلة ، وإذا [خاصمت فلا عبارة]^[١] لها ، بل هي عاجزة عتيقة ، أو من يكون هكذا ينسب إلى جناب الله - عز وجل - ؟ ! فالأنتى ناقصة الظاهر والباطن ، في الصورة والمعنى ، فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحللي وما في معناه ، ليجبر ما فيها من نقص ، كما قال بعض شعراء العرب :

وَمَا الْحَلِّي إِلَّا زِينَةٌ مِنْ نَقِيصَةٍ يُتَمَّمُ مِنْ حُسْنٍ إِذَا الْحُسْنُ قَصُرَا
وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْجَمَالُ مُؤَفَّرًا كَحُسْنِكَ لَمْ يَخْتَجِ إِلَى أَنْ يُزَوَّرَا

وأما نقص معناها فإنها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار ، لا عبارة لها ولا همة ، كما قال بعض العرب وقد بُشِّرَ بنت : « ما هي بنعم الولد : نصرها بكاء »^[٢] ، وبرها سرقة^[٣] .

وقوله : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ﴾ أي : اعتقدوا فيهم ذلك ، فأنكر عليهم تعالى قولهم ذلك ، فقال : ﴿ أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ ﴾ أي : شاهدوه وقد خَلَقَهُمُ اللَّهُ إِنَاثًا ؟ ! ﴿ سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ ﴾ أي : بذلك ، ﴿ وَيَسْأَلُونَ ﴾ عن ذلك يوم القيامة . وهذا تهديد شديد ، ووعيد أكيد .

﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ﴾ أي : لو أراد الله لحال بيننا وبين عبادة هذه الأصنام ، التي هي على صور الملائكة التي هي بنات الله ، فإنه^[٤] عالم بذلك وهو يقررنا عليه ، فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ : أحدها : جعلهم^[٥] لله ولدًا تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوًا كبيرًا .

الثاني : دعواهم أنه اصططفى البنات على البنين ، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إِنَاثًا .

الثالث : عبادتهم لهم مع ذلك كله ، بلا دليل ولا برهان ، ولا إذن من الله عز وجل ، بل

[١] - في ز ، خ : « حاضت فلا عبادة » .

[٢] - في ت : « بالبكاء » .

[٣] - في ز : « لسرقة » ، خ : « تسرق » .

[٤] - في ز ، خ : « إنه » .

[٥] - في ت : « جعلوهم » .

بمجرد الآراء والأهواء^[١] ، والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء ، والخطب في الجاهلية الجاهلاء .

الرابع : احتجاجهم بتقريرهم على ذلك قدرًا وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلاً كبيراً ، [فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار ، فإنه منذ بعث الرسل]^[٢] ، وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له ، وينهى عن عبادة ما سواه ، قال : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ وقال تعالى : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ وقال في هذه الآية بعد أن ذكر حججهم هذه : ﴿ ما لهم بذلك من علم ﴾ أي : بصحة ما قالوه واحتجوا به ، ﴿ إن هم إلا يخرصون ﴾ أي : يكذبون ويقولون .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون ﴾ أي : ما يعلمون قدرة الله على ذلك .

أَمْ ءَاتَيْنَهُم كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَئِكَ جَاهِلُونَ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَاذِبُونَ ﴿٢٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْزَلْنَا لَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى منكراً على المشركين في عبادتهم غير الله بلا برهان ولا دليل ولا حجة : ﴿ أم آتيناهم كتاباً من قبله ﴾ أي : من قبل شركهم ، ﴿ فهم به مستمسكون ﴾ أي : فيما هم فيه . أي : ليس الأمر كذلك ، كقوله : ﴿ أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ﴾ أي : لم يكن ذلك .

ثم قال : ﴿ بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ﴾ أي : ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد ، بأنهم كانوا على أمة ، والمراد بها

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الدين هاهنا ، وفي قوله : ﴿ إِن هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ .

وقولهم : ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ أي : وراءهم ﴿ مهتدون ﴾ ، دعوى منهم بلا دليل .

ثم بين تعالى أن مقالة هؤلاء قد سبقهم إليها أشباههم ونظراؤهم من الأمم السالفة المكذبة للرسول ، تشابهت قلوبهم ، فقالوا مثل مقالتهم : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ * أَتَوَاصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ وهكذا قال هاهنا : ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إِنَّا وجدنا آباءنا علىٰ أمة وإننا علىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ قُل ﴾ أي : يا محمد لهؤلاء المشركين : ﴿ أَوَلَوْ جِئْتَكُمْ بِأَهْدًى مَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ أي^[١] : ولو علموا وتيقنوا صحة ما جئتهم به لما انقادوا لذلك بسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله .

قال الله تعالى : ﴿ فَانْتَقِمْنَا مِنْهُمْ ﴾ أي : من الأمم المكذبة بأنواع من العذاب ، كما فصله تعالى في قصصهم ، ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ أي : كيف بادوا وهلكوا ، وكيف نجى الله المؤمنين .

وَلَمَّا قَالَ لِابْنِهِمْ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمِ ﴿٣١﴾ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ

لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وخليفه إمام الحنفاء ، ووالد من بعث بعده من الأنبياء ، الذي تنتسب^[١] إليه قريش في نسبها ومذهبها : إنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان ، فقال : ﴿ إني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ أي : هذه الكلمة ، وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، وخلع ما سواه من الأوثان ، وهي : « لا إله إلا الله » ، أي : جعلها دائمة في ذريته يقتدي [به فيها]^[٢] من هذه الله^[٣] من ذرية إبراهيم - عليه السلام - ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أي : إليها .

وقال عكرمة ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم في قوله تعالى : ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ ، يعني : لا إله إلا الله ، لا يزال في ذريته من يقولها ، وروي نحوه عن ابن عباس^(١٠) ، وقال ابن زيد : كلمة الإسلام . وهو يرجع إلى ما قاله الجماعة .

ثم قال تعالى : ﴿ بل تمتعت هؤلاء ﴾ يعني المشركين ﴿ وآبأهم ﴾ أي : فتناول عليهم العمر في ضلالهم ، ﴿ حتى جاءهم الحق ورسول مبين ﴾ أي : يين^[٤] الرسالة والنبوة .

﴿ ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون ﴾ أي : كابروه^[٥] وعاندوه ودفعوا^[٦] بالصدور^[٧] والراح^[٨] كفراً وحسداً وبغياً ، ﴿ وقالوا ﴾ كالمعتضين على الذي أنزله تعالى وتقدس : ﴿ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ أي : هلاً كان إنزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير في أعينهم من القريتين ؟ يعنون مكة والطائف . قاله ابن عباس ، وعكرمة ، ومحمد بن كعب القرظي ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد .

وقد ذكر غير واحد منهم [قتادة]^[٩] ؛ أنهم أرادوا بذلك الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي . وقال مالك : عن زيد بن أسلم ، والضحاك ، والسدي : يعنون الوليد بن المغيرة ، ومسعود بن عمرو الثقفي .

(١٠) - انظر تفسير ابن جرير (٦٣، ٦٢/٢٤) .

[١] - في ز : « تنسب » ، خ : « ينسب » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « فيه بها » . [٣] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « كما يروه » .

[٤] - في ز ، خ : « من » .

[٧] - في ز ، خ : « بالصور » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - في خ : « والسراح » .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .

وعن مجاهد: عمير بن عمرو بن مسعود الثقفي . وعنه أيضًا أنهم يعنون عتبة بن ربيعة وعن ابن عباس: جبار من جبابرة قريش . وعنه أنهم يعنون الوليد بن المغيرة ، وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي .

وعن مجاهد: يعنون^[١] عتبة بن ربيعة بمكة وابن عبد يا ليل بالطائف .

وقال السدي: عنوا الوليد بن المغيرة ، وكنانة بن عبد عمرو بن عمير الثقفي . والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أي البلدين كان .

قال الله تعالى رادًا عليهم في هذا الاعتراض: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ أي: ليس الأمر مردودًا إليهم ، بل إلى الله - عز وجل - والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلبًا ونفسًا^[٢] ، وأشرفهم بيتًا ، وأطهرهم أصلًا .

ثم قال تعالى مبيّنًا أنه قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم ، وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة ، فقال: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ .

وقوله: ﴿ليتخذ بعضهم بعضًا سُخْرِيًّا﴾ ، قيل: معناه ليسخر بعضهم بعضًا في الأعمال ، لاحتياج هذا إلى هذا ، وهذا إلى هذا ، قاله السدي وغيره . وقال قتادة والضحاك: ليملك بعضهم بعضًا . وهو راجع إلى الأول .

ثم^[٣] قال: ﴿ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ أي: رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا .

ثم قال تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ أي: لولا أن^[٤] يعتقد كثير من الناس الجهلة أن إعطاءنا المال دليل^[٥] على محبتنا لمن أعطيناه^[٦] ، فيجتمعوا على الكفر لأجل المال - هذا معنى قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج﴾ أي: سلالمة ودرجًا من فضة قاله^[٧] ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد ، وغيرهم - ﴿عليها يظهرون﴾ أي: يصعدون ، ﴿وليبيوتهم أبواباً﴾ أي: أغلاقًا على أبوابهم ﴿وسرراً عليها يتكئون﴾ أي: جميع ذلك يكون فضة ، ﴿وزخرفاً﴾ أي^[٨]: وذهبًا . قاله ابن عباس ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد .

[٢] - في ز ، خ : « يقينا » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « أعطينا » .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « قليل » .

[٧] - في خ : « قال » .

ثم قال : ﴿ وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [أي : إنما ذلك من الدنيا] ^[١] الفانية الزائلة الحقيرة عند الله ، أي : يجعل لهم بحسناتهم التي يعملونها ^[٢] في الدنيا مآكل ومشارب ، ليؤافوا الآخرة وليس لهم عند الله حسنة يجزيهم بها ، كما ورد به الحديث الصحيح .

وورد في حديث آخر : « لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ، ما سقى منها كافراً شربة ماء » . أسنده البغوي من رواية زكريا بن منظور ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ^[٣] ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكره ^(١١) .

ورواه الطبراني من طريق زَمْعَةَ بن صالح ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لو عذلت الدنيا جناح بعوضة ، ما أعطى كافراً منها شيئاً » .

ثم قال : ﴿ وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي : هي لهم خاصة لا يشاركهم فيها غيرهم ؛ ولهذا لما قال عمر بن الخطاب ^(١٢) لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين صعد إليه في تلك المشربة لما آلى من نسائه ، فراه على زَمَالٍ حصير قد أثر بجنبه ، فابتدرت عيناه بالبكاء ، وقال : يا رسول الله ؛ هذا كسرئى وقصر فيما هما فيه ، وأنت صفوة الله من خلقه . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً فجلس وقال : « أَوْ فِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَابِ ؟ ! » ثم قال : « أولئك قوم عجلت لهم طياتهم في حياتهم الدنيا » ، وفي رواية : « أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ ! » .

وفي الصحيحين أيضاً وغيرهما ^(١٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا في صحافها ، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة » .

وإنما خولهم الله تعالى في الدنيا لحقارتها [^[٤]] ، كما روى الترمذي وابن ماجه ^(١٤) ، من

(١١) - ومن طريق زكريا بن منظور رواه ابن ماجه (٤١١٠) والحاكم (٣٠٦/٤) وصحح إسناده الحاكم فتعقبه الذهبي بأن : « زكريا بن منظور ضعفه » ورواه الطبراني في « الكبير » (٥٩٢١/٦) من طريق عبيد بن عقييل ، عن زَمْعَةَ بن صالح به ، وزمعة ضعيف ، وقد رواه الترمذي (٢٣٢٠) وأبو نعيم في « الحلية » (٣/٢٥٣) وغيرهما من طريق عبد الحميد بن سليمان ، عن أبي حازم به . وقال الترمذي : « حديث صحيح غريب » !! وعبد الحميد بن سليمان ضعفه ، لكن الحديث يتقوى بهذه المتابعات لا سيما وأن له شواهداً عن عدد من الصحابة ولذلك رقم به أبو عبد الرحمن الألباني حديث (٦٨٦) من « الصحيحة » فراجع به شواهد .

(١٢) - رواه البخاري (٢٤٦٨) - وانظره بأطرافه عند رقم (٨٩) - ومسلم (١٤٧٩) وغيرهما .

(١٣) - رواه البخاري (٥٤٢٦) ، ومسلم (٤) (٢٠٦٧) وغيرهما من حديث حذيفة .

(١٤) - تقدم تخريجه انظر رقم (١٥) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « تعجلونها » ، خ : « تجعلونها » . [٣] - في ز : « سعيد » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « في الدنيا » .

طريق أبي حازم ، عن سهل بن سعد ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كانت الدنيا تزق عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء أبداً » . قال الترمذي : حسن صحيح .

وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَلَيَنْتَهُمْ
لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْبَسُ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ
أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُشْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَىٰ وَمَنْ
كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ
نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَسِيكَ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ
إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾
وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ
﴿٤٥﴾

يقول تعالى : ﴿ ومن يعش ﴾ أي : يتعمى ويتغافل ويعرض ^[١] ﴿ عن ذكر الرحمن ﴾ ، والعشا في العين : ضعف بصرها ، والمراد هاهنا عشا البصيرة ، ﴿ نفى له شيطاناً فهو له قرين ﴾ ، كقوله : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾ ، وكقوله : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ وكقوله : ﴿ وقضينا لهم قرناً فزينا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ * حتى إذا جاءنا ﴿ أي : هذا الذي تغافل عن الهدى نفى له من الشياطين من يضلّه ، ويهديه إلى صراط الجحيم . فإذا وافى الله يوم القيامة يتبرم بالشيطان الذي وكل به ، ﴿ قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾ ، وقرأ بعضهم : ﴿ حتى إذا جاءنا ﴾ يعني القرين والمقارن .

قال عبد الرزاق (١٥) : أخبرنا معمر ، عن سعيد الجري قال : بَلَّغْنَا أَنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُعِثَ مِنْ قَبْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَعَ [١] يَدُهُ شَيْطَانٌ فَلَمْ يَفَارِقْهُ ، حَتَّى يَصِيرَهُمَا [٢] اللَّهُ تَعَالَى إِلَى النَّارِ ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ : ﴿ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبُئْسَ الْقَرِينُ ﴾ .

والمراد بالمشرقين هُنا هو : ما بين المشرق والمغرب . وإنما استعمل هاهنا تغليظاً ، كما قيل [٣] : الْقَمَرَانِ ، وَالْعَمْرَانِ ، وَالْأَبْوَانِ . قاله ابن جرير (١٦) وغيره .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ أي : لا يعني عنكم اجتماعكم في النار واشتراككم في العذاب الأليم .

وقوله : ﴿ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعَمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ أي : ليس ذلك إليك ، إنما عليك البلاغ ، وليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، وهو الحكم العدل في ذلك .

ثم قال : ﴿ فَإِنَّمَا نَذِيرٌ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴾ أي : لا بد أن ننتقم [٤] منهم ونعاقبهم ، ولو ذهب أنت ، ﴿ أَوْ لَرَيْنِكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴾ أي : نحن قادرون على هذا وعلى هذا . ولم يقبض الله رسوله حتى أَقَرَّ عينه من أعدائه ، وحكمه في نواصبيهم ، وملَّكه ما تضمنته صياصبيهم ، هذا معنى قول السدى ، واختاره ابن جرير .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : تلا فتادة : ﴿ فَإِنَّمَا نَذِيرٌ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴾ فقال : ذهب النبي صلى الله عليه وسلم وبقيت النعمة ، ولم يُرِ الله نبيه صلى الله عليه وسلم في أمته شيئاً يكرهه حتى مضى ، ولم يكن نبي قط إلا ورأى العقوبة في أمته ، إلا نبيكم صلى الله عليه وسلم . قال : وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَرَى ما يصيب أمته من [٥] بعده ، فما رُئي ضاحكاً منبسطاً حتى قبضه الله عز وجل (١٧) .

(١٥) - « التفسير » لعبد الرزاق (١٩٦/٣) وإسناده صحيح إلى الجري : وقد رواه ابن جرير (٧٥، ٧٤/٢٤) من طريق ابن ثور عن معمر به .

(١٦) - تفسير ابن جرير (٧٤/٢٤) .

(١٧) - تفسير ابن جرير (٧٥/٢٤) ورواه عبد الرزاق (١٩٧/٣) عن معمر به ، وهذا مرسل وقد وصله ، الحاكم (٤٤٧/٢) من طريق محمد بن عبيد ، عن محمد بن ثور به موصولاً ، من حديث أنس ، لكن فيه عننة فتادة ، وقد ذكر السيوطي في « الدر المنثور » (٧٢٤/٥) وزاد عزوه إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

[٢] - في خ : « يصيرها » .

[٤] - في ز : « ينتقم » .

[١] - في ت : « سَفَعَ » .

[٣] - في ت : « يقال » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

وذكر من رواية سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة نحوه . ثم روى ابن جرير [عن الحسن]^[١] نحو ذلك أيضًا .

وفي الحديث : « النجوم أمانة للسماء^[٢] فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمانة لأصحابي ، فإذا ذهب أتى أصحابي ما يُوعَدُونَ »^(١٨) .

ثم قال تعالى : ﴿ فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم ﴾ أي : خذ بالقرآن [المنزل]^[٣] على قلبك ، فإنه []^[٤] الحق ، وما يهدي^[٥] إليه هو الحق المُفْضِي إلى صراط الله المستقيم ، الموصل إلى جنات النعيم ، والخير الدائم المقيم .

ثم قال : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ ، قيل^[٦] : معناه لشرف لك ولقومك ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقاتدة ، والسدي ، وابن زيد . واختاره ابن جرير ولم يحك سواه .

وأورد البَغَوِيُّ هاهنا حديثَ الزهري ، عن محمد بن مجبّر بن مُطعم ، عن معاوية قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن هذا الأمر في قريش لا ينازعهم فيه أحد إلا أكبه الله على وجهه ما أقاموا الدين » . رواه البخاري^(١٩) .

ومعناه : أنه شرف لهم من حيث إنه أنزل بلغتهم ، فهم أفهم الناس له ، فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به وأعملهم بمقتضاه ، وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخُلص من المهاجرين السابقين الأولين ، ومن شابههم وتابعهم .

وقيل : معناه : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ أي : لتذكير لك ولقومك ، وتخصيصهم بالذكر لا ينفي من سواهم ، كقوله : ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم أفلا تعقلون ﴾ وكقوله : ﴿ وأنذر عشيرتَك الأقربين ﴾ .

﴿ وسوف تسألون ﴾ أي : عن هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له .

وقوله : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾

(١٨) - رواه مسلم ، كتاب : فضائل الصحابة (٢٠٧) (٢٥٣١) من حديث أبي موسى الأشعري ، وبقيّة الحديث : « وأصحابي أمانة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يُوعَدُونَ » .

(١٩) - رواه البخاري ، كتاب : المناقب قريش (٣٥٠٠) ، وكذا رواه أحمد (٩٤/٤) والنسائي في الكبرى ، كتاب : السير (٨٧٥٠/٥) من طريق شعيب بن أبي حمزة عن الزهري به .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « من السماء » .

[٣] - ما بين المعكوفين مكرر في ز . [٤] - في ت : هو .

[٥] - في ز : « يدي » ، خ : « يجدى » . [٦] - سقط من : خ .

أي : جميع الرسل دَعَوُا إلى ما دَعَوَتِ النَّاسَ إليه من عبادة الله وحده لا شريك له ، ونَهَوُا عن عبادة الأصنام والأنداد ، كقوله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ ، قال مجاهد : في قراءة عبد الله بن مسعود : (واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا) . وهكذا ^[١] حكاه قتادة والضحاك والسدي عن ابن مسعود . وهذا كأنه تفسير لا تلاوة ، والله أعلم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : واسألهم ليلة الإسراء فإن الأنبياء جمعوا له . واختار ابن جرير الأول ^(٢٠) .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ
إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا
يَتَأْتِيهِ السَّحَرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله موسى - عليه السلام - : أنه ابتعثه إلى فرعون وملئه من الأمراء والوزراء والقادة ، والأتباع والرعايا ، من القبط وبني إسرائيل ، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وينهاهم عن عبادة ما سواه ، وأنه بعث معه آيات عظاما كينه وعصاه ، وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، ومن نقص الزروع والأنفس والثمار ، ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها والانقياد لها ، وكذبوها [وسخروا منها] ^[٢] ، وضحكوا ممن جاءهم بها . ﴿ وما تأتئهم من آية إلا هي أكبر من أختها ﴾ ، ومع هذا ما رجعوا عن غيهم وضلالهم ، وجهلهم وخبالهم . وكلما جاءتهم آية من هذه الآيات يضرعون إلى موسى - عليه السلام - ويتلطفون له في العبارة بقولهم : ﴿ يا أيها الساحر ﴾ أي : العالم ، قاله ابن جرير ^(٢١) .

وكان علماء زمانهم هم السحرة . ولم يكن السحر عندهم في زمانهم مذمومًا ، فليس هذا

(٢٠) - انظر تفسيره (٧٨/٢٥) .

(٢١) - انظر تفسيره (٨٠/٢٥) .

[١] - في ت : « هكذا » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « وسخروها منهما » .

منهم ؛ على سبيل الانتقاص منهم ، لأن الحال حال ضرورة منهم إليه لا تناسب^[١] ذلك ، وإنما هو تعظيم في زعمهم ففي كل مرة يعدون موسى إن كشف عنهم هذا أن يؤمنوا ويرسلوا معه بني إسرائيل . وفي كل مرة ينكثون ما عاهدوا عليه ، وهذا كقوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ * وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعِ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَتَكُنْ مِنكُم مِّنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ لَّكُم مِّنْ عِندِ رَبِّكَ إِسْرَءِيلُ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغَوَى إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ .

وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُورِ آلِيسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ
تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ
يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَهُ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ
﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَتْسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا
ءَاسَفُونَا أُنْفِقْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا
لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى مخبراً عن فرعون وقرده وعتوه وكفره وعناده : أنه جمع قومه ، فنادى فيهم مُتَّبِعًا مفتخرًا بملك مصر وتصرفه فيها : ﴿ أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ﴾ ، قال قتادة : قد كانت لهم جنات وأنهار ماء ، ﴿ أفلا تبصرون ﴾ ؟ أي : أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك ، يعني : وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء . وهذا كقوله تعالى : ﴿ فحشر فنادى * فقال أنا ربكم الأعلى * فأخذ الله نكال الآخرة والأولى ﴾ .

وقوله : ﴿ أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ﴾ قال السدي : يقول : بل أنا خير من هذا الذي هو مهين . وهكذا قال بعض نحاة البصرة : إن « أم » هاهنا بمعنى « بل » . ويؤيد هذا ما حكاه الفراء عن بعض القراء أنه قرأها : ﴿ أما أنا خير من هذا الذي هو مهين ﴾ . قال ابن جرير : ولو صحت هذه القراءة لكان معناها صحيحاً واضحاً ، ولكنها خلاف قراءة الأمصار ، فإنهم قرأوا : ﴿ أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ﴾ على الاستفهام .

قلت : وعلى كل تقدير فإنما يعني فرعون - عليه اللعنة - أنه خير من موسى - عليه السلام - وقد كذب في قوله هذا كذباً بيناً واضحاً ، فعليه لعائن الله المتابعة^[٢] إلى يوم

[٢] - في ز ، خ : « التابعة » .

[١] - في ز ، خ : « يناسب » .

القيامة .

ويعني بقوله ﴿ مهين ﴾ كما قال سفيان : حقير . وقال قتادة ، والسدي : يعني ضعيف .
وقال ابن جرير : يعني لا مُلك له ولا سلطان ولا مال .

﴿ ولا يكاد يبين ﴾ يعني : لا يكاد يفصح عن كلامه ، فهو عبي^[١] حصر .

قال السدي : ﴿ لا يكاد يبين ﴾ أي : لا يكاد يفهم . وقال قتادة ، والسدي ، وابن جرير : يعني^[٢] عبي اللسان . وقال سفيان : يعني في لسانه شيء من الجفرة حين وضعها في فيه وهو صغير .

وهذا الذي قاله فرعون - لعنه الله - كذب واختلاق ، وإنما حمّله على هذا الكفر والعناد ، وهو ينظر إلى موسى - عليه السلام - بعين كافرة شقية ، وقد كان موسى - عليه السلام - من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يهر أبصار ذوي الألباب . وقوله : ﴿ مهين ﴾ كذب ، بل هو المهين الحقير خلقةً وخلقاً ودينًا . وموسى هو الشريف الرئيس^[٣] الصادق البار الراشد . وقوله : ﴿ ولا يكاد يبين ﴾ افتراء أيضًا ، فإنه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة ، فقد سأل الله - عز وجل - أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله ، وقد استجاب الله له في قوله : ﴿ قد أوتيت سؤالك يا موسى ﴾ ، ويتقدير أن يكون قد بقي شيء لم يسأل إزالته ، كما قاله الحسن البصري ، وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإبلاغ والإفهام ، فالأشياء الخلقية^[٤] التي ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذم عليها ، وفرعون وإن كان يفهم وله عقل فهو يدري هذا ، وإنما أراد الترويح على رعيته ، فإنهم كانوا جهلة أغبياء ، وهكذا قوله : ﴿ فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب ﴾ أي^[٥] : وهي ما يجعل في الأيدي من الحلبي . قاله ابن عباس وقاتدة وغير واحد .

﴿ أو جاء معه الملائكة مقترنين ﴾ أي : يكتنفونه خدمة له ويشهدون بصديقه ، [نظر إلى الشكل]^[٦] الظاهر ، ولم يفهم السر المعنوي الذي هو أظهر مما نظر إليه ، لو كان يعلم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه ﴾ أي : استخف عقولهم ، فدعاهم إلى الضلالة فاستجابوا له ، ﴿ إنهم كانوا قومًا فاسقين ﴾ .

قال الله تعالى : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ آسفونا ﴾ : أسخطونا^[٧] .

(٢٢) - رواه ابن جرير (٨٤/٢٥) وفيه انقطاع بين علي بن أبي طلحة ، وابن عباس .

[٢] - سقط من : خ .

[١] - في خ : « غبي » .

[٤] - في ز ، خ : « الحلقة » .

[٣] - سقط من : خ .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « نظرًا للشكل » .

وقال الضحاك عنه : أغضبونا . وهكذا قال ابن عباس أيضاً ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد ابن جبير ، ومحمد بن كعب القرظي ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم من المفسرين .

وقال ابن أبي حاتم^(٢٣) : حدثنا أبو عبيد^[١] الله ابن أخي ابن وهب ، حدثنا عمي ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عقبة بن مسلم التميمي ، عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا رأيت الله - عز وجل - يعطي العبد ما شاء وهو مقيم على معاصيه ، فإنما ذلك استدراج منه له^[٢] » ، ثم تلا : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ﴾ .

وحدثنا أبي^(٢٤) ، حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن قيس ابن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : كنت عند عبد الله فذكر عنده موت الفجأة ، فقال : تخفيف على المؤمن ، وحسرة على الكافر . ثم قرأ : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم ﴾ .

وقال عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - : وجدت النعمة مع الغفلة . يعني قوله : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ﴾ .

وقوله : ﴿ فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴾ قال أبو مجلز : ﴿ سلفاً ﴾ مثل من عمل بعملهم وقال هو ومجاهد : ﴿ ومثلاً ﴾ أي : عبرة لمن بعدهم^[٣] .

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ (٥٧) وَقَالُوا
ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ
هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا
مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ (٦٠) وَإِنَّهُمْ لَوَعْلَمُ لِّلْسَاعَةِ فَلَا تَمْنُنَ بِهَا
وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّكُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُّبِينٌ (٦٢) وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ

(٢٣) - تقدم تخريجه (سورة الأنعام/ آية ٤٥/ ج ٥٢) .

(٢٤) - وكذا عزاه لابن أبي حاتم السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٢٧، ٧٢٨) ، وقد زاد عزوه إلى ابن المنذر وإسناده ضعيف لضعف الحماني وقيس بن الربيع ، لكن صح مرفوعاً من وجه آخر [راجع كتاب (الفوائد) بتحقيقنا] .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[١] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « بعدهم » .

بَعْضَ الَّذِي تَخْلِفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٤) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ
لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ (٦٥)

يقول تعالى مخبراً عن تعنت قريش في كفرهم وتعمدهم العناد والجدل: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون﴾ ، قال غير واحد ، عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، والسدي : يضحكون ، [أي : أعجبوا بذلك .

وقال قتادة : يجزعون ويضحكون]^[١] . وقال إبراهيم النخعي : يعرضون .

وكان السبب في ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة حيث قال : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم ، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم : ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ ... الآيات . ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزبير التميمي ، حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم . فقال عبد الله بن الزبير : أما والله لو وجدته لخصصته ، سلوا محمداً : أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ، فنحن نعبد الملائكة ، واليهود نعبد عزيزاً ، والنصارى تعبد المسيح ابن مريم ؟ فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبير ، ورأوا أنه قد احتج وخصم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « كل من أحب^[٢] أن يعبد من دون الله ، فهو مع من عبده ، فإنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته » ، فأنزل الله عز وجل : ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ أي : عيسى [وعزير ومن عبد معهما]^[٣] من الأحرار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله - عز وجل - فاتخذهم^[٤] من يعبدون من أهل الضلالة أرباباً من دون الله . ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها^[٥] بنات الله ، ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون﴾ ... الآيات ، ونزل فيما يذكر من

[١] - ما بين المعكوفين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « أراد » .

[٣] - ما بين المعكوفين في ز : « وعزيراً ومن عبدوا » . [٤] - في خ : « فاتخذوهم » .

[٥] - في ت : « وأنهم » .

أمر عيسى وأنه يعيد من دون الله . وعَجِب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ﴾ أي : يصدون عن أمرك بذلك من قوله [١]. ثم ذكر عيسى فقال : ﴿ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل * ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلقون * وإنه لعلم للساعة ﴾ أي : ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى وإبراء الأسقام ، فكفى به دليلاً على علم الساعة . يقول : ﴿ فلا تفترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ﴾ .

وذكر ابن جرير^(٢٥) من رواية العوفي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ﴾ ، قال : يعني قريشاً ، لما قيل لهم : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ إلى آخر الآيات ، فقالت له قريش : فما ابن مريم ؟ قال : « ذاك عبد الله ورسوله » . فقالوا : والله ما يريد هذا إلا أن تتخذه ربّاً ، كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم ربّاً . فقال الله تعالى : ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً ، بل هم قوم خصمون ﴾ .

وقال الإمام أحمد^(٢٦) : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا شيان ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي رزين ، عن أبي يحيى - مولى ابن عقيل الأنصاري - قال : قال ابن عباس : لقد علمت آية من القرآن ما سألتني عنها رجل قط ، فما أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها ، أم لم يفتنوا لها فيسألوا عنها . قال . ثم طفق يحدثنا ، فلما قام تلاؤمنا أن لا نكون سألناه عنها ؟ . فقلت : أنا لها إذا راح غداً . فلما راح الغد قلت : يا ابن عباس ؛ ذكرت أمس أن آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط ، فلا تدري أعلمها الناس أم لم يفتنوا لها ؟ فقلت : أخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلها . قال : نعم ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

(٢٥) - رواه ابن جرير (٨٦/٢٥) بإسناد مسلسل بالضعفاء ، أولهم عطية العوفي .

(٢٦) - « المسند » (٣١٨، ٣١٧/١) وصحح إسناده الشيخ أبو الأشبال أحمد شاکر في « تعليقه على المسند » [١ ج رقم ٢٩٢١ / (٣٢٩، ٣٢٨/٤)] وإسناده حسن لكلام في عاصم بن أبي النجود ، وباقي رجاله ثقات ، وقد رواه ابن أبي حاتم - كما قال المصنف هذا - من طريق آدم ثنا شيان به ، ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٢٧٤٠/١٢) من طريق الوليد بن مسلم ثنا سفيان ، وشيخان عن عاصم به .

ورواه الطبراني أيضاً (١٢٧٣٩/١٢) من طريق علي بن المديني ، ثنا يحيى بن آدم ، عن أبي بكر بن عياش ، عن عاصم بهدلة ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس به ، كذا ليس فيه « أبو يحيى الأنصاري » وأبو بكر بن عياش متكلم في حفظه ، فرواية شيان وسفيان أصح .

والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠٧/٧) وقال : « رواه أحمد والطبراني . . . وفيه عاصم بن بهدلة وثقه أحمد وغيره وهو سبىء الحفظ ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

والخبر ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٧٢٨/٥) وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

لقريش : « يا معشر قريش ، إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير » . وقد علمت قريش أن النصاري تعبد عيسى ابن مريم وما تقول في محمد ، فقالوا : يا محمد ؛ أأنت تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً ، فإن كنت صادقاً كان آلهتهم كما^[١] تقولون ؟ قال : فأنزل الله ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ﴾ . [قلت : ما يصدون ؟]^[٢] قال : يضحكون ، ﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾ ، قال : هو خروج عيسى ابن مريم قبل القيامة^(٢٧) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن يعقوب الدمشقي ، حدثنا آدم ، حدثنا شيبان ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي أحمد مولى الأنصار^[٣] ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر قريش ، إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير » . فقالوا له : أأنت تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً ، فقد كان يعبد من دون الله ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ﴾^(٢٨) .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ﴾ ، قالت قريش : إنما يريد محمد أن نعبد كما عبد قوم عيسى عيسى^[٤] . ونحو هذا قال قتادة .

وقوله : ﴿ وقالوا آلهتنا خير أم هو ﴾ ، قال قتادة : يقولون^[٥] : آلهتنا خير منه . وقال قتادة : قرأ ابن مسعود : (وقالوا آلهتنا خير أم هذا) يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً ﴾ أي : مرء ، وهم يعلمون أنه ليس بوارد على الآية ، لأنها لما لا يعقل ، وهي قوله : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله خصب جهنم ﴾ . ثم هي خطاب لقريش ، وهم إنما كانوا يعبدون الأصنام والأنداد ، ولم يكونوا يعبدون المسيح حتى يورده^[٦] ، فتعين أن مقالهم إنما كانت جدلاً منهم ليسوا يعتقدون صحتها .

وقد قال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - : حدثنا ابن نمير ، حدثنا حجاج بن دينار ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾ .

(٢٧) - المسند (٣١٨/١) .

(٢٨) - الطبراني (١٥٤/١٢) .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « يورده » .

[١] - في ز ، خ : « لكما » .

[٣] - في ز ، خ : « الأنصارين » .

[٥] - في ز ، خ : « يقول » .

وقد رواه الترمذي ، وابن ماجه ، وابن جرير ، من حديث حجاج بن دينار ، به . ثم قال الترمذي : حسن صحيح ، لا نعرفه إلا من حديثه^(٢٩) . كذا قال .

وقد روي من وجه آخر عن أبي أمامة بزيادة ، فقال ابن أبي حاتم : حدثنا حميد بن عياش الرملي ، حدثنا مؤمل ، حدثنا حماد ، أخبرنا ابن مخزوم ، عن القاسم أبي عبد الرحمن الشامي ، عن أبي أمامة - قال حماد : لا أدري رفعه أم^[١] لا ؟ قال : ما ضلت أمة بعد نبيها إلا كان أول ضلالها التكذيب بالقدر ، وما ضلت أمة بعد نبيها إلا أعطوا الجدل ، ثم قرأ : ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾^(٣٠) .

وقال ابن جرير أيضًا : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، عن عباد^[٢] بن عباد ، عن جعفر ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال^[٣] : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن ، فغضب غضبًا شديدًا حتى^[٤] كأنما صب على وجهه الخل ، ثم قال : « لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، فإنه ماضل قوم^[٥] قط إلا أوتوا الجدل » ، ثم تلا : ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾ .

وقوله : ﴿ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ﴾ ، يعني عيسى - عليه السلام - ما هو إلا عبد أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة ، ﴿ وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل ﴾ أي : دلالة وحجة وبرهاناً^[٦] على قدرتنا على ما نشاء .

وقوله : ﴿ ولو نشاء لجعلنا منكم ﴾ أي : بدلكم ﴿ ملائكة في الأرض يخلفون ﴾ ، قال السدي : يخلفونكم فيها . وقال ابن عباس ، وقتادة : يخلف بعضهم بعضًا ، كما يخلف بعضهم بعضاً^[٧] . وهذا القول يستلزم الأول . وقال مجاهد : يعمرن الأرض بدلكم .

(٢٩) - المسند (٢٥٢/٥ ، ٢٥٦) . حجاج بن دينار : قال أحمد ويحيى : ليس به بأس . وقال أبو حاتم : لا يحتج به . وقال الدارقطني : ليس بالقوي . وقد وثقه ابن المبارك ويعقوب بن شيبه والعجلي . (الميزان ١/ ٤٦١) . وشهاب بن خراش : صدوق يخطئ روى له أبو داود .

وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الزخرف (٥ / ٣٧٨ ، ٣٧٩ / رقم : ٣٢٥٣) . وقال : هذا حديث حسن صحيح إنما نعرفه من حديث حجاج بن دينار ، وحجاج ثقة مقارب الحديث . وابن ماجه في المقدمة ، باب : اجتناب الدرع والجدل (١ / ١٩ / رقم : ٤٨) . كلاهما من طريق حجاج بن دينار به .

(٣٠) - تفسير الطبري (٥٣/٢٥) .

[٢] - في ز ، خ : « عبادة » .

[١] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ت : « وبرهان » .

[٥] - في خ : « أمة » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ الْسَّاعَةَ ﴾ ، تقدم تفسير ابن إسحاق : أن المراد من ذلك ما بُعث^[١] به عيسى - عليه السلام - من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، وغير ذلك من الأسقام . وفي هذا نظر . وأبعد منه ما حكاه قتادة ، عن الحسن البصري وسعيد بن جبير : أن^[٢] الضمير في ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ ، عائد على القرآن ، بل الصحيح أنه عائد على عيسى ، فإن^[٣] السياق في ذكره ، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة ، [كما قال تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ قبل موت عيسى - عليه السلام - ثم ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾^[٤] يكون عليهم شهيداً ﴿ ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى : ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ الْسَّاعَةَ ﴾ أي^[٥] : [أمانة ودليل على وقوع الساعة]^[٦] ، قال مجاهد : ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ الْسَّاعَةَ ﴾ أي : آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة . وهكذا روي عن أبي هريرة ، وابن عباس ، وأبي العالية ، وأبي مالك ، وعكرمة ، والحسن ، وقاتدة ، والضحاك ، وغيرهم .

وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر بنزول عيسى [بن مريم]^[٧] - عليه السلام - قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً .

وقوله : ﴿ فَلَا تَمْتَرْنَ بِهَا ﴾ أي : لا تشكوا فيها ، إنها واقعة وكائنة لا محالة ، ﴿ وَاتَّبِعُون ﴾ أي : فيما أخبركم به ﴿ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَا يَصُدَّنْكُمْ الشَّيْطَانُ ﴾ [١] ، أي : عن اتباع الحق ﴿ [٨] ﴾ إنه لكم عدو مبين * ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ﴿ أي : بالنبوة ، ﴿ وَلَآئِينَ لَكُمْ مِنْكُمْ بَعْضٌ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ ﴾ .

قال ابن جرير : يعني من الأمور الدينية لا الدنيوية^(٣١) . وهذا الذي قاله حسن جيد ، ثم رد قول من زعم أن « بعض » هاهنا بمعنى « كل » ، واستشهد بقول لبيد الشاعر [حيث قال]^[٩] : تَرَاكَ أَمْكِسَةً إِذَا لَمْ أَرْضَها أَوْ يَغْتَلِقُ^[١٠] بَعْضَ النَّفْسِ حَمَامَهَا وأولوه على أنه أراد جميع النفوس^[١١] . قال ابن جرير : وإنما أراد نفسه فقط ، وعبر بالبعض عنها . وهذا الذي قاله محتمل .

(٣١) - تفسير الطبري (٥٥/٢٥) .

- [١] - في ز ، خ : « يبعث » .
 [٢] - في ت : « أي » .
 [٣] - في خ : « لأن » .
 [٤] - سقط من : خ .
 [٥] - سقط من : خ .
 [٦] - ما بين المعكوفين في ز : « آية للساعة » ، وسقط من : خ .
 [٧] - ما بين المعكوفين زيادة من : ز .
 [٨] - ما بين المعكوفين سقط من : ز ، خ .
 [٩] - ما بين المعكوفين سقط من ت .
 [١٠] - في ز ، خ : « تغلق » .
 [١١] - سقط من : ز ، خ .

وقوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أي : فيما أمركم به ، ﴿ وَأَطِيعُوا ﴾ ، فيما جئتمكم به ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ ، هذا صراط مستقيم ﴿ ، [أي : أنا وأنتم عبيد له ، فقرأء إليه ، مشتركون في عبادته وحده لا شريك له ، ﴿ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾]^[١] ، أي : هذا الذي جئتمكم به هو الصراط المستقيم ، وهو عبادة الرب - عز وجل - وحده .

وقوله : ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ أي : اختلفت الفرق وصاروا شيعا فيه ، منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله - وهو الحق - ومنهم من يدعي أنه ولد الله ، ومنهم من يقول : إنه الله - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا - ولهذا قال : ﴿ قَوْلِ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَوْمِ ﴾ .

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَتَّبِعُونَكَ بِاتِّخَافٍ كَبِيرٍ وَلَا أَنْتَ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمُ تُحِبُّونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا شَتَّاهِيَ الْأَنْفُسُ وَلَكِنَّ الْأَعْيُنَ لَا رَأْيَ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

يقول تعالى : هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذبون للرسول ﴿ إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾ أي : فإنها كائنة لا محالة وواقعة ، وهؤلاء غافلون عنها غير مستعدين . فإذا جاءت إنما تجيء وهم لا يشعرون بها ، فحينئذ يندمون كل الندم ، حيث لا ينفعهم ولا يدفع عنهم .

وقوله تعالى : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ أي : كل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة ، إلا ما كان لله - عز وجل - فإنه دائم بدوامه . وهذا كما قال إبراهيم - عليه السلام - لقومه : ﴿ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعَنَّ مِنْكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من : ز ، خ .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي - رضي الله عنه - : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ ، قال : خليلان مؤمنان ، و خليلان كافران ، فتوفي^[١] أحد المؤمنين وبشر بالجنة فذكر خليله ، فقال : اللهم ؛ إن فلاناً خليلي ؛ كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ، وينبئني أنني^[٢] ملائكتك ، اللهم ؛ فلا تضله بعدي حتي تريه مثل ما أرئيتني ، وترضني عنه كما رضيت عني . فيقال له : اذهب فلو تعلم ماله^[٣] عندي لضحكك كثيراً وبكى قليلاً . قال : ثم يموت الآخر ، فتجتمع أرواحهما ، فيقال : ليئن أحدكما على صاحبه ، فيقول كل واحد منهما لصاحبه : نعم الأخ ، ونعم الصاحب ، ونعم الخليل . وإذا مات أحد الكافرين فيشر^[٤] بالنار ذكر خليله فيقول : اللهم ؛ إن خليلي فلاناً كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك ، ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ، ويخبرني أنني غير ملائكتك ، اللهم ؛ فلا تهده بعدي حتي تريه مثل ما أرئيتني ، وتسخط عليه كما سخطت علي . قال : فيموت الكافر الآخر^[٥] ، فيجمع بين أرواحهما . فيقال : ليئن كل واحد منكما على صاحبه . فيقول كل واحد منهما لصاحبه : بئس الأخ ، وبئس الصاحب ، وبئس الخليل . رواه ابن أبي حاتم^(٣٢) .

وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : صارت كل خلة عداوة يوم القيامة إلا المتقين .

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن أحمد ، عن هشام بن عبد الله بن كثير : حدثنا أبو جعفر محمد بن الخضر بالركة ، عن معافئ ، حدثنا^[٦] حكيم بن نافع ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن رجلين تحابا في الله ، أحدهما بالشرق والآخر بالمغرب ، لجمع^[٧] الله بينهما يوم القيامة ، يقول : هذا الذي أحببته في »^(٣٣) .

وقوله : ﴿ يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾ [ثم بشرهم فقال : ﴿ الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ﴾ ، أي : آمنت قلوبهم وبواطنهم ، وانقادوا لشرع الله جوارحهم وظواهرهم .

قال المعتمر بن سليمان ، عن أبيه : إذا كان يوم القيامة فإن الناس حين يبعثون لا يبقى أحد منهم

(٣٢) - تفسير عبد الرزاق (١٦٤/٢) .

(٣٣) - مختصر تاريخ دمشق (٧٩/٢٧) .

[٢] - في خ : « أنه » .

[١] - في ت : « فتوفي » .

[٣] - في تفسير عبد الرزاق : مالك .

[٤] - في ت : « وبشر » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في خ : « يجمع » .

[٧] - في ز ، خ : « بن » .

إلا فرح ، فينادي مناد : ﴿ يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾ [١] فيرجوها الناس كلهم ، قال : فيثبّتها : ﴿ الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ﴾ ، قال : فيأس الناس منها غير المؤمنين .

﴿ ادخلوا الجنة ﴾ أي : يقال لهم : ادخلوا الجنة ﴿ أنتم وأزواجكم ﴾ أي : نظراؤكم ﴿ تحبرون ﴾ أي : تنعمون [٢] وتسعدون ، وقد تقدم تفسيرها في سورة الروم .

﴿ يطاف عليهم بصحاف من ذهب ﴾ أي : زبّادى آنية الطعام ، ﴿ وأكواب ﴾ ، وهي : آنية الشراب ، أي : من ذهب لا خراطيم لها ولا غرى ، ﴿ وفيها ما تشتهي الأنفس ﴾ - وقرأ بعضهم : ﴿ تشتهي الأنفس ﴾ ﴿ وتلد الأعين ﴾ أي : طيب الطعم والريح و [٣] حسن المنظر .

قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، أخبرني إسماعيل بن أبي سعيد ، عن عكرمة - مولى ابن عباس - أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أدنى أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة ، لرجل لا يدخل الجنة [بعده] [٤] أحد ، يُفسح [٥] له في بصره مسيرة مائة عام في قصور من ذهب ، وخيام من [٦] لؤلؤ ، ليس فيها موضع شبر إلا معمور يغدئ عليه ويراح بسبعين ألف صحيفة [٧] من ذهب ، ليس فيها صحيفة إلا فيها لون ليس في الأخرى مثله ، شهوته [٨] في آخرها كشهوته في أولها ، لو نزل به جميع أهل الأرض لوسع عليهم مما أعطي ، لا ينقص ذلك مما أوتي شيئا » [٣٤] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين بن الجعيد ، حدثنا عمرو بن سواد [٩] الشرحي [١٠] ، حدثنا عبد الله بن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن عُقيل بن خالد ، عن الحسن ، عن أبي هريرة ؛ أن أبا أمانة - رضي الله عنه - حدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم - وذكر الجنة - فقال : « والذي نفس محمد بيده ، ليأخذن أحدكم اللقمة فيجعلها في فيه ثم يخطر على باله طعام آخر ، فيتحول الطعام الذي في فيه على الذي اشتهى » ثم قرأ : ﴿ وفيها ما تشتهي الأنفس وتلد الأعين وأنتم فيها خالدون ﴾ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن - هو ابن موسى - حدثنا سكين بن عبد العزيز ، حدثنا

(٣٤) - تفسير عبد الرزاق (١٦٥/٢) .

- [١] - ما بين المعكوفين سقط من : ز ، خ .
 [٢] - سقط من : ز ، خ .
 [٣] - سقط من : ز ، خ .
 [٤] - ما بين المعكوفين سقط من : ز ، خ .
 [٥] - في ز ، خ : « يفتح » .
 [٦] - سقط من : ز ، خ .
 [٧] - في ز : « صحيفة » .
 [٨] - في ز : « فشوته » ، خ : « فيشهوته » .
 [٩] - في ز : « ثوار » .
 [١٠] - في ز ، خ : « الرخى » .

[١] الأشعث الضرير ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أدنى أهل الجنة منزلة إن له لسبع درجات ، وهو على السادسة وفوقه السابعة ، وإن له ثلاثمائة خادم ، ويغدئ عليه ويراح كل يوم بثلاثمائة صحيفة [٢] - ولا أعلمه [٣] إلا قال : من ذهب - في كل صحيفة [٤] لون ليس في الأخرى ، وإنه ليَلدَّ أوله كما يلد آخره ، [ومن الأثرية ثلاثمائة إناء ، في كل إناء لون ليس في الآخر ، وإنه ليَلد أوله كما يلد آخره] [٥] وإنه ليقول [٦] : رب [٧] ، لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم ، لم ينقص مما عندي شيء ، وإن له من الخور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا وإن الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض [٨] » .

﴿ وأنتم فيها ﴾ أي : في الجنة ﴿ خالدون ﴾ أي : لا تخرجون منها ولا تبغون [٨] عنها حولاً . ثم قيل لهم على وجه التفضل والامتنان : ﴿ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ أي : أعمالكم الصالحة كانت سبباً لشمول رحمة الله إياكم ، فإنه لا يدخل أحداً عمله الجنة ، ولكن بفضل من [٩] الله ورحمته . وإنما الدرجات تفاوتها بحسب عمل الصالحات .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا الفضل بن شاذان المقرئ ، حدثنا يوسف بن يعقوب - يعني الصفار - حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل أهل النار يرى منزله من الجنة حسرة ، فيقول : ﴿ لو أن الله هداني لكنت من المتقين ﴾ . وكل أهل الجنة يرى منزله من النار فيقول : ﴿ وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ ، فيكون [١٠] له شكراً » . قال : [١١] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار ، فالكافر يرث المؤمن منزله من [١٢] النار . والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة . وذلك قوله تعالى : ﴿ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ [٣٦] .

وقوله : ﴿ لكم فيها فاكهة كثيرة ﴾ أي : من جميع الأنواع ، ﴿ منها تأكلون ﴾ أي :

(٣٥) - المسند (٥٣٧/٢) .

(٣٦) - ورواه أحمد في المسند (٥١٢/٢) .

- | | |
|---|------------------------------|
| [١] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « أبو » . | [٢] - في ز ، خ : « صحيفة » . |
| [٣] - في ز ، خ : « أعلم » . | [٤] - في ز ، خ : « صحيفة » . |
| [٥] - ما بين المعكوفين في سقط من : ز ، خ . | [٦] - في ت : « يقول » . |
| [٧] - في ت : « يا رب » . | [٨] - في ز ، خ : « يبغون » . |
| [٩] - سقط من : ز ، خ . | [١٠] - في ت : « ليكون » . |
| [١١] - سقط من : ز ، خ . | [١٢] - في ز ، خ : « في » . |

مهما^[١] اخترتم وأردتم . ولما ذكر الطعام والشراب ، ذكر بعده الفاكهة لتسم النعمة والغبطة .

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾
وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا بِمَلَائِكَةٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ قَالَ
إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَذِبُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ
أَبْرَأُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾

لما ذكر حال السعداء ، تثنى بذكر الأشقياء ، فقال : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ . لا يُفْتَرُ عَنْهُمْ أي : ساعة واحدة ﴿ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ أي : آيسون من كل خير ، ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ أي : بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجج عليهم وإرسال الرسل إليهم ، فكذبوا وعصوا ، فجازوا بذلك جزاء وفاقا ، وما ربك بظلام للعبيد . ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ ﴾ وهو : خازن النار .

قال البخاري : حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن عطاء ، عن صفوان بن يعلى ، عن أبيه ؛ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾^(٣٧) . أي : لِيَقْضِ^[٢] أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه ، فإنهم كما قال تعالى : ﴿ لَا يَقْضِي عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا وَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴾ وقال : ﴿ وَيُتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴾ الذي يصلى النار الكبرى . ثم لا يموت فيها ولا يحيى ﴿ فَلَمَّا سَأَلُوا أَنْ يُمَيِّتُوا أَجَابَهُمُ الْمَلَكُ : ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُونُونَ ﴾ ، قال ابن عباس : مكث ألف سنة ، ثم قال : إِنَّكُمْ مَأْكُونُونَ . رواه ابن أبي حاتم .

أي : لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها .

ثم ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم الحق^[٣] ومعاندتهم له ، فقال : ﴿ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ أي : بيناه لكم ووضحناه وفسرناه ، ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ أي : ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ولا تثقل عليه ، وإنما تنقاد للباطل وتعظمه ، وتصد عن الحق وتأباه ، وتبغض أهله . فعودوا على أنفسهم بالملامة ، واندموا حيث لا تنفعكم الندامة .

(٣٧) - صحيح البخاري (٤٨١٩) .

[٢] - في ز ، خ : « لِيَقْضِ » .

[١] - في ز ، خ : « بما » .

[٣] - في ت : « للحق » .

ثم قال تعالى : ﴿ أَمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى دِينِ اللَّهِ فَيَنْقُضُوا عُقْدَهُمْ كَمَا كَانُوا يُعْهِدُونَ ﴾ ، وذلك لأن المشركين كانوا يتحيلون في رد الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه ، فكأدهم الله ، ورد وبال ذلك عليهم ، ولهذا قال : ﴿ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سُرَهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ﴾ أي : سرهم وعلايتهم ، ﴿ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ أي : نحن نعلم ما هم عليه ، والملائكة أيضاً يكتبون أعمالهم ، صغيرها وكبيرها .

أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سُرَهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

يقول تعالى : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ أي : لو فرض هذا لعبده علي ذلك ، لأنني عبد من عبيده ، مطيع لجميع ما يأمرني به ، ليس عندي استكبار ولا إباء عن عبادته ، فلو فرض كان هذا ، ولكن هذا ممنوع في حقه تعالى ، والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضاً ، كما قال تعالى : ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ .

قال بعض المفسرين في قوله : ﴿ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ أي : الآتين . ومنهم سفيان الثوري ، والبخاري حكاه فقال : ويقال أول العابدین : الجاحدين من عبد يعبد .

وذكر ابن جرير لهذا القول من الشواهد ما رواه عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب :

حدثني ابن أبي ذئب ، عن أبي^[١] قسيط ، عن بعجة بن زيد الجهني ؛ أن امرأة منهم دخلت على زوجها - وهو رجل منهم أيضًا - فولدت له في ستة أشهر ، فذكر ذلك زوجها لعثمان بن عفان ، رضي الله عنه فأمر بها أن ترجم ، فدخل عليه^[٢] علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال : إن الله يقول في كتابه : ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا ﴾ ، وقال : ﴿ وفصاله في عامين ﴾ ، قال : فوالله ما عبد^[٣] عثمان - رضي الله عنه - أن بعث إليها : ترد ، قال : يونس : قال ابن وهب : عبد : استنكف^(٣٨) .

قال الشاعر :

مَتَى مَا يَشَأْ ذُو الْوَدِّ يَضْرِمُ خَلِيلَهُ وَيَعْبُدُ عَلَيْهِ لَا مُحَالَةَ ظَالِمًا
وهذا القول فيه نظر ؛ لأنه كيف يلتم مع الشرط فيكون تقديره : إن كان هذا فأنا ممتنع منه ؟ هذا فيه نظر ، فليتأمل . اللهم إلا أن يقال : إن « إن » ليست شرطًا ، وإنما هي نافية ، كما قال علي بن أبي طلحة - عن ابن عباس في قوله : ﴿ قل إن كان للرحمن ولد ﴾ ، يقول : لم يكن للرحمن ولد^[٤] فأنا أول الشاهدين .

وقال قتادة : هي كلمة من كلام العرب : ﴿ إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ أي : إن ذلك لم يكن فلا ينبغي .

وقال أبو صخر : ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ أي : فأنا^[٥] أول من عبده بأن لا ولد له ، وأول من وحدته . وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال مجاهد : ﴿ فأنا أول العابدين ﴾ أي : أول من عبده ووحده وكذبكم .

وقال البخاري : ﴿ فأنا أول العابدين ﴾ أي^[٦] : الآنفين^(٣٩) . وهما لغتان : رجل^[٧] عابد وعبد ، والأول أقرب على أنه شرط وجزاء ، ولكن هو ممتنع .

و^[٨] قال السدي : ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ ، يقول : لو كان له ولد كنت أول من عبده ، بأن له ولدًا ، لكن لا ولد له ، وهذا^[٩] اختيار ابن جرير ، ورد قول

(٣٨) - تفسير الطبري (٦١/٢٥) .

(٣٩) - صحيح البخاري - الفتح (٥٦٨/٨) .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : خ .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « عند » .

[٥] - في ز ، خ : « أنا » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٩] - في ت : « هو » .

من زعم أن «إن» نافية؛ ولهذا قال: ﴿سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون﴾ أي: تعالى وتقدس وتنزه خالق الأشياء عن أن يكون له ولد، فإنه فرد أحد صمد، لا نظير له ولا كفاء له، فلا ولد له.

وقوله: ﴿فذرهم يخوضوا﴾ أي: في جهلهم وضلالهم ﴿ويلعبوا﴾ في دنياهم ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾، وهو يوم القيامة، أي: فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم، ومآلهم، وحالهم في ذلك اليوم.

وقوله: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ أي: هو إله من في السماء، وإله من في الأرض، يعبداه أهلها، وكلهم خاضعون له^[١]، أذلاء بين يديه، ﴿وهو الحكيم العليم﴾.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾، أي: هو المدعو الله في السماوات والأرض.

﴿وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما﴾ أي: هو خالقهما ومالكهما والمتصرف فيهما، بلا مدافعة ولا ممانعة، فسبحانه وتعالى عن الولد، ﴿وتبارك﴾ أي: استقر له السلامة من العيوب والنقائص، لأنه الرب العلي العظيم، المالك للأشياء، الذي بيده أزمة الأمور نقضاً وإبراماً، ﴿وعنده علم الساعة﴾ أي: لا يجليها لوقتها إلا هو، ﴿وإليه ترجعون﴾ أي: فيجازي كلا بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

ثم قال تعالى: ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه﴾ أي: من الأصنام والأوثان ﴿الشفاعة﴾ أي: لا يقدرون على الشفاعة لهم، ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾، هذا استثناء منقطع، أي: لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم، فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له.

ثم قال: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ أي: ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره ﴿من خلقهم ليقولن الله﴾ أي: هم يعترفون أنه الخالق للأشياء جميعها، وحده لا شريك له في ذلك، ومع هذا يعبدون معه غيره ممن لا يملك شيئاً ولا يقدر على شيء، فهم في ذلك في غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل؛ ولهذا قال: ﴿فأنى يؤفكون﴾.

وقوله: ﴿وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾ أي: وقال محمد قيله، أي: شكا إلى ربه شكواه من قومه الذين كذبوه، فقال: يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون، كما أخبر تعالى في الآية الأخرى: ﴿وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ وهذا الذي

[٢] - سقط من: ز، خ.

[١] - سقط من: ز، خ.

قلناه هو قول ابن مسعود ومجاهد وقتادة ، وعليه فسر ابن جرير (٤٠) .

قال البخاري : وقرأ عبد الله - يعني ابن مسعود - (وقال الرسول يا رب) (٤١) .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون ﴾ ، قال : فأبّر الله قول محمد .

وقال قتادة : هو قول نبيكم صلى الله عليه وسلم يشكو قومه إلى ربه عز وجل .

ثم حكى ابن جرير في قوله : ﴿ وقيله يارب ﴾ قراءتين ، إحداهما النصب ، ولها توجيهان : أحدهما : أنه معطوف على قوله : ﴿ نسمع سرهم ونجواهم ﴾ . والثاني : أن يقدر فعل ، وقال : قيله . والثانية : الخفض ، وقيله عطفاً على قوله : ﴿ وعنده علم الساعة ﴾ ، تقديره : وعلم قيله .

وقوله : ﴿ فاصفح عنهم ﴾ أي : المشركين ، ﴿ وقل سلام ﴾ أي : لا تتجاوزهم بمثل ما يخاطبونك به من الكلام السيئ ، ولكن تألفهم^[١] واصفح عنهم فعلاً وقولاً ، ﴿ فسوف يعلمون ﴾ ، هذا تهديد منه تعالى لهم ، ولهذا أحل بهم بأسه الذي لا يرد ، وأعلى دينه وكلمته ، وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد ، حتى دخل الناس في دين الله أفواجا ، وانتشر الإسلام في المشارق والمغارب .

[آخر تفسير سورة الزخرف] .



(٤٠) - تفسير الطبري (٦٢/٢٥) .

(٤١) - صحيح البخاري - الفتح (٥٦٨/٨) .

[١] - في خ : « كالفهم » .

تفسير سورة الدخان

وهي مكية

قال الترمذي : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا زيد بن الحباب ، عن عُمر بن أبي خثعم ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ حم الدخان ، في ليلة ، أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك » .

ثم قال : غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وعمر بن أبي خثعم يضعف ، قال البخاري : « منكر الحديث »^(١) .

ثم قال : حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي ، حدثنا زيد بن الحباب ، عن [هشام أبي المقدم]^(٢) ، عن الحسن ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ حم الدخان ، في ليلة الجمعة ، غفر له » .

ثم قال : « غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وهشام أبو^(٢) المقدم^(٣) يضعف ، والحسن لم يسمع من أبي هريرة . كذا قال أبو^(٤) يونس ، ويونس بن عبيد ، وعلي بن زيد »^(٢) .

وفي مسند البزار من رواية أبي الطفيل عامر بن واثلة ، عن زيد بن حارثة ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن صبياد : « إني قد خَيَّأتُ خَبْأً فما هو ؟ » وخبأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الدخان ، فقال : هو الدُّخُ ، [فقال : « احسأ^(٥)] ما شاء الله كان » ثم انصرف^(٣) .

(١) - موضوع ، وهو في سنن الترمذي رقم (٢٨٨٨) .

(٢) - ضعيف ، وهو في سنن الترمذي رقم (٢٨٩١) .

(٣) - كشف الأستار (٣٣٩٩) ، ورواه الطبراني في الكبير (٨٨/٥) ، والأوسط (٣٨٧٥) ، وقال البزار : لم يرو هذا الحديث عن فرات القزاز - ثقة - إلا ابنه الحسن - وثقه يحيى بن معين ، وابن حبان ، والدارقطني ، وقال أبو حاتم وحده : منكر الحديث - ولا عن ابنه ؛ إلا ابنه زياد - قال أبو حاتم الرازي : منكر الحديث ، وقال الدارقطني : لا بأس به ، ولا يحتج به - تفرد به إبراهيم بن عيسى التنوخي . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٨) وقال : رواه البزار ، والطبراني في الكبير والأوسط (٣٨٧٥) ، وفيه زياد بن الحسن بن فرات : ضعفه أبو حاتم ، وثقه ابن حبان .

[١] - في ز ، خ : « هشام عن أبي المقدم » . [٢] - في ز ، خ : « بن » .

[٣] - في ت : « المقدم » . [٤] - في ز ، خ : « أبو زيد » .

[٥] - سقط من ت .

حَمَّ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ ﴿٣﴾ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٤﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٥﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٦﴾ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُوزَ مُّوقِنِينَ ﴿٨﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٩﴾

يقول تعالى مخبراً عن القرآن العظيم : إنه أنزل في ليلة مباركة ، وهي ليلة القدر ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ وكان ذلك في شهر رمضان ، كما قال تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ وقد ذكرنا الأحاديث الواردة في ذلك في «سورة البقرة» بما أغنى عن إعادته . ومن قال : إنها ليلة النصف من شعبان - كما روي عن عكرمة - فقد أبعد التَّجَمُّعَ ؛ فإن نص القرآن أنها في رمضان . والحديث الذي رواه عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن عقيل ، عن الزهري ، أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأنخس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تقطع الأجل من شعبان إلى شعبان ، حتى إن الرجل لينكح ويولد له ، وقد أخرج اسمه في الموتى »^(١) فهو حديث مرسل ومثله لا يعارض به النصوص .

وقوله : ﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [أي : معلمين]^[١] الناس ما ينفعهم ويضرهم شرعاً ، لتقوم حُجَّةُ الله على عباده .

وقوله : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ أي : في ليلة القدر ، يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة ، وما يكون فيها من الأجل والأرزاق ، وما يكون فيها إلى آخرها . وهكذا

(٤) - عبد الله بن صالح - كاتب الليث ، وثقه ابن معين ، وكان أبو حاتم الرازي حسن الرأي فيه ، وقال أبو زرعة الرازي : حسن الحديث ، وضعفه : النسائي وابن المديني وابن حبان وأبو أحمد الحاكم وغيرهم . وفي التقريب : صدوق كثير الغلط ، ثبت في كتابه ، وكانت فيه غفلة - والحديث رواه ابن الدبسي من طريق عبد الله بن صالح به ، وهذا إسناد فيه انقطاع فإن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأنخس - له مناكير ، وروايته عن طبقة التابعين ، فروايته عن النبي ﷺ مرسلة ، بل معضلة . ورواه الطبري (١٠٩/٢٥) من حديث عبيد ابن آدم بن أبي إياس - صدوق - عن أبيه ، عن الليث ، عن عقيل به مرفوعاً . ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٨٣٩) من طريق محمد بن علي الوراق ، عن سعيد بن سليمان ، عن الليث ، عن عقيل ، عن الزهري ، عن عثمان [عن] محمد بن المغيرة بن الأنخس به موقوفاً .

رُوي عن ابن عمر ، وأبي مالك ، ومجاهد ، والضحاك ، وغير واحد من السلف .

وقوله : ﴿ حَكِيمٌ ﴾ أي : محكم ، لا يبدل ولا يغير ؛ ولهذا قال : ﴿ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا ﴾ أي : جميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فبأمره وإذنه وعلمه ، ﴿ إِنَّا كُنَّا مَرْسَلِينَ ﴾ أي : إلى الناس ، رسولاً يتلو عليهم آيات الله مبينات ، فإن الحاجة كانت ماسة إليه ؛ ولهذا قال : ﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . رب السموات والأرض وما بينهما ﴿ أَي : الذي أنزل هذا القرآن هو رب السموات والأرض وخالقهما ومالكهما وما فيهما ، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ أي : إن كنتم متحققين .

ثم قال : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴾ ، وهذه الآية كقولها تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ الآية .

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنْ كُنْتُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى : بل هؤلاء المشركون في شك يلعبون ، أي : قد جاءهم الحق اليقين ، وهم يشكون فيه ويمترون ، ولا يصدقون به ، ثم قال تعالى متوعدًا لهم ومتهددًا : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ .

قال سليمان بن مهران الأعمش ، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح ، عن مسروق قال : دخلنا المسجد - يعني مسجد الكوفة - عند أبواب كندة ، فإذا رجل يقص على أصحابه : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ ، تدرن ما ذلك الدخان ؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة ، فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ، ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام . قال : فأتينا ابن مسعود فذكرنا ذلك له ، وكان مضطجعاً ففزع فقعده ، وقال : إن الله - عز وجل - قال لنبيكم صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ ، إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم : الله أعلم . سأحدثكم عن ذلك ، إن قريشاً لما أبطأت عن الإسلام

واستعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعا عليهم بسنين كسني يوسف ، فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة ، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان . وفي رواية : فجعل الرجل ينظر إلى السماء ، فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد . قال الله تعالى : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم ﴾ ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل : يا رسول الله ؛ استسق الله لخصر ، فإنها قد هلك . فاستسقى لهم فشقوا ، فأنزل الله : ﴿ إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون ﴾ ، قال ابن مسعود : فيكشف العذاب عنهم يوم القيامة ، فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم ، فأنزل الله : ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ﴾ ، قال : يعني يوم بدر . قال ابن مسعود : فقد مضى خمسة : الدخان ، والروم ، والقمر ، والبطشة ، واللزام .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين^(٥) ورواه الإمام أحمد في مسنده وهو عند الترمذي ، والنسائي في تفسيرهما ، وعند ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق متعددة ، عن الأعمش به^(٦) . وقد وافق ابن مسعود على تفسير الآية بهذا ، وأن الدخان مَضَى - جماعة من السلف كمجاهد ، وأبي العالية ، وإبراهيم النخعي ، والضحاك ، وعطية العوفي ، وهو اختيار ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا جعفر بن مسافر ، حدثنا يحيى بن حسان ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا عبد الرحمن الأعرج في قوله : ﴿ يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ ، قال : كان يوم فتح مكة . وهذا قول غريب جداً بل منكر .

وقال آخرون : لم يمض الدخان بعد ، بل هو من أمارات الساعة ، كما تقدم من حديث أبي سريحة تحذيفة بن أسيد الغفاري - رضي الله عنه - قال : أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر الساعة ، فقال : « لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى ابن مريم ، والدجال ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس - أو : تحشر الناس - : تبيت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا » . انفرد^(١) بإخراجه مسلم في صحيحه^(٧) .

وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن الصياد : « إني خَبَأْتُ لَكَ

(٥) - البخاري (٤٨٢٠) ، ومسلم (٢٧٩٨) .

(٦) - المسند (٣٨٠/١) ، (٤٣١) وسنن الترمذي (٣٢٥٤) والنسائي في الكبرى (١١٤٨١) والطبري (٦٦/٢٥)

(٧) - صحيح مسلم (٢٩٠١) .

خَبَأُ » ، قال : هو الدُّخ . فقال له : « اخسأ فلن تعدو قدرك » ، قال : وخبأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ ^(٨) .

وهذا فيه إشعار بأنه من المنتظر المرتقب ، وابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان^[١] الجان ، وهم يُقرطمون العبارة ؛ ولهذا قال : هو^[٢] الدخ ، يعني : الدخان . فعندها عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم مادته وأنها شيطانية ، فقال له : « اخسأ فلن تعدو قدرك » .

ثم قال ابن جرير : وحدثني عصام بن رَوَاد بن الجراح ، حدثنا أبي ، حدثنا سفيان بن سعيد الثوري ، حدثنا منصور بن المعتمر ، عن ربيعي بن جِرَاش^[٣] ؛ قال : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أول الآيات الدخان^[٤] » ، ونزول عيسى ابن مريم ، و نار تخرج من قعر عدن أبين ، تسوق الناس إلى المحشر ، تقيل معهم إذا قالوا ، والدخان - قال حذيفة : يارسول الله ؛ وما الدخان ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم ﴾ - يملأ ما بين المشرق والمغرب ، يمكث أربعين يوماً وليلة ، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزرعة ، وأما الكافر [فيكون بمنزلة]^[٥] السكران^[٦] يخرج من منخره وأذنيه وديه^(٩) .

قال ابن جرير : لو صح هذا الحديث لكان فاصلاً ، وإنما لم أشهد له بالصحة ، لأن محمد ابن خلف العسقلاني حدثني أنه سأل رواداً عن هذا الحديث : هل سمعه من سفيان ؟ فقال له : لا . قال : فقلت : أقرأته عليه ؟ قال : لا . قال : فقلت له : فقرأ عليه وأنت حاضر [فأقر به]^[٧] ؟ فقال : لا . فقلت له : فمن أين جئت به ؟ فقال : جاءني به قوم فعرضوه علي ، وقالوا لي : اسمعه منا . فقرأوه علي ثم ذهبوا به^[٨] ، فحدثوا به عني ، أو كما قال^(١٠) .

وقد أجاد ابن جرير في هذا الحديث هاهنا ، فإنه موضوع بهذا السند ، وقد أكثر ابن جرير من سياقه في أماكن من هذا التفسير ، وفيه منكرات كثيرة جداً ، ولا سيما في أول سورة « بني إسرائيل » في ذكر المسجد الأقصى ، والله أعلم .

(٨) - صحيح البخاري (٣٠٥٥) ومسلم (٢٩٣٠) من حديث ابن عمر .

(٩) - تفسير الطبري (٦٨/٢٥) ز

(١٠) - تفسير الطبري (٦٨/٢٥) .

[١] - كررت في : خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز ، خ : « خراش » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « كمنزلة » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا ثُلَيْدٌ^[١] ، عن الحسن ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يهيج الدخان بالناس ، فأما المؤمن فيأخذه كالزكمة ، وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسمع منه » .

ورواه سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي سعيد الخدري موقوفاً . ورواه عوف^[٢] عن الحسن قوله .

وقال ابن جرير أيضاً : حدثني محمد بن عوف ، حدثنا محمد بن إسماعيل [بن عياش ، حدثني أبي ، حدثني ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عُبَيْدٍ^[٣] ، عن أبي مالك الأشعري ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ربكم أذكركم ثلاثاً : الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه ، والثانية الدابة ، والثالثة الدجال » .

ورواه الطبراني عن هاشم بن يزيد ، عن محمد بن إسماعيل بن عياش به^(١١) . وهذا إسناد جيد .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي - رضي الله عنه - قال : لم تمض آية الدخان بعد ، يأخذ^[٤] المؤمن كهيفة الزكام ، وتنفخ الكافر حتى ينفذ^[٥] .

وروى ابن جرير من حديث الوليد بن جميع ، عن عبد الملك بن المغيرة ، عن عبد الرحمن ابن البيهاني ، عن ابن عمر ؛ قال : يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيفة الزكام ، ويدخل في مسامع الكافر والمنافق حتى يكون^[٦] كالرأس الحنيد ، أي : المشوي على الرضف .

ثم قال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن أبي مليكة ؛ قال : غدوت على ابن عباس - رضي الله عنهما - ذات يوم^[٧] فقال : ما نمت^[٨] الليلة حتى أصبحت . قلت : لم ؟ قال^[٩] : قالوا : طلع الكوكب ذو الذنب ، فخشيت^[١٠] أن يكون الدخان قد طرق ، فما نمت حتى أصبحت^(١٢) .

(١١) - تفسير الطبري (٦٨/٢٥) والمعجم الكبير (٢٩٢/٣) .

(١٢) - تفسير الطبري (٦٨/٢٥) .

[٢] - في ز ، خ : « سعيد بن عوف » .

[٤] - في ز : « تأخذ » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - في ز ، خ : « تمن » .

[١٠] - في ز ، خ : « فحسبت » .

[١] - في ت : « خليل » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « تنفذ » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٩] - سقط من : ز ، خ .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن ابن أبي [١] عمر ، عن سفيان ، عن عبد الله [٢] ابن أبي يزيد ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن ابن عباس فذكره .

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن . وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين [٣] ، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما ، التي أوردناها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة ، مع أنه ظاهر القرآن . قال الله تعالى : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ ، أي : بين واضح يراه كل أحد ، وعلى ما فسر به ابن مسعود - رضي الله عنه - : [٤] هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد . وهكذا قوله : ﴿ يغشى الناس ﴾ ، أي : يتغشاهم ويغتهم ، ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه : ﴿ يغشى الناس ﴾ .

وقوله : ﴿ هذا عذاب أليم ﴾ . أي : يقال لهم ذلك تقريباً وتوبيخاً ، كقوله تعالى : ﴿ يوم يدعون إلى نار جهنم دعا ﴾ . هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ أو يقول بعضهم لبعض ذلك . وقوله : ﴿ ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ﴾ . أي : يقول الكافرون إذا عابوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم ، كقوله : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ . وكذا قوله : ﴿ وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ﴾ وهكذا قال هاهنا : ﴿ أئني لهم الذكري وقد جاءهم رسول مبين ﴾ ثم تولوا عنه وقالوا : معلم مجنون ﴾ .

[يقول : كيف لهم بالتذكر وقد أرسلنا إليهم رسولاً بين الرسالة والندارة ، ومع هذا تولوا عنه وما وافقوه ، بل كذبوه وقالوا : معلم مجنون] [٥] . وهذا كقوله تعالى : ﴿ يوم يتذكر الإنسان وأئني له الذكري ﴾ . يقول ياليتني قدمت لحياتي ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب ﴾ وقالوا آمنا به وأئني لهم التناوش من مكان بعيد ﴾ وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ﴾ وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب ﴾ وقوله : ﴿ إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون ﴾ يحتمل معنيين : أحدهما : أنه يقوله تعالى : ﴿ ولو كشفنا عنكم ﴾ [٦] العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا ، لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب ، كقوله : ﴿ ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ﴾ . وكقوله : ﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[١] - سقط من : خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « عنهم » .

لكاذبون ﴿ والثاني : أن يكون المراد : إنا مؤخرو العذاب عنكم قليلاً بعد انعقاد أسبابه ووصوله إليكم ، وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال ^[١] ، ولا يلزم من ^[٢] الكشف عنهم أن يكون باشرهم ^[٣] ، [كقوله تعالى : ﴿ إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾] ، ولم يكن العذاب باشرهم ^[٤] واتصل بهم ، بل كان قد انعقد سببه عليهم ، ولا يلزم أيضاً أن يكونوا قد أفلحوا عن كفرهم ثم عادوا إليه .

قال الله تعالى إخباراً عن شعيب أنه قال لقومه حين قالوا : ﴿ لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا ﴾ قال أولو كنا كارهين * قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها ﴿ . وشعيب لم يكن قط على ملتهم وطريقتهم .

وقال قتادة : ﴿ إنكم عائدون ﴾ إلى عذاب الله .

وقوله تعالى : ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ﴾ ، فسر ذلك ابن مسعود بدر . وهذا قول جماعة ممن وافق ابن مسعود على تفسيره الدخان بما تقدم ، وروي أيضاً عن ^[٥] ابن عباس من رواية العوفي ، عنه . وعن أبي بن كعب وجماعة ^[٦] ، وهو محتمل .

والظاهر أن ذلك يوم القيامة وإن كان يوم بدر يوم بطشة أيضاً .

قال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عليه ، حدثنا خالد الحذاء ، عن عكرمة ؛ قال : قال ابن عباس : قال ابن مسعود : البطشة الكبرى يوم بدر ، وأنا أقول : هي يوم القيامة ^(١٣) . وهذا إسناد صحيح عنه ، وبه يقول الحسن البصري ، وعكرمة في أصح الروايتين عنه .

وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ
عِبَادِ اللَّهِ إِنَّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ
مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزُّونِ ﴿٢١﴾
فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَبْ لَآءِ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرَعَ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾

(١٣) - تفسير الطبري (٧٠/٢٥) .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « من رواية » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - بعده في خ : « عنه » .

وَأَتْرَكُوا الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾
 وَزُرُوعٍ وَمَقَامِرٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فَكَهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا
 آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ بَجْنَا
 بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ
 ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَأَعَيْنَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا
 فِيهِ بَلَكُوا مُبِينٌ ﴿٣٣﴾

يقول تعالى : ولقد اخترنا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون ، وهم قبط مصر ، ﴿ وجاءهم رسول كريم ﴾ ، يعني موسى كليمه - عليه السلام - : ﴿ أن أدوا إلي عباد الله ﴾ ، كقوله : ﴿ فأرسل^[١] معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئتكم بأية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ﴾

وقوله : ﴿ إني لكم رسول أمين ﴾ أي مأمون على ما أبلغكموه . وقوله : ﴿ وأن لا تعلموا على الله ﴾ ، أي : لا تستكبروا عن اتباع آياته ، والانقياد لحججه والإيمان ببراهينه ، كقوله : ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾

﴿ إني آتيكم سلطان مبين مبين ﴾ ، أي : بحجة ظاهرة واضحة ، وهي ما أرسله الله به من الآيات البينات والأدلة القاطعات^[٢] .

﴿ وإني عذت بربي وربكم أن ترجعوا ﴾ قال ابن عباس وأبو صالح : هو الرجم باللسان وهو الشتم ، وقال قتادة : الرجم^[٣] بالحجارة ، أي : أعوذ بالله الذي خلقني وخلقكم أن تصلوا إلي بسوء من قول أو فعل .

﴿ وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون ﴾ ، أي : فلا تتعرضوا^[٤] لي ودعوا الأمر بيني وبينكم مسألة إلى أن يقضي الله بيننا ، فلما طال مقامه بين أظهرهم ، وأقام حجج الله عليهم ، كل ذلك وما زادهم ذلك إلا كفراً وعناداً ، دعا ربه عليهم دعوة نفذت فيهم ، كما قال تعالى :

[٢] - في ت : « القاطعة » .

[١] - في ز ، خ : « أن أرسل » .

[٤] - في ز ، خ : « تعرضوا » .

[٣] - في ز ، خ : « بالرجم » .

﴿ وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم * قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ﴾ ، وهكذا قال هاهنا : ﴿ فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون ﴾ ، فعند ذلك أمره الله تعالى أن يخرج بيني إسرائيل من بين أظهرهم من غير أمر فرعون ومشاورته واستئذانه ، ولهذا قال : ﴿ فأسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون ﴾ ، كما قال : ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا يخشى ﴾ وقوله هاهنا : ﴿ واترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون ﴾ ، وذلك أن موسى - عليه السلام - لما جاوز هو وبنو إسرائيل البحر ، أراد موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما كان ، ليصير حائلاً بينهم وبين فرعون ، فلا يصل إليهم . فأمره الله أن يتركه على حاله ساكناً ، وبشّره بأنهم جند مغرقون فيه ، وأنه لا يخاف دركاً ولا يخشى .

قال ابن عباس : ﴿ واترك البحر رهواً ﴾ كهيئته وامضه . وقال مجاهد : ﴿ رهواً ﴾ طريقاً يبساً كهيئته ، يقول : لا تأمره يرجع ، اتركه حتى يرجع آخرهم . وكذا قال عكرمة ، والربيع بن أنس ، والضحاك ، وقتادة ، وابن زيد ، وكعب الأحبار ، وسماك بن حرب ، وغير واحد .

ثم قال تعالى : ﴿ كم تركوا من جنات ﴾ - وهي البساتين - ﴿ وعيون * وزروع ﴾ ، والمراد بها الأنهار والآبار ، ﴿ ومقام كريم ﴾ ، وهي المساكن الأنيقة والأماكن الحسنة .

وقال مجاهد وسعيد بن جبير : ﴿ ومقام كريم ﴾ المناير .

و^[١] قال ابن لهيعة ، عن وهب بن عبد الله المعافري ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : نيل مصر سيد الأنهار ، سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب ، وذلك له ، فإذا أراد الله أن يُجري نيل مصر أمر كل نهر أن يُكِّدَه ، فأمدته الأنهار بمائها ، وفجر الله له الأرض عيوناً ، فإذا انتهى جريهِ^[٢] إلى ما أراد الله ، أوحى الله إلى كل ماء [أن يرجع]^[٣] إلى عنصره .

وقال في قوله تعالى : ﴿ كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين ﴾ ، قال : كانت الجنان بحافتي^[٤] هذا النيل من أوله إلى آخره في^[٥] الشقين جميعاً ، ما بين أسوان إلى رشيد ، وكان له تسعة خلج : خليج إسكندرية ، وخليج دمياط ، وخليج سَرَدَوْس ، وخليج مَنُف ، وخليج الفيوم ، وخليج المَنُهَى ، متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء ، وزروع ما بين الجبلين كله من أول مصر إلى آخر ما يبلغه الماء ، وكانت جميع أرض

[١] - سقط من : ز ، خ . - في ز ، خ : « جريته » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « ارجع » . - في ز ، خ : « حافتي » .

[٥] - في ز ، خ : « من » .

مصر تروى من ستة عشر ذراعاً ، لما قدروا ودبروا من قناطرها وجسورها وخلجها^[١] ، ﴿ ونعمة كانوا فيها فاكهين ﴾ ، أي : عيشة كانوا يتفكهون فيها فيما ياكلون ما شاءوا ويلبسون ما أحبوا ، مع الأموال والجاهات والحكم في البلاد ، فسلبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة ، و^[٢]فارقوا الدنيا وصاروا إلى جهنم وبئس المصير ، واستولى على البلاد المصرية وتلك الحواصل الفرعونية والممالك القبطية بنو إسرائيل ، كما قال تعالى : ﴿ كذلك وأورثناها بني إسرائيل ﴾ ، وقال في موضع آخر : ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ﴾ وقال هاهنا : ﴿ كذلك وأورثناها قوماً آخرين ﴾ وهم بنو^[٣] إسرائيل كما تقدم .

وقوله : ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض ﴾ . أي : لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم ، ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله فيها^[٤] فقدتهم ، فهذا استحقوا أن لا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم ، وعتوهم وعنادهم .

قال الحافظ أبو يعلى الموصلى في مسنده : حدثنا أحمد بن إسحاق البصري ، حدثنا مكي^[٥] ابن إبراهيم ، حدثنا موسى بن عبيدة ، حدثني يزيد الرقاشي ، حدثني أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من عبد إلا وله في السماء بابان : باب يخرج منه رزقه ، وباب يدخل فيه^[٦] عمله وكلامه ، فإذا مات فقداه وبكى عليه » ، وتلا هذه الآية : ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض ﴾ . وذكر أنهم لم يكونوا عملوا على الأرض عملاً صالحاً يبكي عليهم ، ولم يصعد لهم إلى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ، ولا عمل صالح فتفقدتهم فتبكي عليهم^[٧] .

ورواه^[٧] ابن أبي حاتم من حديث موسى بن عبيدة^[٨] ، وهو الربذي .

وقال ابن جرير : حدثني يحيى بن طلحة ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن صفوان بن عمرو ، عن شريح بن عبيد الحضرمي ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الإسلام بدأ

(١٤) - مسند أبي يعلى (١٦٠/٧) ورواه الترمذي (٣٢٥٥) مختصراً . وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، موسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث .

[١] - في ز ، خ : « وخليجها » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « بنى » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ت : « منه » .

[٦] - في ز : « عبدة » .

[٧] - في ت : « رواه » .

[٨] - في ز : « عبدة » .

غريبًا وسيعود غريبًا ، ألا لا غربة على مؤمن ، ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض . [ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض ﴾]^[١] . ثم قال : « إنهما لا يكيان على الكافر »^(١٥) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام ، حدثنا أبو أحمد - يعني الزيري - حدثنا العلاء بن صالح ، عن المنهال بن عمرو ، عن عباد بن عبد الله ؛ قال : سألت رجلًا عن رضي الله عنه - : هل تبكي السماء والأرض على أحد ؟ فقال له : لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك ، إنه ليس عبد إلا له مُصَلَّى في الأرض ، ومصعد عمله من السماء ، وإن آل فرعون لم يكن لهم عمل صالح في الأرض ، ولا عمل يصعد في السماء ، ثم قرأ علي - رضي الله عنه - : ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ﴾ .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا طلق بن غنَّام^[٢] ، عن زائدة ، عن منصور ، عن منهل ، عن سعيد بن جبيرة قال : أتني ابن عباس رجل فقال : يا أبا عباس ، أ رأيت قول الله : ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ﴾ . فهل تبكي السماء والأرض على أحد ؟ قال : نعم ، إنه ليس أحد من الخلائق إلا وله باب في السماء منه ينزل رزقه ؛ وفيه يصعد عمله ، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه []^[٣] بكى عليه ، وإذا فقد مصلاه من الأرض التي^[٤] كان يصلي فيها ويذكر الله فيها بكت عليه ، وإن قوم فرعون لم تكن لهم في الأرض آثار صالحة ، ولم يكن يصعد إلى الله منهم خير ، فلم تبك عليهم السماء والأرض^(١٦) . وروى العوفي عن ابن عباس نحو هذا .

وقال سفيان الثوري : عن أبي يحيى القنَّات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : كان يُقال : تبكي الأرض على المؤمن أربعين صباحًا . [وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبيرة وغير واحد .

وقال مجاهد أيضًا : ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحًا]^[٥] . قال : فقلت له : أتبكي الأرض ؟ فقال : أتعجب ؟ وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود ؟ وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل ؟ .

(١٥) - تفسير الطبري (٧٥/٢٥) وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن أبي الدنيا في « ذكر الموت » .

(١٦) - تفسير الطبري (٧٤/٢٥) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « غشام » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « فقد » . [٤] - في ز ، خ : « الذي » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقال قتادة : كانوا أهون على الله من أن تبكي عليهم السماء والأرض .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا عبد السلام بن عاصم ، حدثنا إسحاق ابن إسماعيل ، حدثنا المستورد بن سابق ، عن عبيد المكتب ، عن إبراهيم قال : ما بكى السماء منذ كانت الدنيا إلا على اثنين . قلت لعبيد : أليس السماء والأرض تبكي على المؤمن ؟ قال : ذلك مقامه حيث يصعد عمله . قال : وتدرى ما بكاء السماء ؟ قلت^[١] : لا . قال : تحمر وتصير وردة كالدهان ، إن يحيى بن زكريا لما قتل احمرت السماء وقطرت دماً . وإن حسين بن علي لما قتل احمرت السماء .

وحدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أبو غسان محمد بن عمرو - زُنيج - حدثنا جرير ، عن يزيد بن أبي زياد قال : لما قتل الحسين^[٢] بن علي - رضي الله عنهما - احمرت آفاق السماء أربعة أشهر . قال يزيد : واحمرارها بكاؤها . وهكذا قال السدي الكبير .

وقال عطاء الخراساني : بكاؤها أن تحمر أطرافها .

وذكروا أيضًا في مقتل الحسين أنه ما قلب حجر يومئذ^[٣] إلا وجد تحته دم عبيط ، وأنه كسفت الشمس واحمر الأفق وسقطت حجارة . وفي كل ذلك نظر ، والظاهر أنه من شخف^[٤] الشيعة وكذبهم ، ليعظموا الأمر - ولا شك أنه عظيم - ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه ، وقد وقع ما هو أعظم من قتل الحسين - رضي الله عنه - ولم يقع شيء مما ذكروه ، فإنه قد قُتل أبوه علي بن أبي طالب ، وهو أفضل منه بالإجماع ولم يقع ذلك ، وعثمان بن عفان قتل محصورًا مظلومًا ، ولم يكن شيء من ذلك ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل في المحراب في صلاة الصبح ، وكان المسلمين لم تطرقهم مصيبة قبل ذلك ، ولم يكن شيء من ذلك .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكروه . ويوم مات إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم خسفت الشمس فقال الناس : خسفت لموت إبراهيم ، فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف ، وخطبهم وبين لهم أن الشمس والقمر لا يتخسفان لموت أحد ولا لحياته^(١٧) .

وقوله : ﴿ ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين * من فرعون إنه كان عاليًا من المسرفين ﴾ . يمتن عليهم تعالى بذلك ، حيث أنقذهم مما كانوا فيه من إهانة فرعون وإذلاله

(١٧) - رواه البخاري في صحيحه برقم (١٠٤٣) ومسلم في صحيحه (٩١٥) .

[٢] - في ت : « حسين » .

[١] - في ز ، خ : « قال » .

[٤] - في ز ، خ : « خسف » .

[٣] - سقط من : خ .

لهم ، وتسخيره إياهم في الأعمال المهينة الشاقة .

وقوله : ﴿ من فرعون إنه كان عاليًا ﴾ أي : مستكبرًا جبارًا عنيذًا . وكقوله : ﴿ إن فرعون علا في الأرض ﴾ وقوله : ﴿ فاستكبروا وكانوا قوماً عالين ﴾ ، سرِّفًا في أمره ، سخيف الرأي على نفسه .

وقوله : ﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ ، قال مجاهد : ﴿ اخترناهم على علم على العالمين ﴾ ، على من هم بين ظَهْرِهِ .

وقال قتادة : اختيروا على أهل زمانهم ذلك . وكان يقال : إن لكل زمان عالماً وهذه كقوله تعالى : ﴿ قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس ﴾ أي : أهل زمانه ، وكقوله لمریم : ﴿ واصطفاك على نساء العالمين ﴾ ، أي : في زمانها ، فإن خديجة أفضل منها وكذا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، أو ^[١] مساوية لها في الفضل ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .

وقوله : ﴿ وآتيناهم من الآيات ﴾ ، أي : الحجج والبراهين وخوارق العادات ﴿ ما فيه بلاء مبين ﴾ ، أي : اختبار ظاهر جلِّي ^[٢] لمن اهتدى به .

إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَنؤَا
بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ
إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى منكراً على المشركين في إنكارهم البعث والمعاد ، وأنه ما تمَّ إلا هذه الحياة الدنيا ، ولا حياة بعد الممات ، ولا بعث ولا نشور . ويحتجون بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا ، فإن كان البعث حقاً ﴿ فَأَنؤَا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة ، فإن المعاد إما هو يوم القيامة لا في هذه الدار ، بعد انتقضائها وذهابها وفراغها يعيد الله العالمين خلقاً جديداً ، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقوداً ، يوم تكونون ^[٣] شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً .

ثم قال تعالى متهدداً لهم ، ومتوعداً ومنذراً لهم بأسه الذي لا يُرد ، كما حل بأشباههم ونظرائهم من المشركين والمنكرين للبعث ، وكقوم ^[٤] تبع - وهم سبأ - حيث أهلكهم الله

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[١] - في ز ، خ : « إما » .

[٣] - في ز ، خ : « تكونوا » .

[٤] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : وكقوم .

وَحَزَبَ بِلَادَهُمْ ، وَشَرَّدَهُمْ فِي الْبِلَادِ ، وَفَرَّقَهُمْ شَذَرًا مَذَرًا ، كَمَا تَقْدُمُ ذَلِكَ فِي سُورَةِ سَبَأٍ ، وَهِيَ مُصَدَّرَةٌ بِإِنْكَارِ الْمُشْرِكِينَ لِلْمَعَادِ . وَكَذَلِكَ هَاهُنَا شَبَّهَهُمْ بِأَوَّلِكَ ، وَقَدْ كَانُوا عَرَبًا مِنْ قَحْطَانٍ [كَمَا أَنَّ]^[١] هَؤُلَاءِ عَرَبٌ مِنْ عَدْنَانَ ، وَقَدْ كَانَتْ حَمِيرٌ - وَهُمْ سَبَأٌ - كُلَّمَا مَلَكَ فِيهِمْ رَجُلٌ سَمَوْهُ تُبَيْعًا ، كَمَا يُقَالُ : كَسَرْتُ لِمَنْ مَلَكَ الْفَرَسَ ، وَقِيَصِرُ لِمَنْ مَلَكَ الرُّومَ ، وَفَرَعُونَ لِمَنْ مَلَكَ مِصْرَ كَافِرًا ، وَالنَّجَاشِيُّ لِمَنْ مَلَكَ الْحَبْشَةَ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَعْلَامِ الْأَجْنَاسِ .

وَلَكِنْ اتَّفَقَ أَنَّ بَعْضَ تَبَاعُثِهِمْ خَرَجَ مِنَ الْيَمَنِ وَسَارَ فِي الْبِلَادِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ ، وَاشْتَدَّ مُلْكُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ وَجِيشُهُ ، وَاتَّسَعَتْ مَمْلَكَتُهُ وَبِلَادُهُ ، وَكَثُرَتْ رَعَايَاهُ وَهُوَ الَّذِي مَضَّرَ الْحَيْرَةَ فَاتَّفَقَ أَنَّهُ مَرَّ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَأَرَادَ قِتَالَ أَهْلِهَا فَمَانَعُوهُ وَقَاتَلُوهُ بِالنَّهَارِ ، وَجَعَلُوا يَفْقَرُونَهُ بِاللَّيْلِ ، فَاسْتَحْيَا مِنْهُمْ وَكَفَّ عَنْهُمْ ، وَاسْتَصَحَبَ مَعَهُ خَبْرَيْنِ مِنْ أَجْبَارِ يَهُودِ كَانَا قَدْ نَصَحَاهُ وَأَخْبَرَاهُ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَهُ عَلَى هَذِهِ الْبِلَدَةِ ، فَإِنَّهَا مُهَاجِرُ نَبِيِّ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، فَارْجِعْ عَنْهَا وَأَخْذُهَا مَعَهُ إِلَى بِلَادِ الْيَمَنِ ، فَلَمَّا اجْتَاَزَ بِمَكَّةَ أَرَادَ هَدْمَ الْكَعْبَةِ فَتَنَاهَا أَيْضًا ، وَأَخْبَرَاهُ بِعَظَمَةِ هَذَا الْبَيْتِ ، وَأَنَّهُ مِنْ بَنَاءِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَأَنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ عَلَى يَدَيْ ذَلِكَ النَّبِيِّ الْمَبْعُوثِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، فَعَظَّمَهَا وَطَافَ بِهَا ، وَكَسَاهَا الْمُلَاءَ وَالْوَصَائِلَ وَالْحَبِيرَ . ثُمَّ كَرَّرَ رَاجِعًا إِلَى الْيَمَنِ وَدَعَا أَهْلَهَا إِلَى التَّهْوُدِ مَعَهُ ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ دِينَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِيهِ مَنْ يَكُونُ عَلَى الْهَدَايَةِ قَبْلَ بَعْثَةِ الْمَسِيحِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَتَهُودٌ مَعَهُ عَامَةٌ أَهْلُ الْيَمَنِ . وَقَدْ ذَكَرَ الْقِصَّةَ بِطَوْلِهَا الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي كِتَابِهِ « السِّيَرَةُ »^(١٨) .

وَقَدْ تَرَجَّمَهُ الْحَافِظُ [ابْنُ عَسَاكِرَ] فِي تَارِيخِهِ تَرْجُمَةً حَافِلَةً^(١٩) ، أَوْرَدَ فِيهَا أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِمَّا ذَكَرْنَا وَمَالِمَ نَذْكُرُ . وَذَكَرَ أَنَّهُ مَلَكَ دِمَشْقَ ، وَأَنَّهُ كَانَ إِذَا اسْتَعْرَضَ الْخَيْلَ صُفِّتْ لَهُ [الْخَيْلُ]^[٢] مِنْ دِمَشْقَ إِلَى الْيَمَنِ . ثُمَّ سَاقَ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّزَاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي ذُئْبٍ ، عَنْ الْمُقْبَرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا أَدْرِي الْحُدُودَ طَهَارَةً لِأَهْلِهَا أَمْ لَا ؟ وَلَا أَدْرِي يُبْعَ لَعِينًا كَانَ أَمْ لَا ؟ وَلَا أَدْرِي ذُو الْقَرْنَيْنِ نَبِيًّا كَانَ أَمْ مُلْكًا ؟ » وَقَالَ غَيْرُهُ : « أَعَزِّيزًا كَانَ نَبِيًّا أَمْ لَا ؟ » .^[٣] كَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَمَادٍ الطَّهْرَانِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَاقِ^(٢٠) .

(١٨) - السيرة النبوية (١٩/١) .

(١٩) - تاريخ دمشق مخطوط (٥٠٠/٣) .

(٢٠) - ورواه الحاكم في المستدرک (٣٦/١) من طريق عبد الرزاق به . ورواه أبو داود في سننه (٤٦٧٤) من طريق عبد الرزاق به إلا أنه قال : « عزيز » بدل « ذو القرنين » .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « فإن » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من ت . [٣] - سقط من : ز، خ .

قال الدارقطني : تفرد به عبد الرزاق ، ثم روى ابن عساكر من طريق محمد بن كريب ، عن أبيه ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً : « عُزِيرَ لَا أَدْرِي أُنِيَّاءُ كَانَ أَمْ لَا ؟ وَلَا أَدْرِي [أَلَعَيْنِ تُبْعَ]^[١] أَمْ لَا ؟ »^(٢١) .

ثم أورد ما جاء في النهي عن سبه ولعنته كما سيأتي . وكأنه - والله أعلم - كان كافراً ثم أسلم ، وتابع دين الكليم^[٢] على يَدَيَّ مَنْ كان من أحبار اليهود في ذلك الزمان على الحق قبل بعثة المسيح - عليه السلام - وحج البيت في زمن الجُرْهُمِيِّينَ ، [وكساه الملاء والوصائل من الحرير والخبر ونحر عنده ست آلاف بدنة وعظمه وأكرمه . ثم عاد إلى]^[٣] اليمن . وقد ساق قصته بطولها الحافظ ابن عساكر من طرق متعددة مطولة مبسطة عن أبي بن كعب ، وعبد الله ابن سَلَامَ ، وعبد الله بن عباس ، وكعب الأحبار . وإليه المرجع في ذلك كله ، وإلى عبد الله ابن سلام أيضاً ، وهو أثبت وأكبر وأعلم .

وكذا روى قصته وهب بن مُثَنِّبِه ، ومحمد بن إسحاق في « السيرة » كما هو مشهور فيها . وقد اختلط على الحافظ ابن عساكر في بعض السياقات ترجمة يُبْعَ هذا^[٤] بترجمة آخر^[٥] متأخر عنه بدهر طويل ، فإن يُبْعًا هذا المشار إليه في القرآن أسلم قومه على يديه ، ثم لما مات عادوا بعده إلى عبادة الأصنام والنيران ، فعاقبهم الله تعالى كما ذكر^[٦] في سورة سبأ ، وقد بسطنا قصتهم هنالك ، ولله الحمد والمنة .

وقال سعيد بن جبير : كسا تبع الكعبة ، وكان سعيد ينهى عن سبه .

ويُبْعَ هذا هو يُبْعُ الأوسط ، واسمه أسعد أبو كريب بن مَلِكِيكَرْبَ اليماني ، ذكروا أنه ملك على قومه ثلاثمائة سنة وستاً^[٧] وعشرين سنة ، ولم يكن في حمير أطول مُدَّةَ منه ، وتوفي قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو من سبعمائة عام . وذكروا أنه لما ذكر له الخبران من يهود المدينة أن هذه البلدة^[٨] مُهاجِرٌ [نبي في آخر الزمان]^[٩] ، اسمه أحمد ، قال في ذلك شعراً واستودعه عند أهل المدينة . وكانوا يتوارثونه وَيَزُودُونَهُ خَلْقًا عن سلف . وكان ممن يحفظه

(٢١) - تاريخ دمشق (٣/٥٠١) مخطوط .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « ألعن تنبعا » .

[٢] - في ز ، خ : « الخليل » . وفي هامش ز : لعله الكليم .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ت : « ذكره » .

[٧] - في ز ، خ : « المدينة » .

[٨] - ما بين المعكوفتين في ت : « نبي آخر في الزمان » .

أبو أيوب خالد بن زيد الذي نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره ، وهو :
 شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدَ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ بَارِي النَّسَمِ
 فَلَوْ مُدَّ عُنْوَ إِلَى عُنْفَرِهِ لَكُنْتُ وَزِيرًا لَهُ وَابْنًا عَمَّ
 وَجَاهَدْتُ بِالسَّيْفِ أَغْدَاءَهُ وَفَرَجْتُ عَنْ صَدْرِهِ كُلَّ غَمٍّ
 وذكر ابن أبي الدنيا ؛ أنه حفر قبر بصنعاء في الإسلام ، فوجدوا فيه امرأتين صحيحتين ،
 وعند رءوسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب : هذا قبر حبي وليس - ورؤي : حبي
 وتماضر - ابنتي تبع ، ماتتا وهما تشهدان^[١] أن لا إله إلا الله ولا تشركان^[٢] به شيئاً ، وعلى
 ذلك مات الصالحون قبلهما .

وقد ذكرنا في سورة «سبا» شعر سباً في ذلك أيضاً .

قال قتادة : ذكر لنا أن كعباً كان يقول في تبع : نُعِتَ نعت الرجل الصالح ، ذم الله تعالى
 قومه ولم يذمه . قال : وكانت عائشة تقول : لا تسبوا تبعاً فإنه قد كان رجلاً صالحاً .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا عبد الله بن
 لهيعة ، عن أبي زرعة - يعني عمرو بن جابر الحضرمي - قال^[٣] : سمعت سهل بن سعد
 الساعدي يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا تبعاً فإنه قد كان أسلم » .

ورواه الإمام أحمد في مسنده عن حسن بن موسى ، عن ابن لهيعة به^(٢٢) .

وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن علي الأبار ، حدثنا أحمد بن محمد بن أبي بزة^[٤] ، حدثنا
 مؤمل بن إسماعيل ، حدثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تسبوا تبعاً فإنه قد أسلم »^(٢٣) .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي ذئب ، عن المقبري ، عن أبي هريرة - رضي الله
 عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أدري تبع نبياً كان أم غير نبي ؟ » .

وتقدم بهذا السند من رواية ابن أبي حاتم ، كما أورده ابن عساكر : « لا أدري تبع كان
 لعينا أم لا ؟ » . قاله أعلم .

(٢٢) - المسند (٣٤٠/٥) .

(٢٣) - المعجم الكبير (٢٩٦/١١) وقال الهيثمي : فيه أحمد بن أبي بزة المكي ، ولم أعرفه ، وبقيّة رجاله
 ثقات .

[٢] - في ز ، خ : « يشركان » .

[٤] - في خ : « برزة » .

[١] - في ز ، خ : « يشهدان » .

[٣] - سقط من : خ .

ورواه ابن عساكر من طريق زكريا بن يحيى البدي^[١] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس موقوفاً .
وقال عبد الرزاق : أخبرنا عمران أبو الهذيل ، أخبرني تميم بن عبد الرحمن قال : قال عطاء
ابن أبي رباح : لا تسبوا تبعاً ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن سبه^(٢٤) .

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَجَبٍ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ
وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾
يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ
هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى مخبراً عن عذله وتنزيهه^[٢] نفسه^[٣] عن اللعب والعبث والباطل ، كقوله : ﴿ وما
خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ﴾
وقال : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون * فعلى الله الملك الحق لا إله
إلا هو رب العرش الكريم ﴾ . ثم قال : ﴿ إن يوم الفصل ﴾ وهو يوم القيامة ، يفصل الله فيه
بين الخلائق ، فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين .

وقوله : ﴿ مِيقَاتِهِمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ، أي : يجمعهم كلهم أولهم وآخرهم ، ﴿ يوم لا يغني
مولى عن مولى شيئاً ﴾ أي : لا ينفع قريب قريباً ، كقوله : ﴿ فإذا نفخ في الصور فلا
أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ [ولا يسأل حميم حميماً يصرونهم]^[٤]
أي : لا يسأل أخاه عن حاله وهو يراه عياناً .

وقوله : ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ أي : لا ينصر القريب قريبه ، ولا يأتيه نصره من الخارج^[٥] .

ثم قال : ﴿ إلا من رحم الله ﴾ ، أي : لا ينفع يومئذ إلا من رحم الله - عز وجل -
لخلقه ﴿ إنه هو العزيز الرحيم ﴾ ، أي : هو عزيز ذو رحمة واسعة .

إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ

(٢٤) - تفسير عبد الرزاق (١٧١/٢) .

[١] - في ز ، خ : « المدني » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٥] - في ز : « خارج » .

[٤] - زيادة من : ز .

﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا
فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ
﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى مخبراً عما يعذب به الكافرين الجاحدين للقاءه : ﴿إن شجرة الزقوم * طعام الأليم﴾ ، والأليم : أي في قوله وفعله ، وهو الكافر ، وذكر غير واحد أنه أبو جهل ، ولا شك في دخوله في هذه الآية ، ولكن ليست خاصة به .

قال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن همام بن الحارث : أن أبا الدرداء كان يقرئ رجلاً : ﴿إن شجرة الزقوم * طعام﴾ [١] [الأليم﴾ ، فقال : طعام اليتيم . فقال أبو الدرداء قل [٢] : ﴿إن شجرة الزقوم﴾ [٣] طعام الفاجر . أي : ليس له طعام من غيرها . قال مجاهد : ولو وقعت منها قطرة في الأرض لأفسدت على أهل الأرض معاشهم . وقد تقدم نحوه مرفوعاً .

وقوله : ﴿كالمهل﴾ قالوا : كمكر [٤] الزيت ، ﴿يغلي في البطون * كغلي الحميم﴾ ، أي : من حرارتها ورياءتها ، وقوله ﴿خذوه﴾ ، أي : الكافر ، وقد ورد أنه تعالى إذا قال للزبانية : ﴿خذوه﴾ ابتدره سبعون ألفاً منهم .

﴿فاعتلوه﴾ أي : سوقوه سحباً ودفعاً في ظهره [٥] .

قال مجاهد : ﴿خذوه فاعتلوه﴾ أي : خذوه فادفعوه .

وقال الفرزدق :

لَيْسَ الْكَرَامُ بِنَاجِلِيكَ أَبَاهُمْ حَتَّىٰ تُرَدَّ [٦] إِلَىٰ عَطِيَّةٍ تُغْتَلُ
﴿إلى سواء الجحيم﴾ ، أي : وسطها ، ﴿ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم﴾ ، كقوله : ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم * يصهر به ما في بطونهم والجلود﴾ وقد تقدم أن الملك يضربه بمقعدة من حديد ، فيفتح [٧] دماغه ثم يصب الحميم على رأسه فينزل في بدنه ،

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ت : « كمقر » .

[٦] - في ز ، خ : « يرد » .

[١] - ما بين المعكوفين سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من : خ .

[٥] - في ت : « صدره » .

[٧] - في ت : « تفتح » .

فيسلت ما في بطنه من أمعائه ، حتى تخرق من كعبيه - أعاذنا الله تعالى من ذلك - ! .

وقوله : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ أي : قولوا^[١] له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ .

و^[٢]قال الضحاك : عن ابن عباس : أي لست بعزيز و^[٣]لا كريم .

وقد قال الأموي في « مغازيه » : حدثنا أسباط ، حدثنا أبو بكر الهذلي ، عن عكرمة قال : لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل - لعنه الله ! - فقال : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمْرِي أَنْ أَقُولَ لَكَ : ﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴾ » . قال : فترع ثوبه من يده وقال : ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء . ولقد علمت أنني أمنع أهل البطحاء ، وأنا العزيز الكريم . قال : فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وغيره بكلمته ، وأنزل : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ .

وقوله : ﴿ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾ ، كقوله : ﴿ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا * هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ * أَفَسِحْرَ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ ﴾ . ولهذا^[٤] قال هاهنا : ﴿ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾ .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ

وَرِاسٍ مَّتَقِيلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا

بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمْنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ

وَوَقَّعَتْهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾

فَإِنَّمَا يَسْتَرْثِيهِ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

لما ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر السعداء - ولهذا سُمِّي القرآن مثاني - فقال : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، أي : لله في الدنيا ﴿ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ . أي : في الآخرة وهو الجنة ، قد آمنوا فيها من الموت والخروج ، ومن كل هم وحزن وجزع وتعب ونصب ، ومن الشيطان وكيدته ، وسائر الآفات والمصائب ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ . وهذا في مقابلة ما أولئك فيه من شجر الزقوم ، وشرب الحميم .

[١] - في ت : « قل » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ت : « وكهذا » .

وقوله تعالى: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ﴾ ، وهو : رفيع الحرير ، كالقمصان ونحوها ،
﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ، وهو : مافيه بريق ولمعان وذلك كالرياش ، وما يلبس على أعالي القماش .
﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ ، أي : على السرر ، لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره .

وقوله : ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ ، أي : هذا العطاء مع ما قد منحناهم من
الزوجات الحور العين الحسن اللاتي ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ ، ﴿كَأَنَّهُنَّ
الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا نوح بن حبيب ، حدثنا نصر^[١] بن مزامح العطار ،
حدثنا عمر بن سعد ، عن رجل ، عن أنس - رفعه نوح - قال : « لو أن حوراء برقت في بحر
الحبي ، لعذب ذلك الماء لعذوبة ريقها »^(٢٥) .

وقوله : ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ أَمِينٍ﴾ ، أي : مهما طلبوا من أنواع الثمار أحضر
لهم ، وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه ، بل يحضر لهم^[٢] كلما أرادوا .

وقوله : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ ، هذا الاستثناء يؤكد النفي ، فإنه
استثناء منقطع ، ومعناه : أنهم لا يذوقون فيها الموت أبدًا . كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « يُؤْتَى بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ
يَذْبَحُ ، ثُمَّ يَقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ؛ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، يَا أَهْلَ النَّارِ ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ » .
وقد تقدم الحديث في سورة مريم^(٢٦) .

وقال عبد الرزاق : حدثنا سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي مسلم الأغر ، عن
أبي سعيد وأبي هريرة - رضي الله عنهما - قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُقَالُ
لَأَهْلِ الْجَنَّةِ : إِنْ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا ، وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَعِيشُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنْ
لَكُمْ أَنْ تَنَعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا ، وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَشَبَّهُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا » . رواه مسلم ، عن
إسحاق بن راهوية وعبد بن حميد ، كلاهما عن عبد الرزاق به^[٤]^(٢٧) .

(٢٥) - ورواه أبو نعيم في صفة الجنة (٣٨٦) من وجه آخر ، فرواه من طريق محمد بن إسماعيل الحساني عن
منصور الواسطي عن أبي نصر الآبار عن أنس مرفوعًا بنحوه .

(٢٦) - تقدم عند الآية (٣٩) من سورة مريم .

(٢٧) - مسلم (٢٨٣٧) .

[٢] - في ت : «إليهم» .

[٤] - سقط من ت .

[١] - في ز ، خ : « نعمة » .

[٣] - في ز ، خ : « ابن » .

هكذا يقول أبو إسحاق وأهل العراق : « أبو مسلم الأغر » . وأهل المدينة يقولون : « أبو عبد الله الأغر » .

وقال أبو بكر بن أبي داود السجستاني : حدثنا أحمد بن حفص ، عن أبيه ، عن إبراهيم بن^[١] طهمان ، عن الحجاج - هو : ابن حجاج - ، عن عبادة ، عن عبيد الله بن عمرو ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اتقى الله دخل الجنة ، ينعم فيها ولا يأس ، ويحيا فيها فلا يموت ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » (٢٨) .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيى ، حدثنا عمرو بن محمد^[٢] الناقد ، حدثنا سليمان بن عبيد^[٣] الله الرقي ، حدثنا مصعب بن إبراهيم ، حدثنا عمران بن الربيع الكوفي ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر - رضي الله عنه - قال : سئل نبي الله صلى الله عليه وسلم : أينام أهل الجنة ؟ فقال : « النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا ينامون » (٢٩) .

وهكذا رواه . أبو بكر بن مژدويه في تفسيره : حدثنا أحمد بن القاسم بن صدقة المصري ، حدثنا المقدم بن داود ، حدثنا عبد الله بن المغيرة ، حدثنا سفيان الثوري ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا ينامون » (٣٠) .

وقال أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا الفضل بن يعقوب ، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي ، عن سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : قيل^[٤] : يا رسول الله ، هل ينام أهل الجنة ؟ قال : « لا ، النوم أخو الموت » . ثم قال : لا نعلم أحدا أسنده عن ابن المنكدر عن جابر إلا الثوري ، ولا عن الثوري ، إلا الفريابي^(٣١) . هكذا قال . وقد تقدم خلاف ذلك ، والله أعلم .

(٢٨) - ورواه الطبراني في الأوسط (٤٨٩٥) مجمع البحرين .

(٢٩) - مجمع البحرين (٤٨٧٥) .

(٣٠) - ورواه أبونعيم في الحلية (٩٠/٧) من طريق أحمد بن القاسم ، عن المقدم بن داود به . وقال : غريب من حديث الثوري ، تفرد به عبد الله .

(٣١) - كشف الأستار (٣٥١٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤١٥/١٠) : رجال البزار رجال الصحيح .

[١] - في ز ، خ : « عن » .

[٣] - في ز ، خ : عبد .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

وقوله : ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ، أي : مع هذا النعيم العظيم المقيم قد وقاهم ، وسلمهم ونجاهم وزحزحهم من العذاب الأليم في دركات الجحيم ، فحصل لهم المطلوب ، ونجاهم من المرهوب ، ولهذا قال : ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ، أي : إنما كان هذا بفضلهم عليهم وإحسانه إليهم ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «اعملوا وسددوا وقاربوا ، واعلموا أن أحدًا لن يُدخِلَه عمله الجنة» . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : «ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل»^(٣٢) .

وقوله : ﴿فَإِنَّمَا يَسِرُنَا بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ، أي : إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلًا واضحًا بينًا جليًا بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلها وأحلاها وأعلاها ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ، أي^[١] : يتفهمون ويعملون .

ثم لما كان مع هذا البيان والوضوح من الناس من كفر وخالف وعاند ، قال الله تعالى لرسوله [مسليًا له وواعدًا]^[٢] له بالنصر ، ومتوعدًا لمن كذبه بالعطب والهلاك : ﴿فَارْتَقِبْ﴾ ، أي : انتظر ﴿إِلَهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ ، أي : فستعلمون^[٣] لمن يكون النصر^[٤] والظفر وعُلُوّ الكلمة في الدنيا والآخرة ، فإنها لك يا محمد وإخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿كُتِبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّا أُنَاسًا وَرُسُلًا . إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ، وقال تعالى : ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ .

[آخر تفسير سورة الدخان . والله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة]^[٥] .



(٣٢) - صحيح البخاري (٦٤٦٧) من حديث عائشة .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز : « ووعدًا » .

[٣] - في ز ، خ : « فستعلمون » .

[٤] - في خ : « النصر » .

[٥] - ما بين المعكوفين سقط من : ز ، خ .

تفسير سورة الجاثية

وهي مكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَأَخْلَفَ اللَّيْلُ
وَالنَّهَارَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ
ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

يُرشدُ تعالى خلقه إلى التفكير في آلائه ونعمه ، وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات والأرض ، وما فيهما من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع ، من الملائكة والجن والإنس ، والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات ، وما في البحر من الأصناف المتنوعة ، واختلاف الليل والنهار ، في تعاقبهما دائبين لا يفتران ، هذا بظلامه وهذا بضياؤه ، وما أنزل الله تعالى من السحاب من المطر في وقت الحاجة إليه ، وسماه رزقا لأن به يحصل الرزق ، ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ، أي : بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء .

وقوله : ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ﴾ أي : جنوبا ، وشاملا^[١] ، ودبورًا وصبا ، بحرية وبرية ، ليلية ونهارية . ومنها ما هو للمطر ، ومنها ما هو للقاح ، ومنها ما هو غذاء الأرواح ، ومنها ما هو عقيم .

وقال أولا : ﴿ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، ثم ﴿ يُوقِنُونَ ﴾ ثم ﴿ يَعْقِلُونَ ﴾ ، وهو تَرَقُّع من حال شريف إلى ما هو أشرف منه وأعلى . وهذه الآيات شبيهة بآية « البقرة » وهي قوله : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآياتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .

قد أورد ابن أبي حاتم هاهنا عن وهب بن منبه أثرا طويلا غريبا في خلق الإنسان من الأخلاط الأربعة .

تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَأَيُّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهُ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَبِئْرٍ

[١] - في خ : « وشمالا » .

لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْزِلُ عَلَيْهِ ثُمَّ بَصُرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا
فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّنْ وَرَآيِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ
عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

يقول تعالى : هذه آيات الله - يعني القرآن بما فيه من الحجج والبيانات - ﴿ نتلوها عليك بالحق ﴾ ، أي : متضمنة الحق من الحق ، فإذا كانوا لا يؤمنون بها ولا ينقادون لها ، فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟ ! ثم قال : ﴿ ويل لكل أفَّاك أثيم ﴾ ، أي : أفَّاك في قوله كذاب ، حلاف مهين أثيم في فعله وقيله كافر بآيات الله ، ولهذا قال : ﴿ يسمع آيات الله تتلى عليه ﴾ ، أي : تقرأ عليه ﴿ ثم يصر ﴾ ، أي : على كفره ومجحوده استكبارًا وعنادًا ﴿ كأن لم يسمعها ﴾ ، أي : كأنه ما سمعها ، ﴿ فبشره بعذاب أليم ﴾ أي ^[١] فأخبره أن له عند الله يوم القيامة عذابًا أليمًا موجعًا .

﴿ وإذا علم من آياتنا شيئًا اتخذها هزوا ﴾ . أي : إذا حفظ شيئًا من القرآن كفر به واتخذة سخرًا وهزوا ، ﴿ أولئك لهم عذاب مهين ﴾ ، أي : في مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به ؛ ولهذا روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر ^(١) قال : نهى ^[٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُسَافَرَ بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو .

ثم فسر العذاب الحاصل له يوم معاده فقال : ﴿ من ورائهم جهنم ﴾ ، أي : كل من اتصف بذلك سيصبرون إلى جهنم يوم القيامة ، ﴿ ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئًا ﴾ ، أي : لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم ، ﴿ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ﴾ ، أي : ولا تغني عنهم الآلهة التي عبدوها من دون الله شيئًا ، ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ هذا هدى ﴾ ، يعني القرآن ، ﴿ والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم ﴾ . وهو المؤلم ^[٣] الموجع .

(١) - صحيح مسلم حديث (١٨٦٩) .

[٢] - في خ : « نهي » .

[١] - زيادة من : ز .

[٣] - في ز ، خ : « المقلق » .

﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُلِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾

يذكر تعالى نعمة على عبده فيما سخر لهم من البحر ﴿ لتجري الفلك ﴾ ، وهي السفن فيه بأمره تعالى ، فإنه هو الذي أمر البحر أن يحملها ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾ ، أي : في المتاجر والمكاسب ، ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ ، أي : على حصول المنافع الجلوبة إليكم من الأقاليم النائية والآفاق القاصية .

ثم قال تعالى : ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض ﴾ أي : من الكواكب والجبال ، والبحار والأنهار ، وجميع ما تستفون به ، أي^[١] : الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه ؛ ولهذا قال : ﴿ جميعاً منه ﴾ أي : من عنده وحده لا شريك له في ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ﴾ .

وروى ابن جرير من طريق القوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ﴾ : كل شيء هو من الله ، وذلك الاسم فيه^[٢] اسم من أسمائه ، فذلك^[٣] جميعاً منه ، ولا ينازعه فيه المنازعون ، واستيقن^[٤] أنه كذلك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن خلف العسقلاني ، حدثنا الفريابي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن أبي أراكة قال : سأل رجل عبد الله بن عمرو قال^[٥] : ثم خلق الخلق ؟ قال : من النور والنار ، والظلمة والثرى . قال : [وأت]^[٦] ابن عباس فأسأله . فأتاه فقال له مثل ذلك ، فقال : ارجع إليه فسله : ثم خلق ذلك كله ؟ فرجع إليه فأسأله ، فتلا : ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ﴾ . هذا أثر غريب ، وفيه نكارة . ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ .

وقوله : ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ﴾ أي : يصفحوا عنهم

[٢] - في ز ، خ : « منه » .

[٤] - في ز ، خ : « واستيقن » .

[٦] - في ز ، خ : ائت .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « وذلك » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

ويحملوا الأذى منهم . وهذا كان في ابتداء الإسلام ، أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب ، ليكون ذلك لتأليف قلوبهم ، [ثم لما ^[١] أصروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجهاد والجهاد . هكذا روي عن ابن عباس ، وقتادة .

وقال مجاهد : ﴿ لا يرجون أيام الله ﴾ : لا ينالون ^[٢] نعم الله .

وقوله : ﴿ ليجزى قوما بما كانوا يكسبون ﴾ أي ^[٣] : إذا صفحوا عنهم في الدنيا فإن الله مجازيهم بأعمالهم السيئة في الآخرة ؛ ولهذا قال : ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ أي : تعودون إليه يوم القيامة فتعرضون بأعمالكم ، فيجازيكم ^[٤] بأعمالكم خيرها وشرها .

وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمْ يَتِينَ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَنْهَهُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

يذكر تعالى ما أنعم به على بني إسرائيل من إنزال الكتب عليهم وإرسال الرسل إليهم ، وجعله الملك فيهم ؛ ولهذا قال : ﴿ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات ﴾ أي : من المأكول والمشرب ، ﴿ وفضلناهم على العالمين ﴾ أي : في زمانهم ، ﴿ وآتيناهم بينات من الأمر ﴾ أي : حُججاً وبراهين وأدلة قاطعات ، فقامت عليهم الحُجج ، ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجة ، وإنما كان ذلك بغياً منهم على بعضهم بعضاً ، ﴿ إن ربك ﴾ [يا محمد] ^[٥] ﴿ يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ أي : سيفصل

[١] - ما بين المكوفين في ز، خ : « فلما » . [٢] - في ت : « ينالون » .

[٣] - سقط من : خ . [٤] - في ت : « فيجزىكم » .

[٥] - ما بين المكوفين سقط من : ز، خ .

بينهم بحكمه العدل .

وهذا فيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم ، وأن تقصد منهجهم ، ولهذا قال : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ﴾ أي : اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو ، وأعرض عن المشركين .

وقال هاهنا : ﴿ ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * إنهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ﴾ أي : وماذا تغني عنهم ولايتهم لبعضهم بعضاً ، فإنهم لا يزيدونهم إلا خساراً ودماراً وهلاكاً ، ﴿ والله ولي المتقين ﴾ ، وهو تعالى يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات .

ثم قال : ﴿ هذا بصائر للناس ﴾ ، يعني : القرآن ، ﴿ وهدى ورحمة لقوم يوقنون ﴾ .

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَخْلُوعُهُمْ وَمَخَالَتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَاتَّجَزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَحَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْرٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى : لا يستوي المؤمنون والكافرون ، كما قال : ﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات ﴾ أي : عملوها وكسبوها ﴿ أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ﴾ أي : نساويهم بهم في الدنيا والآخرة ! ﴿ ساء ما يحكمون ﴾ أي : ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا أن نساوي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة ، وفي هذه الدار .

قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا مؤمل بن إهاب ، حدثنا بكير بن عثمان التنوخي ، حدثنا الوضين بن عطاء ، عن يزيد بن مرثد الصنعاني^[١] ، عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : إن الله بنى دينه على أربعة أركان ، فمن صبر عليهن ولم يعمل بهن لقي الله من الفاسقين . قيل : وما هن يا أبا ذر ؟ قال : يسلم^[٢] حلال الله لله ، وحرام الله لله ، [وأمر الله لله]^[٣] ، ونهي

[١] - في ز ، خ : « الناجي » . وفي ت : الباجي [٢] - في ز ، خ : « تسلم » .

[٣] - ما بين المعكوفتين بقط من : خ .

اللَّهُ لِلَّهِ ، لا يؤمن عليهن إلا الله . قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « كما أنه لا يُجتنى^[١] من الشوك العنب ، كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار^(٢) » .

هذا حديث غريب^[٢] من هذا الوجه . وقد ذكر محمد بن إسحاق في كتاب « السيرة »^(٣) أنهم وجدوا حجرًا بمكة في أس الكعبة مكتوبًا عليه : تعملون السيئات وترجون الحسنات ؟ أجل كما يجتنى من الشوك العنب .

وقد روى الطبراني^(٤) من حديث شعبة ، عن عمرو بن مَرْة ، عن أبي الضحى ، عن مسروق : أن تميمًا الداري قام ليلة حتى أصبح يُردّد هذه الآية : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ . ولهذا قال تعالى : ﴿ ساء ما يحكمون ﴾ ، وقال^[٣] : ﴿ وخلق الله السموات والأرض بالحق ﴾ أي : بالعدل ، ﴿ ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ .

ثم قال : ﴿ أفأريت من اتخذ إلهه هواه ﴾ أي : إنما يأتمر بهواه ، فمهما رآه حسنًا فعله ، ومهما رآه قبيحًا تركه . وهذا قد يستدل به على المعتزلة في قولهم بالتحسين والتقيح العقليين . وعن مالك - فيما روي عنه من التفسير - : لا يهوى شيئًا إلا عبده .

وقوله : ﴿ وأضلّه الله على علم ﴾ ، يحتمل قولين :

أحدهما : وأضلّه الله لعلمه أنه يستحق ذلك . والآخر^[٤] : وأضلّه الله بعد بلوغ العلم إليه ، وقيام الحجة عليه . والثاني يستلزم الأول ، ولا ينعكس .

﴿ وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ﴾ أي : فلا يسمع ما ينفعه ، ولا يمي شيئًا يهتدي به ، ولا يرى حجة يستضيء بها ، ولهذا قال : ﴿ فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ ، كقوله : ﴿ من يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ .

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا رَبَّنَا إِنَّا كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمٍ

(٢) - ورواه أحمد بن منيع ، انظر المطالب العالية (٣٤٥٦ ، ٣٤٥٧) .

(٣) - السيرة النبوية (١/١٩٦) .

(٤) - المعجم الكبير (٥٠/٢) .

[٢] - بياض في ز ، خ .

[١] - في ز ، خ : « يخشى » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الْقِيَمَةُ لَا رَبَّ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد : ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ﴾ أي : ما ثم إلا هذه الدار ، يموت قوم ويعيش آخرون ، وما ثم معاد ولا قيامة . وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد ، ويقولوه الفلاسفة الإلهيون منهم ، وهم ينكرون البدأة والرجعة ، ويقولوه الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه . وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تنهاى ، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ، ولهذا قالوا : ﴿ وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ قال الله تعالى : ﴿ وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾ ، أي : يتوهمون ويتخيلون .

فأما الحديث الذي أخرجه صاحبنا الصحيح ، وأبو داود ، والنسائي ، من رواية سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر ، أقلب ليله ونهاره »^(٥) . وفي رواية : « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر »^(٦) .

وقد أورده ابن جرير بسنياق غريب جدًا فقال : حدثنا أبو كريب ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كان أهل الجاهلية يقولون : إنما يهلكنا الليل والنهار ، وهو الذي يهلكنا ، يميتنا ويحيينا ، فقال الله في كتابه : ﴿ وقالوا^[١] ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ » . قال^[٢] : « ويسبون الدهر ، فقال الله - عز وجل - : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار »^(٧) .

وكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أحمد بن منصور ، عن شريح بن النعمان ، عن ابن عيينة ، مثله . ثم روى عن يونس ، عن ابن وهب [^[٣]] عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى : يسب ابن آدم الدهر

(٥) - البخاري (٤٨٢٦) ، وصحيح مسلم (٢٢٤٦) وسنن أبي داود (٥٢٧٤) والنسائي في الكبرى (١١٦٨٧) .

(٦) - صحيح مسلم (٢٢٤٦) .

(٧) - تفسير الطبري (٩٢/٢٥) .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « عن يونس » .

وأنا الدهر ، بيدي الليل والنهار .

وأخرجه صاحبها الصحيح والنسائي من حديث يونس بن يزيد^[١] به^(٨) .

وقال محمد بن إسحاق ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « [يقول الله]^[٢] : استقرضت عبدي فلم يعطني ، وسبني عبدي يقول : وادهره وأنا الدهر »^(٩) .

قال الشافعي وأبو عبيد^[٣] وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » : كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة ، قالوا : ياخيبة الدهر . فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه ، وإنما فاعلها هو الله ، فكأنهم إنما سبوا الله - عز وجل - لأنه فاعل ذلك في الحقيقة ، فلهذا نُهي عن سب الدهر بهذا الاعتبار ؛ لأن الله هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال .

هذا أحسن ما قيل في تفسيره ، وهو المراد ، والله أعلم . وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدّهم الدهر من الأسماء الحسنی ، أخذًا من هذا الحديث !

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَلَّيْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ ﴾ أي : إذا استدلّ عليهم وبَيِّنَ لهم الحق ، وأن الله قادر على إعادة الأبدان بعد فنائها وتفرقها ، ﴿ مَا كَانَ حِجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي : أحيوهم إن كان ما تقولونه حقًا . قال الله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ يَحْيِيكُمْ ﴾ أي : كما تشاهدون ذلك ، يخرجكم^[٤] من العدم إلى الوجود ، ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَحْيِيكُمْ ﴾ أي : الذي قدر على البدأة قادر على الإعادة بطريق الأزل والأخرى . ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ ، ﴿ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي : إنما يجمعكم ليوم القيامة لا يعيدكم في الدنيا حتى تقولوا : ﴿ اتَّبُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^[٥] ، ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾ ﴿ لَا يَوْمَ أَجَلْتُمْ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴾ . ﴿ وَمَا نُوَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدُودٍ ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي : لاشك فيه ، ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي : فلهذا ينكرون المعاد ، ويستبعدون قيام الأجساد . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ

(٨) - صحيح البخاري (٦١٨١) ، وصحيح مسلم (٢٢٤٦) النسائي في الكبرى (١١٦٨٦) .

(٩) - تفسير الطبري (٩٢/٢٥) .

[١] - في ت : « زيد » .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « عبيدة » .

[٤] - ما بين المعكوفين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « بخروجكم » .

[٦] - في ز : « يوم » .

يروونه بعيدًا * ونراه قريبًا ﴿٢٧﴾ أي : يرون وقوعه بعيدًا والمؤمنون يرون ذلك سهلًا قريبًا .

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض ، الحاكم فيهما في الدنيا والآخرة ؛ ولهذا قال : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴾ أي : يوم القيامة ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾^[١] يخسر المبطلون ﴿ ٢٧ ﴾ ، وهم الكافرون بالله الجاحدون ما أنزله على رسله من الآيات البينات والدلائل الواضحات .

وقال ابن أبي حاتم : قَدِمَ سفيان الثوري المدينة ، فسمع المَعَاذِي يتكلم ببعض ما يضحك به الناس . فقال له : يا شيخ ، أما علمت أن لله يومًا يخسر فيه المبطلون ؟ قال : فما زالت تعرف في المعاذي^[٢] حتى لحق بالله عز وجل . ذكره ابن أبي حاتم .

ثم قال : ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ أي : على ركبها من الشدة والعظمة ، ويقال : إن هذا إذا جيء بهنم فإنها تفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبته ، حتى إبراهيم الخليل ، ويقول : نفسي ، نفسي ، نفسي ، لا أسألك اليوم إلا نفسي . وحتى إن عيسى ليقول : لا أسألك اليوم إلا نفسي ، لا أسألك مريم التي ولدني .

قال مجاهد ، وكعب الأحبار ، والحسن البصري : ﴿ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ أي : على الركب .

وقال عكرمة : جاثية متميزة على ناحيتها ، وليس على الركب . والأول أولى .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن عبد الله بن باباه : أن رسول الله قال : « كَأَنِّي أَرَاكُمْ جَاثِينَ بِالْكُومِ دُونَ جَهَنَّمَ »^(١٠) .

وقال إسماعيل بن رافع المدني عن محمد بن كعب عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعًا في حديث الصور^[٣] : فيتميز الناس ، وتجتو الأُمم^(١١) ، وهي التي يقول الله : ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾

(١٠) - ورواه نعيم في زوائد زهد ابن المبارك برقم (٣٦٠) ، وابو نعيم في الحلية (٢٩٩/٧) من طريق ابن عيينة به .

(١١) - حديث الصور تقدم عند الآية (٧٣) من سورة الأنعام .

[٢] - في خ : « القاصري » .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « الصورة » .

أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها ﴿ . وهذا فيه جمع بين القولين ، ولا منافاة ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ كل أمة تدعى إلى كتابها ﴾ ، يعني كتاب أعمالها . كقوله : ﴿ ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ اليوم تجزون ما كنتم تعملون ﴾ أي : تجازون بأعمالكم خيرها وشرها ، كقوله تعالى : ﴿ ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾ . بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره ﴿ ثم قال : ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ﴾ أي : يستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص ، كقوله تعالى : ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾ . وقوله : ﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ أي : إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم .

قال ابن عباس وغيره : تكتب الملائكة أعمال العباد ، ثم تصعد بها إلى السماء ، فيقابلون الملائكة الذين في ديوان الأعمال على ما بأيديهم مما قد أبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة قدر ، مما [قد] ^[١] كتبه الله في القدم على العباد قبل أن يخلقهم ، فلا يزيد حرفا ولا ينقص حرفا . ثم قرأ : ﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ .

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا
مُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا
السَّاعَةُ إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سِتَاتٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ
بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا
وَمَا وَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ
الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَوُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ
السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

يخبر تعالى عن حكمه في خلقه يوم القيامة ، فقال : ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا

الصالحات ﴿ أي : آمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحات ، وهي الخالصة الموافقة للشرع . ﴿ فيدخلهم ربهم في رحمته ﴾ ، وهي الجنة . كما ثبت في الصحيح [أن الله]^[١] قال للجنة : « أنت رحمتي ، أرحم بك من أشاء »^(١٢) .

﴿ ذلك هو الفوز المبين ﴾ أي : البين الواضح . ثم قال : ﴿ وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم ﴾ أي : يقال لهم ذلك تقريرا وتوبيخا : أما قرئت عليكم آيات الرحمن فاستكبرتم عن اتباعها ، وأعرضتم عند سماعها ؟ ﴿ وكنتم قوما مجرمين ﴾ أي : في أفعالكم ، مع ما اشتملت عليه قلوبكم من التكذيب ؟ .

﴿ وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها ﴾ أي : إذا قال لكم المؤمنون ذلك ، قلتم ما ندري ما الساعة ﴿ أي : لا نعرفها ، ﴿ إن نظن إلا ظنا ﴾ أي : إن^[٢] نتوهم وقوعها إلا توهمنا ، أي مرجوحا ؛ ولهذا قالوا^[٣] : ﴿ وما نحن بمستيقنين ﴾ أي : بمحققين ، قال الله تعالى : ﴿ وبدا لهم سيئات ما عملوا ﴾ أي : وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة ، ﴿ وحاق بهم ﴾ أي : أحاط بهم ﴿ ما كانوا به يستهزئون ﴾ أي : من العذاب والنكال ، ﴿ وقيل اليوم ننساكم ﴾ أي : نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم ، ﴿ كما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ أي : [فلم تعملوا]^[٤] له لأنكم لم تصدقوا به ، ﴿ وما أواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ .

وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة : « ألم أزوجك ، ألم أكرمك ، ألم أسخّر لك الخيل والإبل ، وأذكرك^[٥] ترأس وترزع ؟ ! فيقول : بلى ، يارب . فيقول : أفظننت أنك ثلاثي . فيقول : لا . فيقول الله تعالى : فاليوم أنساك كما نسيني »^(١٣) .

قال الله تعالى : ﴿ ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا ﴾ أي : إنما جازيناكم هذا الجزاء لأنكم اتخذتم تحجج الله عليكم سخريا ، تسخرون وتستهزئون بها ، ﴿ وغرتكم الحياة الدنيا ﴾ أي : خدعتكم فاطمأنتم إليها ، فأصبحتم من الخاسرين ؛ ولهذا قال : ﴿ فاليوم لا يخرجون منها ﴾ أي : من النار ﴿ ولا هم يستعتبون ﴾ أي : لا^[٦] يطلب منهم العتبي ، بل

(١٢) - صحيح البخاري (٤٨٥٠) من حديث أبي هريرة .

(١٣) - صحيح مسلم (٢٩٦٨) من حديث أبي هريرة .

[١] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « أنه كما » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « قال » .

[٤] - ما بين المعكوفين في خ : « فلما لا تعملوا » . [٥] - في ز : « وأردك » .

[٦] - سقط من : ز .

يعذبون بغير حساب ولا عتاب ، كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذاب ولا حساب .

ثم لما ذكر حكمه في المؤمنين والكافرين قال : ﴿ فَلَلهُ الْحَمْدُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ ﴾ أي : المالك لهما وما فيهما ؛ ولهذا قال : ﴿ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

ثم قال : ﴿ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، قال مجاهد : يعني السلطان . أي : هو العظيم الممجّد ، الذي كل شيء خاضع لديه فقير إليه . وقد ورد في الحديث الصحيح : « يقول الله تعالى : العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني واحدًا منهما أسكنته نارًا » . ورواه [١] مسلم من حديث الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن الأغر أبي [٢] مسلم ، عن أبي هريرة وأبي سعيد - رضي الله عنهما - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنحوه (١٤) .

وقوله : ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ أي : الذي لا يُغَالَبُ ولا يَمَانَعُ ، ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في أقواله وأفعاله ، وشرعه وقدره ، تعالى وتقدس ، لا إله إلا هو .

[آخر تفسير سورة الجاثية ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة] .



انتهى بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثاني عشر

ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث عشر

وأوله تفسير سورة الأحقاف

(١٤) - صحيح مسلم (٢٦٢٠) .

[٢] - في خ : « بن » .

[١] - في ت : « ورواه » .

الفهرست

٥	تفسير سورة الصفات
٣٣	تخطيط الأصنام
٣٧	الذبيح إسماعيل عليه السلام
٧١	تفسير سورة (ص)
٧٨	تسبيح الجبال والطير مع سيدنا داود
١١١	تفسير سورة الزمر
١٢٥	ضرب الأمثال في القرآن
١٣٨	الحث على التوبة
١٤٧	تفسير قوله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾
١٥١	النفخ في الصور
١٥٤	دخول الأشقياء النار
١٥٥	دخول المتقين الجنة
١٥٩	ذكر سعة أبواب الجنة
١٦٥	تفسير سورة المؤمن
١٧١	استحباب الدعاء للمؤمنين السابقين
١٧٥	الأمر بإخلاص الدعاء لله وحده
١٨٩	إرسال سيدنا يوسف إلى أهل مصر
١٩١	نصيحة مؤمن آل فرعون
٢١٥	تفسير سورة فصلت
٢٢٧	شهادة الجوارح على الإنسان
٢٤٠	فضل الداعي إلى الله
٢٥٣	تفسير سورة الشورى
٢٦٧	ذكر ما أعدّه الله لعباده المؤمنين
٢٨٠	ذكر الآيات الدالة على قدرة الله
٢٩٧	تفسير سورة الزخرف
٣٣٣	تفسير سورة الدخان
٣٥٧	تفسير سورة الجاثية
٣٦٩	الفهرست